فتح رب البريات

في شرح كشف الشبهات

لفضيلة العلامة

صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ

حفظه الله ورعاه ونفع بعلمه ونفع بعلمه البلاد والعباد
والذي بدأ فضيلته في شرحه في يوم السبت الموافق/
اسأل الله أن يجزي شيخنا خيراً عن الموحدين وأن يجعلـــه إمـــام
هدي ورشاد وأن يرفع درجاته في عليين بجوار نبيه الأمين .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عادل مرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشـــهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يـــوم الـــدين ......أما بعد

فبين يدي شرح هذا الكتاب العظيم . وهو كتاب كشف الشبهات نقدم مقدمة مهمة بين يدي هذا الموضوع ألا وهو الدعوة إلى التوحيد . وكشف الشبه فيه من المعلوم المتقرر في كتاب الله وفي سن رسوله صلى الله عليه وسلم أن الله جل وعلا بعث المرسلين جميعاً وأرسل الأنبياء لعبادة الله وحده لا شريك له وخلق السماوات والأرض وخلق الأفلاك وخلق كل شئ ولم يأذن بعبادة أحداً سواه ﴿ إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ﴾ وقال جل وعلا ﴿ وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم ﴾ فمن نظر إلى دلائل توحيد الله جل وعلا في الأفاق وفي الأنفس تيقن أن هذا الملكوت له مدبر واحد وله خالق واحد وله متصرف واحد وهو الله ﷻ ولابد من ذلك وهذه الضرورية التي لا يحتاج معها المرء إلى برهان مفصل لأنه يحسها في نفسه ويحسها فيما حوله لابد أن تقوده إلى أن هذا الذي خلق وحده وأن هذا الذي تصرف في الملكوت وحده إنه هو الذي يجب أن يذل له وأن يخضع له وأن يعبد وحده دونما سواه ولهذا كان من براهين توحيد الألوهية توحيد الربوبية فدلائل توحيد الله جل وعلا في ربوبيته في الأفاق كل دليل منها يصلح أن يكون دليلاً على استحقاق الله جل وعلا لعباده وحده لا شريك له لأنه جل وعلا هو الواحد في خلقه وفي رزقه وفي ربوبيته وكذلك يجب أن يوحد في الألوهية سبحانه وأن يعبد ويفرد بالعبادة .

لهذا قال جل وعلا ﴿ وإذ أخذ ربكم من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم . قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ وقول المحققين من علمائنا في هذا الميثاق أنه هو الفطرة . هو دليل وحدانية الله جل وعلا في الأنفس وفي الآفاق فكل مولود يولد على الفطرة وهذه الفطرة هي توحيد الله جل وعلا وهذا هو الميثاق الذي أخذ عليهم وهذا الميثاق ليس هو استخراج ذرية آدم من ظهره كما قاله طائفة لأن هذا غلط في فهم الآية وفي ما نقل من تفاسير السلف أيضاً لأن الله جل وعلا قال ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ﴾ فليست مسألة الميساق في هذه الآية والإشاهد عليهم هي الأخذ من آدم يل الأخذ من بني آدم والظهور ليست هي ظهر آدم بل ظهور ذرية آدم . ذريتهم : ﴿ وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى ﴾ وهذا الإشهاد هو بلسان الحال وليس بلسان المقال كما هو قول المحققين من أهل العلم .

وهذا الذي في هذه الآية غير ما ورد من استخراج ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر كما جاء في بعض الأحاديث .

دلائل وحدانية الله جل وعلا قائمة في الآفاق وفي الأنفس .

ودليل الربوبية قائم ظاهر بين من نظر أدنى نظر وصل إليه ولهذا لم يجعل الله جل وعلا النظر في توحيده في ربوبيته مطلوباً من أتباع الرسل ولا أمرت به الرسل بجعل دعوتهم في ذلك وإنما أمر الله جل وعلا بتوحيده في عبادته وبعث المرسلين جميعاً لهذا الأمر العظيم .

ولهذا نقول : إن دليل وحدانية الله جل وعلا في الربوبية . هذا ليس من منـــهج أهل السنة والجماعة الذي تبعوا فيه طريقة الأنبياء والمرسلين أنهم يفيضون فيه ولا جعلوه غاية كما جعله طائفة من المعاصرين غاية في ذلك . والمتكلمون طريقتهم في هذا الباب أن التوحيد المطلوب هو : توحيد الربوبية .

ولهذا يجعلون أول واجب على العباد النظر أو القصد إلى النظر أو الشك كما هي أقوال عندهم . فإثبات توحيد الربوبية وأن الله جل وعلا هو الواحد في ربوبيتـــه هذا هو التوحيد عندهم وهذا ليس بالأمر عندنا ولهذا أتباع الأنبيـــاء والمرســـلين الذين قفوا أثر السلف الصالح تجد عندهم من براهين توحيد الألوهيـــة مـــا فيـــه التفصيل والتفصيل والكلام المكرر فيه الذي يعيدون فيه ويبدؤون ويكررون لأجل تثبيته وإقامة الحجاج والحجة عليهم .

أما غيرهم فإنهم يتوسعون في أبواب توحيد الربوبية .ومن عبد الله جـــل وعـــلا وحده لا شريك له فتضمن ذلك أنه مقر بربوبيته وحده دون ما سواه بخلاف من وحد الله في ربوبيته . فإنه قد يعبد معه آلهة أخرى . كما فعل أهل الجاهلية فإنهم موحدون في أكثر أفراد الربوبية . ولكنهم مع ذلك مشركون.ما قادهم توحيـــد الربوبية إلي توحيد الإلهية . قال جل وعـــلا ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله** ﴾ . وقال سبحانه ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار** ﴾ إلى أن قال في آخر الآية في سورة يونس ﴿ **فسيقولون الله** ﴾ والآيات في ذلك كثيرة .

المقصود من هذا أن غاية بعث الأنبياء والمرسلين هو تحقيق توحيد العبادة وإقامة الحجة فيه وكشف الشبه عنه وإيضاح الدلائل فيه بتفصيل وإيضاح أفـــراده ولا

يخفى عليكم قول الرب جل وعـــلا ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ الـــدعوة إلى التوحيد هي ميراث الأنبياء والمرسلين لكن هذه الدعوة من لم يعيشها و لم يتوسع فيها لا يعرف كيف يدعوا إلى التوحيد. بل قد يأتي من يظن أنـــه لا حاجـــة إلى ذلك . وعبودية الخلق لله جل وعلا التي هي غاية وجود الخلق . إنما تكون بـــأن يدعوا إلى الله جل وعلا بتوحيده وفهم ذلك والعلم به وتطبيقه .

فإذا هديت الناس إلى أن يوحدوا الله في أقوالهم وأعمالهم وبما تعتقـــده قلـــوبهم . انبعث ذلك الاعتقاد وذلك التوحيد عن عمل صالح وعن نفس مخبته منيبة لله عز وجل .

وهذه النفس هي التي تحوز فضل تكفير الذنوب . ﴿ يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لقيتك بقرابها مغفرة . يا بن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة . يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي ﴾

هذا لأهل التوحيد . والنفس المشركة أو المترددة . أو التي في ريب في أمر التوحيد لا تحصل على فضائل الإسلام . ولا على فضل الإسلام على أهله . ولا على فضل التوحيد على أهله .

ولهذا نعجب أنه مع اشتداد الحاجة إلى دعوة الناس إلى توحيد الله فإن من النـــاس من يقول : لا حاجة إلى ذلك !؟ وهذا من جراء عدم معرفتهم بعظم حق الله جل وعلا .

وكيف يعظم ربنا جل وعلا . وإنما تعظيمه بتحقيق التوحيد من حقق التوحيد . فقد عظم . ومن أضاع التوحيد فقد أضاع حق الله ولو كان السجود في جبهته مؤثرا . ولو كان جلده على عظمه من الصيام مؤثرا . فلا قيمة لذلك . بل قد قال الله جل وعلا لنبيه

﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكوناً من الخاسرين ﴾

لهذا تعجب أشد العجب أن هناك أناسا كثيرين بلغوا في أمر العلم ما بلغوا وبلغوا في أمر الدعوة ما بلغوا وعندهم من الكلمات الشركية ومن عدم معرفة حق الله . ومن الغلو المذموم . ومن تعلق القلوب أو تعليق القلوب بغير الله ما رأيتموه وسمعتموه في كتب وفي غيرها .

وهذا من اشتداد الفتنة التي ستبقى إلى أن تقوم الساعة .

الدعوة إلى التوحيد تكون على جهتين:

الأولى : مجملة .

الثانية : مفصلة .

أما المجملة : فهي ببيان معنى التوحيد وحق الله جلا وعلا وبيان أنه سبحانه هو المستحق للعبادة . وإقامة الدلائل على توحيد الله جلا وعلا وعلى أن التوحيد أهم المهمات وعلى أنه دعوة الأنبياء والمرسلين . وعلى أن ذلك فيه من الفضل من تكفير الذنوب ومحو السيئات . ما فيه إلى آخر ما في بيان التوحيد وفضله مجملا بلا تفصيل . وهذا القدر وهو : الدعوة إلى التوحيد مجملة دون تفصيل يشترك فيها كثيرون من الدعاة في هذا الزمن . لأن الدعوة إلى التوحيد مجملة يتفق عليها الجميع . لأن تفسير التوحيد يكون عند المتلقي وليس من جهة الملقي

. وإذا أحيل الكلام على فهم المتلقي كان حمال أوجه يمكن أن يفسر بحسب ما يتلقاه المتلقي .

فطوائف المشركين إذا أمرتهم بتوحيد الله مجملا لم ينتقدوا عليك يعني في هذا الزمن . لأن التوحيد عندهم هو توحيد الربوبية . وطوائف الغلاة في عبادة الأولياء

والصالحين إذا أمرتهم بالتوحيد و لم تشخص المسألة التي هم فيها ما أنكروا عليك فكثيرون دعوا إلى التوحيد في أماكن فيها قبور للصالحين وتعبد من دون الله و لم ينكر عليهم أحد ممن هم في حضرة تلك المشاهد التي شيدت لعبادتها من دون الله أو مع الله جلا وعلا لأنها مجملة .

وهذا القدر لا يميز القائل بأنه من أهل التوحيد أو أنه من الدعاة إلى توحيد الله لأن فيه عموم وإجمال . والإجمال لا يصلح بقدر إصلاح التفصيل . لكن إن كان الإجمال خطوة في الطريق فإن هذا يكون مناسباً . لهذا قلنا الدعوة إلى التوحيد تكون بإجمال وتكون بتفصيل . فمن أجمل ثم فصل فكان إجماله خطوة لينقل بها الناس أو ليمهد بها للبيان حق الله جلا وعلا ولو كان التمهيد في أسبوع أو أسبوعين أو شهر بحسب الحال التي فيها بلده فإن هذا مناسب لكن أن يقال : دعا إلى التوحيد وإنما دعوته بإجمال دون تفصيل . هذا ليس من منهجنا ولا من منهج أئمة هذه الدعوة ولا أئمة الإسلام المتقدمين في الدعوة إلى توحيد الله .

النوع الثاني : الدعوة إلى التوحيد مفصلاً .

والتوحيد هو : إفراد الله بالعبادة وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والتوحيد يكون بإفراد الله بأعمال القلوب وأعمال الجوارح .

وأعمال القلوب متنوعة منها المحبة والرغبة والرهبة والرجاء والخوف والتوكل والإنابة والخشوع إلى غير ذلك من أفراد أعمال القلوب وعبادات القلوب فمن دعا إلى كل مسألة من هذه مفصلة .

فإنه دعا إلى مسألة من مسائل التوحيد بتفصيلها فيتكلم عن الرغبة والرهبة يتكلم عن التوكل يتكلم عن المحبة بعلم فإذا تكلم عن هذه بعلم وفصل على كلام أهل العلم فيها فإنه دعا إلى نوع من أنواع التوحيد مفصلاً هذا من جهة أعمال القلوب .

وأعظم أعمال القلوب الإخلاص وأن يتوجه القلب إلى الله وحده وأن لا يكون في القلب من جهة القصد والتوجه إلا واحدٌ وهو الله ﷻ وتقدست أسماؤه . فالدعوة إلى الإخلاص إخلاص الدين وتوحيد القصد والتوجه وألا يكون في القلب إلا الله جل وعلا إذا كانت من طالب علم يضبط الكلام فهذه دعوة مفصلة في توحيد الله جل وعلا وهذا له تفاصيل .

أعمال الجوارح من جهة الصلاة والدعاء بأنواعه والاستغاثة والاستعاذة والنداء إلى آخره وكذلك الذبح وما شابه ذلك . أخذ كل مسألة منها وبيان إفراد الله جل وعلا بهذه العبادة هذا من الدعوة إلى التوحيد مفصلا. تأخذ الدعاء ما هو ومعنى الدعاء والآيات التي فيه . وإفراد الله جل وعلا بالدعاء ... الخ .

كذلك تأخذ الاستغاثة والآيات التي فيها . وإفراد الله جل وعلا بها ووجوب ذلك وما جاء في هذا . وكذلك تأخذ بقية المسائل كالذبح والنذر إلى آخره .

كذلك ما يتعلق بإفراد النبيﷺ وإفراد شريعته بالحكم والتحاكم بين العالمين . فهذا نوع من أنواع توحيد الله جل وعلا . أو فرد من أفراد التوحيد . فالدعوة إليه مع غيره هي طريقة أئمتنا وعلمائنا .

وبعض الناس يطرق من التوحيد هذه المسألة دون غيرها وهي ما يسمونه بتوحيد الحاكمية أو الدعوة إلى تحكيم شريعة الإسلام وإبطال تحكيم القوانين وما جاء في ذلك من النصوص وبيان كلام أهل العلم في ذلك .

هذا لاشك أنه من التوحيد ولكن ليس هو التوحيد فقط . بل توحيد الله جل وعلا كما هو واضح مما سبق من الكلام . هو إفراد الله بالعبادة . هذا هو التوحيد . وهذه من التوحيد . لأنها تحقيق لشهادة أن محمداً رسول الله . فأهل التوحيد يدعون إلى هذه جميعا. وأما غيرهم أو من كانت في قلبه شبهة أو من كان عنده طريقة أخرى فإنهم يدعون إلى التوحيد مجملاً ... وإذا أتى التفصيل فإنما يفصلون في مسألة ألحا كمية وهذا خلاف طريقة أهل التوحيد وأئمة هذه الدعوة لهذا تجد في كتاب التوحيد كانت مسائل الحكم والتحاكم متأخرة في الكتاب وكان قبلها ما يتعلق بالدعوة إلى التوحيد مجملاً وفضل التوحيد ثم بيان ضد ذلك ومسائله إلى آخره

فهي جزء من الكلام على التوحيد وشمولية الدعوة إلى التوحيد تؤخذ من كتاب التوحيد لأن فيه بيان التوحيد مجملاً ومفصلاً ولأن فيه بيان ضده مجملاً ومفصلاً.

يضاد التوحيد الشرك . والشرك كما هو معلوم اكبر واصغر والدعوة إلى التوحيد لابد وأن يكون معها نهي عن الشرك لأن الدعوة إلى التوحيد هي دعوة إلى لا إله إلا الله . ولا إله إلا الله كفر بالطاغوت وإيمان بالله فلابد من النهي عن الشرك فأهل التوحيد عندهم دعوة إلى التوحيد مجملاً ومفصلاً وعندهم نهي عن الشرك مجملاً ومفصلاً والإجمال ببيان شناعة الشرك وأنه أعظم ما عصي الله جل وعلا به وحكم المشرك وصورة الشرك ونحو ذلك مما فيه بيان الشرك بإجمال دون ذكر الصور . صور الشركيات الموجودة .

هذا قد تجده كما ذكرنا في التوحيد مجملاً قد تجده عند كثيرين إذا تكلم ونهى عن الشرك كان نهيه مجملاً ولا تجد أنه يفصل قبل الكلام ولا بعده وإنما يحب الدعوة إلى التوحيد أو يدعو إلى التوحيد بإجمال وينهى عن الشرك بإجمال يفسره وهذا لا يفيد الفائدة المرجوة لأن النهي عن الشرك بإجمال المتلقي بحسب فهمه ولكن إذا فصلت وحددت فإنه يكون مستوعباً للمراد من الكلام ولهذا قال ابن القيم رحمه الله : (فعليك بالتفصيل والتبيين فالإطلاق والإجمال دون بيان قد أفسدا هذا الوجود) أو كما قال .

الإجمال موجود في الكتاب والسنة ولكنه إجمال وثم تفصيل له . فمن اقتصر على الإجمال دون التفصيل فهو على غير السبيل . فالنهي عن الشرك مجملاً عرفته ومفصلاً بأن يذكر الشرك الأكبر والأصغر . والأصغر منه الخفي ومنه ما هو ظاهر كشرك الرياء أو الأعمال الظاهرة مثل التمائم ولبس الحلقة والخيط والحلف بغير الله ونحو ذلك .

الشرك الأكبر أنواعه معروفة مشهورة عندكم فيفصل الداعية كل واحدة فيأتي إلى دعاء غير الله ويبين أنه من الشرك ويفصل ويقيم الدلائل في ذلك بتفصيلها ثم يذكر صور دعاء غير الله كذلك الخوف من غير الله . يذكر صور هذا الخوف من غير الله والصورة التي هي شرك أكبر بالله جل وعلا . يأتي إلى الشرك الأصغر ويعرضه بتفصيل . التمائم يكون الكلام عليها يحتاج إلى جلسة أو جلستين . أو خطبة جمعة أو خطبتين أو ثلاث لأن صور التمائم كثيرة قد تقول للناس : إن التمائم شرك وتأتي بالحديث في ذلك لكن لا تبين للناس صورة التمائم فهذا يقع فيه كثيرون ممن ينهون مجملاً عن الصورة ولا يفصلون الكلام عليها .

الناس لا يتصورون المراد بالتمائم إلا بالصور التي كانت في الجاهلية قديماً لكـــن الصور الحاضرة اليوم التي تجدها في الشوارع وفي كثير من البيوت . لا يتصور أنها من الشرك الأصغر وهم ربما عملوها ونظروا إليها واستأنسوا لها . فـــلا بـــد أن يكون ثم تشخيص للصورة الشركية وإعطاء الصور الكثيرة بتفصيل لهذه المســـألة الشركية هذه هي الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك مفصلة .

تأخذ شرك الرياء أيضاً تفصل الكلام فيه . تأخذ الذبح لغير الله وتفصيل الكـــلام فيه . النذر لغير الله وتفصيل الكلام فيه . تأخذ شرك الألفاظ من نسبة النعم لغير الله جل وعلا وتفصل الكلام فيه.تأخذ الحكم بغير ما أنزل الله وتفصل الكلام فيه وأنه ليس بذي حالة واحدة بل له أحوال وأحكام مختلفة ونحو ذلك بحسب مـــا قرره أهل العلم .إذن الدعوة سارت هكذا وهكذا كانت دعوة الأنبياء ودعـــوة المرسلين .

والشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . من نظر في دعوته وجد أنه سار هذا المسير وهكذا الأئمة من بعده رحمهم الله تعالى وجزاهم عنا وعن المســـلمين خيراً.

لاشك أن الداعية بتفصيل في التوحيد سترد عليه شبه وأما الداعية بإجمـــال فلـــن تطرح عليه الشبه ولهذا تكثر الشبه إذا ازداد التفصيل فشبه المشبهين في توحيد الله تزداد بازدياد التفصيل في مسائل التوحيد فإذا شخصت له أن دعاء غير الله جـــل وعلا شرك أتى بالإستشكالات إذا شخصت له أن دعاء الـــنبي عليـــه الصـــلاة والسلام شرك أتى بالشبه إذا قلت له أن دعاء الصالحين شرك أتـــى بالشـــبهة إذا قلت :أن الذبح لغير الله جل وعلا شرك أكبر أتى بالشبه من الدعاة المنتسبين إلى الإسلاميين وإلى الدعوات الموجودة من يقول في بعض هذه الصور : إنها شـــرك

ولكن يجعلها شرك أصغر وهذا أيضاً شبهه عظيمة راجت على كثيرين من أتباع الجماعات الإسلامية في غير هذه البلاد يجعلون الذبح لغير الله شرك ولكن يقولون شرك اصغر لا يخرج من الملة النذر لغير الله شرك . ولكن شرك أصغر وهكذا في مسائل كثيرة .

متي يكون عندهم شرك أكبر ؟ يأتي لك بالشبهة التي تطعن في ما قررت من توحيد الله جل وعلا والنهي عن الشرك مجملاً ومفصلاً في النوعين فبقدر فهمك للتوحيد ونهيك عن الشرك مجملاً ومفصلاً ترد الشبهات .

والشيخ رحمه الله الإمام محمد بن عبد الوهاب لما دعا بدعوته مجملة ومفصلة جاءته الرسائل والكتب وكتبت الأوراق ونشرت المناشير في زمنه في تضليله وإيراد الشبهة على أقواله ولأجل كشف تلك الشبه التي كانت رائجة في عصره في وقت ما صنف رسالة كشف الشبهات التي نحن بين يدي شرحها والشبهات ليست مقتصرة على ما أورده الشيخ بل تجد أن الشبهات في التوحيد كل ما ذهبت إلى بلد وجدت عند علماء الشرك والضلال من الشبهات ما ليس عند غيرهم والشبه ترد على القلوب وقد تؤثر فيها ولو بالتردد ولو أن تجعل من سمعها

متردداً في داخله وهذه مصيبة أن تأتى الشبهة و لم يقتنع بها لكن في داخله يكون مترددا وهذا تجده عند كثيرين حتى من المنتسبين للعلم في الجامعات . أو ممن درسوا دراسات عصرية في هذا العصر حتى في هذه البلاد من أهل الفطرة .

تجد عندهم عدم قناعة بالشرك ولا بالدعوة إليه. وعندهم قناعة بضده وبالتوحيد ولكن في القلب تردد بعض التردد من إنما يصنع عند قبور الأولياء والصالحين إنه شرك وكفر بالله جلا وعلا .

ويعظم التردد إذا قلت لهم ما قاله الأمام رحمه الله في رسالة كشف الشبهات هذه : إن شرك المعاصرين في زمن الشيخ وفي هذا الزمن من جهة المتعلقين بالأوليـــاء والأموات ونحو ذلك أعظم من شرك أهل الجاهلية يعظم التردد ويعظـــم لأجـــل ورود الشبهات ، ومن الشبهات :

كيف يقال ذلك ؟ وهؤلاء مسلمون يصلون ويزكون ويحجون وقد ترى علـــى بعضهم أثر السجود وأثر الطاعة والزهادة والبكاء من خشية الله جل وعلا فتعظم الشبهة ويبقى من لم يكن متحصناً بالتوحيد دائم التكرار له في التـــردد في هـــذا الأصل العظيم أنتم ولله الحمد في هذه البلاد قد ما تلاحظون أو قد ما تحتـــاجون إلى كثرة رد الشبهات لكن من كان في غير هذه البلاد يجد الصدام عنيفاً ويجد أن المواجهة إنما هي مع هؤلاء فالمواجهة مع أهل الشرك والضلال . من سافر منكم؟ إما أن يكون سافر للدعوة فسينظر وسيحاج وسيدعو بإجمال وتفصـــيل ســـترده الأقوال والأعمال والغرائب إذا لم يتحصن فربما زل الزلة التي بعدها ســـيكون في أعظم خسار.ولهذا الشيخ رحمه الله كتب كشف الشبهات هل كتبها للمشركين؟ لا . كشف الشبهات عن المسلمين صنفها للمسلم الموحد ولهذا كانت مختصـــره كما سترى .

الموحد يحتاج إلى أن يكون مكشوف الشبهة يعني أن لا تبقى الشبهة معه لاشك أن المنهج الصحيح أن لا تورد الشبهات لأن بعض الناس قد لا يكون عنـــده في قلبه شبهة أصلاً فإذا وردت الشبهة وبعدها الرد قد تعلق الشبهة ولا يفهم الـــرد .خاصة أن الشبهات هذه التي يوردها خصوم التوحيد تجد أنهـــا عاطفيـــة . ورد الشبهة علمي ومن القواعد المقررة في الدعوة بمعرفة نفسيات النـــاس . أن إثـــارة الناس والتأثر عليهم بالعاطفة يقوي. وبالعلم لا يكون إلا لمـــن متأهـــل للفهـــم

والإدراك مخاطبة العقل . مخاطبة القلب بالبراهين هذه ما يفهمها إلا الخاصة. أمـــا العاطفة الهياجة والأخذ بالعواطف وبالمد والجزر وبتحريك النفوس دون البرهان . هذا يقلب النفوس ويؤثر عليها أعظم .

ولهذا ليس من المنهج الصحيح أن يستفاض في ذكر الشبهات ويرد عليهـــا . لأن الشبهات قد تعلق بالقلوب . لأن كثيراً من الشبهات مبناها على العاطفة . كقول من يقول : هؤلاء الذين تحكمون عليهم بالشرك مصلون مزكـــون يعبـــدون الله وحده وما دعوا استقلالا هذه الأموات وعندهم خشية وتلاوة للقـــرآن . هـــذا يختم كل ثلاث . وهذا يصوم يوم ويفطر يوم . وهذا كثير الصدقة . وهذا كـــثير العمل . وهذا مجاهد . وهذا فعل للإسلام ما فعل إلى آخر الكلمات التي تحرك بها العواطف .

البرهان لا يفهمه إلا من كان عقله مستعداً لقبول البرهان . وكما هو القـــانون العام أن البراهين لا تصلح إلا لذوي العقول . أما العواطف فتصلح للجمهـــور . هذا واضح لكن من الأمثلة التي قد نمثل بها : أن خطبة خطيب مـــا يخطـــب في موضوع وعظي مثلا يتكلم فيه بكلام ليس بذي أدلة بالشـــرع. بكـــلام فيـــه مشاهدات . أو بكلام عام وخوف وروع والكلام نصفه أو أكثر من نصفه غلط في الشرع . كم الذين يتأثرون بهذا الوعظ الذي حرك العواطف وهذا الخطيـــب واعظ جيد ويحرك النفوس ؟ كم الذين سيتأثرون؟ الأ كثرون سيتأثرون والقلـــة سيقولون : هذا خلاف العلم . هذا غلط والوعظ لابد أن يرتبط بالشرع وهكذا. لكن هؤلاء سيتأثرون . لم؟ لأن أكثر الناس جهال. حتى الشـــباب لـــيس كـــل الشباب في مستوى واحد من العلم وإدراكات العلوم . فقد يقنعون بمسائل العلم

خلافها . وخاصة في مسائل التوحيد وهذا الكلام ليس مخاطباً به أهل هذه البلاد وإنما نرجوا أن ينتشر الكلام فيها وفي غيرها.

لهذا أعظم ما يعتني به طالب العلم والشاب الذي رغب فيما عند الله جل وعلا وتوجه إلى الله وحده . وتجافى عن دار الغرور وضحى بما يشتهيه ويلتزم به . بما عند الله جل وعلا . نتوجه إليه بأن يكون همه في دراسة هذا الأمر العظيم هماً عظيماً . ولن يدرك إلا إذا أكمل . في البدايات لن يدرك . لكن إذا أكمل عرف أنه على خطر إن لم يتابع ويتابع ويتابع.أحد مشايخنا الذين قرأت عليهم في التوحيد مرة قال له أحد طلاب العلم وهو بجانبه . وكان يريد أن نقرأ كما هي العادة مسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة . قرأت مرة وكررت قال: هذه سمعناها وكررناها فمن غضبه وكزه يعني فيها مباشرة الحرارة ظهرت في وجهه. وكزه وهذا طالب علم أيضاً وكان بجنبه وأنا كنت أمامهم .وهذا ما يستقيم مع كل نفس . لكن مع النفس التي عرفت عظم حق الله جل وعلا في هذا الأمر العظيم .

لأنه إذا ما كرر نسي. ولهذا في هذا الكتاب في كشف الشبهات في أواخره قول الشيخ رحمه الله بعد أن قرر مسائل قال: وبمعرفة هذا . يعني ما تقدم ذلك الكلام – تعلم أن قولهم التوحيد فهمناه من أكبر مصائد الشيطان وهذا لا شك أنه حاصل حاصل . وتأمل قول الله جل وعلا مخبراً عن دعاء إبراهيم ﴿ **واجنبني وبني أن نعبد الأصنام** ﴾ قال العلماء : خاف على نفسه وهو إبراهيم خليل الله . خاف على نفسه عبادة الأصنام . وخاف على بنيه . قال إبراهيم التيمي في

تفسيرها (ومن يأمن البلاد بعد إبراهيم) إذا كنت لا تأمن البلاد فلابد أن تضع حماية قوية وسور منيع أن يتطرف إليك ذلك.

بعضهم يقول :هل من الممكن إننا نعبد والعياذ بالله الأوثان والأصنام؟ نقول :ربما لم يمكن ممكنا بفضل الله وبنعمته في جيلك . ولكن تساهلك عشرين في المائة بعد زمن يتساهلون عشرين ثم تصل إلي مرحلة لا تتواصى فيها الأجيال علي الحفاظ على التوحيد.

وخذ مثلاً من الأمثلة فيما شاهدت في نفسي وذكرته لبعض الأخوان مرة : أنـــه في مكان قريب من الدار التي أسكنها مرة بعد صلاة الظهر إذا بأحد البيوت التي بنيت حديثاً وأثنين من الباكستانيين يذبحون عند عتبة الباب خروف والدم يسيل بشدة على العتبة. أنا اسمع بهذه الصورة في كلام أهل العلم .لكن رؤيتها واقعاً ما رأيتها إلا في الرياض في حي المحمدية . والذي حصلت له من حيث السلسلة هو من أهل نجد . من أين جاءت هذه ؟ هو من التساهل التوحيد فهمناه . فينشـــأ أجيال ما يعرفونها ولا تغرس في قلوبهم حرارة التوحيد فيدخل الداخل بهذه الأمور من جهة أخرى من جهة ما يوجب الخوف . أنه قد لا يكون من الحاضرين مـــن يتوجه إلى غير الله والعياذ بالله يعني في هذا الزمن وفي هذه البلاد لكن بعد زمـــن يمكن أن يكون ذلك لأن الله جل وعلا ما أعطى أهل هذه الـــبلاد ولا غيرهمـــا عصمة . وأهل الجزيرة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام أسلموا ثم حصل مـــن بعضهم ردة .لكن قد يكون شئ وهو المصيبة وفتش نفسك . وهـــو التـــردد في قبول ما قاله العلماء في مسائل التوحيد . وهذا يعرض على كثير مـــن القلـــوب يتردد . والله هؤلاء مشددين . بدأ النقص والله المسألة أبد بس علماء هنا هذا فيه

شدة هنا بدأ النقص الفعلي إذا تردد القلب و لم يكن على علم ويقين بحق الله جل وعلا في التوحيد وبالحكم على المشرك بأنه مشرك . وعلى
الصورة الشركية بأنها شرك . فبداية التردد هذا يكون معه القلـــب في ريـــب . يكون يتعبد ويتعبد ولكن القلب ليس بسليم فيه تردد في هذا الأمر العظيم . وهذا دخل على قلوب الكثيرين وحرك ترى .

نخلص من هذا إلى أن هذه الرسالة كشف الشبهات فيها أصول الشبهات الـــتي كانت رائجة في ذلك العصر في زمن من دعوة الشيخ رحمه الله تعالى . لكن ليس الشبهات محصورة فيها لتأصيل الرد على الشبهات .

التوسع في فهم حال أهل الجاهلية الذين بعث النبي عليه الصلاة والسلام فـــيهم. كيف كان شركهم؟ وما كانت أحوالهم في العبادة وفي الديانة . ما هي أصنامهم ما هي أوثانهم؟ عبدوا الملائكة . كيف عبدوها؟ عبدوا الجن كيف عبدوها؟ (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) في أية سورة سبأ . وكيـــف كانـــت عبادة الحق ؟

لابد لمن أراد أن يكون قوياً في رد الشبهات أن يتوسع أولاً في معرفة حال العرب في الجاهلية بعباداتهم المختلفة . ما هي آلهتهم؟ ما هي اعتقاداتهم؟ ....إلى آخره.

وهذه يخدمك فيها طائفة من الكتب منها: كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحـــوال العرب للأديب الموحد محمود شكري الألوسي . منها أي من المراجـــع في هـــذا الباب الكتب التي كتبت عن تاريخ العرب قبل الإسلام . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام كتب أديان العرب في عـــدد ممـــن بحثوا أديان العرب إلى أخره.

فالتوسع في فهم ما كان قبل مجيء محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام بهـذا النور وهذا الهدى . يفهمك الحالة الدينية التي كانوا فيها . ما هو الشرك الـذي كانوا يمارسونه ؟ لأنك إذا عرفت الحال عرفت معنى الآيات عرفت معنى أقـوال النبي عليه الصلاة والسلام عرفت معنى دعوته وتهتم بأشعار العرب في ما ورد في ذلك لأن كثيراً من الصور جاءت في شعر العرب

النوع الثاني من المراجع :كتب التفسير عند الآيات التي فيها ذكر الشرك أو الأمر بالتوحيد أو ذكر أهل الجاهلية من الأميين أو الكتابيين الآية تنظر ما قاله السـلف فيها لأن المتأخرين من المفسرين صرفوا الآيات عن تفاسير السلف لأن المتأخرين عندهم أن التوحيد عبادة غير الله هي باعتقاد أن الخالق غير الله وأمـا تفاسـير السلف فتجد أنها بخلاف ذلك . الأصنام والأوثان ما هي ؟ المتأخر ون يفسرونها بتفسير والمتقدمون ــ السلف يفسرونها بتفسير آخر ولهذا ترى أن الشيخ الإمـام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله توسع في فهم تفاسير السلف فهو في التفسـير في آيات التوحيد حجة فقد توسع توسعاً يعلمه من طالع كتاباته في التفسير وهـي موجودة ضمن المجموع ويجعلها الشيخ رحمه الله على شكل مسائل وفوائد .

النوع الثالث من الكتب :كتب شيخ الإسلام بن تيميه وابن القيم وشيخ الإسلام في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم في أواخره وفي أواخـر التدمرية وفي التوسل والوسيلة وفي الاستغاثة الكبرى المعروفة بالرد على البكـري وفي الرد على الأخنائي هذه الكتب أصَّل فيها شيخ الإسلام مسائل توحيد العبادة وحال المشركين الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ .

النوع الرابع :

مصنفات الإمام الجليل محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ومصنفات أبنائه وتلامذته ومن سلك سبيلهم .

النوع الخامس :

فتاوى علمائنا المعاصرين سماحة الشيخ عبد العزيز وبقية العلماء حفظهم الله بهذا التسلسل يكون عندك وضوح في رد الشبهات أما إذا عكست فتكــون تعــرف التوحيد ولكن لا يكون عندك ملكة في رد الشبهات وهذه الكتب التي ذكرنــا منها كتب مخصصة في رد الشبهات وهي كتب الردود منها عند شيخ الإسلام : الرد على البكري وهو كتاب عظيم في هذا الباب ومنها : في كتب أئمة الدعوة الرد على عثمان بن منصور للشيخ عبد الرحمن والشيخ عبد اللطيــف وكــذلك كشف الشبهات وكفر تارك التوحيد مفيد المستفيد للشيخ وغير هذه من الكتب التي فيها ردود ولغير علماء هذه البلاد أيضاً فكتــب الــردود تلخــص عنــدك الشبهات وتلخص الرد .وقد كلفت بعض الاخوة أو اقترحت عليه بالأصــح أن يكون عنده جمع لنفسه للشبهات التي يحتج بها الخصوم حتى يكون هناك مؤلف في الشبهة وفي ردها لنشرها عند إخواننا الذين يدعون إلى توحيد الله في الأمصــار جميعاً ولكن كثرت وبعضها فيه طول في ردها فصار من جراء الجمع شبة كثــرة قد ما تكون خطرت في بعض البلاد فإرجيء الموضوع بعض الشيء لأن الشبهات في بلد قد ما تكون في بلد أخرى .قد يجئ واحد يأخذ الشبهة ويرد عليها في بلد ثانية فتثور شبهة جديده لا يعرفها أهل تلك البلاد . فإذن يهمنا في هــذا الأمــر وهو كشف الشبهات أن تتوسع إذا أردت يعنى هذا أعطيك إياه إن شاء الله تعالي في الشرح .لكن تتوسع في فهم حال العرب قبل الإسلام فإنها من أنفع الأشــياء ولهذا من الأغلاط العظيمة التي يندد بها أئمة الدعوة قول من يقــول :إن هــذه

الآيات التي تذكرون وهذه الأحكام إنما هي في المشركين وليست في هؤلاء ويرد عليهم بما قاله العلماء : بأن الحال هي الحال

﴿ لتتبعن سنن من كان قبلكم *قلتم والذي نفسي بيده كما قال أصحاب موسى لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة ﴾ فما أشبه الليلة بالبارحة هذا يتوارد لأن الأفكار محدودة شبهات الشيطان لا حد لها فيتوارثها الناس جيل بعد جيل نختم هذه المقدمة بيان أن هذه الرسائل ثم تردد في شرحها عندي وذلك لأجل أن مستوى الحضور متفاوت وتفاوت هذا يحرج الملقى المتكلم أن مستوى الكلام قد يفهمه البعض وقد لا يفهمه بعض آخر وإذا لم يفهم رد الشبهة قد تبقى الشبهة عنده بلا رد.

وهذا فيه حرج لكن نوص الجميع بأن يدرسوا كتاب التوحيد دراسة مفصلة حتى يستفيدوا من هذه الرسالة ومن لم يدرس كتاب التوحيد دراسة مفصلة بدقة فقد يكون ورود بعض الشبهات وورود الرد عليها يكون عنده غير واضح وهذا لا نريده لأننا نسير في منهجيه في طلب العلم والأصل أن كشف الشبهات يكون بعد كتاب التوحيد . ولما كان حضور كثيرين منكم بل الأكثر معنا في كتاب التوحيد سواء الشرح الكامل الذي تم في الدورة وربما حضروه أو سمعوه . وكذلك الشرح الذي في فتح المجيد ونحن الآن في أواخره هؤلاء يمكن أن ينتقلوا إلى هذه الرسالة وغيرهم من رغب في الحضور فلا بأس لكن إن أحس أن الشبهة تبقى والرد غير مستوعب يؤمر بأن لا يحضر ولو كان درس توحيد لأنه يحصل عنده إشكالات والورود سترون إنها تكون مفصلة إلا إذا أخذنا بشيء وهذا نستشيركم فيه وهو أن يكتفي بتوضيح مراد الشيخ رحمه الله رد بردود تناسب المتوسطين فإذا اقتصرنا علي إيضاح ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى فهذا

يقصر مدة شرح الكتاب .ويسهل الفهم . ولكن لا يكون الانتفاع به عامـــاً في غير هذه البلاد لأن من الشبهات ما يحتاج إلي تفصيل وإلي تقعيد وإلي أحيـــاء روح رد الشبهة في نفوس إخواننا (نجيب علي بعض الأسئلة) إذا كان عنـــدكم اقتراحات فيما ذكرت في أي الطريقتين ممكن أن نسمعها لم أستطيع أن أخـــرج من كلامك بتعريف الدعوة إلي التوحيد المفصلة أي التعريف الجامع المانع؟

تسمعون أن كلمة التعريف لا بد أن يكون جامعاً مانعاً فتوردونها في كل شيء ما يصلح هذا .فالدعوة إلي التوحيد المفصل تأخذ كل مسألة من مسائل التوحيـــد ، التوحيد متعلق بالقلب بالاعتقاد يتعلق باللسان يتعلق بالجوارح يتعلـــق بـــالمجتمع تأخذ كل مسألة منه وتفصل الكلام عليها هذا المقصود . مثل ما مثلت لـــك . تتكلم عن التوكل والخوف من الله جلا وعلا والمحبة الرجاء الرغب الرهب ونحو ذلك من عبادات القلوب الإخلاص هذا من أعمال القلوب وأعمـــال الجـــوارح كذلك .

س : هذا سؤال جيد يقول : هل تقسيم الدعوة إلى التوحيد تقسيم لك أم هناك من سبقك ؟

التقسيم ليس حكماً . التقسيم للإفهام . فالتقسيم الذي هو حكم هذا يحتاج إلى أن يكون هناك من يسبق المرء . لأن الأحكام لا تكون مســـتأنفة . لا تقـــل في مسألة ليس لك فيها إمام . أما التقسيم الذي هو للإيضاح . فإن هـــذا وظيفـــة المعلم . والقرآن فيه هذا وهذا (ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله) هذا إجمـــال فيه تفصيلة في آيات أخر النبي عليه الصلاة والسلام أجمل وفصل دعوة العلمـــاء دعوة الشيخ محمد إجمال وتفصيل كتاب التوحيد إجمال وتفصيل في النـــوعين جميعاً فالتقسيم هذا من جهة الاستقراء . وهو تقسيم للإفهام لا للحكم.

س . هل بيان الشبهات للعامة والرد عليها أسلوب من أساليب حفظ التوحيد وصيانته ؟

لا. مثل ما ذكرت لكم . الشبهة لا تورد . الشبهة بلاء . وردها دواء فأنت ما تأتي بالبلاء وترده واحد يجيء بالمرض يقول أنا أعالجه .ما يصلح فالشبهة لا توردها . وليست هي من المجالات التي يتعالم فيها بعض الناس . يجيء واحد يقول الشبهة هذه أش ترد عليها . بعض الناس يورد شبهة . وما فيه حاجة للكلام أصلاً إلا إذا أحتاج إليها عند أهل العلم . وعند طلاب العلم وأصل كتاب كشف الشبهات كان يمكن أن يمر مراراً سريعاً ويسمع سماع مع تعليقات وجيزة لكن كثير في الناس اليوم وطائفة من الشباب من عنده شبهات في التوحيد . عنده شبهات في الشرك . عنده شبهات في تكفير المشركين . فلابد من إيضاح المقام .

س . هل هناك مفهوم قاصر للتوحيد فإني سمعت أحد الأخوة في كلمة له يقول : لا نفهم التوحيد بالمفهوم القاصر ؟

لا أدرى ما مراده بالكلمة لكن مثلاً أنا سمعت مرة في مسجد من مساجد الرياض صليت العشاء في مكان . وكان أحد الأخوة تكلم يشرح نوا قض الإسلام . بدأ في أولها . وعرض للتوحيد في كلمتين يعني في الشرك بالله اللي هو عبادة غير الله ثم ربع ساعة يتكلم عن تحكيم القوانين وغيرها . ما أدري يعني ويش مناسبة هذا .هل هذا المنهج صحيح . أولا؟

الجواب أنه غير صحيح . لأن تحكيم القوانين مثلاً في هذه البلاد الناس ما عندهم محاكم وضعية قانونية يتوجهون إليها في خصوما تهم حتى تقول لهم : أنتبه لا تذهب إلى هذه المحاكم إنما يجب أن تقر في قلوبهم الاعتقاد بوجوب تحكيم شرع

الله وأن تحكيم غير شرع الله جل وعلا كفر بالله جل وعلا بشروطه . لكن هـــم بحاجة إلى أنواع من التوحيد مفصلة أخر

التوكل الآن أصابه ما أصابه . المحبة . محبة الله جل وعلا . والرغب فيما عنـــده . الإخلاص المتابعة هذه هي مسائل التوحيد اللي الآن بحاجة لها أنـــواع الشـــرك الألفاظ

تروح تبع طلبة العلم تجد عنده من شرك الألفاظ ما يستغرب . تجد نسبة الـــنعم لغير الله . فلان ما شاء الله عليه هذا لولا فلان كان رحنا . هـــذا كـــلام أهـــل التوحيد .لولا فلان رحنا أين الله جل وعلا . أين فضل الله . يعرفون نعمة الله ثم ينكروها . هذا فلان فعل وفعل وفعل . هذا لو فلان راح لكذا لحصل كذا وكذا . مثل هذه الكلمات صار في هناك خلل. الناس بحاجة إلى تبين التوحيد المفصـــل وإيضاحه والاستدلال عليه . فالشمولية مطلوبة . وكل يعطي ما يناسبه فكونـــه يتكلم عن بعض مسائل التوحيد في دقيقة . ويجيء ربع ساعة في الكـــلام عـــن مسائل أخري هذا يفهم منه أن المقصود ليس هو افهام الناس التوحيد بشـــموله وإنما التركيز على نقطة منه وهذا قصور التدرج في كتب العقيدة إلى أخره يطلب مما ذكرنا في مقدمة لأحد الدروس سجلت بعنوان المنهجية بطلب العلم .

كم مقدار الحفظ ؟ هذا بحسب المقطع . نأخذ مقطع متكامل . ما أدري بحسب الوقت . مقطع متكامل وتشوف يعني مناسبته لتكوين درس قد نزيد عنـــه وقـــد ننقص

نود الفرق بين الإشكال والشبهة ؟

الإشكال شئ يرد على فهم الكلام . لكن الشبهة شئ يرد يصرف الحكـــم إلى غيره . الشبهة ترد . تقول : الحكم ليس هذا كذا . بل هو كذا . والإشكال مع بقاء الأصل . أنا مقتنع كذا وكذا لكن إشكال يراد . أن يجاب عنه .

فالإشكال من المواقف والشبهة من غير المواقف ...

هل الكتيبات التي أمامكم للتوزيع ؟

نعم . اللي بيأخذ كشف الشبهات بعد ما تنتهي من الدرس يأخذه .

هل سيعاد شرح كتاب التوحيد ؟

الله أعلم .

هل يكفي قاعدة لهذا الدرس حفظ الأصول الثلاثة وشرحها ؟

لا . الأصول الثلاثة سهلة . أذكر الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله . ذكرت له مرة كنا نتكلم في الشبهات وأسأله عن بعض الأشياء . فقال : كشف الشبهات رسالة صغيرة لكن هي أصعب كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وهذا صحيح كذلك هي النهاية .

يقترح أن يكون الدرس بعد أذان العشاء بساعة شتاءاً وصيفاً لكي يستفيد الذي يأتي من بعد

والله ودنا فائدة الجميع لكن يكون فيه مشقة على آخرين .

ننتهي من الصلاة تسع ونبدأ عشر . نخلص إحدى عشر وربع .

هؤلاء يقترحون أنه يكون مختصر على ما أورد الشيخ بس .

إذا اقتصرنا على ما أورد الشيخ ممكن أنه يعني ثلاثة أشهر نحتاج تقريباً إلى اثـــني عشر ساعة . إلى اثنا عشر درس هذا بالعكس يطلب الإسهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين اعلم رحمك الله أن التوحيد هو أفراد الله بالعبادة وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه

لما غلوا في الصالحين ودو سواعا ويغوث ويعوق ونسر وآخر الرسل محمداً ﷺ هو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين أرسله الله إلى قومه يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً ولكن يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينه وبين الله ويقولون نريد التقرب بهم إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل: الملائكة وعيسى وأناس غيرهم من الصالحين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً ..أما بعد

فهذا شروع منا في شرح هذه الرسالة العظيمة كشف الشبهات للإمام المصلح المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة فنستعين الله ﷻ وتقدست أسمائه ونسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعلمنا منها علماً نافعاً وأن يقينا في فهمها الزلل والخطل وأن يجعل أفهاما منا صائبة وقلوبنا ذات بصيرة هذه الرسالة سميت كشف الشبهات وقد ذكر طائفة من العلماء منهم ابن غنام في تاريخ نجد إنه أرسلها للناس في القرى لأجل أن يكشف بعض الشبه التي شبه بها على التوحيد أعداء دعوة الإمام رحمه الله فهي مصنفة لأهل التوحيد الذين نشرت فيهم بعض الشبه نشر تلك الشبه بعض العلماء الذين ورثوا علوم المشركين وحبذوا الشرك بالله وأيدوه ودعوا الناس إليه ودافعوا عنه نعوذ بالله من الضلال .

اسم هذه الرسالة كشف الشبهات والكشف هو : حسر الشيء عند الشيء كشف الرأس يعني حسره حسر ما عليه حتى ظهر وكشف البأس إذا أزاله وهذه المادة في القرآن كثيرة

﴿ فلما كشفنا عنهم السوء ...﴾ ... ﴿ ويكشف السوء ويجعلهم خلفاء الأرض ..﴾ ﴿ليس لها من دون الله كاشفة ..﴾ ونحو ذلك فالكشف بمعنى : الإزالة والشبهات جمع شبهة وهي المسألة التي جُعلت شَبَهَاً بالحق لأن الحق عليه دليل بين واضح والشبهة سميت شبهة لأنها مسألة من مسائل العلم أورد عليه أصحابها بعض الأدلة التي يظنونها علماً فالشبهة عبارة عن تشبيه الباطل بالحق فإذا شبه الباطل بالحق من جهة أن الباطل له دليل وله برهان صارت هذه المسألة إذا عورض بها الحق صارت شبهة والشبهة والمشبهة هي المسائل المفصلة أو المشكلة التي تلتبس على الناس كما جاء في بعض ألفاظ حديث النعمان بن بشير المشهور قال : (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات ..أو مشتبهات) سميت : مشبهة ومشتبهة لأن الأمر فيها يشتبه على الناظر فيها وهكذا الشبهة يلقيها الشيطان أو أعوانه أو تأتي في الذهن فيشتبه معها الحق . ويشتبه معها الباطل بالحق ويصبح الأمر غير واضح بها . ولا شك إن إزالة الشبهات وكشف الشبهات من أصول هذا الدين لأن الله سبحانه جلا وعلا رد علي المشركين في القرآن ودحض شبهاتهم وأقوالهم قال جلا وعلا ﴿ والذين يحاجون في الله من بعد ما أستجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ..﴾ وكل من يجادل بالباطل له حجة وله علم لكن حجته داحضة وكون الحجة تدحض . هذا أصل في إزالة الشبه في الدين . فإزالة الشبهة التي شبه بها أعداء الملة وأعداء الدين

فرض من الفروض في هذه الشريعة وواجب من الواجبات لا بد أن يوجد مـــن يقوم به . وإلا التبس الباطل بالحق وصار هذا يشبه هذا وضل الناس وقد ذكـــر إمام هذه الدعوة في مسائل كتاب التوحيد حينما عرض لحديث إرسال معاذ بن جبل إلي اليمن قال له إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تـــدعوهم إليـــه ، شهادة إن لا إله إلا الله أن محمداً رسول الله . فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم ....الحديث: قال في المسائل ما حاصلة : في هذا رد الشبه عن الدين لأنـــه مهد له عليه الصلاة والسلام بقوله

(إنك تأتي قوماً أهل كتاب) وكونهم من أهل الكتاب . هذا يعني أن يستعد لمناظرتهم وللحجاج معهم ثم قال : (فإن هم أطاعوك لذلك) فنفهم من هذا أنه سيكون بينه وبينهم حجاج ونقاش وأخذ ورد . وإزالة للشبة التي قد تكون عندهم في رد التوحيد . ورد رسالة النبي ﷺ فقوله(فإن هم أطاعوك لذلك) فيه رد الشبة وأنها من وظائف العلماء الدعاة ثم قال (فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة) وهذا كله دليل على ما ذكر .

المقصود أن إزالة الشبه عن الدين فرض من الفرائض قام به أهل العلم . وصنفت فيه المصنفات في القرن الثاني والثالث وما بعده إلى زماننا هذا وكشف الشبه يكون عن طريقين

الطريق الأول : طريق عقلي .

والطريق الثاني : الطريق الشرعي السمعي .

أما الأول : وهو الطريق العقلي فهذا قد يكون بإيجاد البراهين العقلية البحتة التي تبطل شبه المشبهين . وقد يكون بإيجاد الأمثلة العرفية التي تضعف حجة الخصم . وهذا وهذا موجود في القرآن .

والقسم الثاني : الأدلة أو الطريقة الشرعي السمعي . بأن يكشف ما شبه به الخصوم بأن تزال الشبه وتقام الحجة بالأدلة الشرعية وفي الكتاب والسنة من إقامة الأدلة في مسائل العلم وخاصة التوحيد ما يغني عن غيرها لكن طالب العلم قد يحتاج إلى بعض البراهين العقلية. لذلك جاءت في القرآن آيات كثيرة فيها إقامة البرهان العقلي في التوحيد كقوله جل وعلا

﴿ لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ وكقوله جل وعلا ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً . سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴾

فهذا من جعل الحجة العقلية وقوله جل وعلا ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ فيه دلالة بينة أن وجود إله يعبد مع الله جل وعلا لو كان موجوداً لفسدت السماوات والأرض لأنه لابد من أن يأتي هذا بما يريد وأن يأتي الآخر بما يريد ومعنى ذلك أنه لن يكون هذا الملكوت على هذا الانتظام لابد من المغالبة ولهذا قال في آية الإسراء ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً

﴾ لابد أن يكون مغالبته ثم حتى يستقيم الأمر . فلو كان ثم معبود مع الله جل وعلا بحق لكان لا بد من المغالبة . وإذا انتفت المغالبة وكان هذا الكون والملكوت يمشى على منوال واحد وبإرادة واحدة دل ذلك البرهان العقلي البرهان المحسوس المنظور علي أن المعبود بحق واحد وهو الله جل وعلا .

قال الإمام رحمه الله تعالى في أول رسالته : (بسم الله الرحمن الرحيم) وتفسير البسملة وبيان ما فيها من العلم معروف يؤخذ من الشروح الكثيرة لكتب أهل العلم .

قال بعدها : (أعلم رحمك الله) هذه البداية تكثر في كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وفي كتب كثير من أهل العلم وقد قال العلماء فيها من الفائدة أن هذا العلم أي علم الشريعة مبني على التراحم فأعظم رحمة تسديها للنـــاس أن تنشر بينهم العلم فإذا علمتهم العلم فهي أعظم رحمة ترحمهم بها ولهذا كان محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام مبعوثاً رحمة للعالمين كما قال جل وعلا ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾

فالشريعة كلها عقيدة وأحكام . خبراً وأمرا ونهياً رحمه وبعثة محمد بن عبـــد الله عليه الصلاة والسلام رحمة فكل تشريع رحمة وكل إخبار اعتقاده رحمة بالعبد لأنه إن لم يعتقد الخبر فإنه سيضل وذاك هلاك وإنقاذ الناس من الهلكة رحمة بهم وإن لم يتبع الأمر والنهي و لم يفعل ما أمر به وينتهي عما نهي عنه فإنه قد سعى في فساد نفسه وما لا يحمد له وفي ظلم نفسه فتخليصه منه رحمة فمبنى العلم على التراحم . المعلم ينشر العلم رحمة مع أمور أخرى . والمتعلم يتلقى العلم وهو مرحوم به أو

وهو مرحوم بنشر هذا العلم ولهذا قال العلماء إن الحديث الذي اختاره طائفة من أهل العلم ليكون الحديث المسلسل بالأولوية هو حديث

(الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) وهذا هو الحديث المعروف في رواية الحديث وبرواية الحديث وعند المهتمين بالإسناد بالحديث المسلسل بالأولوية لأن الرواة فيه يقول كل واحد منهم :وهذا أول حديث سمعته يعني من شيخه . فالشيخ أول ما يقرأ في الأحاديث هذا الحديث (الراحمون يرحمهم الرحمن ..)

ذكر طائفة من أهل العلم منهم الذهبي وغيره : أن سبب تسلسل هذا الحديث بالأولوية أن هذا العلم . علم الحديث وعلم السنة بل علم الشريعة جميعاً مبناه على التراحم فيعلم المعلم هذا الحديث أولاً : (الراحمون يرحمهم الرحمن) ويكون أول ما يسديه إلى التلميذ أن يعلمه الرحمة والتراحم . لأنه لا يكون العلم إلا عند رحيم أما من لم يكن رحيماً بالخلق فلا يكون العلم مستقراً في قلبه . يكون أكثر استقراراً إذا كان أرحم بعباد الله جل وعلا .

وكلما زادت الرحمة في قلبه كلما زاد العلم ثباتاً في صدره لأن الرحمة مأمورة بها (ارحموا من في الأرض) والله جل وعلا قال ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتا ﴾ ومن التثبيت . التثبيت في العلم فهذا من رحمة الشيخ رحمه الله بالمسلمين حيث يدعو لهم بهذه الدعوة .

قال : (اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة).

التوحيد: مصدر وحد يوحد توحيداً ولقد جاء في السنة لفظ التوحيد وقد جاء لفظ أيضاً وحد يوحد . فمادة هذه الكلمة جاءت في السنة خلافاً لمن زعم بأن

هذا اللفظ إنما أهتم به شيخ الإسلام ابن تيمية ومن تابعه . هذا غلط كــبير لأن هذا اللفظ قد جاء في السنة في أحاديث كثيرة وقد جاء في مثل ما رواه البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب الحج (أن النبي عليه الصــلاة والســلام أهــل بالتوحيد) وثبت أيضاً في مسلم وفي غيره . أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : (بني الإسلام على خمس على أن يوحد الله) وفي حديث جبريل أيضاً المعــروف قال عليه الصلاة والسلام : (الإسلام أن تشهد أن لا إلــه إلا الله وأن محمــداً رسول الله) وفي رواية (الإسلام أن توحد الله)

والنبي عليه الصلاة والسلام كان يهل بالتوحيد يعني يقول : لا إله إلا الله . وكان يهل بالحج بالتوحيد بمعنى يقول : لبيك اللهم لبيك لا شريك لــك . لأن نفــي الشرك وإثبات الوحدانية لله جل وعلا هو التوحيد .

المقصود أن هذه الكلمة (التوحيد) جاءت في السنة في أحاديث كثيرة وكــذلك لفظ وحد فهي كلمة مستعملة ومشهورة . ومن ألفاظ حديث معاذ المعــروف (فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله) والبخاري جعل مــن كتبــه في صحيحه كتاب التوحيد .

فالمقصود من هذا بيان أن هذه اللفظة كثيرة في السنة وإن لم ترد في القرآن لكن جاءت في السنة . وأهل العلم من أهل السنة اعتمدوها وذكروها وصنفوا فيهــا كتباً . فاهتمام الشيخ رحمه الله بهذه الكلمة هو اهتمام بأصل الدين . وليســت كلمة محدثة خلافاً لمن زعم ذلك بجهله .

قال : (التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة) التوحيد يعرف بعدة تعريفات أما من جهة اللغة فهو : جعل الشيء واحد . وحد توحيداً يعني جعله واحداً فوحد المتوجه إليه بالعبادة توحيداً يعني جعل المعبود بحق واحداً . والتوحيد عرفه الشيخ

رحمه الله هنا : بأنه إفراد الله سبحانه بالعبادة ، وإفراد الله يعني أن يكون التوجـــه بالعبادة لله وحده هو فرد في ذلك فلا يجعل من دون الله إلهاً ، ولا يجعل مـــع الله جل وعلا إلهاً قال (إفراد الله سبحانه بالعبادة) سبحانه تتريه كما هو معلوم . (بالعبادة) هذه العبادة ما هي ؟ .

العبادة في اللغة : خضوع وتزلل معه حب عن طواعية ، ورغب ورهب وحسن ظن وما أشبه ذلك من أعمال القلوب وأصلها .

الذل : ذلل الشيء بمعنى جعله مطامناً جعله ذليلاً غير وعر غير مستكبر فيكـــون هذا في الناس ويكون في الطريق ومنه سمي العبد الرقيق عبداً ، لأنه جُعل ذليلاً غير متكبر متطامناً لسيده وقيل أيضاً للطريق معبد لأنه ذلل للسير كما قال طرفة :

تباري عتاقاً ناجيات وأتبعت .... وظيفاً وظيفاً فوق مور

معبد

وقوله أيضاً في التعبير :

إلى أن تحامتني العشيرة كلها .... وأفردت إفراد البعير المعبد

إلى آخر شواهد هذه المادة .

أما العبادة في الشرع فالعلماء عرفوها بعدة تعريفات نختار منها في هذا المقام ثلاثة :

الأول :أن العبادة هي ما طلب فعله في الشرع ورتب الثواب على ذلـــك وهـــذا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع لما تكلم عن الوضوء فإذا كان الشـــيء طلب فعله في الشرع و لم يكن مطلوباً قبل ذلك ورتب على ذلك فعل الثـــواب ، فهذا الفعل عبادة .

الثاني : تعريف كلي :ـــ

ذكره شيخ الإسلام في أول رسالته العبودية : هي أن العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

الثالث : ـــ

وعرفه أيضاً طائفة من العلماء ومنهم الأصوليين ، بأن العبادة هي : ما أمر به من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي .

فنخلص من هذا إلى أن العبادة : شيء جاء بالشرع لم يكن قبل ذلك ليس من جهة الفعل والحصول ولكن من جهة كونه مأموراً به لهؤلاء الناس المعينين ، فجاء الشرع بالأمر بأشياء كانت موجودة عند العرب ولكن كانوا يفعلونها من غير أمر خاص شرعي بذلك وإنما ورثوها هكذا فلما أمر بها الشرع ورتب عليها الثواب كانت مما يحبه الله ويرضاه وكانت مأمورة بها من غير اقتضاء عقلي لها ولا اضطراد عرفي بها ،وإنما كانت باطراد أمر الشارع بها ، فخرجت عن مقتضى كونها جاءت عرفاً فقط

لهذا الأقوال الثلاثة في تعريف العبادة تلتقي ولا تختلف فإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة معناه : أن يفرد الله جل وعلا بكل ما أمر به الشرع من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فيدخل في ذلك أعمال القلوب مثل : الإخلاص والرغب والرهب والخوف والتوكل والإنابة والمحبة والرجاء والاستعاذة في القلب ....إلى آخره

ويدخل فيها أيضاً الأفعال الظاهرة مثل الدعاء وأنواعه والاستعانة والاستغاثة والاستسقاء والاستعاذة الظاهرة إلى غير ذلك .

ويدخل فيها : الذبح والنذر والصلاة والزكاة والدعاء والحج والعمرة والصـــلة ، صلة الرحم إلى غير ذلك .

فالعبادة اسم يعم هذا جميعاً فكما أنه لا يصلي المصلي إلا لله كذلك لا يستغيث إلا بالله ، فيما لا يقدر عليه المخلوق وهكذا في نظائرها كما أوضح ذلك فصـــلاً في كتاب التوحيد وفي ثلاثة الأصول .

قال : (وهو) يعني التوحيد (دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده) هو (دين الرسل) يعني جميعاً : فالرسل جميعاً أرسلوا بالتوحيد وهو : أفراد الله بالعبادة فلم ترسل الرسل أصلاً بالشرائع ، لم ترسل الرسل أصلاً ببيان مـــا يجـــب مـــن الأعمال مما هو دون التوحيد أو ما يحرم إنما أرسلت بتوحيد الله جل وعلا ، لأن توحيد الله جل وعلا هو العلة المطلوبة من خلق الجن والإنس ، كما قـــال جـــل وعلا ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ يعني : إلا ليوحـــدون فالعلـــة المطلوبة من خلقهم أنهم يوحدون الله جل وعلا لهذا أرسلت الرسل بذلك هـــذا التوحيد مفطور عليه العباد بالميثاق قال جل وعلا ﴿ وإذ أخذا ربك من بني أدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلي شهدنا ﴾ .

وهذا الذي أخذ عليهم هو التوحيد وهو الفطرة فأخذ على الناس جميعـــاً هـــذا الميثاق وهو توحيد الله جل وعلا ، ولكن هذا الميثاق خرجوا عليه وهم في ظهور آبائهم أخذ وعرفوا ذلك وشهدوا به ثم خرجوا على هذا التوحيد . خرجوا على الفطرة ، خرجوا وهم يوحدون الله جل وعلا . ولكن تجتالهم الشياطين عن دينهم . كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق على صحته: (كل مولود يولد على الفطرة فأبوه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .كما تخرج البهيمة جمعاء هـــل

تحسون فيها من جدعاء .) يعني أن البهيمة تخرج سليمة ثم بعد ذلـــك أهلـــها يقطعون شيئاً من أذنها أو شيئاً من بدنها إلى آخره

فالكمال يخرج المولود عليه من جهة التوحيد . يعني على الفطرة ثم تتغير هـــذه الفطرة . معلوم أن ذلك الميثاق الأول لا يذكر وأن دلائل إقامة الحجـــة بـــذلك الميثاق موجودة في الأفاق وفي الأنفس . والرسل جاءت لإقرار ذلك ولجعل الناس يرجعون إلى هذا الأصل الذي ولدوا عليه . وهو توحيد الله جل وعلا ثم إضـــافة بعض الشرائع التي تختلف من رسول إلى رسول .

المقصود من ذلك أن دين الرسل جميعاً هو التوحيد . والرسل جمع رسول . وهو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه إلى قوم مخالفين له . أما إذا كـــانوا مـــوافقين فيكون ذلك نبي من الأنبياء كأنبياء بني إسرائيل ونحو ذلك .

فالرسل الذين بعثوا إلى قوم مخالفين هم على التوحيد . أمروا بالتوحيد ودعوا إليه . قال جل وعلا ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ وفي سورة الأعراف في ذكر نوح عليه السلام وذكر هود وذكر صـــالح وذكـــر شعيب وذكر موسى عليه السلام . كلهم يدعون إلى توحيد الله جل وعـــلا ﴿ **اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** ﴾ إذا كان كذلك فإن الدعوة تكون إلى هذا الأصل . الدعوة تكون إلى توحيد الله لأن به صلاح القلوب وصلاح الأعمال .

قال : (وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده) (به) يعني بالتوحيـــد إلى عباده . فما هو دين الرسل الذي أجمعوا عليه ؟ واتفقوا عليه كل واحد بعث به ؟ هو توحيد الله جل وعلا . وهو إفراد الله سبحانه بالعباد ، لهذا نعلم أن كل من عبد غير الله جل وعلا فهو مخالف لكل رسول،ومن عبد غير الله في أي نوع

من أنواع العبادة فإنه لم يوحد إنه مشرك وإنه مكذب بجميع المرسلين،قال جـــل وعلا ﴿كذبت قوم نوح المرسلين. ....﴾ فمن يوحد الله جل وعلا فقد كــذب بالمرسلين جميعاً لأن الرسل جميعاً أمروا بالتوحيد فإذا أشرك المشرك فـــلا يحـــتج ويقول: أنا علي دين موسى أو على دين عيسى. نقول:هـــو مكـــذب لجميـــع الرسل،وخارج عند دين جميع الرسل. قال :فأولهم نوح عليه السلام ،نوح مـــن أول الرسل وهو من أولى العزم من الرسل وهو عليه السلام الذي جعل الله جـــل وعلا ذرية هم الباقين في الأرض.أما آدم فإنه نبي مكلم وليس برسول.كما جـــاء في بعض الأحاديث أنه عليه الصلاة والسلام قال (آدم نبي مكلف) نوح عليـــه السلام بعث إلي قوم أشركوا بالله جل وعلا .وشـــركهم كـــان في الصـــالحين قال:أرسله الله إلي قومه لما غلوا في الصالحين .ألغلو :هو مجاوزة الحـــد .غـــلا في الشيء جاوز الحد فيه .وتأليه البشر مجاوزة للحد .وهؤلاء الصالحين أولهـــم ود ، وود هذا كان من عباد الله.الصالحين .وهو أول من أشرك به علي الأرض لما مات صوروا صورته كما يأتي في حديث بن عباس .فقوم نوح هم تتابعوا من ذرية آدم وذرية آدم على التوحيد ،حتى أتي هؤلاء الصالحون ود وسواع ويغوث ويعـــوق ونسرا كانوا قوماً صالحين فهنا شاع في الناس الرغبة في الدنيا والبعد عن تـــذكر الآخرة فكانوا إذا أرادوا أن يتشجعوا في العبادة ذهبوا إلي هؤلاء إلي قبورهم ، إلي ود وإلي سواع وإلي يغوث وإلي يعوق وإلي نسر .فنظروا في قبورهم فبكوا عندها فتشجعوا في العبادة فرجعوا .فجاء الشيطان فتكلم عند قبورهم قال:ألا تصنعون أو ألا أصنع لكم صورة تتذكرون بها ودا وتتذكرون بها سواعاً فصنع لهم صورة علي هيئته فجعلوها علي قبورهم وثن وصنم ثم بعد ذلك يعني هم حينما جعـــل ذلك أولا ليس معبوداً ولكن للتذكر،ينظرونه فيتذكرونه وأعمارهم كانت طويلة

، ثم بعد ذلك قال : ألا تجعلون من كل واحد صورة في بيت كل واحد مـــنكم حتى يتذكر ، ثم نقلهم بعد ذلك إلى أن يصحبوا في السفر... إلى آخره .
شاع في أولئك لأجل التذكر ولأجل الحث على العبادة و لم يكن أول ذلك الجيل مشركاً .فيما بعدهم ذهب ذلك العلم وقالوا : ما أتخذ آباؤنا هذه الصور إلا لأنها آلهة معظمة ، فتوجهوا إليها بطلب التوسط قالوا : هؤلاء لهم مكانة عند الله لنهم صالحون فنتوسط بهم فيما نريد فصار شرك قوم نوح من جهة التوسط بالأرواح ، أرواح صالحي بني آدم ، ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا ، ذكرهم الله جـــل وعلا في القرآن في سورة نوح حيث قال جل وعلا : ﴿ **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا** ﴾ قال العلماء في قوله : (وداً ولا سواعا ولا يغوث) فيها أن وداً هو الأول وسواع هو الثاني ويغوث هو الثالث ، وفيها أيضاً تنبيه على أن هذه الآلهة متفاضلة عندهم ، لأنه أتـــى في الثلاث الأول بحرف لا وفي الآخرة بلا حرف لا فقال :﴿ **وقالوا لاتزرن آلهتكم ولاتزرن وداً ولا سواع ولا يغوث ويعوق ونسرا** ﴾ فلم يـــأت بحـــرف لا لأجـــل أن يفاضلوا بين أولئك وبين هذه ، فهذه الآلهة كانت متفاضلة عندهم وهذا التفاضل عندهم الذي يشعر به اللفظ كما ذكره طائفة من المفسرين : هذا التفاضل إنما هو بتفاضل مصلحتهم من هذه الآلهة ، والتوجه بها وهذا هو الموجود في هذا الـــزمن وفي زمن الشيخ وزمن انتشار الشركيات فإن عند عباد القبور وعبـــاد الأوليـــاء أولئك ليسوا متساويين فبعضهم أقطاب وبعضهم أوتاد وبعضهم غوث وهكذا .
فإذا التفاضل من جهة الروحانيات من جهة التوسط كان موجوداً في زمن نـــوح عليه السلام فصرنا على أنا ما كان في زمن نوح عليه السلام أن هؤلاء صالحون

وأنهم لم يعبدوا باتخاذ قبورهم أوثاناً من أول الأمر وإنما عبدوا بعد زمن لما نسي أول الأمر من اتخاذ صورهم للتنشيط في العبادة وعبد بعد ذلك ففيه أن الشيطان آتاهم بأن لا تسد الذرائع في هذا الباب فجاء الأمر شيئاً فشيئاً حتى عبدوا تلك الآلهة .

وفيه أن هؤلاء متفاضلون في الصلاح عندهم وفيما ذكرنا أيضاً أن تفاضلهم إنما هو من جهة أثر توسطهم بهذه الآلهة على ما يريدون من إنجاح حوائجهم .

ولهذا ذكر البخاري في كتاب التفسير في تفسير سورة نوح قال :(باب ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا) وذكر الحديث المعروف حديث بن جريج عن عطاء عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح) وهذا القدر وهو أنهم أسماء رجال صالحين هو الذي يعارض فيه الكثير من المعارضين اليوم ويقولون : أن هذه الأسماء أن تعد أسماء رجال صالحين لم تأت إلا في هذا الحديث عن ابن عباس ، وهذا الحديث رواه ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وابن جريج له تفسير معروف وفي تفسيره ذكر التصريح بأن عطاء هذا هو عطاء الخرساني كذلك ذكره عبد الرزاق في تفسيره وهو مطبوع طبع مؤخراً قال : (عن ابن جريج عن عطاء الخرساني عن ابن عباس وعلماء الجرح والتعديل يقولون : إن عطاء الخرساني لم يسمع من ابن عباس ، لهذا قال أولئك : هذه الرواية ضعيفة وليست بصحيحة وإن رواها البخاري ، والجواب عن ذلك : أن ابن عباس رضي الله عنهما حينما ذكرا أنها أسماء رجال صالحين جعلها البخاري رحمه الله تعالى أى تلك الرواية أصل في تفسير الآية ورواها بإسناده المتصل إلى ابن عباس وكون عطاء عند البخاري أتى بلا نسبة لا يعني أنه عند البخاري عطاء الخرساني ، ودللوا على ذلك بأن التفريق في روايات ابن جريج عن عطاء ، بأن

منها ما هو عن الخرساني خاصة في التفسير إنما هو عن علي بن المـــديني وهـــو معروف بأنه إمام في العلل وله كتاب في العلل وكتبه معروفة مشهورة في ذلـــك والبخاري رحمه الله تلميذه فلا يخفى عليه تعليل علي بن المديني لهذه الرواية .

أنا أفصل هذا لأن الدعاة إلى عبادة القبور أو إلى أن التوسط بالصالحين ليس هـــو شرك المشركين ، والدعاة قالوا : عمدتكم في ذلك رواية ابن عباس ورواية ابـــن عباس ضعيفة وإن رواها البخاري في صحيحه فهذا رد لهذه الشبهة .

نقول : البخاري قال : عن ابن جريج إذا قال : قال عطاء عن ابن عباس ومـــن المتقرر في علم الرجال أن ابن جريج إذا قال : قال عطاء وهو يعني ابن جريج ممن عرف بالتدليس فإن قوله : قال عطاء محمول على السماع وسماعه إنما هـــو مـــن عطاء بن أبي رباح وليس من عطاء الخرساني فنستدل بذلك على أن هذه الرواية عند البخاري إنما هي عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عـــن ابـــن عبـــاس فإسنادها متصل في غاية الصحة ، وابن حجر رحمه الله حينما عرض لهذه المسألة قال : (وهي عندي عن عطاء الخرساني وعن عطاء بن أبي ربـــاح جميعـــاً) لأن البخاري رحمه الله مشترط في صحيحه أن لا يروي الحديث إلا إذا كان متصـــلاً وهو لا يخفى عليه أن ابن جريج يروي عن عطاء الخرساني بانقطاع وأن عطـــاء الخرساني روايته عن ابن عباس ضعيفة لا يخفى عليه ذلك لأن هذا من مشـــاهير العلم ولأنه لم يروى بهذه الترجمة مما يظن أنه عن عطاء الخرســـاني إلا حـــديثين والبخاري رحمه الله رواه مسنده متصلة فمن نازع في صحتها ينـــازع البخـــاري رحمه الله في تصحيحه لها هذا واحد .

الثاني : أن عطاء في الرواية هو عطاء ابن أبي رباح ولو كان روى في تفسير عبد الرزاق وتفسير بن جريج التصريح بأنه عطاء الخرساني فإن ابن جريج قد يســـمع

من هذا وهذا ، قد يأخذ عن عطاء بن أبي رباح وقد يأخذ بواسطة عن عطـــاء الخرساني فهذا محتمل وتغليظ البخاري رحمه الله في تصحيحه الحديث هذا غـــير وارد .

الثالث : أن الذين ذكروا هذه العلة ليسوا من المتقدمين من حفاظ الحديث وإنمـــا هم

من المتأخرين والمتقدمين من أهل الحديث أدرى بالبيت لأن فهمهم في العلل أعظم من فهم من بعدهم .

فنلخص من ذلك إلى أن رواية ابن عباس هذه هي الأصل في هذا البـــاب وأن ود وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا أنها اسماء رجال صالحين صارت في العـــرب وأن أولئك لم يعبدوها أول الأمر وإنما آتاهم الشيطان فمثل لهم كما ذكرت لكم مثل لهم صوراً فلما تنسخ العلم وفي رواية (فلما نسي العلم عبدت) يعني لما نســـي التوحيد وتنسخ العلم ورثها أناس لم يعرفوا حقيقة الأمر فعبدت يدل على ذلك : أن وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا هذه صارت في العرب معروفـــة وأبيـــات الشعر التي حفظت عن العرب في ذلك في ذكر هذه الأصنام مشهورة ، الله جل وعلا ذكرها عن قوم نوح وهي موجودة في العرب بهذه الأسماء ، والأشعار بهـــا محفوظة ويؤيد ذلك أيضاً أنها في العرب أن العرب فيهم التعبيد لهذه الآلهة ، فيهم من أسمه عبد ود ، وفيهم من أسمه عبد يغوث وفيهم من أسمه عبد نسر وهكذا .

فالتعبيد لها يدل على أنها موجودة في العرب وهي موجودة في قوم نـــوح بـــنص القرآن فلما كان كذلك صارت هذه الرواية متفقه مع ظاهر القرآن ومتفقه مـــع واقع العرب المعروف الذي حفظ ، فمن طعن فيها فإنما هو من جهة عدم استيعابه للمسألة .قال (وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم) ذكرت لكم أن عبادة

أولئك كانت من جهة الأرواح .وكل شرك في العالم كان راجعاً إلى أحد نوعين لا ثالث لهما

الشرك بالله :

الأول : راجع إلى أرواح الناس ، أرواح الصالحين

الثاني : راجع إلى أرواح الكواكب .

فالشرك بأرواح الصالحين كان في قوم نوح والشرك بأرواح الكواكب كان في قوم إبراهيم . وهل الكوكب له روح ؟ .

الجواب : لا ولكن جعلوا لكل كوكب صورة وصنماً صوروا فيه شكل الكوكب ، فلما كان كذلك زعموا : أن روحانية الكوكب روح الكوكب تحل فيه ، فتتقبل ممن يأتي لها ويطلب فترفع الحوائج إلى الكوكب وعند هؤلاء الصابئة أن الكواكب تسير العالم وأن كل كوكب له أثر في العالم . والصابئة الذين هم قوم إبراهيم كان شركهم من جهة الكواكب كما هو معروف ، قال جل وعلا : ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ وقال : ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً ﴾ .... الآيات فشركهم كان من جهة الكواكب . لما أشركوا بالكواكب ؟ .لأنهم لما وضعوا الأوثان لهذه الكواكب جاءت الشياطين فتكلمت عند صورة الوثن ، عند الوثن فلما تكلمت طلبوا منها أشياء فتحقق لهم ذلك فظنوا أن الكواكب مسيرة لأحداث هذا العالم ،فإذن نخلص من ذلك إلى أن الشرك وقع من جهة الشياطين في الجهتين : شياطين تكلمت بلسان الصالحين ، تكلمت على أنها روح الصالح فطلب منها وأجابت ، وعملت أشياء ، وشياطين تكلمت على لسان كما يزعم أصحابه ـ لسان

الكوكب وكل شرك متفرع على أحد هذين النوعين : إما شرك بالعلويـــات أو شرك بالسفليات

حقيقة الأمر : أن الشياطين حينما تقول ذلك ، هي عبادة الجن حينما يطلب منها فإن المعبود هو الجني وليس هو الإنسي .

قال (وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين) هو الذي كسر يعني بنفسه أو بمن أرسل ؟ . محمد عليه الصلاة والسلام لما دخل مكة عام الفتح دخل وكان حول الكعبة أصنام كثيرة ، فجعل ينكتهم بعصاه عليه الصلاة والسلام ويقول : (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) وكان من الأصنام صنم اساف ونائلة وكانت موجودة بجنب الكعبة ومنها : هبل وكان هبل من الأصنام التي في داخل الكعبة لأن الكعبة كان في داخلها صور وأصنام ، وكان أيضاً بقربها يعني على حافة الكعبة ثم أصنام ، وهناك أصنام أيضاً بعيدة حول المطاف فالنبي عليه الصلاة والسلام كسر هذه جميعاً .

ومن العجائب في ذلك أن المؤرخين اتفقوا على أن إساف ونائلة ، إساف رجل ونائلة امرأة ، وأن إساف كان يتعشق نائلة وأنهما قدما حاجين ، وأنه لم يتمكن منها إلا في غفلة من الناس أتاها في الكعبة والعياذ بالله قال المؤرخون فمخا حجرين فلما نظر الناس إليهما عرفوا أن هذه صورة إساف وصورة نائلة في الكعبة فعُلم أنهما أحدثا حدثاً ، فأخرج الناس الحجرين إلى خارج الكعبة ليعتبر الناس بحال من عصى في الحرم ليكون ذلك أبلغ في إبعاده ، فأتى الزمان حتى عُبد إساف وعُبدت نائلة .

هبل كان في داخل الكعبة ، وكان هو أعظم الأصنام والصور التي في داخلها وهكذا أما ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فلم تكن من الأصنام التي حول الكعبة وكانت متفرقة في العرب . فقوله (وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين) يعني: بمن أرسل فإنه لما انتشر الإسلام فكل قوم فيهم هذا الوثن أو هذا الصنم كسره أصحابه بأمر النبي عليه الصلاة والسلام . وقولنا: بأمر النبي ليس أمراً خاصاً بهذا الصنم ولكن أمراً عاماً بكسر الأصنام والأوثان .

ومن أصنامهم : اللات والعزى ومناة كما هو معروف .

فتعبير الشيخ رحمه الله تعالي . بقوله (صور هؤلاء الصالحين) هذا مقصود لأن أولئك جعلوا الصورة . وهل جعلهم الصورة لقصدها ؟ أم لأجل أنها توصل إلى صاحبها معلوم أن المشركين ليسوا قاصدين للصور من حيث هي . لم يقصدوا الصنم من حيث هو وإنما عندهم الصنم وسيلة إلى روح صاحبه الوثن وسيلة إلى ما يحل بالشيء من أرواح فإذن هم قصدهم الأرواح التي تصعد إلى الملأ الأعلى فتوصل طلباتهم وتوصل حوائجهم . وما يريدون إلى الله جل وعلا . فيستجيب الله جل وعلا بهذه الوساطة هذه خلاصة شرك المشركين .

وأولئك الذين أشركوا هذا الشرك لم يكونوا بعيدين عن التعبد بل كما ذكر الشيخ رحمه الله هنا قال : (أرسله الله إلى أناس يتعبدون) نعم كان أهل الجاهلية يتعبدون كان منهم أهل الصيام ومنهم أهل الصيام ومنهم أهل الدعاء . منهم أهل الحج . منهم أهل الزكاة ومنهم أهل الصدقة . ومنهم أهل الصلة . ومنهم أهل الذبح . ومنهم أهل التقرب إلى الله بالطواف والتحنث والاعتكاف ... إلى آخره والطهارة الكبرى وما أشبه ذلك .

فأولئك لم يكونوا يقرون بأن الله جل وعلا هو الخالق وحده وإفراد الربوبية فحسب . بل كانوا مع ذلك يتعبدون . لهم صلاة ولهم زكاة ولهم صيام . وهذا ذكره الشيخ بعد ذلك بقوله : (ويحجون ويتصدقون) أما الطهارة فقد ذكر من صنف في أديان العرب : أن العرب كانت عندهم طهارة من الحدث فكانوا يتطهرون من الجنابة . وإذا أجنب المرء بمعنى أنزل الماء فإنه يبعد عن مواقع العبادة ولهذا سموه جنبا أي بعيدا والجار ذي القربى والجار الجنب ، يعني البعيد . فسموا من أخرج الماء يعني من أنزل سموه جنباً لأنهم كانوا يأمرونه بالابتعاد عن الكعبة . بالابتعاد عن مواطن العبادة حتى يتطهر . وتطهرهم من الجنابة شائع معروف . أما التطهر من الحدث الأصغر . فهذا إنما هو عند طائفة قليلة منهم حتى النساء كن يغتسلن من الحيض وهذا معروف عنهم في عدة أحوال وعدة أبيات .

ومنها قصة امرأة كانت مع زوجها في سفر وكان معهما ماء قليل . فلما كانت في السفر انقطع عنها الحيض فأرادت أن تغتسل فأخذت الماء فاغتسلت به وكان قليلا فلم يبلغ أن يعممها وبقيا عطاشى ليس معهما ماء . قيل أنهما هلكا في ذلك فضرب بهما مثل في هذا وقد قال في ذلك الفرز دق في بعض أبيات نسبت إليه . قال يذم رجلاً وكنت كذات الحيض لم تبق ماءها .... ولا هي من ماء العذابة طاهرة .

فكان العرب يعتنون بمسألة الطهارة طهارة الجنب وطهارة الحيض فهذا النوع تعبد منهم بذلك كذلك الصيام كان منهم من يصوم وصيامهم مختلف منهم من يصوم يوماً كما كان أهل الجاهلية يصومون عاشوراء كما جاء في الصحيح (إن عاشوراء يوم كانت تصومه العرب في الجاهلية) فكان لهم صيام من الفجر إلى

غروب الشمس أو من طلوع الشمس إلى غروبها ومنهم من كان يصوم أكثر من ذلك وهذه كلها ميراث مما ورثوه من الأديان الصحيحة قبلهم .

وكان منهم أيضاً من يصلى وصلاته تكون بركوع وذكر ودعاء ويسمونها صلاة معروفة عندهم في ذلك . لكن هذه الهيئة والسجود لم يكن عندهم في ذلك .

كذلك كانوا يعتكفون تعبداً ومنه حديث عمر المعروف : إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلةً في المسجد الحرام فقال له النبي عليه الصلاة والسلام (أوف بنذرك)

وكان طائفة منهم يتحنثون ويتخلون في الخلاء يتأملون ويذكرون الله جل وعلا والنبي عليه الصلاة والسلام ، كان يتحنث في غار حراء الليالي ذوات العدد والتحنث يعني العزلة عن الناس والتعبد بذلك والخلوة كانت معروفه عندهم .

كذلك الصدقة مثل ما ذكر الشيخ هنا ويتصدقون كان فيهم الصدقة كثيرة كما قالت خديجة لما جاء النبي عليه الصلاة والسلام وقد فجأة الوحي بحراء فقالت له بعد ما قص عليها ما حصل قالت كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتعين الملهوف وتعين على نوائب الحق .. أو كما جاء في كلامها فكانت الصلة والصدقة وتسمى عندهم أيضاً زكاة كانت موجودة كثيرة .

وكذلك ذكر الله جل وعلا أيضاً كانوا أهل ذكر لله جل وعلا يذكرون بأنواع من الذكر وهذه محفوظة في أشعارهم ومحفوظة في الكتب التي ذكرت ذلك .

واستقصاء ذلك يصعب في مثل هذا الشرح لكن نذكر لك بعض الكتب التي ذكرت منها : كتاب بلوغ الأرب للألوسي . ومنها كتاب أديان العرب لعلي الجارم ومنها كتاب تاريخ العرب المفصل قبل الإسلام وغير هذا من الكتب التي شرحت ديانات العرب تطهرها وصلاتها وزكاتها وحجها.

أما الحج والعمرة فهذا معروف مشهور . حجهم للبيت وتعظيمهم إياه وعمرتهم إليه . المقصود من هذا : أن العرب لم تكن بعيد عن العبادة يتعبدون بأشياء ورثوها من دين إبراهيم عليه السلام ومن بعض أشياء من دين موسى عليه السلام إذاً هم مقرون بالربوبية لله جل وعلا وأن الله هو الخالق وهو الرزاق وحده . وهو الذي يحي وهو الذي يميت ويقولون : ما شاء الله ويؤمنون بالله . ولكن مع ذلك لم يكونوا مسلمين بل بعث الله جل وعلا إليهم محمد بن عبد الله يدعوهم إلى أن يوحدوا الله .

كيف يكون الحال إذاً ؟ الحال أننا لابد أن ننظر فيما كان أولئك على الشرك . بم كان أولئك مشركين موحدون في الربوبية . الله الخلق وهو الرزاق وهو الذي يحي ويميت ونحو ذلك فهل هذا جعلهم مسلمين ؟ كذلك عندهم صدقات ودعاء وذكر الله . فهل هذا جعلهم مسلمين ؟

إنما الذي جعلهم مشركين : أنهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره . لم يفردوا الله بالعبادة يتقربون إلى تلك الأوثان . وتلك الأوثان منها صور الصالحين فحصل من هذا برهان عظيم ومقدمة مهمة لهذا الكتاب . وهي أن المشرك الذي كان في زمن النبوة لم يكن بعيداً من التعبد تماماً . بل كان يتعبد . كان عنده نوع تعبد . نوع صلاح من جهة أنه في الناس صاحب خير وصاحب صدقة وصاحب ذكر إلى آخره لكنه صار مشركاً لأنه عبد مع الله جل وعلا غيره . فإذا كان الأمر كذلك كان قتال النبي عليه الصلاة والسلام لأولئك وكان تكفيرهم لأجل أنهم أشركوا تلك الآلهة الباطلة مع الله جل جلاله فعبدوا الله وعبدوها .

إذاً وصلنا إلى هذه جاء السؤال المهم وهو . كيف عبدوا تلك الآلهة ؟ هل ادعوا في اللات والعزى ومناة وهبل وود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وإساف ونائلة .هل ادعوا أنها تخلق ؟

الجواب : لا . هل ادعوا أنها ترزق استقلالا ؟ الجواب : لا .

قال جل وعلا : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ﴾ بلا جدال .يقولون : الذي يرزق ويحي ويميت هو الله .فإذاً . حين يسألون تلك الآلهة الباطلة الرزق حين يسألونها أن ترزقهم . هل يعتقدون فيها أنها تملك الرزق استقلالا ؟ الجواب .لا .لأن الله جل وعلا أخبرنا بأنهم لو سئلوا : من يرزقكم من السماء والأرض ؟ لقالوا : الله يرزقنا . فإذا . لم صاروا مشركين ؟ لأنهم جعلوا تلك الآلهة وسائط في طلب الرزق شفعاء في طلب الرزق

لهذا قال الشيخ رحمه الله بعدها (ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم بين الله) هذه الوساطة لها جهات .

الجهة الأولى : جهة التوجه . يعني نوع التقرب لها بالعبادة .

الجهة الثانية : مكانتها عند الله حتى ترفع الحاجات وسيأتي تفصيلها في الكتاب بعد ذلك قال : (ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات) ما هذا البعض ؟

سيأتي تفصيله إن شاء الله (وسائط بينهم وبين الله) لفظ الوساطة هذا دقيق من الشيخ رحمه الله وهو المواقف لما جاء في القرآن في أول سورة الزمر . حيث قال جل وعلا

﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ .قال العلماء : قوله : (ما نعبدهم إلا) هذا حصر قلب إضافي معلوم في علم المعاني في البلاغة . يعني ما نعبدهم لعلة من العلل أبداً فيهم وأنهم متصفون بأشياء من صفات الإله أبداً . لكن نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى فقط. وهذا يستفاد من قوله (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فهو حصر قلب إضافي . يعني ما نعبدهم لعلة من العلل إلا لأجل التقريب فليس لهم شيء . وليس من صفاتهم أنهم يرزقون . وأنهم يحيون أو أنهم يميتون أو أنهم يفيضون الخير وإنما لأجل التقرب وهذا هو معنى اتخاذ أولئك شفعاء عند الله جل وعلا . فإذا حصرت المسألة في أن اعتقاد المشركين في أوثانهم وفي أصنامهم من جهة الأرواح الشيطانية ومن جهة التوجه لها لأجل أن ترفع الحاجات إلى الله جل وعلا . فما كانوا يطلبون منها استقلالا ، فالتشفع كان هو دينهم وطلب الشفاعة كان هو ديدنهم وكان هو بغيتهم كان كل واحد عنده في بيته وثن أو صنم يزعم أنه إذا توجه له بالعبادة حلت روح صاحب هذه الصورة فيها . فقبل الطلب ورفعه إلى مكانه في الملأ الأعلى . يعني أن فائدة وجود الصورة في البيت : أنه تحل فيها الروح روح صاحب هذه الصورة فتقبل الطلب . وليست هي عندهم أصنام محصنة لأنهم أعقل من أن يعبدوا حجر محضاً . لكن هم عبدوا حجر معه الروح فصار ذلك أيضاً قدح في عقلهم من جهة أنهم توجهوا إلى خشب أو إلى تمر أو إلى حجر ... إلى آخره

زعماً بأن الروح تحل فيه . فهو قدح في عقلهم . لكن أخف من أن يعتقدون في صنم مجرد . يعني في حجر مجرد ليس فيه حلول الروح لتناجي وتطلب منها التوسط

فإذاً قول الإمام رحمه الله هنا (ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله) هذا هو حقيقة الوضع .

قال : (يقولون : نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده) ماذا يريدون ؟ التقرب إلى الله ليسوا ملا حدة . وإنما في ألسنتهم ذكر الله جل وعلا وعندهم صدقة وتعبد لكن يريدون بذلك التقرب إلى الله من هذا تعلم جهل طائفة ممن ظن أن تعبد المتعبد وصلاته وزكاته وصيامه يمنع من الحكم عليه بالشرك . لأن أولئك كانوا على دين إبراهيم يعنى المشركين في زمن النبي ﷺ كانوا على دين إبراهيم وقد ثبت عنه عليه السلام أنه قال : (إنما بعثت لأتمم محاسن الأخلاق) فهم كانوا على خلق وكانوا على حسن في التعامل وكانوا وكانوا ولكن لم يكونوا موحدين فإذا العبرة كل العبرة في التوحيد . وليست في أنهم يحجون أو لا يحجون يعتمرون أو لا يعتمرون .يتصدقون أو لا يتصدقون . في ألسنتهم ذكر الله أو ليس في ألسنتهم ذكر الله ليس هذا هو البرهان . ولهذا في هذا الزمن تجد أنه لما فشي الجهل بالتوحيد تجد أن كثيرين إذا وجدوا من يتكلم وفي لسانه ذكر الله جل وعلا أو أنه يقول الحمد لله أو يقول الله أكبر أو يقول ما شاء الله . أو يذكر الله بلسانه أو يتصدق أو يحضر المسجد أو يقرأ القرآن . يزعمون أنه مسلم ولو عبد غير الله جل وعلا وهذا ليس هو المقصود . وإنما هذه الشرائع جاءت بعد التوحيد فإذا كان التوحيد لم يقم في قلب صاحبه فلا تقبل هذه الشرائع . قال (يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده) وهذه سيأتي بسط الكلام عليها في أثناء الرسالة في مسألة الشفاعة . قال : مثل (الملائكة وعيسي ومريم وأناس غيرهم من الصالحين) هذا نرجئه إلى الدرس القادم .أنا أريد من هذه الجملة التي مرت معنا التأصيلية المهمة أن يتوسع طالب العلم في معرفة أديان العرب في

الجاهلية كيف كانت ؟ لأن هذا من العلم المهم الذي به يتضح قيمة التوحيد تنظر في تفاسير المفسرين حين يتكلمون عن أحوال العرب وشرك المشركين ونحو ذلك . يتعرضون لأحوال العرب . كذلك في الكتب التي ذكرنا في كتب الحديث إذا مرت مثل الأحوال التي ذكرنا أنه : منهم من يصلي . ومنهم من يتصدق . أظن في حديث رواه مسلم أظنه عن أبي ذر : أنه كان في الجاهلية قبل أن يبعث النبي عليه الصلاة والسلام هكذا لفظه . كنت أصلي ثلاث سنين قبل مبعث رسول الله صلي الله عليه وسلم . فهذه المسائل تقعيدية . حتى إذا جاءت شبه المشبهة كما سيأتي يكون عند طالب العلم فرقان يكون عنده فرقان بين بما تميزت به بعثة محمد عليه الصلاة والسلام ودينه عن دين المشركين الذين بعث إليهم وقاتلهم وكفرهم ولم يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً فتوسع في ذلك وانظر فيه فإنه تقعيد تنتفع به في رد كثير من الشبه التي يشبه بها أعداء التوحيد نكتفي بهذا القدر وأسأل الله جل وعلا لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح وصلي الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

قال الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى :

فبعث الله محمد ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم ويخبرهم أن التقرب والاعتقاد مع محض حق الله لا يصح منه شيئاً لغير الله لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون بأن الله هو الخالق وحده لا شريك له وأنه لا يرزق إلا هو ولا يحيي إلا هو ، ولا يميت إلا هو ، ولا يدبر الأمر إلا هو وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن والأراضين السبع وما فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد

عبد الله ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين اللهم إنا نسألك علماً نافعا وعملاً صالحاً وقلباً خاشعاً ودعاءاً مسموعاً اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، واغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا ظالمين ، اللهم وفقنا إلى ما وفقت إليه عبادك الصالحين ....أما بعد

فهذه صلة لما تقدم من الكلام على أول هذه الرسالة العظيمة (كشف الشبهات) وقد ذكرنا فيما مضى في بيان كلام المصنف رحمه الله أن مشركي العرب كانوا يتعبدون بأنواع من العبادات ، كانوا يتصدقون بأنواع من الصدقات العظيمة في الحج وفي غيره ، وكانوا أيضاً يغتسلون من الجنابة وكانت المرأة تتطهر من الحيض ، وكانوا يصلون بعض الصلوات على طريقة ما ، وكانوا يدعون الله جل وعلا في الضراء وأحياناً في السراء وكان لهم أنواع من العبادات ، فلم يكونوا غير

متعبدين أصلاً ، بل كان لهم عبادة وتقرب إلى الله جل وعلا ولكنهم أشـــركوا بالله جل وعلا وعبدوا مع الله جل وعلا غيره اتخذوا الهة من دون الله جل وعــلا أو معه ، فتوجهوا إليهم ببعض أنواع العبادة .

فاتخذوا اللات وهو رجل صالح كان يلت السويق ويوزعه على الحاج ، فرأوا من صلاحه ، فمات فعكفوا على قبره ، أو أنها صخرة كان يتعبد عندها ذلك الرجل ، فرأور أن ذلك المكان مبارك فتعبدوا عندها وعظموهما وتبركوا بهــا وكــذلك العزى ومناة وكذلك الأصنام الأخرى والأوثان ، ود وسواع ويغوث ويعــوق ونسر إلى أخر ما يتصل بعبادات المشركين وتوجهاتهم إلى الألهة المختلفة .

قرر الشيخ رحمه الله فيما سبق أن التوحيد هو : إفراد الله بالعبادة وأن أول الرسل هو نوح عليه السلام وأن آخر الرسل هو محمد ﷺ وهؤلاء مع بقية الرسل جاءوا بالتوحيد يأمرون الناس بعبادة الله وحده ويبطلون التعلق في العبادة بغير الله جــل وعلا بعد ذكر ذلك ذكر حقيقة شرك المشركين فقال (ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقــرب إلى الله ونريــد شفاعتهم عنده) وهذا سبق بيان صفاته وأن شرك المشركين كان على نوعين :

إما شرك بأرواح الكواكب على حد زعمهم ، وإما شرك بالأصنام التي تحل فيها أرواح الصالحين بحسب زعمهم . أو الأوثان كالقبور ونحوها . بحسب زعمهــم أنها تتصل أرواحهم بأرواح الموتى فينفعون أو يضرون .

مثل للمعبودين بقوله (مثل الملائكة وعيسي ومريم) أما الملائكة فإن طائفة مــن العرب وغير العرب كانت تعتقد في الملائكة أنها بنات الله جل وعلا . سبحان الله عما يقولون علواً كبيراً . ويقولون أن أرواح الملائكة منتشرة . فإذا طلــب مــن الملائكة أجابت .

والملائكة عندهم لم يكن لها أوثان أو أصنام كما جعلوا للكواكب أو كما جعلوا للموتى أو للصالحين . وإنما أرواح الملائكة عندهم منتشرة والاتصال بهذه لأرواح يكون بندائها وبعبادتها إذا احتاجوا فتجيبهم الجن إذا نادوا الملائكـــة . وتغيـــثهم الجن فيما أقدرهم الله عليه . فظنوا أن ذلك من جهة الملائكة قال جل جلاله ﴿ **ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون** ﴾ فكانت حقيقـــة عبـــادة الملائكة هي عبادة الجن لأنهم ظنوا ذلك ظناً .قال جل وعلا ﴿ **وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون** ﴾وفي قوله هنا ﴿ **وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً** ﴾ وجهان من التأويل : إما أن يكون الجنة هنا هم الملائكـــة . والنســـب كون الملائكة بنات الله جل وعلا وسميت الملائكة جنة لما في صفتهم من الاجتنان وهو الاستتار .

والوجه الثاني : أن يكون الجنة هنا هم الجن كما قال ﴿ **من الجنة والناس** ﴾ يعني الجن . والجن يقال لهم جناً لأنهم مستترون فيكون حقيقة قول المشركين : أنهـــم جعلوا بين الله جل جلاله وبين الجن نسباً لأنهم جعلوا بين الله وبين الملائكة نسباً وفي الحقيقة إنما أوقعهم في ذلك الجن كما قال جل وعـــلا : ﴿ **بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون** ﴾فدل ذلك على أن عبادة الملائكة كانت موجـــودة وأن اعتقادهم في الملائكة لأجل أن الملائكة : أرواح طاهرة فاستغاثوا بها وطلبوا منها

فأغاثتهم الجن فعظم تعلقهم بالملائكة .وعظم تصحيح اعتقادهم في الملائكة أنها بنات الله جل وعلا

المقصود من ذلك أن تعلم أن سبب الشرك شرك المشركين بالملائكة هو التعلق بالأرواح الطاهرة . الملائكة أرواح طاهرة بالاتفاق وذلك عند الأمم جميعاً فجعلوا تلك الأرواح الطاهرة وسيلتهم إلى الله جل جلاله والله جل وعلا بين أن حقيقة عبادة الملائكة إنما هي عبادة للجن . لأنهم لما تعلقوا بالملائكة واستغاثوا بها ليست للملائكة في الحقيقة وإنما هي للجن أن الجن هي التي أضلتهم بذلك كما ذكر في سورة سبأ في الآية التي ذكرتها لكم . قوله جل وعلا ﴿ ويوم نحشركم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك ﴾

يعني نتزهك عن جميع ما لا يليق بجلالك وعظمتك . نتزهك عن أن نعبد معك ونعظمك جل وعلا بما أنت أهله (أنت ولينا من دونهم) تبرؤا من أولئك ثم قالت الملائكة (بل كانوا يعبدون الجن) هذه هي الحقيقة .

وإذا نظرت في حال الذين تعلقوا بالصالحين أو تعلقوا بالموتى فإنهم لهم شبه من جنس شبه المشركين في عبادتهم للملائكة وعبادتهم للات أو لود وسواع إلى آخر أوثانهم . وذلك أنهم يخاطبون ذلك الميت . فإذا خاطبوه ظهر لهم إما في صورة أو سمعوا صوته الذي يعلمونه . فإذا سمعوا صوته ظنوا أن هذا هو روح ذلك الآدمي أو ظنوا أن المخاطب لهم الملائكة . أو المجيب لهم الملائكة . فعظم تعلقهم بتلك الأرواح .وفي الحقيقة إنما كان ذلك من جهة الجن . لأن شياطين الجن تعهد أبوهم إبليس بأن يضل ذرية آدم إلا القليل قال جل وعلا مخبراً عن قول إبليس

﴿ لأحتنكن ذرية ألا قليلاً ﴾ وقال جل وعلا ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾
فاستثنى أهل العلم الإخلاص الذين خلصوا من الشرك فأخلصوا عملهم لله جل وعلا فإذاً حقيقة الشرك متماثلة ليس ثم فرق بين الشرك بالملائكة والشرك بالأموات والشرك بروحانية الكواكب الحقيقة واحدة وهي : أنه تعلق من بني آدم بأرواح غائبة وهذه الأرواح الغائبة عظمت الشبهة بها لما كلمتهم وشياطين الجن لهم القدرة على التكليم وعلى أن يتشبهوا بصورة ابن آدم . كما جاء إبليس للمشركين في صورة رجل نجدي ويسمع الآدمي صوتاً يظنه صوت آدمي . وهو صوت جنى يقلد صوت الآدمي .

ومعلوم أن مثل هذه الغائبات إذا تعلق بها المرء وقع في إضلال نفسه . لأنه تعلق بشيء لا يدري ما حقيقته . والمعلوم المتقرر عند أهل الشرائع جميعاً . وعند أهل العقول الصالحة والعقول السليمة أن الميت لا تخاطب روحه . روح الآدمي . حتى في هذا العصر فيما يسمونه تحضير الأرواح في أرواح الموتى ونحو ذلك . هذا إنما هو من جهة شياطين الجن يخدمون ذلك الساحر المحضر للرواح .

فإذا خدموه بعد خدمته لهم وتعبده لهم . فإنهم يتشكلون له بالصورة التي يريد ويسمعونه الصوت الذي يريد . ومعلوم أن أعمار الجن أطول من أعمار الأنس كثيراً بل الموت فيهم بالنسبة لابن آدم قليل . لهذا قال جماعة من الجن لأحد العرب وسمع صوتهم لقد فضلتموه بالأكل فينا ولكن ذاك يُعقبكم سقاما يعني أن حقيقة الآدمي غير حقيقة الجني الجني خلق من نار . وابن آدم خلق مما وصف لكم . فالجني له مقدرة فالتعلق بالملائكة والتعلق بالصالحين والتعلق لالموتى كان بعد أشياء سموها استجيبت لهم فاستغاثوا بالميت فأغاثهم استغاثوا بالملائكة فأغاثتهم فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا .

وكان في الحقيقة أن الذي أعطاهم الجن وأن الذي يسر لهم ذلك أو أغاثهم إنما هو الجن وذلك ليوقعوا الشرك والبلاء العظيم فيهم بعد إذن الله جل وعلا قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله في أكثر من موضع من كتبه : أن الشياطين . شياطين الجن تتشكل بصورة الآدمي . بقول : حتى إنها تتشكل بصور الأحياء والأموات ومرة وقع بعض أصحابي في شدة . طائفة من تلاميذ ابن تيميه وكانوا بعيدين عني .قال فظهرت لهم فيما قالوا : فاستغاثوا بي فلما أتوني وأخبروني الخبر قالوا استغثنا بك فأغثتنا . فقال : إني لم أبرح مكاني . ذاك شيطان تمثل في صورتي وهذا يحدث أيضاً عند كثيرين حيث يزعمون : أن فلان رؤى في دمشق أو رؤى في مصر أو رؤى في بغداد أو رؤى في المدينة وفي الوقت نفسه رؤى حاجاً في مكة . أو رؤى معتمراً ومن المعلوم القطعي عند أهل العقول الصحيحة : أن الجسم الواحد لا يكون في مكانين متباعدين في الزمن نفسه ومن قال أنه رآهم هنا ورآهم هنا فهو صادق رآهم في المدينة ورآهم في مكة في الوقت نفسه . يقول رأيناه حاجاً وأهل البلد الفلاني يقولون يوم عرفة رأيناه عندنا . فيكون هؤلاء صادقون وهؤلاء صادقون ولكن جاء الاشتباه من جهة تمثيل الجني بالإنسي . فمن أخبر بالرؤية فهو صادق . ولكن لا يمكن أن يكون ابن آدم في مكانين متباعدين في وقت واحد . ولكن الجني تمثل بصورته ليضل الناس .

إذاً فهذا الباب . باب الشرك يدخل منه شياطين الجن الذين قال إمامهم ومقدمهم لله جل وعلا ﴿ لأحتنكن ذريته إلا قليل ﴾ فالجن أعني شياطين الجن مهمتهم أن يقع بهم الابتلاء في هذا الأخر .

وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلي الله عليه وسلم قال . قال الله تعالي : إني خلقت عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم .

قال بعده (عيسي ومريم) يعني مثل عيسي ومريم ، عيسي عليه السلام ومريم أمه وقع بها الشرك . وأتخذ إلهين مع الله جل وعلا قال سبحانه وتعالي في سورة المائدة :

﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله . قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته . تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

وهذا تبرؤ من عيسى عليه السلام ، وإثباتاً من الله جل وعلا أنه عُبد وأتخذ إلهاً مع الله جل وعلا ، فطائفة من الأنبياء والمرسلين ضل أتباعهم فاتخذوهم آلهة من جهة الغلو والإطراء ، قال عليه الصلاة والسلام (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) .قال عيسى عليه السلام لأتباعه :

﴿ يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ .

فالأنبياء والرسل تحذر من هذا الشرك وتنهى عنه ، بل رسالاتهم في هذا الأمر العظيم ، وإخلاص القلب لله وتوجهه لله وحده هو زبدة الرسالات الإلهية ، وهو مدار بعثة الأنبياء والمرسلين .

فعيسى ومريم اتخذوا إلهين من دون الله جل وعلا ، فكيف اتخذ عيسى إلهاً الألوهية غير الربوبية ، اتخذ معبوداً بأن يستغاث به بأن يطلب منه ، بأن يسأل بأن يُدعى والله جل وعلا كَفر النصارى باتخاذهم عيسى إلهاً وجعلهم عيسى ابناً لله أو ثالث ثلاثة ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ .

وهذا كله لأجل أنهم اتخذوا المسيح وأمه إلهين ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ﴾ فالآيات في القرآن في هذا الأمر كثيرة

الذي حصل في هذه الأمة أنهم ما نظروا في كيف صار عيسى عند أتباعه المنحرفين عن سبيله ، كيف صار إلهاً ؟ فاتخاذ عيسى إله من جنس اتخاذ الأوثان آلهة ومن جنس اتخاذ الصالحين آلهة ، فالذين اتخذوا عبد القادر الجيلاني إلهاً أو معبوداً من جنس تلك الشبهة .

الذين اتخذوا العيدروس إلهاً ومعبوداً هو من جنس تلك العبادات الذين اتخذوا البدوي أو الحسين أو زينب أو سكينة أو غير هؤلاء من جنس شرك أولئك لأنه تعلق بالأرواح واعتقاد أن هؤلاء لهم مقامات عظيمة عند الله جل وعلا وحصل لهم ما يريدون في بعض استغاثاتهم من جهة الجن فصارت الشبهة في الشرك في هذه الأمة من جنس الشبهة يعني من جهة حصول الشرك من جنس الشبهة عند المشركين فضل المتأخرون بما ضل به الأولون .

والقرآن من أوله إلى آخره في رد هذا ، وبيان ضلال المشركين وبعدهم عن ما يرضي الله ﷻ وما يحبه سبحانه وتعالى قال : (وأناس غيرهم من الصالحين) عُبد صالحون كثير وعبادة الصالحين من جهته أن أرواح الصالحين طاهرة لها المقام

العظيم عند الله ﷻ وأن الله جل وعلا لا يرد لهم طلباً ، يظنون أن مقام الصالح عند الله من جنس مقام المقرب عند الملوك ، والملوك – ملوك الأرض إذا صار عندهم من هو مقرب ، ويحترمونه ولهم فيه مصلحة يكون إجابة لطلبه إذا توسط وطلب أجابوا طلبه لأنهم يريدون أن يبقى على صلته بهم ، ولأن لهم فيه مصلحة .فاعتقاد المشركين في الصالحين من جنس هذا الاعتقاد ظنوا أن العباد مع الله جل وعلا من جنس الوزراء عند الملوك ، أو المقربين عند الملوك فجعلوا هذا هو هذا ، والله جل وعلا في سورة سبأ أبطل ذلك بقوله : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾ وقال جل وعلا في سورة الإسراء :

﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾
فالصالحون عند الله جل وعلا يرجون الرحمة ويخافون العذاب ، والله جل وعلا هو مالك الملك .

فإذن الشبهة التي من اجلها أشرك من أشرك بالصالحين من جهة التعلق بالأرواح والظن بأن هذه الأرواح مقربة ، فإذا كانت مقربة عند الله فإنها إذا سئلت فتسأل الله جل وعلا فيجيب الله طلبها ولا يرد طلبها ، ولهذا من الأدعية البدعية أن يقول القائل : أسألك بحرمة نبيك أو بحرمة الولي الفلاني أو بجاه أهل بدر عندك أن تعطيني كذا وكذا والله ﷻ ليس لأحد عنده حق بحيث لا يرد ما سأله حق

الأنبياء عليهم السلام ربما ردت أسئلتهم وردت دعواهم في حياتهم فـــالله جـــل وعلا رد دعاءاً لإبراهيم ، ورد دعاءاً لنوح ﴿ إن ابني من أهلي ﴾ ورد أيضـــاً دعاء للنبي عليه الصلاة والسلام (سألت ربي ثلاثاً فأعطاني واحدة ومنعني اثنتين.) ونحو ذلك .

فدعواهم في الحياة على رجاء الإجابة فهم أعظم مَن تجاب لهم الـــدعوة ، لكـــن ليس لأحد المقام عند الله جل وعلا بحيث إنه إذا طلب فإنه لا يرد سؤاله .

خلاف ما عليه كل الذين يتعلقون بالقبور والصالحين والأرواح المختلفة قال رحمه الله : (فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم) .

وهذا فيه أن مشركي العرب كانوا على أثر من الرسالة وأنهم لم يكونـــوا بـــلا رسول قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، بل كانت رسالة إبراهيم عليـــه الســـلام فيهم ، لهذا كان فيهم بقايا من دين إبراهيم ، كما ذكرنا من أمور الفطرة مـــن الغسل ، من الجنابة ، وغسل المرأة من الحيض والصـــدقات وبعـــض الأدعيـــة والصلوات ونحو ذلك .فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم .

قول الشيخ رحمه الله : (يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم) أخذه من قوله جل وعلا ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ، شاكراً لأنعمه إجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ، وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ فالنبي ﷺ يجدد للعرب دين أبـــيهم إبراهيم والله جل وعلا قال :

﴿ لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون ﴾ وقوله جل وعلا ﴿ ما أنذر ﴾ فيها وجهان من التفسير في هذه الآية : إما أن تكون موصولة . يعني : لتنذر قوماً الذي أنذر آباؤهم ﴿ فهم غافلون ﴾ عما أنذر آباؤهم .

والثانية : (ما) نافية ﴿ لنذر قوماً ما أنذر آباؤهم ﴾ يعني لتنذر قوماً لم ينذر آباؤهم والمقصود يكون هنا بآبائهم : الآباء القريبون لأن أولئك غفلوا عن دين إبراهيم ، وملة إبراهيم إلا بقايا من العرب كانوا يُسمون الحنفاء ، اتبعوا ملة إبراهيم في كثير منها .

فإذاً لفظ التجديد هنا لأجل ما ذكرت وهذا يدل على أن مشركي العرب كانت لهم رسالة قبل محمد ﷺ وذلك ظاهر بين والحجة عليهم قائمة به بوجود الكعبة عندهم وإقرارهم بأنهم من نسل إبراهيم عليه السلام ، فرسالة إسماعيل ورسالة إبراهيم عليهما السلام فيهم ، والنبي عليه السلام جدد لهم دينهم قال : (فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم) .

دين إبراهيم هو : التوحيد والقنوت لله ﷻ . قال سبحانه وتعالى في سورة الزخرف : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براءُ مما تعبدون ، إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ .

عقبه : من نسل إسحاق ، وعقبه أيضاً من نسل إسماعيل وهم العرب ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ يعني إلى هذه الكلمة .

فدين إبراهيم عليه السلام هو : التوحيد والبراءة من الشرك وإخلاص العمل والدين لله جل وعلا وهو الذي بعث الله به محمد ﷺ كما قال : ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ وكما قال جل وعلا: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ في سورة الأنعام المقصود من ذلك : أن العرب قامت عليهم الحجة وبين لهم الأمر ببعثة إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ بُعث مجدداً لهم دين أبيهم إبراهيم لكن الشريعة مختلفة فإبراهيم عليه السلام جاء بدين الإسلام العام ومحمد ﷺ جاء بدين الإسلام الخاص .

قال : (ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما) .

يخبرهم محمد ﷺ أن هذا التقرب وهو التقرب إلى الأرواح والتقرب إلى الصالحين والتقرب إلى الأنبياء والتقرب إلى الملائكة وسؤال أولئك الشفاعة هذا التقرب والاعتقاد فيها .

قال : (والاعتقاد) يعني : الاعتقاد في تلك الأرواح أنها تنفع أو أنها تضر أو أنها تملك شيء من الأمر . قال : (ذلك محض حق الله) محض حق الله يرجع إلى المسألتين .

الأولى : التقرب

الثانية : الاعتقاد

لأن هناك من يعتقد ولا يتقرب وهناك من يتقرب ويعتقد

فكل المسألتين : محض حق الله جَلَّ جَلالُهُ فنفهم من هذا أن من اعتقد الشرك و لم يفعله فإنه مشرك كالذي فعله لأن الاعتقاد لابد أن يكون الاعتقاد بأن هذه الروح تنفع

أو تضر أو أن أحداً يغيث فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا هذا يجب أن يكون في الله جل وعلا لا يُعتقد في أحد أنه يملك من الأمر شيئاً ولا أنه يملك الشفاعة كم قال جل وعلا ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾

فالذي يشفع الشفاعة ملك لله جل وعلا هو الذي يتكرم بها وهو الذي ينيلها من يرضى عنه جل وعلا .

(لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما) هذه رسالة محمد عليه الصلاة والسلام أن العبادة لله وحده وأن التقرب إنما هو لله وحده ، لا استغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله إلا بالله ولا استغاثة بالأموات ،لا استغاثة بالأرواح ، لا استغاثة بالغائبين كذلك لا ذبح لا عبادة بأي نوع من أنواع العبادة إلا لله جل جلاله فتتعلق القلوب بالله وحده ويبطل أمر الجاهلية في التعلق بغير الله جل جلاله .

قال : (وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له وأنه لا يرزق إلا هو ولا يحيي إلا هو ولا يميت إلا هو ولا يدبر الأمر إلا هو وأن جميع السماوات ومن فيها والراضين ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره .

كما ذكرنا مراراً وتعلمون أن المشركين يقرون لله جل وعلا بالربوبية يعني : أكثر أفراد الربوبية يثبتها المشركون لله جل جلاله فإذا سألت المشرك من العرب من أهل الجاهلية أو من غيرهم . من الذي يحيي ؟ فسيقول : الله ، من الذي يميت ؟ فسيقول: الله ، من الذي يدبر الأمر ؟ . فسيقول الله ، من الذي يرسل الغيث ؟ فسيقول: الله . من الذي يجير ولا يجار عليه ؟ فسيقول : الله ، من الذي يعافي من المرض ؟ سيقول : الله فإذا هذه الأفعال على جهة الحقيقة إنما هي لله جل وعلا ، المشركون يعتقدون ذلك ومع هذا الاعتقاد وكونهم يتصدقون ويدعون ويتقربون

إلى الله بأنواع من القربات ويغتسلون من الجنابة وتغتسل المـــرأة مـــن الحـــيض ويصلون الأرحام ويتفاخرون بذلك مع ذلك لم يكونوا مؤمنين ولا مسلمين لما ؟ لأن هذا لم يبتلوا به ، إنما ابتلوا بأن يكون الله ﷻ هو المعبود وحده وهم عبـــدوا مع الله غيره فمن عبد مع الله غيره لم تنفعه صلاته و لم ينفعه صـــيامه وإن كـــان زاهداً متعبداً و لم ينفعه إقراره لله بالربوبية وقد قال جل وعلا عن اكـــرم الخلـــق محمد ﷺ ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ﴾ يا محمد ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾

فالله جل وعلا ليس بينه وبين عباده نسب وليس بينه وبين عباده مجاملة وليس بينه وبين عباده رعاية وإنما هو جل وعلا القهار الجبار سبحانه الذي يستحق العبـــادة وحده .

فلو أشرك اكرم الخلق عليه لحبط عمله ولكان من الخاسرين فكيف بمن هو دونه كيف بمن هو دون محمد ﷺ لاشك انهم لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملونه ولبطل ما كانوا يعملون قال الله جل وعلا عن المشركين : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا ﴾ لهم أعمال ولهم صلاح ولهم طاعة ولهم أنـــواع خير ولكن لما لم يوحدوا الله جل وعلا . لم يعبدوا الله وحده دون ما سواه . لمـــا توجهوا إلى تلك الأرواح لما لم يجعلوا الأمر كله لله ﷻ فإنهم صاروا مشركين لم ينفعهم ذلك و لم يعصم دمائهم ولا أموالهم وإنما كانوا مشركين مكذبين للرســـل جميعاً وهذه في الحقيقة مسألة عظيمة . وآل الأمر والله المستعان بالنـــاس إلى أن كثيرين إذا سمعوا من يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . أو سمعوا من يقول مـــا شاء الله أو سمعوا من يقول : الحمد لله سموه مؤمناً ولو كان على غير عمل أصلاً

بل لو رأوه مجاهداً في سبيل الله كما يقولون رأوه يقارع المشركين في الميــدان ، رأوه يقارع الكفار ، رأوا عنده من الأعمال الصالحات أمراً عظيماً ونظــروا في أمره بهذا الاعتبار عظموه تعظيماً وجعلوه من الأئمة ومن المقتدى بهم وقد يكون في حقيقة الأمر مشركاً بالله جل وعلا إما من جهة الاعتقاد يعتقــد في أولئــك الصالحين أو لا يكفر بالطاغوت أو أنه يشرك بالحقيقة يتوجه إلى الموتى بــأنواع القربات . فالمسألة هذه فيها غربة في هذا الزمن وفي كل زمن . وأصبحت مسألة التوحيد وأصبح هذا الأمر في هذا الزمن محل نظر عند الأكثر ين . وصار الشرك إنما هو بنفي وجود الخالق جل جلاله . من هو الكافر عند طائفة ؟ هو الملحــد الذي لا يؤمن بوجود الله . وجعلت طائفة اليهود والنصــارى والصــابئين مــن المؤمنين لأنهم يعبدون الله على طريقتهم ، وآخرين قــالوا : بتوحيــد الأديــان السماوية ، وآخرون يردون على من قال بتوحيد الأديان السماوية ولكنــهم إذا نظروا إلى شرك المشرك وتعلقه بالصالحين ، وما يحصل عند المشاهد والقبور مــن أنواع عبادة غير الله ، أو ما يفعله الضالون من تحكيم القوانين واعتقاد أنها جــائز أن يحكم بها ، لم يجعلوا ذلك من المخرج عن دين الإسلام ، وهذا مــن الغربــة المتحققة في هذا الزمن والله المستعان .

ولهذا يجب على طلاب العلم أن يكونوا متبصرين في هذا الأمــر أعظــم تبصــر وتبصرك فيه لا يعني الحكم على الأفراد والحكم على المعينين ، فالحكم ذاك بحث فقهي يرجع فيه إلى أهله يحتاج إلى فتوى لكن اعتقادك بالتوحيد واعتقــادك أن الشرك مرد ود مهما كان من جاء به ، وإبطال منزلة المشرك مهما كان ، فهــذا نبينا ﷺ يقول عنه الله جل وعلا : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ .

واليوم تجد من يقول في حال بعض ما يضر شركهم لا تتكلم في هـــذه الأمـــور هؤلاء عندهم من المقامات العظيمة كذا ، كذا ،وكذا والله جل وعلا يقول عـــن نبيه ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ وهـــؤلاء يقولـــون إن أولئك الذين لهم أعمال صالحة لما أشركوا لكن لا يضرهم ذلك الشرك ولا عبادة غير الله ﷻ ولا ما يعتقدون في غير الله ﷻ. وهذا لا شك يحتـــاج منـــك إلى الاهتمام بهذا الأمر اهتماما عظيماً .

بعد ذلك ذكر الشيخ رحمه الله أدلة على ذلك . يعني : على أن الله ﷻ متوحـــد في الربوبية عند المشركين . أعني اعتقادهم في توحيد الربوبية . قال (فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون لها) فاقرأ قـــول الله جل وعلا : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ وقوله ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فإني تسحرون ﴾ وغير ذلك من الآيات .

هذه من الأدلة الظاهرة على أن الموحد لله في الربوبية لا ينفعـــه توحيـــده إلا إذا وحد الله في الإلهية . توحيد الله بأفعاله لا ينفع إلا لمن وحد الله جل وعلا بأفعال العبد إذا وحدت الله بأفعاله نفعك توحيدك لله جل وعلا بأفعالك . يعني الموحد

لله في الألوهية ينفعه توحيد الربوبية ويعظم لأن توحيد الربوبية له آثـــار عظيمـــة وواجب من الواجبات لأنه أحد أنواع التوحيد .

لكن من وحد الله في الربوبية و لم يوحد في العبادة فلا ينفعه ذلك وإن كان يتكلم في ذلك بعلوم عجيبة . وتفاصيل غريبة حتى يعبد الله وحده لا شريك له . وحتى يعتقد أن عبادة ما سواه باطلة . وحتى يؤمن بالله ويكفر بالجبـــت والطـــاغوت بأنواع ذلك نقف عند هذا . هذه مقدمة لما سيأتي إن شاء الله .

س : يقول : عبادة الهوى من الشرك بالله . فكيف نجمع بين هذه العبارة وقولك أن الشرك بالله راجع إلى أرواح الصالحين وأرواح الكواكب فقط .

في الحقيقة بعض الأسئلة ما يكون لها . يعني ما تكون دقيقة عبادة الهوى من التأليه من تأليه يعني تؤله . لكن ليس كل طاعة للهوى شرك أكبر أو شرك أصغر قـــد تكون طاعة الهوى معصية فقط . فإذا صارت طاعة الهوى هي عبادة غير الله مع ظهور الحجة حجة التوحيد صارت هنا شركاً أكبر وذلك برجوعها إلى عبادة غير الله ﷻ ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً ﴾

تأليه الهوى أنواع : المعصية من طاعة الهوى . ولكن لا تسمى شركاً

س : ما هو الإسلام العام الذي ذكرت بأن إبراهيم أتي به وما هو الإسلام الخاص الذي أتي به محمد ﷺ .

الدين عند الله ﷻ الإسلام كما قال ســـبحانه ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾

والله جل وعلا لا يرضى إلا الإسلام ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾

فآدم عليه السلام كان مسلماً . وجميع الرسل كانوا مسلمين وجاءوا بالإســـلام العام والإسلام العام معناه التوحيد والاستسلام لله جل وعلا بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله فهذا هو الذي تشترك فيه جميع الرسل . والإسلام الخاص المقصـــود به ما شمل الاستسلام ذاك . ما شمل الإسلام الذي هو التوحيد والعقيدة والشريعة أيضاً التي جاء بها محمد ﷺ . وهذا الكلام الإسلام العام والخاص تجده في كـــلام شيخ الإسلام ابن تيميه في مواضع كثيرة وفي أوائل الفتاوى تجد ذلك ماثلاً .

يعنى الإسلام الخاص هو العقيدة والشريعة التي جاءت بها محمـــد عليـــه الصـــلاة والسلام . والإسلام العام هو الذي لا يرضي الله جل وعلا من أي أحد من الخلق قبل محمد ﷺ إلا أن يكون مسلماً ذلك الإســـلام العـــام : ﴿ وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً ﴾

س : من تقرب لغير الله بدون اعتقاد فما حكمه في الإسلام ؟

يكون مجنون . كيف يتقرب بدون ما يعتقد . يعني يتحرك حركـــات وهـــو لا يعتقدها ما الذي حركه . ما يمكن حركة تصدر من عاقل إلا بإرادة قلب .

إرادة القلب هي المحركة . محبة القلب للشيء وإرادته هي المحركة

معلوم أنه لا يحصل أي عمل من الأعمال إلا بشيئين . بإرادة متميزة خاصة بهـــذا العمل وقدرة تامة إذا صار عندك لأي عمل تريده إرادة واضحة متميزة وعنـــدك قدرة حصل العمل . وأما إذا تخلفت الإرادة وثم قدرة لم يحصل العمل . حصـــل عندك قدرة وليس ثم إرادة ما حصل العمل أصلاً . فإذا حصل عمـــل مـــا مـــن المكلف علم أنه إرادة وكان قادراً عليه فأحدثه .

إذا عمل عملاً . وصار غير مؤاخذ به إما أن يكون من جهة أن إرادته لم تكن متمحضة . يعني إما أن يكون مجنون . أو ساهياً أو غافلاً أو نائماً إلى آخره من عوارض الأهلية التي تكون . يعني لا يرفع معها الحكم التكليفي .

وإما أن يكون من جهة عدم إرادته للفعل وأما القدرة فكانت من جهة الإكراه والمكره أيضاً مرفوع عنه الحكم التكليفي في أكثر المسائل

الذين يحضرون الأرواح هل هم كفار . ويماذا يختلفون عن السحرة ؟

تحضير الأرواح هذا باب واسع . يزعم أنهم يحضرون الأرواح في الشرق والغرب وتحضير الأرواح يأتي واحد مثلاً لهذا ويقول له . أريد أن أرى أبي وأسمعه وأسأله . فيحضر له روح أبيه فينظر تارة إلى صورة أبيه شكل روح لا شكل جسم . وتارة يسمع صوت أبيه دون رؤية . يسمع صوت أبيه المعروف وهذا يكون من جهة الشياطين هو تحضير للأرواح . لكن لأرواح الشياطين التي تعلم ذلك من أبيه

هل الذي يخاف من الجن ومن أذيتهم يعتبر مشركاً ؟

هذا فيه تفصيل . الخوف الطبيعي لا حرج على المرء فيه . لكن إذا خافهم خوف السر أن يصيبوه بشيء سراً بقدرتهم عليه وبقدرتهم على ذلك أن يميتوه بدون أسباب بشيء سرى كما يقدر عليه الله جل وعلا هذا هو الشرك أما الخوف الطبيعي من أن يضروه فهذا ليس بشرك . الخوف الطبيعي . لكن الخوف الطبيعي يكون له أسبابه الظاهرة لكن هو يخاف هكذا من دون شيء إنما خوف من أرواح الجن بدون أسباب ظاهرة تدل على ذلك هذا لا شك أنه قد يكون شركاً أصغر وقد يكون شركاً أكبر بحسب الحال والشرك الأكبر في الخوف هو خوف السر . يعني أن يخاف أن يصيبه ذاك سراً بما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا .

س : هل قصة متى آساف ونائلة صحيحة أم لا ؟
مذكورة في السير في كتب السير معروفة .
هذه مقولة لشيخ الإسلام ابن تيميه يريد توجيهها ؟
لا بد أن يأتي بالكتاب الذي قرأ فيه المقولة .
هناك من الصالحين من يكون في دياره في يوم عرفة ويري في عرفة في نفس الوقت . وإذا سئل عن ذلك يقول : نعم ذهبت إلى مكة . فكيف يكون أحدهم جني علماً بأنه يثبت الذهاب إلى مكة ؟ وإذا أثبت هل يصدقه ؟
يحكي أن ثلاثة من أجناس هؤلاء الذين يزعمون أنهم يذهبون في وقت قصير مع خادم لهم غلام . فأحضر لهم طعاماً فأكلوه كله و لم يبقوا له شيئاً وبقيت فاكهة فقالوا بعدما شبعوا نترك الفاكهة إلى الصباح . وهكذا الغلام ما دعوه ليأكل ولا أبقوا له شيئاً فلما كان في الليل . جاء ذاك وتناول الفاكهة كلها لأنه جائع . فلما أتي الصباح أتي الغلام بهؤلاء المشايخ من جنس هذا الذي يقول . أنا ذهبت إلى مكة وهو في دياره اجتمعوا . فصار كل واحد يظهر فضيلته . فقال أحدهم : أنا اليوم هم كانوا أظن في الشام . بحسب القصة موجودة في بعض الكتب قال أحدهم أما أنا فصليت الفجر الليلة في مكة في مقابلة الكعبة وقل آخر الثاني : أما أنا فصليت اليوم في مسجد رسول الله ﷺ . والآخر أراد أن يفضلهم فأبعد قال : أما أنا فصليت الفجر اليوم في مسجد كذا في المغرب . وهذا الغلام ينظر إليهم وهم يريدون أن يقنعوه بذاك أو بعضهم يقنع بعضا فلما انتهوا من هذا قالوا : يا غلام هات الفاكهة . فقال : الفاكهة سرقت البارحة فقالوا : لما لم تطلبنا . فقال : أحدكم في مكة والثاني في المدينة والثالث في المغرب ناديت ناديت فما جاءني

أحد . المقصود أن هؤلاء يختبرون . فإذا اختبروا ظهر الصدق اختبارهم بالدنيا أما وجود جسم في مكانين في وقت واحد فهذا محال .

س : لماذا كانت عقوبة قوم نوح بسبب فعل الفاحشة ؟

ج :لا قوم نوح عوقبوا بسبب الشرك بالله . أظنه يقصد قوم لوط لكن المكتوب قوم نوح .

س :هل إذا طلب الإنسان الدعاء من إنسان آخر وذلك بنية أن الذي طلب منه الدعاء دعوته مجابة بخلاف الأول . هل ذلك من الشرك ؟

ج : طلب الدعاء من المخلوق جائز في أصله . إذا كان ذلك المخلوق حياً يقدر على الدعاء وجاء في السنن في حديث يحتج به أهل العلم وإن كان في إسناده ضعيف أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لعمر (لا تنسنا يا أخي من دعائك) وثبت في صحيح مسلم . أن النبي عليه الصلاة والسلام قال عن أويس القرني . من استطاع منكم أن يدعوا له فليفعل وهذا يدل على أن جنس الطلب . طلب الدعاء من الحي جائز والنبي عليه الصلاة والسلام طلب منه الصحابة الدعاء فدعا لهم . لكن هناك قول لشيخ الإسلام بن تيميه وهو أن طلب الدعاء طلب الحي الدعاء من الحي تركه أولي إلا في حال أن يكون من طلب الدعاء من الآخر يأمل نفعه ونفع الداعي معه . يقول إذا كان الطالب يأمل نفع الداعي ونفع المدعو له جميعاً جاز لكن إذا كان يطلب نفعه وحده باعتقاده في ذلك المسؤول فإن هذا تركه أولي وقول السائل هنا . من دعوته مجابة هذه الكلمة دعوة فلان أو فلان من مجابي الدعوة المقصود منها الغالب ليس المقصود منها أنه لا يدعو بدعوة إلا تجاب المقصود منها أكثر أموره يعني إذا دعي أجيب في أكثر ما يدعو به . وإلا كما ذكرت لك فإن الأنبياء وهم من مجابي الدعوة بل هم أفضل من

مجاب الدعوة من أقوامهم ردت بعض دعواتهم كما ذكرت . فإجابة الدعاء منوطة بأسباب شرعية وقدرية ولله جل وعلا الحكمة البالغة

قد روي ابن جرير رحمه الله في تهذيب الآثار وفي غيره أيضاً أن حذيفة لما سئل من قبل بعضهم أن يدعو حزيفه لذاك فدعا له ثم سئل مرة أخرى . فنفض يديه وقال : أنبياء نحن . إنكار لتكرر طلب السؤال ممن هو دون الأنبياء . طلب الدعاء ممن هو دون الأنبياء وهذا ظاهر . فالاعتقاد أن فلان مجاب الدعوة يُسئل أدع لنا يا فلان أدع لنا هذا قد يكون من أسباب الاعتقاد فيه بعد مماته فإذا سئل مرة أو مرتين ونحو ذلك أما أن يجعل فلان يقال له دائماً ادع لنا يا فلان هذا غير طريقة السلف .

س : أليس الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بالألوهية فلماذا لم يؤمن المشركين بتوحيد الألوهية ؟

ج :نعم توحيد الربوبية يلزم منه أن يوحد المرء في الإلهية هذا لازم قطعي لكن أولئك ما التزموه لذلك في القرآن جعل جل وعلا من البراهين الدالة على توحيد الألوهية إقرار المشركين بتوحيد الربوبية كما جاء في الآية . آية يونس التي ذكرنا قال جل وعلا ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض .إلى قوله سيقولون الله فقل** ﴾ يعني مرتباً على قولهم على تلك الإجابة ﴿ **فقل أفلا تتقون** ﴾ يعني الشرك وقال جل وعلا في سورة الزمر ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله** ﴾ وفي سورة النمل قال جل وعلا ﴿ **ءاله مع الله بل هم قومٌ يعدلون . ءاله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون . . إلى أن قال ءاله مع الله قل هاتو**

برهانكم إن كنتم صادقين﴾ فدليل وجوب توحيد الله جل وعلا في العبادة أنه جل وعلا هو الواحد في الربوبية وأنه لا رب معه ولا رب سواه سبحانه وتعالى فمن أيقن بذلك على الحقيقة فإنه يقوده إلى توحيد العبادة لكن ما قاد اكثر العــرب وإنما قاد ذاك من آمن بالنبي ﷺ .والاكثرون أعرضوا عن تلك الحجة .

توحيد الإلهية متضمن توحيد الربوبية ، وتوحيد الربوبية لمن نظــر فيــه وعقــل مستلزم لتوحيد الإلهية تنظر للسماوات من خلقها تنظر إلى الأرض من خلقاها إلى نفسك من خلقك إلى من حولك فليس ثم جواب إلا أن الخالق هو الله جل وعلا دليل حتمي ضروري لا يستطيع عاقل أن يخرج منه وهو متجرد مــن الهــوى لا يستطيع أن يخرج منه دليل حتمي على أن الله جل وعلا هو الرب سبحانه وتعالى إذا كان كذلك وأن الخلق لم يخلقوا شيئاً وإنما هو جل وعلا الخالق وحده وهــو الذي يملك الأمر وحده فيجب أن تتعلق القلوب به جل وعلا وحده دونما سواه وأن يكون الحكم إليه جل وعلا وحده دونما سواه في العقيدة وفي الشريعة نكتفي بهذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : (فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون لها فاقرأ قول الله جل وعلا ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ وقوله (فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا وأن هذا لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد كما كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ليلاً ونهاراً)

﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السماوات السع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل فأنى تُسحرون ﴾) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله . حق الحمد وأوفاه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمد عبد الله ورسوله صلي الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ..... أما بعد .

فأسأل الله جل وعلا لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح . والقلب الخاشع وأن يستعملنا فيما يحب ويرضى . وأن يقينا فتنة الدنيا وفتنة الممات . اللهم فثبتنا على دينك حتى نلقاك . هذا الكلام صلة لما سبق . وقول الإمام رحمه الله تعالى في أوائل هذه الرسالة العظيمة كشف الشبهات قوله (قوله فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا) إشارة إلى إقرارهم بما جاء في الآيات السابقة . وهو الإقرار بتوحيد الربوبية . وقد ذكرت لك أن إقرار المشركين بالربوبية يختلفون فيه . فمنهم من يقر بإفراد منه كثيرة ومنهم من يقر بأكثره . ومنهم من يقر بأنواع ربوبية الله جل وعلا وأنه واحد في ذاته . فإقرار المشركين بتوحيد الربوبية مختلف ليسوا جميعاً فيه على مرتبة واحدة لكن يجمعهم أن جميع من أرسل الله جل وعلا إليهم الرسل لم يكونوا منكرين لوجود الصانع . لم يكونوا منكرين لوجود الرب الخالق الرزاق الذي يدبر هذا الملكوت ويجري الأفلاك ويجري ما به صلاح العباد لم يكن أحد ينكر هذا إلا طائفة كما قال الشهرستاني في بعض كتبه قال : إلا طائفة لا يصح أن تنسب إليهم مقالة ، لأنهم كانوا أفراداً متفرقين .

كل من بعثت إليهم الرسل كانوا يقرون ، بأن الله جل وعلا هو الذي خلق هذا الخلق وهو الذي خلق الأفلاك والسماء وهو الذي خلق الأرض وهو الذي أجرى المياه وهو الذي خلق الإنسان والحيوان وهو الذي قسم الأرزاق وهو الذي من توكل عليه لم يخب وهو الذي يجير ولا يجار عليه وهو الذي إذا فتح رحمة فلا ممسك لها وهو الذي جل وعلا بيده ملكوت كل شيء يدبر الأمر يحيي ويميت ويمرض ويصح ويفقر ويغني كما شاء جل وعلا .

هذا الإقرار لا يدخل المرء في دين الله ، لا يدخل المرء في التوحيد ولهذا عظمت الشبهة بهذه المسألة في كل زمان وتحقيق هذه الشبهة التي أراد الإمام محمد بن عبد

الوهاب رحمه الله ، أراد كشفها هي شبهة من يقول : كيف يُحكمُ بالشرك على من يقر بوجود الله وأنه هو الذي يتصرف في الملكوت ويقول ما شاء الله ويقول :

لا حول ولا قوة إلا بالله وربما دعا وصلى وتصدق إلى غير ذلك مما ذكرنا سابقاً من أنواع العبادات فما الذي جعل أولئك كفاراً ؟ ما الذي جعلهم مشركين ؟ ما الذي جعلهم يشركون ؟ ما الذي جعلهم ليسو بأتباع لمحمد ﷺ لابد من تحقيق ذلك إذا تحققت أنهم مقرون بإفراد الربوبية وأنهم يعظمون الله جل وعلا ببعض ما يستحق سبحانه وتعالى تقرر ذلك في قلبك وعرفته معرفة يقين فلابد أن تعلم أن ذلك الإقرار (لم يدخلهم في توحيد الله جل وعلا . لهذا قال الشيخ هنا : (فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا) يعنى : بما سبق إيضاحه . (وأنه) يعنى : ذلك الإقرار (لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه الرسول ﷺ لابد أن تبحث وأن تعلم ما الذي جحدوه . ما الذي به صاروا مشركين ؟ وإذا تأملت حالهم وجدت أنهم صاروا مشركين بعبادة غير الله جل وعلا .

فإذا صارت الأفعال قسمين :

القسم الأول : أفعال الرب جل وعلا .

القسم الثاني : أفعال العباد .

أفعال الرب توحيده بها لا يكفي . لأن المشركين كانوا موحدين لله جل وعلا بأفعاله يعنى : كل فعل لله يعلمون أنه ليس له شريك فيه على الكمال والحقيقة .

والقسم الثاني : من الأفعال : أفعال العباد : هي التي من جهتها صاروا مشركين فالواجب في التوحيد الذي دعت إليه الرسل أن يوحد الله ﷻ بالنوعين من

الأفعال أفعاله سبحانه وأفعال العباد أيضاً وإنما صار ابتلاء الناس بالرسل من جهة توحيد العباد ربهم جل وعلا بأفعالهم وليس بأفعاله سبحانه وتعالى .

لابد أن نعلم ما التوحيد الذي جحدوه ؟ علمنا أن التوحيد الذي أقروا به هو : توحيد الربوبية ولكن ما التوحيد الذي جحدوه ؟

قال الإمام رحمه الله وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة (توحيد العبادة هو الذي جحده المشركون لما ؟ لأنه قال لهم عليه الصلاة والسلام : قولوا لا إله ألا الله . فقالوا : أجعل الإلهة إلهً واحداً .

ومن المتقرر المعروف : أن معنى الإله في لغة العرب : المعبود لأن كلمة إله مشتقة من أله يأله إلهة وألوهة . وهذا بمعنى العبادة . فالإله هو : المعبود . وقوله لا إله إلا الله معناها لا معبود حق إلا الله ويدل على تفسير العبادة بذلك قول الله جل وعلا :

﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله ﴾ هذه وصية الله جل وعلا لجميع المرسلين ﴿ أن لا تعبدوا إلا الله ﴾ مساوية لا إله إلا الله فصارت بالمطابقة معنى الإله هو : المعبود والإلهة هي : العبادة لا إله إلا الله يعني : لا معبود إلا الله . لا تعبدوا إلا الله .

المشركون يفهمون اللغة ويفهمون معاني الكلام في زمن النبوة فلما قال لهم : قولوا لا إله إلا الله دعاهم إلى لا إله إلا الله علموا أن المعني أن يذروا جميع الآلهة وأن لا يتوجهوا بنوع من أفعالهم إلى شيء من تلك الآلهة . فقال الله جل وعلا عنهم في صورة الصافات ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون إئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ يعنى النبي ﷺ .

وقال جل وعلا أيضاً عنهم في صورة ص ﴿أجعل الآلهة إله واحداً﴾ أما الأرباب بمعنى : الربوبية . الخلق والرزق والإحياء والإماتة . فهم لم يجعلوا لهم أرباباً مختلفين لكن الرب بمعنى المعبود بالتلازم هذا يكون بالمعنى الأول يعنى : يأتي الرب بمعنى المعبود كما ذكرنا في نحو قوله ﴿أأرباب متفرقون خير﴾ . وفي قوله ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباب﴾

إذا المشركون صاروا مشركين بعبادتهم غير الله جل وعلا وذكرنا لك فيما مضى أن تلك العبادة لغير الله كانت من جهة الاعتقاد في الأرواح الطيبة في الأرواح الخيرة اعتقدوا في الملائكة لأن الملائكة أرواح خيرة . اعتقدوا في الأنبياء لأن الأنبياء أرواح طاهرة اعتقدوا في الصالحين لأن الصالحين لهم أرواح طيبة .

فمن جهة خيريه الأرواح وزكاء الأرواح وطهرها وقربها من الله جل وعلا اعتقدوا في تلك الآلهة فصار سبب شرك المشركين الاعتقاد في الأرواح هذه الحقيقة هي حقيقة الشرك بالله جل وعلا في جميع رسالات الرسل جاءت لدحض هذه المسألة وهي بيان أن من جعل للأرواح تأثيراً من جعل أن للأرواح خواص ليست بشرية وإنما خواص من جهة خواص الآلهة فهذا هو الشرك بعينه

فنوح عليه السلام جاء إلى قوم يعتقدون في أرواح الصالحين ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ولا يعوق ونسرا﴾ قال ابن عباس : أسماء رجال صالحين

الملائكة اعتقدوا فيها لطهرة أرواحها . اعتقد المشركون في الصالحين وفي بعض الأنبياء والرسل لأجل طهرة أرواحها .

إذا تقرر هذا وصار عندك حقيقة واضحة . لأن أعظم مسألة أن تعلم بما صـــار المشركون مشركين في دعوة كل نبي وكل رسول ؟ علمت حقيقة الشرك ما هو ؟ فإذا علمت حقيقة الشرك . فأي شيء سمى به ذلك الشرك فلا يغير الحقيقـــة . لأن الأشياء تعرف بحقائقها وبمعانيها لا بألفاظها .

المشركون في الزمن المتأخر في القرون الماضية . غيروا الأسماء فسموا الشـــرك في العبادة الاعتقاد . كما ذكر الشيخ هنا قال (وهو الذي يســـميه المشـــركون في زماننا الاعتقاد) يعني توحيد العبادة يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد يعتقد في الولي هذه كلمة تسمعها إلى الآن في كثير من الأمصار . يقول : هذا لـــه روح فيها سر والروح يسموها السر أيضاً . فيعدلون مثلاً عن قدس الله روحه إلى قدس الله سره . ما الفرق بين الروح والسر ؟ السر عندهم هو : الروح التي يعتقد فيها فتغيث . فصار لها سر من الأسرار . تسمية الشرك بالاعتقاد . تســـمية الشـــرك بالتوسل . تسمية الاستغاثة بالتوسل وتغيير حقائق الأسماء . وحقائق الألفـــاظ . هذا لا يعني تغير حقائق الأشياء وحقائق المعاني . لأن العبرة بالمعاني لا بالألفـــاظ فالخمر لو سميت بغير أسمها لو سميت شراباً روحياً بقيت خمراً محرمة . ولو سميت بأحسن الأسماء وبأقرب الأسماء إلى النفوس .

لو سمي الربا بتسمية جائزة . يعني بتسمية لائقة : سمي فائدة أو مكسباً أو سمـــي مضاربة . وحقيقته هي حقيقة الربا . يبقي الربا فالعبرة في الشرع بالمعني وليست العبرة بالألفاظ قد جاء في الحديث (أن أقواما يشربون الخمر يسموها بغير اسمها .)

فالألفاظ لا تغير الحقائق . فلما كان المشركون في زمن الإمام المصلح الشيخ محمد رحمه الله . غيروا الأسماء التبس هذا على كثير من أهل العلم : كيف يكون هـــذا

هو الشرك الذي به صار أهل الجاهلية مشركين . لأجل تغير الأسماء ؟ إذا قلت : أهم يستغيثون بغير الله . قالوا : هذا توسل والتوسل بالصالحين جائز . كما هو مذكور في كتب الفقه .

ذاك التوسل شيء وهذه الاستغاثة التي سميتموها توسل اعتداءا . هذه حقيقتها شيء آخر . إذا قلت إن الذبح لغير الله شرك أكبر هو من جنس تقرب المشركين لأولئك بالقرابين لتلك الأصنام والأوثان بالقرابين قالوا ليس هذا ذبحاً للميت . وإنما تقرب لله ولكن باسم الميت حتى يشفع الميت عند الله وإلا فإن المقصود هو الله ﷻ فغيروا الأسماء وبقيت حقيقة الاعتقاد . ولهذا الشيخ سماه هنا : (الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد) والاعتقاد هو : تعلق القلب بمن تقرب إليه ذلك المتقرب . فإذا تعلق قلب المسلم بالميت صار تعلق به من جهة كشف ضره أو من جهة جلب نفعه . أو بتوجه إليه بأي نوع من أنواع العبادة . صار ذلك شركاً منه مخرجاً له من الملة ولو كان مصلياً صائماً .

فإذاً حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك لابد أن تتضح كمقدمة لكشف الشبهات فبم صار المشركون مشركين ؟ من جهة الاعتقاد في الأرواح . بم صار الموحدون وأتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟ صاروا موحدين ومسلمين من جهة تعلقهم واعتقادهم في الله وحده دون ما سواه ونبذ التعلق بالمخلوقين والأموات والأوثان والأصنام الذي حقيقته التعلق بالأرواح .

ذكرت لك أن المسلم ليس عادم العقل . بحيث إنه يتعلق بحجر لا معني له أو يتعلق بسحر لا معنى له أو يتعلق بخشب لا معنى له وإنما يتعلق بهذه الأشياء لما لها من الخاصية من جهة حلول الأرواح فيها . إما أرواح الصالحين أو أرواح

الكواكب أو أرواح الملائكة باعتقادات مختلفة . صاروا مشركين لأجل اعتقادهم سواءً كان ذلك الاعتقاد في نفسه موافقاً لحقيقة الأمر أم لم يكن موافقاً .

مثال ذلك : ما يحصل الآن عند قبر الحسين في مصر من المعلوم عند المؤرخين أن رأس الحسين لم يحمل إلى مصر . وإنما حمل رأسه إلى الشام ومصر لم يصلها رأس الحسين . فجعل هناك قبر ومدفن . فمن تعلق بذلك القبر تعلق بالحسين . وإن كان المدفون ليس بالحسين أصلاً . فصار مشركاً ولو لم يوافق اعتقاده الحقيقة لأنه تعلق قلبه بغير الله جل وعلا بهذه البقعة .

فإذا مدار الشرك هو : الاعتقاد في المخلوق بأن له بعض خصائص الإله له أن يشفع عند الله جل وعلا بدون إذنه ورضاه يجعلون له خاصية أن الله جل وعلا لا يرد له طلباً . يجعلون له خاصية : أنه يسمع ما يتكلم به وأنه يغيث من استغاث به وأن أكثر الناس تقرباً إليه يكون أقرب إليه من غيره . فيشفع له ويعطيه طلبته وحاجته .

إذاً من المهمات في هذا الباب قبل الدخول في الكتاب : ما قدم به الشيخ هذه الرسالة . بهذه المقدمات المهمة أن تعلم أولاً حقيقة شرك المشركين . تعلم حقيقة عبادة أولئك وأنهم كانوا يتعبدون لم يكونوا خالين من التعبد كما ذكر في أول الكتاب أنهم كانوا يصلون ويتصدقون ويحجون ويتفاخرون بالمعروف . لكن لم يكونوا موحدين وصاروا مشركين من جهة أنهم اعتقدوا في غير الله ﷻ وأنهم تقربوا إلى تلك الآلهة بأنواع القرابين والعبادات .

واعتقادهم في الآلهة كان من جهة الاعتقاد في الأرواح الاعتقاد في أسماء تلك الآلهة . وتمثل تلك الأسماء بأرواح طاهرة لها عند الله جل وعلا المقام الأعظم . فإذا كان كذلك فمن أشرك بالله جل وعلا . بأي نوع من أنواع الشرك الأكبر .

فإنه حابط عمله ولو كان مصلياً صائماً لأنه كما قال جل وعلا ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ وهو النبي عليه الصلاة والسلام فكيف بمن دونه

قال الشيخ رحمه الله تعالى (عرفت أن التوحيد الذي جحدوه) يعني : جحده المشركون (هو توحيد العبادة) يعني : أن لا يعبد إلا الله . وأن لا يتوجه إلا إلى الله وأن لا يدعى إلا الله وأن لا يستغاث إلا بالله جل وعلا فيما لا يقدر عليه إلا الله وسائر أنواع العبادة .

قال (هو الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً . فهل المشركون لم يكونوا يدعون الله؟ كانوا يدعون الله وكانوا يتقربون لله . ومع ذلك هم مشركون لما ؟ لأنهم أشركوا. دعوا الله ودعوا معه غيره . ذبحوا لله وذبحوا مع ذلك لغيره . نذروا لله ونذروا مع ذلك لغيره . استغاثوا بالله ومع ذلك استغاثوا بالأرواح بالملائكة بالجن بالصالحين بالأنبياء إلى غير ذلك . فصارت هناك شركة : جعلوا لله عبادات وجعلوا أيضاً لتلك الأرواح شيئاً من أنواع العبادة .

قال رحمه الله بعد ذلك (ثم منهم من يدعوا الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له) من المشركين من يدعوا الملائكة . كما قال جل وعلا في سورة سبأ:

﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴾ لأنهم عبدوهم فهل كانوا يعبدون الملائكة في الحقيقة أجابت الملائكة بما أخبر الله جل وعلا في قوله : ﴿ قالوا سبحانك ﴾ تنزيها لك عن أن يكون معك معبود بحق . تنزيهاً

لك أن نستحق العبادة . تتريهاً لك عن ذلك الظلم الــذي وقــع مــن النـــاس بإشراكهم الملائكة مع الله في الدعاء والعبادة: ﴿قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ .

فحقيقة أولئك : أهم في اعتقادهم أهم سألوا الملائكة . وفي اعتقادهم أن توسلوا بالملائكة في اعتقادهم أهم استغاثوا بالملائكة لكن حقيقة الأمر . أهم اســتغاثوا بالجن أهم عبدوا الجن . لأن الجن تأتي وتتكلم عن ذلك الوثن تتكلم عن القــبر تتكلم عن الصنم . فيظنون أن الذي كلمهم الملك . يظنون أن الذي خاطبــهم وخاطبوه وسألوه إنما هم الملائكة . وفي الحقيقة إنما هم شياطين الجن مهمتهم أن يغووا الإنس . لأن إبليس قال لربنا جــل وعــلا: ﴿لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً﴾ وقال جل وعلا عنه في آية أخــري ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ .

فدل على أن الذين استثني الله جل وعلا من أن يقعوا في حبائل إبليس إنما هم عباد الله المخلصون وهم الذين أخلصوا لله جل وعلا دينهم فخلصوا لله سبحانه وتعالى وأخلصهم الله جل وعلا من الشركة في العبادة والتوجه .

قال (منهم من يدعوا الملائكة لأجل صلاحهم وقرهم من الله) هذه مقــدمات مهمة يعني : لم عبدوا الملائكة ؟ هل رأي الناس الملائكة ؟

ما رأوا الملائكة . هل اعتقدوا في الملائكة اعتقاداً وهم لا يعرفون حقيقة الملائكة ؟ لا وإنما اعتقدوا في الملائكة لأهم يعلمون أن الملائكــة أولاً : أرواح طــاهرة

صالحة لا يعصون الله ما أمرهم وأنهم لم يعصوا الله جل وعلا و لم يرتكبوا خطيئة . والثاني : أنهم مقربون عند الله جل وعلا .

فإذاً شرك المشركين بالملائكة كان من جهة شبهتين :

الشبهة الأولي : أنهم أرواح طاهرة صالحة لم تعصي . ولذلك كانت أرفع من البشر أرفع من المخطئين من العصاة . فإذا أراد العاصي أن يتقرب إلى الله ضعفت نفسه فذهب يتقرب بأرواح طاهرة إلى الله لظنه أنه لأجل معصيته لا يستطيع أن يصل إلى الله ﷻ . هذا واحد .

الثاني : لأجل قرب الملائكة من الله جل وعلا . فتعلق المشركون بالملائكة لأجل هاتين العلتين . صلاح الملائكة وطهرة أرواحهم ثم لأجل قربهم من الله جل وعلا .

إذا تأملت وجدت أن هذه الحقيقة هي الموجودة في المشركين في كل زمان . ومع تغير الأحوال وتغير المتعلقات إذا سألت النصارى : لم دعوا مريم ؟ لم يستغيثوا بمريم عليها السلام ؟ لم يستغيثوا بالرسل رسل المسيح ؟ لم يستغيثوا ببطارقتهم الأموات والأحياء ؟ لم يصورون التصاوير ويجعلونها في كنائسهم تصاوير الرجال الصالحين أو مريم وعيسي ؟ لم يعبد اليهود بعض البشر ويتعلقون بأرواحهم ؟ لم عبد قوم نوح تلك الأرواح ؟ لم عبد قوم إبراهيم تلك الأصنام والأوثان ؟ وهكذا إلى زمن المشركين في الجاهلية . جاهلية العرب إلى زماننا هذا

وجدت أن الشبهة هي الشبهة . الشبهة هي الشبهة في الملائكة . أولاً : أرواح طاهرة . ثانياً : قربها من الله جل وعلا فمن أراد أن يجعل لله جل وعلا شريكاً في العبادة يتوجه إليه بأي نوع من أنواع العبادة فنقول له الملائكة أحق بأن تكون آلهة لأن الملائكة أرواح طاهرة بالاتفاق وهي مقربة عند الله جل وعلا بالاتفاق

﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ﴾
الله جل وعلا يخبرنا عن الملائكة بأنهم صالحون لا يعصون الله ما أمرهم وأنهم مقربون عنده وأنهم يستغفرون للذين أمنوا . فسؤال الملائكة أولي من سؤال غيرهم لأن طهر أرواحهم متفق عليها .ولأن صلاحهم متفق عليه . ولأن قربهم من الله جل وعلا متفق عليه ولأنهم يستغفرون عند الله للذين آمنوا باتفاق .
وهذا معناه : إذا كان ذلك الشيئان صحيحين فمعنى ذلك : أن الشرك بالملائكة جائز إذا كان التعلق بأرواح الصالحين واعتقاد أنه لقربهم من الله يكون لهم بعض العبادة . فمعنى ذلك أن سؤال الملائكة والشرك بالملائكة جائز والله جل وعلا أخبرنا في القرآن بأنه يقول للملائكة يوم القيامة ﴿ أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴾ فتقول الملائكة ﴿ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾

فمن أجاز الاستغاثة بالأولياء أو بالصالحين فقل له : أليست الملائكة أرواح طاهرة صالحة . وأليست الملائكة مقربة عند الله جل وعلا . فإذا قال : بلى هي كذلك . فقل فلم لا تقول ، بجواز الاستغاثة بالملائكة ؟
لم لا تقول : بأن الملائكة لها الأحقية في أن يطلب منها لأن السبب الذي من أجله توجه للموتى من الصالحين والرسل والأنبياء متحقق في الملائكة .
والعرب ومن قبلهم لأجل قوة أذهانهم في مسائل العبادة وحرصهم عليها جعلوا المسألة واحدة بدون تفريق . عبدوا الملائكة وعبدوا الصالحين وعبدوا الأنبياء لأن

القدر المشترك بين هؤلاء موجود وهو أنهم صالحون وأرواح طاهرة ومقربون عند الله ﷻ . لكن المشركون من هذه الأمة لم يعبدوا الملائكة وإنما عبدوا من زعموهم صالحين أو من هم صالحون في نفس الأمر . وبهذا نعلم أن حقيقة شرك المشركين في كل زمان إنما هو راجع إلى هاتين الشبهتين شبهة صلاح المستغاث به . صلاح المعبود والشبهة الثانية : قربه من الله ﷻ .

قال هنا : (لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له) هذه الغاية ذاك سبب لم الهوا الملائكة للسببين الذين ذكرنا . ما الغاية من سؤال الملائكة ؟ ما الغاية من عبادة الملائكة ؟ غايتها : أن يشفع الملك عند الله للسائل . نفهم من ذلك أن سؤال أولئك للملائكة لم يكن عن اعتقاد بأن الملك يعطيه مباشرة . وأنه يستقل بالإعطاء ويستقل بالإمضاء وإنما هو اعتقاد في الملك . بأنه لأجل صلاحه وقربه يملك أن يشفع عند الله ولأجل قربه وجاهه لا يرد الله جل وعلا طلبه .

إذا تقرر ذلك فبه تعلم : أن ليس من شرط الشرك أن يكون السائل لتلك الأرواح وللأموات وللملائكة . أن يعتقد أنها تنفع استقلالا كما زعم أكثر مشركي هذا العصر أنهم يعني عبادة القبور وعبادة الأوثان . لا يسألون الموتى باعتقاد أنهم ينفعون استقلالا وإنما يقولون : نسألهم لما لهم من المقام عند الله حتى يشفعون لنا .

إذا كان هذا الأمر واقعاً من أهل العصر . ومن عصر الشيخ ومن قرون فالملائكة أشركت العرب بها وأشرك المشركون بالملائكة لأجل الشفاعة فقط ومع ذلك قال الله جل وعلا : ﴿أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ .

فالغاية وإن كانت ربما تكون يعذر بها المرء لكن الوسيلة كانت بالشرك فالطمع في رضا الله جل وعلا هذه غاية طيبة وكل العباد يطمعون في رضا الله جل وعلا

لكن لابد أن يكون طلب رضا الله جل وعلا بوسيلة مشروعة وعبادة الملائكة وعبادة الصالحين لا يحصل بها رضا الله جل وعلا ولو كان الذي عبد قال : ما عبدتهم إلا لأجل أن يعفوا الله عني وإلا فالله جل وعلا هو الذي يعفوا هؤلاء وسائط

نقول هذا هو الذي من أجله حكم على أهل الإشراك بالشرك كما قال جل وعلا في أول صورة الزمر: ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾

فإذاً الغاية أن يقرب المسؤول السائل إلى الله زلفى .

ليست غاية المشرك في الزمن الأول : أن يعبد المسؤول لقصد أن يعبده هذا غير موجود . يعبد الصنم لغاية أن يعبد الصنم في ذاته أو يعبد الملك لغاية أن يعبد الملك في ذاته ؟ لا وإنما يتقرب بالقرابين حتى يعطف عليه الملك ويرفع حاجته إلى الله يتقرب بالقرابين إلى الميت حتى يعطف عليه الميت بروحه . وكل ما تقرب أكثر ازدلف منه وقرب منه فيرفع حاجتة إلى الله جل وعلا فأذن غاية المشركين في عبادة غير الله جل وعلا أن يصلوا إلى الله ﷻ وهذه هي الغاية الموجودة في أهل هذا الزمان . يقولون ما نعبد هذه ما نتوجه هذه التوجيهات بأننا نعتقد في هذه الأموات أوفي الأرواح أنها تملك الأشياء استقلالاً حاشا وكلا وإنما لأجل أن تتوسط عند الله جل وعلا فهي أرواح طاهرة وهم مقربون عند الله . نقول : هذا هو عين شرك الأولين . هو عين الإشراك الذي وقع في كل أمة بعث إليها رسول ينهاهم عن الشرك ويأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له . مهم أن تفهم الحقائق

لأن تغير الصور وتلبيس الأمور وتسمية الأشياء بغير أسمها . هذا لا يغير الحقـــائق في الشرع وما جاء التلبيس إلا من جهة الألفاظ أن تسمي الأشياء بغير اسمها .

قال بعد ذلك في صورة ثانية مثال آخر (أو يدعوا رجلاً صالحاً مثل اللات)

قال جل وعلا ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى ﴾ وفي قراءة ﴿ أفرايتم اللات والعزى ﴾ واللات : رجل كما قال ابن عباس : كان رجل صالح يلت السويق ويطعم الحاج وكان يجلس يفرق ذلك عند صخرة فلما مات جعلوا قبره في ذلك المكان وصاروا يتناوبون عليه لصلاحه ويستغيثون به ويسألونه لأجل أنه أمضى حياته في صلاح ونفع للناس . فاعتقدوا فيه .

فهذا اللات أشرك به العرب لأجل أن روحه طاهرة وأن أعماله في الدنيا صالحة . فقالوا : هو إذاً مقرب عند الله جل وعلا فإذا كان كذلك فلنتقرب إليه بالقرابين . بالذبح النذر فلنستغث به فلندعوه ليرفع الحاجات إلى الله جل وعلا وهذا هو : عين شرك المشركين . بالآلهة المختلفة بالموتى بالأنبياء بالحسين وزينب وبالبدوي بالعيدروس . بعبد القادر وأنواع الموتى من الأنبياء والصالحين . لأجـــل هـــذه الشبهة : الصلاح والقرب من الله جل وعلا . قال : (أو نبياً مثل عيسي) مثـــل الشيخ رحمه الله بثلاث أمثلة :

الأول : الملائكة الثاني : رجل صالح : اللآت الثالث : الأنبياء : عيسي .

وعيسى اتخذ إلها يسأل ويطلب منه . ويستغاث بـــه ونـــزل الحاجـــات بـــه . والنصارى مختلفون في عيسى . إما أنه يرفع الحاجات إلى الله جل وعلا ولا يـــرد الله جل وعلا طلبه . كما هو اعتقاد طائفة من النصارى أو لأنه تشخص للإله أو

كما يقولون أحد الأقانيم الثلاثة يعنى : صفة وصورة من صور الإلــه في بعــض أحواله حيث اتحد كما يقولون : اللاهوت في النا سوت في هذه الصورة .

فصورة حلول الإله في البشر متمثلة في عيسى عند طائفة من النصارى فالنصارى يستغيثون ويسألون عيسى إما على أنه بعض الإله أو على أنه مقــرب عنــد الله الواحد ويسأل لأجل قرب مكانه عند الله فهذه ثلاث أمثلة :

الأول : استغاثة أو تأليه الملائكة بسؤالهم ودعاؤهم والاســتغاثة بهــم وإنــزال الحاجات بهم والتعلق بهم ورفع ما يريده العباد عن طــريقهم يعــنى أن يكونــوا وسطاء .

الثاني : بالرجال الصالحين مثل : اللآت وبعيسى . فهذه الأمثلة الثلاثة إذا تأملتها وتدبرت وفهمت لم أشرك من توجه إلى الملائكة ؟ وبم وكيف أشرك من توجــه إلى الرجل الصالح ؟ اللآت ؟ وبم أشرك من توجه إلي عيسى ؟

علمت حقيقة الشرك . و لم يلبس عليك بعد ذلك ملبس أو يقول قائــل : هــذا الذي يمارس اليوم ليس بشرك . وإنما من سماه شركاً أكبر مخرج من الملة تشــديد من المتشددين أومن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله ودعوته ومن اتبعــه على ذلك لأن حقائق الأشياء هي التي تفصح لك عن الأمور .

قوله (أو نبياً مثل عيسى) دليله قول الله جل وعلا في سورة المائدة في آخرها

﴿ وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أءنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته .﴾ ... مع قــول

عيسى عليه السلام ﴿ يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾

قال : (وعرفت أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قاتلهم على هذا الشرك لّم قاتل النبي ﷺ قريش والعرب لأنهم كانوا مشركين . بم كانوا مشركين ؟ بما ذكرنا سالفا : بعبادة غير الله . هل كانوا يعبدون غير الله لقصد ذلك الغير أم لأجل الوساطة والتوسل ؟ لأجل الوساطة والتوسل بنص القرآن ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾

لم يكونوا يتوجهون للات وهو الرجل الصالح أو للأنبياء لقصد أن يتوجهوا إليهم استقلالا ؟ لا .

إنما كان لأجل التقرب إلى الله جل وعلا فكل يريد التقرب إلى الله وهذا التقرب كان عن طريق الواسطة ولأجل هذه الواسطة صاروا مشركين .

لما توجهوا إلى الموتى وإلى الغائبين وإلى الملائكة بأنواع العبادات .

قال (وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك)

قاتلهم استحل دمائهم وأموالهم . وجعل من يقاتل أولئك شهيداً إن مات في قتالهم وجعله موحداً . وأولئك جعلهم مشركين . من قتل من أولئك شهد عليه النار . ومن قتل من المسلمين شهد له الجنة إن كان قتاله لله .وهكذا .

لم قوتلوا ؟ وبم استحلت أموالهم ودمائهم ؟ لأجل أنهم مشركون ذلك الشرك .

ولهذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله قال في رسالة له : (وعرضت ما عندي من التوحيد على علماء الأمصار فوافقني طائفة والأكثر ون وافقوني على التوحيد . لكن عظم عليهم التكفير والقتال وهاتان المسألتان ترتيب حتمي لما قد

مناه .) يعني إذا ثبت أنهم مشركون ؟ فلابد أن تترتب أحكام المشركين لابد أن يقاتلوا مع القدرة على ذلك . لابد أن يقاتلوا وإذا قوتلوا لابد أن يكون هناك تميز : هؤلاء موحدون وهؤلاء مشركون ولابد أن يكون هناك نشر للتوحيد ودحض للشرك وإقرار لما يحب الله جل وعلا ويرضي من الإخلاص . وعبادته وحـــده لا شريك له في القتال قال : (خالفوني في القتال والتكفير) لأن التخلص من تأثير الناس في حقائق الأشياء يحتاج إلى علم راسخ . وإلى تجرد مـــن علائـــق النـــاس وشبهاتهم فالشيخ رحمه الله في هذه الرسالة يريد منها أن يكشف الشبهات . وبين أن التوحيد هو حق الله جل وعلا وأن ما يمارسه الناس في هذه الأزمنة بما يسمونه الاعتقاد والتعلق بالأرواح ونحو ذلك . والاعتقاد بالميت ويسمونه السيد أن هـــذا هو عين الشرك . يترتب على ذلك الأحكام بقية الأحكام مـــن الـــتكفير أولاً ثم قاتلهم على أنهم كفار ومشركون .

وشرح الله جل وعلا صدر الشيخ وصدر أئمة الدعوة في أول هذا الزمان . حتى انتشرت دعوة التوحيد ولله الحمد بهذه الدعوة المباركة وبتأييد من نصرها وأيدها بالسيف والسنان وهو الإمام المجاهد محمد بن سعود رحمه الله تعالى وكذلك أبنائه من بعده وبقيت هذه الدعوة في الناس إلى اليوم لتساند السنان مع القرآن في ذلك وهذا لابد منه لأن الدعوة لا يمكن أن تنتشر ألا بقوة تحميها .

وشيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى . دعوته وعلمه كـــان واســـعاً ونشـــر التوحيد ودعا إلى ذلك وصنف المصنفات . لكن لم يكن له سيف يحميه فســـجن ولم يتمكن من نشر التوحيد في الناس لكن الإمام المصلح محمد بن عبد الوهـــاب رحمه الله أيده الله جل وعلا بالأئمة من بيت آل سعود المبارك . ونشـــروا هـــذه الدعوة في الناس وبقيت إلى هذا الزمان .

الناس الذين اعترضوا على هذه الدعوة قالوا : هذه الدعوة قاتلت الناس وتجد في كتب تواريخ نجد يقولون : قاتل المسلمون المشركين ويستعظم النـــاس كيـــف يسمى أتباع الدعوة مسلمين . وكيف يسمى الآخرون مشركين . أقول : هـــذه حتمية لأن توحيد الله ليس فيه مجاملة إنما هو حق وباطل (فماذا بعد الحـــق إلا الضلال)

فلابد من ترتيب أحكام التوحيد والشرك في الأرض . فإذا وجد الشرك لابد أن توجد الأحكام المناطة بذلك . وهو أن يوصف أولئك بأنهم مشركون . وأنهـــم كفار ولابد من قتالهم مع القدرة حتى يكون الدين كله لله جل وعلا .

قال الشيخ رحمه الله هنا (وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هـــذا الشـــرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده كما قال تعـــالى ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا** ﴾ . (قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده) يعني إلى التوحيد إلى أن لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له . أن لا يتوجه بشيء من أنواع العبادة إلا لله جل وعلا وحده .وهذه الرسالة موضوعة لبيـــان حقيقة التوحيد وكشف كل شبهة أدلى بها خصوم الدعوة في مسائل التوحيـــد . وبيان أن هذا الأمر حق لالبس فيه . ومن درس التوحيد حق الدراســـة انشـــرح صدره لهذا الأمر أعظم انشراح وصار في قلبه عن تعظيم الله جل وعلا وتعظـــيم التوحيد ما به يستطيع أن يرد إلى أي مبطل في هذا الأمر .

ولهذا يذكر أن أحد العامة من أتباع الدعوة قال له بعض المشككين أنتم متعصبون للشيخ محمد بن عبد الوهاب لأنه من نجد ومن أهلة لذلك تتعصبون له فقـــال : هذا العامي لذلك المدلي بهذا الكلام لو خرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب مـــن

قبره وقال : ما دعوتكم إليه وما ذكرته لكم غير صـــحيح مـــا قبلنـــا كلامـــه واستمررنا على التوحيد لأنهم ما أخذوا به تقليداً وإنما أخذوا به عن حجة بينـــة واضحة فلو أتى آت وقال هذا غير صحيح مثل ضل ضال كان مـــن الموحـــدين كان من أتباع السلف كان من السلفيين ثم بعد ذلك أنقلب إلى شيء آخر انقلب إلى طائفة المشركين والمبتدعة فهل يشك الموحد في ما عنده من الحق ؟ لا. لما ؟ لأنه عرف الحق بدليله عرف الحق بالنص من الكتاب والسنة وفعل سلف الأمـــة والعلماء في هذه الأمة ليسوا كعلماء النصارى يُقبل ما يقولون هكذا مطلقاً بـــل هم أدوات لفهم نصوص الكتاب والسنة ليسوا مستقلين ما يقال يطاع فيـــه دون نظر إن قال الشيء وبين الحق قبلت منه الأمة . والأمة لا تقر أحداً على ضـــلالة فإذا ضل ضال بينت الأمة ضلاله ولله الحمد لأنه لا تزال طائفة من الأمة علـــى الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمـــر الله ، هـــذه المقدمات من المهم أن تراجعها مرة تلو الأخرى لأن بها بيان ما في هذه الرسالة ، أسأل الله جل وعلا لي ولكم الانتفاع بما سمعنا والانتفاع بما سيأتي بيانه إن شـــاء الله تعالى .

* * * *

س ما رأيك في كتاب الأصنام للكلبي ؟

ج الكلبي متهم في حديثه لكن من جهة التاريخ والأخبار والأشعار يقبل العلمـــاء ما يذكره من ذلك لأنه أخباري أو إخباري نسابة معروف من العلماء المعروفين في التاريخ يعني في الأخبار وفي النسب وما ذكره في كتاب الأصنام مما كان عند العرب أكثره صحيح يعني العلماء تتابعوا على النقل عنه .

س تقول أليس شرك أهل هذا العصر أعظم من شرك المشركين الأولين . لأنهـــم يعتقدون فيها أنها تنفع وتضر بذاتها ؟

ج لاشك طائفة من أهل هذا العصر زادوا على المشركين مشركي الجاهلية بأشياء كما ذكر ذلك الشيخ محمد رحمه الله في القواعد الأربع في آخرها القاعدة الرابعة أن مشركي زماننا أعظم شركاً من المشركين الأولين لأن الأولين يشركون بـــالله جل وعلا في الرخاء أما في الضراء إذا أصابتهم الشدة توجهوا إلى الله وحده كما قال تعالى: ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ وقال جل وعلا ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ﴾ وقال جل وعـــلا ﴿ حتى إذا ركبوا في الفلك ﴾ ....قال جل وعلا في سورة يونس ﴿ وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف. . .إلى أن قال . . . . . دعوا الله مخلصين له الدين لأن أنجيتنا من هذه لنكون من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق ﴾

وشرك المشركين الأولين يشركون في الرخاء أما في الضراء فيلتجأ لله وحده وأما أهل هذا الزمان فإنهم يشركون بغير الله في السراء والضراء .

س ما حكم الصلاة في مكان فيه صور ؟ أو تمثال ؟

ج إذا كانت الصورة أو التمثال في غير جهة المصلي يعني في غير القبلة فالصـــلاة صحيحة . لكن بالجملة فالصلاة في مكان فيه صورة لا تجوز .

صورة أو تمثال يعني صورة معلقة أو تمثال منصوب أو نحو ذلك في نفس المكان لا تجوز لكن إذا لم يكن في جهة المصلي أو في بقعته يعني في مكان سجوده وصلاته

فإن الصلاة صحيحة لأن النهي ما توجه إلى البقعة قد علمت أن النهي يقتضي الفساد إذا كان راجعاً إلى شرط من شروط الصلاة والبقعة من الشروط لكن المقصود البقعة التي يصلي فيها لا ما حولها والصحابة رضوان الله عليهم صلوا في الكنائس وفيها صور لأنهم توجهوا إلى القبلة في مكان ليس فيه صورة في قبلتهم لما صلوا .

نكتفي بهذا القدر

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى (وتحققت أن رسـول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله . والنذر كله لله . والذبح كله لله . والاستغاثة كلها بالله (وجميع العبادات كلها لله).

وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء . يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحـل دمائهم وأموالهم عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً .وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمـد عبـد ورسوله .ﷺ تسليماً مزيداً ....أما بعد .

فأسأل الله جل وعلا لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح والخاتمة الحسنة . هـذا الكتاب وهو كتاب كشف الشبهات لإمام هذه الدعوة الإمام المصـلح المجـدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة . معقـود لبيـان الشبهات التي أحتج بها أعداء الدعوة على الإمام فيما أورده . وقد بينـت لكـم فيما سلف أن تلك الاحتجاجات وذلك العلم الذي عند المشركين احتجاجـات باطلة وعلم غير نافع لأن الله جل وعلا بين أن مجادلة أولئك إنما هي عليهم . كما قال جل وعلا :

﴿ والذين يحادون في الله بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم ﴾ فلـو سموها حججا ولو سموا ما عندهم أدلة وبراهين فإنها حجج داحضة وأدلة راجعة

بالإبطال على مقالهم وبراهين لا تستقيم لهم إلا بما عندهم من الفساد في التصور أو الفساد في التعلق بغير الله جل وعلا كذلك ذكرنا أن من أعظم السبل التي يبين لك بها دين المرسلين عليهم صلوات الله وسلامه أن تعلم حال أهل الجاهلية قبل بعثة الرسول ﷺ فإن حال أهل الجاهلية معروف بين . وطريق معرفته ما جاء في القرآن من وصف مقالهم ووصف فعالهم ووصف اعتقاداتهم ووصف أحوالهم . فهذا فيه تقرير للحال التي كانوا عليها كذلك من سبل معرفة ما كانوا عليه من الأحوال والاعتقادات الباطلة . معرفة أشعار العرب لأن فيها ما كانوا عليه ومن سبل ذلك معرفة قصص العرب .والتاريخ الذي نقله المؤرخون عنهم ومن الأمر المقرر الواضح في الكتاب والسنة عن حال المشركين من أهل الجاهلية ومما بينه المؤرخون بما هو واضح أن أولئك الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ كانوا يعبدون الله ﷻ وكانوا يصلون وكانوا يتصدقون وكانوا يحجون البيت ويعتمرون وكانوا يتنزهون من بعض النجاسات وكانوا يغتسلون من الجنابة كما سبق أن ذكرت لكم أدلة هذه الجملة مفصلة في أول الشرح عند قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أول الرسالة (وآخر الرسل محمد بن عبد الله وهو الذي كسر صور الصالحين أرسله الله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب إلى الله) إذاً فمدار الصواب في العبادة أن لا يعبد إلا الله الملك الحق المبين وأن دعوة غيره باطلة (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعو من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير) وإقرار المشركين بأن لهم رباً خالقاً رازقاً ويقولون ما شاء الله ويقولون لا حول ولا قوة إلا بالله وما شاكل ذلك الكلام ويدعون ويتصدقون ويحجون ويعتمرون لم يجعلهم ذلك مسلمين بل كانوا مشركين لأنهم لم يوحدوا الله جل

وعلا في العبادة وهو الذي نقول : إن معناه لم يفردوا الله جل وعلا بأفعالهم التي يتقربون بها يرجون بها الثواب ويخافون بها العقاب وإنما توجهوا بهـــا إلى آلهتـــهم المختلفة ولما جاءهم محمد بن عبد الله ﷺ وبين لهم الدين وبين لهم توحيد الألهيه لم ينكروا أحقية الله جل وعلا بالعبادة ولكن أنكروا إبطال استحقاق تلك الآلهة بشيء من العبادة كما قال جل وعلا عنهم في سورة الصافات ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أن لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون . بل جاء الحق وصدق المرسلين ﴾ وقال جل وعلا في صورة ص ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾

إذاً هذه القاعدة هي أعظم ما به تكون المقدمة لرد أي شبهة يحتج بها المشـــركون ويحتج بها علماء المشركين في التعلق بغير الله جل وعلا في أي نوع من التعلقـــات فإنهم استعظموا أن يكون الذين يعبدون الموتى ويعمرون المشاهد بالذبح والنـــذر للأموات وما أشبه ذلك يستبعدون بل يتعاظمون أن يكون أولئك مشركين فـــإذا قلت لهم لم ؟ قالوا: لأنهم يذكرون الله ويصلون وهم إنما أرادوا بذلك الله جـــل وعلا اتخذوا هؤلاء واسطة فقط و لم يريدوا الاستقلالية وإلا فـــإنهم يعلمـــون أن الرازق على الحقيقة هو الله . ولكن هؤلاء الأموات واسطة فهذه المقدمة من كلام الشيخ رحمه الله وما ذكرت لك من بيانها تبين لك أن هذه الحجة من المشركين هي الحجة التي سلفت فهي احتجاج قوم نوح على نوح وهي احتجـــاج أقـــوام المرسلين علي المرسلين وهي احتجاج قريش والعرب على محمد ﷺ . كما قـــال سبحانه وتعالى

﴿والذين اتخذوا من دون الله أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ إذا عرفت أنهم إنما أرادوا الواسطة عرفت أنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية مقرين بأن لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ولا يحيي ولا يميت إلا الله جَلَّ وَعَلا وأنهم كانوا يذكرون الله ويتعبدون ويصلون الصلاة على حسبها ويحجون ويعظمون البيت وربما كان من بعضهم إخبات وإنابة لكن لما لم يكونوا مفردين الله جل وعلا بالعبادة قاتلهم محمد ﷺ إذا فالعبرة في تحقيق كلمة التوحيد لا إله إلا الله ومشركو العرب يعلمون معنى هذه الكلمة ولهذا لما قال النبي ﷺ لهم (قولوا كلمة واحدة فقالوا : نقول وربك عشر كلمات قال : قولوا لا إله إلا الله فأبوا لأنهم يعلمون أن هذه الكلمة إذا ما قالوها وشهدوا بها أن فيها إبطال كل التعلقات بالآلهة لأنه معنى لا إله إلا الله لا معبود حق إلا الله جَلَّ وَعَلا ومعنى ذلك : أن كل من عبد غير الله جل وعلا فإنما عبد بغير الحق عبد بالبغي بالظلم بالعدوان من الناس على حق الله جَلَّ وَعَلا لهذا لما ذكر الشيخ هذه المقدمات قال في هذا المقطع الذي وقفنا عنده (وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله والنذر كله لله والذبح كله لله والاستغاثة كلها بالله وجميع أنواع العبادات كلها لله) هذا من جهة التمثيل مثل بالنذر والذبح والاستغاثة لأن الشرك بالله جل وعلا في هذه الأشياء كان أكثر شيوعاً في زمن إمام الدعوة رحمه الله تعالى وإلا فإن أصناف شرك المشركين وصرفهم للعبادة لغير الله جل وعلا كثيرة ويجمعها قوله في آخر الكلام (وجميع أنواع العبادات كلها لله وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام هذا احتجاجهم أننا موحدون لله لا نقول : إن ثم رازق إلا الله وليس ثم محيي إلا الله نحن مؤمنون بالله بأنه يرزق ويخلق ويعطي وأنه

يجيب دعوة المضطر وأنه وأنه لكنهم لم يبطلوا الوسائط لم يبطلوا قصد غـــير الله جل وعلا بالعبادة) .

ولهذا قال سبحانه وتعالى عنهم : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ قال السلف في تفسيرها في هذه الآية من آخر سورة يوسف معنى قوله ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله ﴾ يعني وما يؤمن أكثرهم بالله بأنه هو المتفـــرد بـــالخلق والـــرزق والإحياء والإماتة إلا وهم مشركون به في العبادة فقد جمعوا إيماناً وشركاً .

فلا تتصور أن المشرك الذي يحكم عليه بأنه مشرك أنه خلو الوفاض وخلو القلب من الإيمان بالله أصلاً هذا لا يُتصور ، وإلا لكان المشرك الذي هو يجحـــد كـــل أنواع الإيمان ، يعني الذي يجحد الربوبية ، ويجحد وجود الله جل وعلا ، وهـــذا ليس هو الذي احتج القرآن على أصحابه بل القرآن فيه إقامة الحجج على أن الله جل وعلا واحد وأنه هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه : ﴿ قل الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى ءآلله خيراً أم ما يشركون * أإله مع الله بل هم قومٌ يعدلون * أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ إلى آخر الآيات في سورة النحل وفي كل آية .

فإذن نسأل ونقول : بما صار أولئك مشركين ؟ قال الشـــيخ رحمـــه الله :(وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بـــذلك هو الذي أحل دمائهم وأموالهم) يعني : أن سبب كفر المشركين وسبب الحكـــم عليهم بأنهم كفار مشركون حلت دمائهم وحلت أموالهم ، هذه الأشياء قصـــد غير الله جل وعلا قصدا الملائكة ، قصدا الأنبياء ، قصدا الأولياء .

أما قصد الملائكة فإنهم كانوا يقصدون الملائكة لطلب الحاجات كما قال جل وعلا في آخر سورة سبأ عنهم : ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ فكانت الملائكة تُعبدُ ، لكن في الحقيقة الذي عُبد هم الجن لأنهم طلبوا من الملائكة والذي أجابهم لطلبهم الجن ، ليبقوا على الشرك وكذلك الأنبياء سئلت الأنبياء في قبورها واستُغيث بها وذُبح لها ونُذر ، ومن سأل ربما أُجيب سؤاله وإجابة السؤال من جهة الجن .

فيكون الجن ربما أحضر للناس شياطين الجن أحضر لذلك السائل بعض الأشياء أو عرفه ببعض الأشياء لتقع المصيبة هذا في أكثر الأحوال ، وإلا فإنه من المقرر :أن إجابة الدعاء من فروع الربوبية ، وليس من فروع الإلهية لأن المشرك قد يدعو الله جل وعلا ويستجيب الله جل وعلا لدعائه كما قال سبحانه وتعالى : ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر﴾ فإجابة الدعاء من جنس إعطاء الرزق ، من جنس إعطاء المآكل والمشارب والأولاد فإنه قد يدعو الكافر وستجاب له لأن إجابة الدعاء ليست خاصة بإجابة المسلم بل هذا عدو الله إبليس سأل الله وقد أبى واستكبر وكان من الكافرين أن يؤخره إلى يوم الدين فأجاب الله دعائه وسؤاله فأخره فإذا هنا حينما يسأل نبي من الأنبياء أو يسأل ولي من الأولياء عند القبر فيجاب السؤال أو يحصل له ما طلب فسبب حصول ما طلب أحد شيئين :

الأول : أن يكون شياطين الجن أحضرت له ما طلب أو كان ثم سـبب فأزالتـه الجن يعني سبب من جهة الجن إما امرأة ما تحمل بسبب شياطين الجن أو شـيء مفقود كان بسبب شياطين الجن أو نحو ذلك أو أراد أن يكلم هذا الميت فكلمـه شيطان وما أشبه ذلك يعني مما تقدر عليه الجن هذا نوع .

الثاني : أن يكون سأل متوسطاً بصاحب القبر لكنه قام بقلبـه حـين السـؤال اضطرار وحاجة ملحة فأجاب الله جل وعلا سؤاله لأجل الاضطرار والله جـل وعلا أطلق إجابة المضطر فقال سبحانه ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه** ﴾ .

فالمشرك إذا كان مضطراً يجاب ولو كان في سؤاله بعض الشرك لأنه يكون هنا غلب عليه جهة الاضطرار .

ولهذا حقق العلماء أن إجابة سؤال المشرك عند القبر ليس سر فيه القبر كما يقوله المشركون وإنما يكون ثم شيء آخر إما من جهة شياطين الجن وإما أمر آخر قـام بالقلب منه مثلاً : الاضطرار وإنزال الحاجة والانكسار بين يدي الله جل وعـلا فيظن الظان أن سبب إجابة الدعاء بركة القبر وإنما هو من جهة ما قام بالقلب من الاضطرار لأن إجابة الدعاء من فروع الربوبية ، والربوبية ليست خاصة بمسـلم دون كافر، إعطاء الأرزاق ليس خاصاً بالموحدين ، بل يعطي الله جـل وعـلا الجميع كما قال جل وعلا في جواب سؤال إبراهيم قـال : ﴿ **ومن كفر فأُمتعه قليلاً ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير** ﴾ .

قال : (وإن قصدهم الملائكة أو الأنبياء) ، الأنبياء قصدها العـرب وقصـدها المشركون من أهل الملك عُبد موسى وعُبد عزير وعُبد المسيح من دون الله جـل وعلا وقصد أولئك لأجل الوساطة لأجل التقرب إلى الله جل وعلا بهم فصار من

قصدهم مشركاً ، حلال الدم والمال لا لأنه طلب منهم استقلالاً ولكن لأنه طلب منهم بالوساطة .

قال : (أو الأولياء) والأولياء أُشرك بهم كما قال جل وعلا : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ قصدوا هؤلاء : الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون ماذا ؟ هل قصدوهم يعني العرب يريدون أن يجيب هؤلاء استقلالاً ، أم قصدوا أولئك بالعبادة يريدون الوساطة يريدون الزلفى يريدون الشفاعة .

قال الشيخ رحمه الله هنا (يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك) إذن فشرك الأولين من جهة الوساطة شرك قوم نوح من جهة التوسط بالصالحين وشرك قوم إبراهيم من جهة التوسط بما زعموه روحانية للكوكب وشرك العرب فيه هذا وفيه هذا وإن كان الغالب عليه أنه شرك بالصالحين .

قال : (هو الذي أحل دمائهم وأموالهم) إذن مع كونهم يقرون بالربوبية ومع كونهم يتعبدون ولهم أذكار ونحو ذلك لكن لما قصدوا غير الله بالعبادة ولو كان على جهة التوسط فإن ذلك أحل دمائهم وأموالهم لأن عندنا مقدمة يقينية ونتيجة متيقنة .

المقدمة اليقينية الأولى : أنهم قصدوا الملائكة والأنبياء والأولياء هذا بيقين من القرآن ومن حال العرب .

المقدمة الثانية : أنهم قصدوا الملائكة والأنبياء والأولياء وغير هذه الأشياء يريدون التقرب إلى الله زلفى ولا يريدون الاستقلال لا يريدون الطلب عل جهة الاستقلال وإنما أرادوا الطلب على جهة التوسط فهذه المقدمة الأولى يقينية والثانية

أيضاً يقينية لقول الله جل وعــلا ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلفى ﴾

وقد ذكرت لكم أن قوله ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ هذا حصر العلة في عبادتهم لإنتاج المعلول وهو التقرب إلى الله زلفى يعني أنهم ما توجهــوا لهــم لأجلهم بذاتهم ولكن لأجل أن يوصلوهم إلى الله جل وعلا فهاتــان المقــدمتان يقينيتان والنتيجة أيضاً يقينية وهو : أن دمائهم حلت وأموالهم حلت للــنبي ﷺ ولأصحابه بإحلال الله جل وعلا ذلك لهم وأن سبب الحل ــ سبب جعل هــذه الأشياء حلالاً هو شركهم بالله ﷻ .
قال بعد ذلك : (عرفت حينئذٍ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون) وهذه النتيجة من دخلت إلى قلبه بالبراهين السابقة فقد أوتي حظاً عظيماً لأن الشبهة التي إذا تكسرت في البداية فما بعدها أهون أن يتقرر ما ذكرن وأن يبطل استبعاد شرك المشرك لأجل أنه يصلي أو يزكى أو يحج أو يعتمر أو أنه يذكر الله أو أو .. إلى آخر ذلك فإذن مدار الحكم بالشرك واضح وهو صــرف العبادة أو صرف شيء من العبادة لغير الله ﷻ فمن أتى به فهو حــابط العمــل مشرك ولو كان ارفع الخلق ولهذا قال جل وعلا ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونناً من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾
﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ ولو كــان سيد الخلق لأن مقام الخالق جل وعلا مقام الرب العظيم اعظم واعظم واعظــم

وحقه اعظم من أن يحابى فيه لأجل إنسان كائناً من كان قال ﴿ ليحبطن عملك ولتكوناً من الخاسرين بل الله فاعبد ﴾ يعني وحده دونما سواه ﴿ وكن من الشاكرين ﴾ ونحو هذا في غير هذه الآية .

فإذا صرف أحد العبادة أو صرف شيء من العبادة لغير الله فهو مشرك وعمله حابط ولو كان أثر السجود في وجهه لأنه أشرك وليس المدار هنا موازنة أشرك في شيء وتعبد في شيء ولو كانت الموازنة هنا قائمة بين السيئات والحسنات كما في حال الموحد فإنها تكون ثم موازنة في حال المشركين (الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ، والنبي ﷺ لم يقبل من مشرك صرفاً ولا عدلاً ، لم يقبل منه إلا التوحيد إلا أن يأتي بلا إله إلا الله التي يعلمون معناها .

إذن بهذه المقدمة إلى هنا يسهل الدخول إلى ما بعده في الكتاب وأن التوحيد هو اعظم المهمات واعظم الواجبات وأول واجب وآخر واجب وأن من صرف شيء من العبادة لغير الله فإنه حابط العمل ولو كان ما كان في عمله هذا إذا دخلت في القلب و لم بكن في القلب تردد لأجلها صار إبطال أي شبهة احتج بها المشركون راجعاً إلى هذا المحكم .

ولهذا يقرر الشيخ بعد ذلك أن ما ذكرنا من وصف حال المشركين والمقدمات اليقينية والنتيجة اليقينية ، أن هذا محكم إذا احتج أحد من المشركين بحديث أو بآيه وأولها على غير تأويلها فلك أن ترجع إلى هذا المحكم وأن تترك ما اشتبه عليك علمه لأن هذا يقين كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى فهذه المقدمة مهمة للغاية وهي أساس محكم يمكن أن تحتج به في أي مقام على من عاند وأشرك بالله جل وعلا أو حسن الشرك أو لم يكفر بالطاغوت قال الإمام رحمه

الله تعالى وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجرة أو قبراً أو جنياً لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك وإنما يعنون بالإله ما يعني به المشركون في زماننا بلفظ السيد فآتاهم النبي ﷺ

يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه فإنه لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله قالوا : ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله فلا خير في رجل جهال الكفار اعلم منه بمعنى لا إله إلا الله .

قال رحمه الله : (وهذا التوحيد هو معنى قولك : لا إله إلا الله) هذا التوحيد الذي سبق بيانه وهو إفراد الله جل وعلا بالقصد بالذبح بالنذر بالاستغاثة بجميع أنواع العبادة هذا هو التوحيد وهو معنى لا إله إلا الله لأن كلمة لا إله إلا الله مشتملة على نفي وعلى إثبات .

النفي بلا والإثبات بإلا والذي نُفي بلا هو استحقاق العبادة أو أن يكون ثم إله حق غير الله جل وعلا فلا إله إلا الله معناها : لا معبود حق إلا الله لأن كلمة إله

هذه معناها معبود وهذا وهو المعروف في العربية هو المعروف في حـــال العـــرب أيضاً لأن إله هذه فعال بمعنى مفعول مثل فراش بمعنى مفروش وبناء بمعنى مبني .

فإله بمعنى مألوه وأله يأله إلهة معناها : عبد يعبد عبادة مع الحب والتعظيم فـــإذن يكون معنى الألوهية :العبودية ، ومعنى توحيد الألوهية توحيد العبودية وتوحيـــد الألهية توحيد العبادة ويكون معنى الإله المعبود ولهذا اسم الله الذي ترجع إليـــه أو تجتمع فيه صفات الكمال ، (الله) هذا معناه المعبود الحق .

قال بعضهم : (الله) علم على المعبود بحق فالله أصلها الإله على الصحيح في أنها مشتقة وإنما أطلق عليها يعني خففت الهمزة في الإله فصارت الله بكثـــرة دعائـــه ورجائه والتوسل إليه باسمه هذا ... ونحو ذلك .

المقصود أن كلمة (لا إله) هذه فيها العبودية وهذا هو المتقـــرر في العربيـــة وفي القرآن

كما قال جل وعلا في سورة النمل :﴿ أإله مع الله ﴾ يعني أمعبود مع الله لأنهم إنما جعلوا معبوداً مع الله ، ولم يجعلوا رباً مع الله جل جلاله ومن ذلك ما جاء في قراءة ابن عباس المشهورة في سورة الأعـــراف ﴿أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك﴾ يعني وعبادتك .

ومنه أيضاً قول الراجز في شعر ذكرناه لكم مراراً :

لله در الغانيات المدهي ********* سبحن واسترجعن من تأله .

يعني من عبادتي ، فالتأله وأله يأله والإلهة والألوهية إلى ما يشتق من هذا المصـــدر هذا كله راجع إلى معنى : التعبد والعبادة ، فإذن هذه المادة : مادة العبادة وليست مادة السيادة والتصرف في الأمر وهذا هو المعروف عند العرب وهو المعروف عند

الصحابة والتابعين إلى أن ترجمت كتب اليونان وصار هناك خلط بين ما جـــاءت به الشريعة وما في علوم اليونان .

فالذين ترجموا هذه الكتب قرأها من قرأها وجعلوا القصد الأعظم أن ينظر المـــرء في هذا الملكوت ويثبت ربوبية الله جل وعلا لهذا قالوا : المقصـــود الأول هـــو الربوبية فإذا اثبت المرء بالنظر أن الله جل وعلا هو الموجب لهذا الملكوت صـــار مقراً ومؤمناً

فالمتكلمون حين تأثروا باليونان في مدارسهم في النظر وفي الفلسفة جعلوا معـــنى الإله راجع للربوبية والمتكلمون في ذلك على قولين منهم من يقول : الإلـــه هـــو القادر على الاختراع وهذا في كثير من كتب المتكلمين .

ومنهم من يقول : الإله هو المستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عـــداه والأول والثاني وكل منهما قول لطائفة من المتكلمين والأشاعرة والماتريدية إلى غير هـــذه الفئات فعلى كل قول منها يكون الإله مفسر بالربوبية لأنه القادر على الاختراع والقدرة على الخلق هذه ربوبية والمستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه هذه أيضاً ربوبية فهي من صفات الربوبية لا من صفات الألوهية .

لما حصل هذا في المسلمين وتداول هذا القول صار معنى الإيمان عند أولئك : أن لا يُقر بوجود ربين ويعبرون عن ذلك أن لا يُقر بوجود إلهين ولهذا في آية سورة الأنبياء ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ يجعلون هذه الآية دليلاً على إثبـــات تفرد الله جل وعلا بالربوبية ويقولون : هذه الآية هي دليل التمانع ومعنى ذلـــك عندهم : أن وجود إلهين يقتضي أن يتصرف هذا في ملكوته وأن يتصرف هذا في جزء من الملكوت وهذا في جزء من الملكوت ولابد أن يحصل تمانع لابد أن يحصل اضطراب لأن هذا له إرادة وهذا له إرادة .

وجعلوا الإله هنا هو : الرب في نفسه ولهذا جعلوها دليلا على توحيد الربوبيـــة الذي هو الغاية عندهم فدخل هذا في المسلمين ولما دخل وتوسع الناس في إتبـــاع مذهب الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة وطرق المتكلمين صارت الغاية عندهم هـــي توحيد الربوبية فلهذا لم يصر أولئك عندهم مشركين وهذه أعظم فتنة حصلت في الصد عن لا إله إلا الله وهو تفسيرها بتوحيد الربوبية .

لهذا تجد في عقائد الأشاعرة كما في السنوسية الكبرى المسماة عندهم بأم البراهين يقول فيها ما ذكرته لكم قبل ذلك يقول الإله هو المستغني عما سواه المفتقر إليـــه كل ما عداه فمعنى لا إله إلا الله : لا مستغنياً عما سواه ولا مفتقر إليه كل مـــا عداه إلا الله .

هذا التفسير وهذه الكلمة على هذا النحو ليست هي كلمة لا إله إلا الله إنما هي كلمة لا رب في الوجود إلا الله والإله غير الرب الألوهية مادة والربوبيـــة مـــادة ولهذا ساغ نعت اسم الله برب العالمين في قوله ﷻ ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ فلو كانت الربوبية هي الألوهية أو كانت الألوهية هي الربوبية لكان نعتاً للشيء بنفسه وهذا زيادة في الكلام يتره عنها القرآن المقصود من ذلك أن معنى الإلهيـــة عند المتكلمين ومن نحى نحوهم هو : الربوبية ولهذا ادعى المشـــركون وعلمـــاء المشركين إلى التوسط بهؤلاء الأموات لأن هذا لا يقدح في التوحيد لأن التوحيد عندهم هو الربوبية فالقاعدة التي بني عليها استحسان الشرك والتساهل فيه هو : الخلاف في تفسير كلمة التوحيد وذلك لأنهم جعلوا كلمة التوحيـــد معناهـــا : القدرة على الاختراع وأنه لا قادر على الاختراع وعلى الخلق إلا الله جل وعـــلا وهذا يؤمن به أبو جهل وأبو لهب وكل من قاتلهم النبي عليه الصلاة والسلام .

لهذا قال هنا الشيخ رحمه الله : (وهذا التوحيد هو : معنى قولك لا إلـه إلا الله) يعني الذي سبق ذكره قبل ذلك : (فإن الإله عندهم) يعني عند العرب (هـو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكاً أو ولياً أو شجرة أو قبراً أو جنياً لم يريدوا أن الإله هو : الخالق الرازق المدبر).

فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده وهذا بيقين لأن الله جل وعلا قـال : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ وقـال ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله .... ﴾ وقال ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ﴾

فإذن كل مفردات أو جل مفردات الربوبية نسبوها لله جل وعـلا وحـده ولم يجعلوا لألهتهم منها شيئاً ولهذا إذا ركبوا في الفلك دعوا الله وحده لأنهم يعلمـون أن هذا المطلب العظيم إنما يستقل به الله وحده ولا يجب إلا أن يكون الإقبال عليه وحده فيه ، ولأن آلهتهم بعدت عنه وهذا مخالف لقول المتكلمين ومن نحا نحوهم : أن لا إله إلا الله هي : لا قادر على الاختراع إلا الله لأن أولئك يعني العرب لم يشكوا في أن هذه الكلمة إنما جاءت للألوهية لا للقدرة على الاختراع وإلا لقالوا : نحن نؤمن بهذا ولكن قالوا : ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً ﴾ وهذا بيقين .

قال الشيخ رحمه الله : (لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد) .

السيد في لغة العرب هو : المتصرف المطاع في ملكه والسيادة تختلف مثل : الرب فتكون إضافة هذا سيد فلان سيد البيت وهذا سيد القبيلة وهذا رب الإبل وهذا رب المال وأشباه ذلك .

لفظ السيد هو بمعنى لفظ الرب مع اختلاف بينهما فمعنى السيد في لغة العـــرب المتصرف الذي يدبر الأمر فيرجع إليه تدبير ما يملك هذا هو السيد له السيادة في الملكوت وله السيادة في ملكه .

لكن في العرف الذي عليه الناس في زمن الشيخ وما قبله إلى وقتنا هذا أطلق لفظ السيد على خلاف معناه في العربية ويراد بالسيد الذي بيده التوســـط أو بيـــده الإعطاء والمنع أو الذي فيه السر ولهذا يستعملون في السادة الذين يُقصدون لأجل العبادات والتوسط يقولون فيهم : قدس الله سر فلان ، فلان قدس الله سره لأنهم يجعلون لروحه سراً ويطلقون على هؤلاء لفظ السيد فمثلاً تجد الســـيد البـــدوي والسيدة زينب والسيد الحسين والسيد العيدروس والسيد المرغني والســـيد عبـــد القادر وأشباه هذا

فيطلقون على الإله لفظ السيد الإله في العربية الذي ذكرنا عند النـــاس في هـــذا الزمن وزمن الشيخ هو : ما يسمونه بالسيد ومن المتقرر : أن العبرة بالحقـــائق لا بالألفاظ العبرة كما حرره وقرره وهو معروف لكن أطال عليه في هذا الموضـــع الشوكاني والصنعاني قالوا : إن تغير الأسماء ومدلولاتها لا يغير الحقائق فـــإنهم إذا سموا السيد ، سموا هؤلاء بالسيد وعنوا بالسيد الإله فإنهم يحاسبون على ما قصدوا لا على أصل اللفظ الذي لم يخطر لهم على بال أو لم يعنوه فإذاً كلمة السيد يراد منها الإله يُراد منها ما يفهم من معنى كلمة الإله عند أهل العربية لهذا قال هنا : (وإنما يعنون بالإله ما يعني به المشركون في زماننا بلفظ السيد) .

من هو السيد ؟ . الذي يُقصد لأجل التوسط عند الله .

بل زاد بعضهم وجعل لهؤلاء السادة نصيباً في الملك من جهة التفويض فيقولــون هناك أوتاد في الأرض أعطوا بعض التصرف في الملك وبعد الأوتاد هناك أقطــاب لهم تصرف هؤلاء يرجعون إليهم والأقطاب ترجع إلى الغوث الأكــبر في البلــد والأرض قسموها قسمة رباعية وجعلوا لها أربعة أشخاص هم : (الملاذ والغوث الأعظم) ففي قسم البدوي وفي قسم عبد القادر وفلان وفلان يعني أنهــم زادوا على شرك العرب في أن جعلوا لهؤلاء تصرفاً في الملك وهذا شرك في الربوبية مع كونه شركاً في الإلهية قال (فآتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها) قوله : (المراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها) لأن الإجماع منعقد على أن من بلغ مجنوناً فقال : لا إله إلا الله فإنه لا يحكم له بالإسلام يعني إذا كان مشركاً قبل ذلك أو من ولد مجنوناً ثم استمر وقال : لا إله إلا الله فإنه لا يحكم له بالإسلام بهذه الكلمة وإنمــا يكون تبع لأبويه في تفصيل معروف فالمشرك الذي كان على الشرك ثم جن وقال : لا إله إلا الله في جنونه مائة مرة أو أكثر بالإجماع عند أولئك المخالفين وعنــد أهل الحق أنه لايدخل في الإسلام لأنه تكلم بكلام لم يقصد معناه لأنه لا يعقــل المعنى .

لهذا فالعبرة فيما تُعبد فيه من الألفاظ ، العبرة بالإقرار بالمعنى لا بمجــرد اللفــظ وذلك لأن المنافقين قالوا هذه الكلمة ظاهراً وهم بنص القرآن والسنة هم كفار في الدرك الأسفل من النار فلم ينفعهم قول : لا إله إلا الله لأنهم لم يقصدوا معناهــا أو لأنهم خالفوا ما دلت عليه إذن فهذه الكلمة دليلها أنواع من الإجماع هي قوله :

(والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها) وهذه الإشارة منه رحمه الله لأجل أن كثيرين قالوا : هؤلاء الذين كفرتموهم أو قلتم هم مشـــركون يشـــهدون أو يقولون لا إله إلا الله ويتكلمون بذلك ويذكرون الله في اليوم ألف مرة بلا إله إلا الله فكيف تقولون ذلك والنبي ﷺ أمرنا بالكف عمن قال لا إلــه إلا الله وقـــال لخالد (أقتلته) بعدما قال لا إله إلا الله .. إلى آخر ذلك .

فيقال : أن قول الكلمة مع مخالفة المعنى هذا غير نافع بالإجماع فيمـــا ذكرنـــا في المنافقين وفي حال من بلغ مجنوناً .

قال : (والكفار الجُهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هـــو : إفـــراد الله تعالى بالتعلق به والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه) المراد بهذه الكلمة ثلاثـــة أشياء في كلمة الشيخ هذه :

الأمر الأول : إفراد الله تعالى بالتعلق به وهذا مأخوذ من النفي والإثبـــات لأن لا إله إلا الله معناها : لا معبود حق إلا الله لا أحد يستحق العبادة والقصد لأجـــل العبادة إلا الله جل وعلا إذن المراد بهذه الكلمة :

أولاً : إفراد الله تعالى بالتعلق به يعني حين التعبد .

الثاني :والكفر بما يعبد من دونه الكفر بما يعبد من دون الله فهذا نفهمه من النفي لأن النفي معناه ما جاء في سورة الزخرف في قول الله جل وعـــلا : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ﴾ بضميمة قول الله جل وعلا في سورة الممتحنة عن إبراهيم : ﴿ قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ﴾ يعني من المرسلين الذين معه على التوحيد مـــن المرســـلين

والأنبياء : ﴿ إذ قالوا لقومهم ﴾ كل نبي قال لقومه ﴿ إنا براءُ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ .

إذن في آية الزخرف قال الله جل وعلا: ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ وهذه الكلمة قال المفسرون : هي كلمة لا إله إلا الله فتكون كلمة لا إله إلا الله معناها ﴿ إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني ﴾ ومعنى البراءة هنا هو : ما دلت عليه آية سورة الممتحنة فشمل ذلك الكفر بما يعبد من دون الله وشمل البراءة منه .

ولاحظ تعلق الكفر والبراءة بما يعبد وليس بالعابدين لأن الكفر بالعابدين من اللوازم وليس من معني الكلمة والبراءة من العابدين هذا من اللوازم وليس من معنى الكلمة

كلمة التوحيد معناها : يشمل الأمور الثلاثة التي ذكرها الشيخ رحمه الله هنا .

إفراد التعلق بالله البراءة من كل معبود سوى الله جل وعلا أو البراءة من كل عبادة لغير الله جل وعلا . والثالث : الكفر بكل معبود أو بكل عبادة إلا عبادة الله جل وعلا . الكفر بعبادة من دون الله جل وعلا هذا كله راجع للعبادة في نفسها . أما العابدون فهذا له حكم آخر وتفاصيل أخر .

إذن ظهر لك وجه الحجة من كون هذه الثلاثة الأشياء التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى من معنى الكلمة . أو هو مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة .

قال رحمه الله (فإنهم لما قالوا لهم : قولوا لا إله إلا الله قالوا أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب) وهذا ظاهر في أنهم يعبدون آلهة ولا يقرون بأن العبادة والقصد يتوجه به إلى واحد بل يتوجه به إلى متعدد .

وما بعده واضح حيث قال . (فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعى الإسلام . وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة) إذا كان الكفرة مع علمهم بالمعنى كفروا . فكيف يكون حال الذي لا يعلم المعنى أصلاً يعنى لم يعلم المعنى أصلاً . و لم يأتي على باله بل هو يقع في الشرك مع عدم العلم بالمعنى لا شك أنه أسوأ حالاً من الذي يقع في الشرك مع علمه بالمعنى فهذا يقع في الشرك وهو غير عالم بالمعنى لأن هذا إفراط في واجب وهو أن كلمة التوحيد لا تنفع إلا من علمها فهل بمقتضاها وأولئك علموا فخالفوا .

وهؤلاء المشركون في الأزمنة المتأخرة جهلوا وخالفوا فقالوا كلمة لم يعلموا معناها فلم تنفعهم من هذه الجهة ثم خالفوها من جهة العمل فلم تنفعهم أيضاً من هذه الجهة ولو كان هؤلاء تنفعهم الكلمة لكان المنافقون الذين قالوا : لا إله إلا الله ينفعهم قولها لأنهم يعلمون المعنى وتلفظوا بها ومع ذلك لما أبطنوا الكفر وعملوا به كانوا أشر من الكفار .قال : (بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني) وهذا فيه إبطال التقليد في التوحيد فإن توحيد الله جل وعلا لا يصلح على جهة التقليد بل لابد أن يعتقد المرء الحق بدليله مع علمه بمعنى كلمة التوحيد . ومعنى ما دلت عليه .

وهذا الاعتقاد يكفيه أن يكون في عمره مرة بدليله يعنى لو علمه لحين دخوله في الإسلام واستمر على المقتضى على ما دلت عليه ثم سألته نسي ما عرفه واعتقده

بدليله فإنه غير مؤاخذ مثله المسلم الصغير المميز فإنه إذا علم هذه الكلمة وأخبر بمعناها وفهم ذلك وعرف دليله .من الكتاب أو من السنة واستمر على ذلك فإنه يكفيه لأنه اعتقد الحق واعتقد معنى هذه الكلمة بالدليل غير مقلد في ذلك مرة في عمره . ثم لم يأتي بناقض لذلك الشيء .

ولهذا عندنا في المدارس في الابتدائي يدرس الطالب أو الطالبة ثلاثة الأصول فيها معنى كلمة التوحيد والدليل عليها وكذلك أركان الإيمان يعني مسائل القبر الثلاثه المعروفة . والعلماء من القديم جعلوا ذلك للمتعلمين الصغار لأنهم إذا عرفوا ذلك بدليله مرة في العمر صار إيمانهم بما دل عليه التوحيد عن دليل لا عن تقليد ولو نسوا بعد ذلك فإنه لا يؤثر ذلك لأن نسيانهم ليس من جهة ترك العمل بما دلت عليه ولكن من جهة نسيان تفسير الذي يفصح لك به .

لكن لو سألته : قلت هل يدعى غير الله جل وعلا ؟ سيقول لا . لأنه علم معنى الكلمة ولو سألته : هل يستغاث بغير الله ؟ قال لا . معناه أنه يعلم معنى الكلمة بخلاف من خالف المعنى وما دلت عليه بشيء حدث له يعني تسأله فيجيب . بخلاف ما تعلم سابقاً . فهذا يكون لا بد له من تجديد علم بدليله حتى يصبح خالصاً من التقليد .

فالمقصود من هذا أن التقليد في التوحيد لا يجوز ومن قلد في التوحيد فأنه لا ينفعه لأن الله جل وعلا لام وذم أهل الشرك بقولهم ﴿ إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ وفي الآية الأخرى ﴿ مقتدون ﴾ فلابد في التوحيد من دليل ولا ينفع فيه التقليد . وقد أوضحت ذلك مع زيادة بيان وضوابط في شرح ثلاثة الأصول لأن هذا إنما أتى عرضاً قال (والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا

يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله) هذا الحاذق من أهل هـــذا الوقـــت مـــن المشركين نسأل الله العافية وما قبله بأزمان . إذا سألته عن معنى كلمة التوحيـــد يفسرها بالربوبية لماذا ؟ لأنه هو الذي درسه في مذهب الأشـــعرية أو مـــذهب الماتريدية أو مذهب المتكلمين . معنى كلمة التوحيد عندهم لا قادر على الإختراع إلا الله لا رازق لا محيي لا ميت إلا الله فهذا هو الحاذق المتعلم فيهم فلا خـــير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله ولو كان صاحب عمامة وجبـــة ولو كان ما كان فإن علمه غير نافع لأن هذه الكلمة هي أساس كل خير فـــإذا كان يجهل معناها فإنه لا خير فيه ولو ادعى فيه الناس ما يدعون . نقف عند هذا .

س : هذا يقول من فسر كلمة التوحيد بقوله : لا حاكميه إلا الله متعلقاً بقولـــه تعالى ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ وهل هذا التفسير مستقيم أم هو غير ذلـــك نرجـــو التوضيح .

من فسر كلمة التوحيد بقوله لا حاكميه إلا الله فيقول هذا هو معناها نقـــول : هذا من جنس قول الخوارج . لأنهم هم فسروا التوحيد بتوحيد الحكم بقـــول الله جل وعلا ﴿ فالحكم لله العلي الكبير ﴾ولقوله جل وعـــلا ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ والحكم يجب إفراد الله جل وعلا به وهو من مفردات توحيـــد الإلهيـــة لأن الحكم يعنى بالشرع الحكم بالقرآن هذا تحكيم لله وهو قصد لله جل وعلا طلبـــاً للحكم فهو من هذه الجهة فيه القصد . قصد القلب والعمل لطلب حكمه فيهـــا فمن قال . معنى لا إله إلا الله لا معبود حق إلا الله . كما هو تفسير أهل العلـــم فإنه يدخل فيه هذا المفرد من المفردات وهو إفراد الله جل وعلا بأنه هو المستحق

للتحاكم إليه .لهذا إمام هذه الدعوة جعل من أبواب كتاب التوحيد أبواباً تخـــص هذه المسألة أي مسألة التحاكم تحليل الحلال وتحريم الحرام وعدم طاعة أحـــد في تحليل الحرام وتحريم الحلال في أبواب معروفة . فالمقصود أن تفسير لا إلـــه إلا الله بلا حاكميه إلا الله هذا من جنس تفاسير المبتدعة لأن لا حاكميه مساوية للإلـــه فيعنى أن الإله هو الحاكم وهذا غلط لأن الإله لا في اللغة ولا في العرف ولا فيما جاء به القرآن . أن الإله هو الحاكم وإنما الإله هو الذي يستحق العبـــادة ومـــن العبادة القصد لأحد لتحكيمه بغير شرع الله أو بشرع الله إذا قصد أحداً لتحكيمه راضياً بذلك مختاراً فإنه قد عبده . ولهذا هناك فرق بين مسألة الحكم والتحكـــيم قال جل وعلا في سورة النساء ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم أمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به من أهل العلم ﴾

قال طائفه قوله هنا

(يريدون أن يتحاكموا) فيه اعتبار الإرادة وذلك أن يتحاكما عن رغبة ورضـــا بحكم الطاغوت . بخلاف ما لو أكره عليه أو أجبره أو اضطر إلى ذلك غير راغب ولا مريد في أشباه هذه الحالات ، المقصود من هذا أنه يكون عابداً لغـــير الله إذا تحاكم راغباً في ذلك معظماً له كحال العابد المحكم لله جل وعـــلا في ذلـــك . فالحكم لله تبارك وتعالى تحكيم القرآن تحكيم لله تحكيم السنة . تحكيم لله جـــل وعلا ولهذا لا يطلق الحاكم إلا على من حكم بشرع الله جَلَّ جَلَالُهُ

هذا سؤال عرضنا له مراراً . هل هناك فرق بين أهل الحديث والفرقة الناجية المنصورة . وما حجة من فرق بينهما ؟

من وقع في شرك الأولياء وكان كما ذكرت مصلياً عالياً يظن نفسه موحداً مؤمناً وكان في بلاد علماؤها يلبسون على العوام ولا يبينون هذا شرك . بل يفعلون ما يدل على إقرارهم لهذا الشرك . من شهود الموالد وإلقاء الدروس في المساجد التي بها قبور الأولياء فهل يعزر هؤلاء العوام بجهلهم وعدم وجود من يبين لهم ؟
هذه المسألة معروفة بمسألة العذر بالجهل ونرجيء الكلام عليها إلى مقام آخر إن شاء الله .

هناك بعض الناس في بلاد أخرى يأتون إلى بعض الناس يزعمون أنهم أولياء فيطلبون منهم أن يدعوا لهم الله عز وجل فما حكم هذا العمل ؟
إذا أتى إلى ميت ولى أو نبي أو نحو ذلك فطلب منه إن يدعوا الله له يعني قال : يا فلان أدع الله لي هذا هو معنى الشفاعة يعنى كأنه سأله الشفاعة فمعنى طلب الشفاعة من الميت طلب أن يدعوا الله له أن يسأل الله له فإذا قول القائل للميت أدع الله لي أو يأتي للنبي ﷺ خارج الحجر . خرج الحجرة والأسوار ويقول يا رسول الله أدع الله لي أن يرزقني بكذا معنى هذا اشفع لي بهذا المطلب . لهذا معنى ادع الله لي اشفع وحكمها حكم الشفاعة وقد مر معنا في هذا الكتاب أن أولئك ما قصدوا إلا الشفاعة وهم حين يتقربون للموتى يريدون في النهاية أن الموتى يشفعون لهم إذا طلبوا منهم شيء فيأتي يذبح له وينذر له في المواسم وبين الحين والآخر لظنه أم هذا الميت أو هذا الولي أو هذا النبي أو هذا الجني أو إلى آخره يعرفه بأنه يتقرب إليه فإذا سأله عند حاجته فإنه مباشرة يرفع حاجته ويدعوا له ويطلب له ما سأل . لأنه يتقرب إليه فهم ما عبدوا إلا للقربى ولا ذبحوا ولا نذروا ولا استغاثوا ولا عملوا هذه الأشياء من أنواع العبادات إلا لأجل أن يشفع

لهم يعنى أن يشفع لهم من سئل فإذا من دعي أو من طلب من الميت أن يدعوا له هذا معناه أنه طلب منه أن يشفع له والشفاعة لا تصلح إلا لله .

هل يصح أن يقال : أن أشرف من عبد من دون الله هم الملائكة ؟

ما لها حاجة هذه العبارة أصلاً أشرف من عبد من دون الله الملائكة . لا حاجة للعبارة أصلاً والملائكة على الصحيح يفضلهم الأنبياء والمرسلون . فالأنبياء والمرسلون والأولياء أفضل من الملائكة على الصحيح في هذه المسالة هذه هي المسألة المعروفة بالتفضيل بين الملائكة والبشر . هل البشر أفضل من الملائكة ؟

هناك أقوال فيها والتحقيق أن صالحي البشر الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين من عبادة الله أفضل من الملائكة لأدلة كثيرة في هذا المقام وقد بسطها العلماء في مواطنها شيخ الإسلام كان إذا سئل عن هذه المسألة يسكت ويقول كنت أظن أن الكلام فيها محدث وأن السلف سكتوا عنها فكنت أسكت عن الكلام فيها كما سكت السلف حتى وجدت أن الكلام في التفضيل بين الملائكة والبشر سلفي أثري ثم ساق أقوال الصحابة والتابعين فيما وقف عليه في المسألة .

هل في إجابة دعاء من كان يدعو عند القبر فيه ابتلاء لهذا الداعي لأنه يظن أن المجيب له صاحب القبر ؟

هذا لا شك الابتلاء وقع في هذه المسألة وفي غيرها فإذا أجيب دعاء من دعا عند القبر فأنه وقع له هنا المخالفة وابتلى بسببها لأنه لو أجيب لظن أن سبب الإجابة صاحب القبر أو بركة المكان وهذا ابتلاء وشبهة ووقع فيها لأنه فرط في الحق وكما ذكرت لك أنه يكون الإجابة لسر لسبب يتعلق بدعائه . وهو يظن أن السبب هو القبر وهذه المسألة مذكورة في شرح الطحاوية في أواخرها .

ذكرت أن المنافقين قالوا : لا إله إلا الله مع أنها لا تقبل منهم ولكن يمكن أن يجيب عليها فيقول أن المنافق لا تقل له أنه كافر في الدنيا بل نقول أنه مسلم ونرد علمه إلى الله وهؤلاء الذين يصلون إلى القبر ويعبدون عبد القادر مثلاً لا نطلق عليهم أنهم كفار بل هم مسلمون ونرد أمرهم إلى الله .

هذا يعطينا الدخول في بحث . أنا أريد أن تتنبهوا له فيما تسمعون أو تقرؤون يكون هناك تنظير شيء بشيء لمعنى من المعاني أو لقدر من الاحتجاج . فلا توسع أنت ذلك إلى شيء أوسع مما كان الكلام فيه لأن هذا يعطيك لبساً في الفهم وأيضاً يوقعك في إشكالات علمية دائما فالتنظير لا يكون دائماً على جهة التكامل أو التماثل ما بين الأول والثاني وإنما قد يكون لجهة من الجهات مثل ما ذكرنا في ورود الشبه بين المنافقين وبين من يقول لا إله إلا الله ولا يعرف أو بين من يقول لا إله إلا الله ويريد الاكتفاء بلفظها . وجه المشابهة قلنا انه بالإجماع المنافق لم تفده كلمة لا إله إلا الله لم تفده في الظاهر أم في الباطن ؟

الكلام معروف أنها لم تفده في الباطن . لكن هي لم تفده ولو أفادته لنجا بها من النار لكن لم تفده كذلك من قالها و لم يعلم معناها فإنها لا تفيده من باب أولى لأنه أشترك مع المنافق في القول والمنافق زاد عليه في العلم . وذاك جهل وهذا قال لفظاً ظاهراً وجهل المعنى وذاك قال لفظاً وعلم المعنى ومع ذلك في الدرك الأسفل من النار .

لا يعنى هذا أن ترتب جميع اللوازم على هذا التنظير من أن تقول هؤلاء مسلمون ظاهراً . وهل نحكم إلى هؤلاء بالإسلام الظاهر إلى أشباه هذه الكلمة وإنما القصد أن نمثل للقول بالقول

س : ما معنى البراءة والكفر بما عبد من دون الله ؟

ج : ذكرنا هذا .

س : هل إجابة الله دعاء الحي لصاحب القبر من الاستدراج ؟

ج : لا هو من الفتنة له .

س : نسمع في كتب العقيدة كثيراً ما يكررون قولهم : هذا المسألة شرك أصغر لأنها اعتقاد السببية فيما لم يجعله الله سبباً لا قدراً ولا شرعاً كالحال في التمائم والطيرة فهل هذه قاعدة مطردة ؟

ج : هذا يعنى هذه مسألة طويلة والجواب عليها يحتاج إلى وقت لكن تلخيصها أن في مسائل الشرك الأصغر نرجع كثيراً ما يحكم عليه بأنه شرك أصغر بالتعلق بالأسباب الأسباب منها شيء أذن الله جل وعلا به ومنها شيء لم يأذن الله جل وعلا به شرعاً هذا واحد .والأسباب منها ما جعله الله جل وعلا كونا وقدراً في كونه وما جعل سنته عليه في الأشياء ما جعله يعطي المسبب ينتج النتيجة ومنها ما جعله لا ينتج النتيجة التي يظنها الظان مثلاً الماء سبب لإزالة العطش أليس كذلك ؟ الماء الحلو لكن الماء المالح لم يجعله الله سبباً كونياً لإزالة العطش وإنما جعل الله جل وعلا الماء العذب هو سبب إزالة العطش . الماء والنار . الماء تطفي النار فإذا احتجت لإطفاء النار لا تأتى بنار أخرى وإنما تأتى بماء يعنى جعل الله جل وعلا لكل شيء سببا وجعل هذه الأسباب تنتج المسببات فمن جعل شيئاً من الأشياء سبباً لشيء آخر لم يكن في الشرع سبب له فهذا ايش ؟ هذا مشرك الشرك الأصغر يعنى في الشرع ليس هذا السبب جائزاً أو لم يجعل في الشرع التعلق بهذا السبب أو استعماله جائزاً فإنه يكون ذلك منه تعلق بسبب ليس شرعي فيكون شركاً أصغر مع ضميمة الشيء

الثاني : وهو أن يكون هذا السبب لا ينتج المسبب كوناً لأن الأسباب قد تكـــون تنتج المسببات قدراً ولكنها ممنوعة شرعاً مثل الشفاء أو الاستشـــفاء بالمحرمـــات يشرب الخمر فيتداوى بها ، يسمع الموسيقى فينتفع بها في الدواء هـــذه أســـباب كونية قد تكون تؤثر في إنتاج مسببات لكنها شرعاً ممنوعة فمن استعمل ســـبباً كونياً في إنتاج المسبب الذي هو النتيجة فيما نعلمه كوناً أنه ينتج هذا الســـبب نقول هذا لا يجوز شرعاً وليس بشرك لكن من جعل سبباً ليس بسبب كوني ولا شرعي وتعلق به فإنه يكون مشركاً الشرك الأصغر .

نرجع في تلخيص هذا أن الأسباب منها ما ينتج المسبب ومنها ما لا ينتجه فـــإذا كان ينتج المسبب كوناً يعني فيما تعارفه الناس فننتظر هل أباحته الشـــريعة أم لم تبحه فإن أباحته الشريعة فهذا جائز استعماله لأنه سبب شرعي وقدري هذا نوع .

إذا لم تجزه الشريعة فيكون سبباً كونياً مثل التداوي بالمحرمات ولكنه ليس بسبب شرعي فهذا نقول (غير جائز) .

والحالة الثالثة : ما ليس بسبب لا شرعي ولا كوني فإن هذا يكون التعلـــق بـــه شركاً اصغر مثل تعليق خيط ويتعلق قلبه به ليدفع عنه العين ، ما علاقة خيط من حبال أو من قطن ، ما علاقته بدفع العين هذا ليس في الكون ما يثبت هذه السببية وليس في الشرع أيضاً ما يجعل هذا السبب مأذوناً به فيكون هذا التعلق به شركاً كذلك التميمة ، تميمة طلاسم أو تميمة في أشياء أو تميمة وضع خـــرز أو تميمـــة وضع جلد أو إلى آخره هل هذا السبب ينتج المسبب قدراً ؟ لا ينتجه . وهو غير مأذون فيه شرعاً فإذا اجتمع أنه ليس بمأذون به شرعاً وأنه لا ينتج المسبب قدراً ، فصار التعلق به شركاً أصغر يوضحه التميمة من القرآن ، التميمة من القرآن هل

هي شرك ؟ ليست بشرك مع أنها تميمة ، لكن اختلف العلماء هل يجوز تعليق التميمة من القرآن أم لا ؟ وبالاتفاق لا تسمى شرك لأن التعلق بالقرآن من جهة كونه شفاء سبب كوني وسبب شرعي . صحيح ؟ التعلق بالقرآن ، لكن تعليق القرآن وإن كان سبباً كونياً لكنه ليس بسبب شرعي ، لهذا لا يصح أن تطلق على تعليق التمائم من القرآن أنها شرك ، ولكن نقول : الصحيح أنها لا تجوز ، وهذه القاعدة لها تفاصيل وهي مذكورة في أول كتاب التوحيد .

****

قال الشيخ رحمه الله تعالى : (إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى أخرهم الذي لا يقبل الله من أحد سواه وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين ، الأولى : الفرح بفضل الله وبرحمته ، كما قال تعالى ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ .

ثانياً : وأفادك أيضاً الخوف العظيم ، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه قد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل وقد يقولها وهو يظنها أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركون ، خصوصاً إن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾ فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا أو أمثاله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لمجـــده وأشهدوا أن محمداً عبد الله ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ... أما بعد

قال إمام الدعوة الإصلاحية السلفية في هذه القرون المتأخرة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى بعد أن ذكر أُصولاً ومحكمات في فهم التوحيد وفهم الشرك وما كان عليه أهل الجاهلية من الإشراك بالله جل وعلا وصفة ذلك الشرك وما يتصل بذلك قال : إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب ، يعـــني أن الـــذي سلف يحتاج إلى العلم والعلم منه ما يعلم لإدراك لأول وهلة ثم يترك ، ومنه مـــا يُعرف معرفة قلب فيكون مدركاً ومستقراً في القلب ومعلوماً بأدلته وبراهينه قوله هنا رحمه الله : إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب ، المعرفة : هي العلم في هذا الموضع يعني إذا علمت ما ذكرت لك علم قلب والعلـــم والمعرفـــة في ابـــن آدم متقاربان أما في حق الله جل وعلا فإنما يوصف سبحانه وتعالى بالعلم دون المعرفة والمعرفة في القرآن اكثر ما جاءت في سبيل التهجين لها وأنها لا تنفع لأنها معرفـــة بالظاهر لا معرفة قلب كما قال جل وعلا :

يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وكما قـــال : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم ﴾ فأتت المعرفة لا في مقام المدح في القرآن بل في مقام الذم وهـــذا لأجل أن المعرفة لا يتبعها العلم بالحق دائماً والإذعان له والعمل به وإنما قد تكون قائدة لذلك وقد لا تكون وهو الأغلب وعامة العلماء على أن المعرفة والعلـــم في ابن آدم متقاربان لكن يختلفان في أن المعرفة يسبقها جهل بالشيء أو ضياع لمعالمه

فجهل ثم عرف أو ضاعت معالم الشيء عليه ثم اهتدى إليه وعرفه كما قال جل وعلا في قصة يوسف ﴿ فعرفهم وهم له منكرون ﴾ هذا من جهة العلامات والصفات .

فإذن المعرفة والعلم بمعنى واحد ولهذا جاء في حديث معاذ حين بعثه النبي ﷺ إلى اليمن أنه قال عليه الصلاة والسلام (فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يعرفوا الله فإذا هم عرفوا الله فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ...) في بعض ألفاظ ذلك الحديث والمحفوظ فيه (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) .

لكن عُبِّر عن ذلك تارة بالتوحيد وتارة بالمعرفة وهذا يدل على أن المعنى عند التابعين الذين رووا بهذا وهذا متقارب ولهذا يستعمل العلماء كلمة المعرفة وكلمة العلم متقاربة وهذا هو الذي درج عليه الشيخ رحمه الله تعالى هنا بأنه يخاطب من ليس عنده ذلك التفريق الدقيق بين المعرفة والعلم .

قال : (إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب) وهذا المقصود بعلم القلب لأن المعرفة معرفة اللسان أو معرفة الظاهر قد لا تقود للإذعان للحق لكن معرفة القلب معها الاستسلام لذلك الحق .

قال : (وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾

هذه المعرفة الثانية عرفت الشرك من حيث دلالته وصفته وحكمه وما كان عليه المشركون في إشراكهم بالله جل وعلا ، فإذن هذا النوع الثاني من المقدمات ،

فالشيخ رحمه الله في هذا الكلام يقدم بمقدمات للنتيجة التي يصل إليها وهي قوله بعد ذلك (أفادك فائدتين) .

قال : (وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ الشرك : اتخاذ الشريك واتخاذ الشريك قد يكون على جهة التنديد الأعظم وقد يكون على جهة التنديد الأصغر .

فحقيقة الشرك :

أن يتخذ الند مع الله جل وعلا واتخاذ الند مع الله جل وعلا قسمان :ـ

١ـ اتخاذ للند فيما يستحقه الله جل وعلا على العبد من توحيده بالعبادة وهذا التنديد هو الشرك الأكبر كما جاء في حديث ابن مسعود حين سأله أي الذنب أعظم قال عليه الصلاة والسلام (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) وكما قال جل وعلا :

﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وانتم تعلمون ﴾ ونحو ذلك .

٢ـ وهناك تنديد أقل ، يعني أن يجعل للمخلوق شيء من الندية ولكن لا تصل إلى صرف العبادة لغير الله وهذا من جهة التعلق ببعض الأسباب التي لم يأذن الله جل وعلا بها أو تعظيم بعض الأشياء التعظيم الذي لا يوصل إلى ما يناسب مقام الربوبية مثل : الحلف بغير الله ومثل قول : لولا الله وفلان وأشباه ذلك .

فإذن الشرك هو : التنديد وهو اتخاذ الشريك مع الله جل وعلا والتنديد قسمان :ـ

أ ـ تنديد أعظم وهو : أن تجعل ما هو محض حق الله جل وعلا للمخلوق .

ب ـــ تنديد أصغر : وهو أن يجعل للمخلوق شيئاً مما يجب أن يكون لله لكن لا يبلغ أن يصل إلى درجة الشرك الأكبر .

ولهذا اختلف العلماء في تعريف الشرك الأصغر وفي ضابط الشرك الأصغر ما هو كما سبق أن مر معكم في كتاب التوحيد ، فمنهم من قال الشرك الأصغر هو ما دون الشرك الأكبر مما لم يوصف في النصوص بأنه مخرج من الملة أو أن فيه صرف العبادة لغير الله ﷻ وقال آخرون : الشرك الأصغر هو كل وسيلة إلى الشرك الأكبر والثاني ينضبط فيه أشياء ولا ينضبط فيه أشياء أخرى .

فمدار ضابط الشرك الأصغر على اشياء ورد النص بتسميتها شركاً أو أن حقيقتها التشريك ولا تبلغ التنديد الأعظم في صرف العبادة لغير الله جل وعلا فقوله جل وعلا ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ ظاهر في التحذير والتخويف من الشرك لأن الشرك لا يغفر ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ وأما الذنوب فهي على رجاء الغفران كما قال هنا جل وعلا : ﴿ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ وكما قال جل وعلا : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ .

أجمع العلماء على أن قوله : ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ نزلت في حق من تاب فإذن قوله جل وعلا : ﴿ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ في حق من مات على غير التوبة ، مصراً على المعصية ، فهو على رجاء الغفران تحت المشيئة ، إن

شاء الله غفر له وإن شاء عذبه بذنبه ، وأما من تاب فإنه لا يدخل تحت المشـيئة لقوله جل وعلا: ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ ولقوله جل وعلا :

﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾ في آيات كثيرة في هذا المقام وها هنا في هذه الآية بحث وهو أن قوله جل وعلا : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ فيه النكرة في سياق النفي ومن المتقرر في أصول الفقه وفي علـم العربيـة أن النكرة في سياق النفي تعم وهنا وقعت النكرة في سياق والنكرة هي : المصـدر المنسبك من أن والفعل المضارع يشرك ، لأن معنى الكلام : إن الله لا يغفر شركاً به والمصدر نكرة وهذا يعني العموم عموم الشرك .

فيكون المراد هنا : أن الله جل وعلا لا يغفر أي نوع من أنواع الشرك فالشـرك على هذا لا يدخل تحت الغفران سواء أكان أكبر أم كان أصغر أم كان في شرك الألفاظ وأشباه ذلك ، بل إنما يقع فيه إما الموازنة بين الحسنات والسيئات ، وإما أن يؤخذ العبد به فيعذب عليه وهذا اختيار جمع من المحققين منهم شيخ الإسلام ابن تيمية ومنهم أكثر أئمة الدعوة رحمهم الله تعالى بناءً علـى دلالـة القاعـدة الشرعية على ذلك قال آخرون من أهل العلم : أن قوله جل وعلا : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ هو عام لأن أن يشرك نكرة أتت في سياق النفي فهي دالـة على العموم لكن العموم تارة يراد به الخصوص ، لأن العموم عند الأصوليين على ثلاث مراتب : عموم باقي على عمومه ، عموم مخصوص ، عمـوم مـراد بـه الخصوص ، فيكون اللفظ عاماً ولكن المراد به شيء خاص كما في قوله جل وعلا : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ .

فهنا قوله : ﴿ ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ هذه نكرة أيضاً في سياق النفـــي بلـــم وهذه تدل على عموم الظلم لهذا فهم الصحابة ذلك فقالوا : يا رسول الله ، أينا لم يظلم نفسه ؟ قال (ليس الذي تذهبون إليه وإنما الظلم الشرك ، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح) ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ فأفهمهم عليه الصلاة والســـلام أن المراد خصوص الشرك فإذن يكون اللفظ عام ولكن المراد بـــالظلم خصـــوص الشرك وهذا ما يسميه الأصوليون : عموم مراد به الخصوص .

ففي هذه الآية قال طائفة من أهل العلم اللفظ عام ولكن المـــراد بـــه خصـــوص الشرك الأكبر لأنه هو الذي نعلم من النصوص أنه لا يغفر وأن صاحبه متوعـــد بالنار كما قال الله جل وعلا مثلاً في سورة الحج : ﴿ إنه من يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ وكما قـــال الله جـــل وعلا في سورة المائدة : ﴿ وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾

قوله في صورة المائدة : ﴿ من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ﴾ مـــن هـــذه شرطية (ويشرك) فعل فيه الحدث فيه المصدر وهو نكرة وهذا يدل على العموم لكن لما رتب الأثر وهو أن الله حرم عليه الجنة ومأواه النار . علمنـــا أن المـــراد خصوص الشرك الأكبر فقالوا : هذه الآية مثل ذلك .

قال الأولون : هذه الآية فيها عدم المغفرة . وعدم المغفرة لا يستلزم الخلود في النار وهذا غير الآيات التي فيها الخلود في النار فتلك الآيات دالة على أن المراد بالشرك الخصوص خصوص الشرك الأكبر لأن السياق يقتضيه وأما هذه فلا دليل عليها . وعلى العموم كما ذكرنا القول الأول هو قول الأكثرين .

وعليه يتم الاستدلال هنا وهو : أن من عرف الشرك الأكبر والأصغر في قول الأكثرين من أهل العلم لا يدخل تحت المغفرة .

أفاده الخوف من الشرك . بالله جل وعلا لأنه ليس ثم شركا على هذا القول يدخل تحت المغفرة . بل أن الله ﷻ لابد أن يؤاخذ بالشرك فإن كان شركاً أكبر فالخوف عظيم منه فلابد من معرفته ومعرفة وسائله ومعرفة أفراده حتى يحذره العبد وإن كان شركاً أصغر فلابد أيضاً من معرفته ومعرفة أفراده ومعرفة وسائله حتى يحذره العبد لأن الجميع لا يدخل تحت المغفرة .

فإذن قول الشيخ رحمه الله تعالى (وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه) : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾

يريد منه وضوح صورة الشرك ثم الخوف من الشرك وأثر ذلك الخوف وهو : أن يسعى العبد في تعلم التوحيد وتعلم ضده الذي هو الشرك الأكبر والأصغر حتى لا يخاطر بدينه وبنفسه وبمستقبله في الآخرة لأشياء يتساهل فيها في هذه الدار الفانية هذه النقطة الثانية التي تكلم عنها الشيخ .

الثالثة من المقدمات : قال : (وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى أخرهم الذي لا يقبل الله من أحداً سواه) دين الله الذي أرسل به الرسل هو

الإسلام والإسلام المراد به هنا : الإسلام العام الذي يشترك في الدعوة إليه كـــل رسول .فكل رسول أتي بالإسلام العام وأما محمد بن عبـــد الله عليـــه الصـــلاة والسلام . فأتى بالإسلام العام والإسلام الخاص الذي هو شريعة الإسلام .

فالرسل من قبل مسلمون . وأتباع محمد بن عبد الله عليـــة الصـــلاة والســـلام مسلمون وإسلام من قبلنا دخولهم في الإسلام العام وأما إسلام هذه الأمة فهـــو إسلام من جهة العقيدة ومن جهة الشريعة . فما هو الإسلام العام

الإسلام العام هو : الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله هذا التعريف للإسلام دعا إليه الرسل جميعاً أن يستسلم لله بالتوحيـــد وأن ينقاد له بالطاعة والطاعة هنا بحسبها طاعة لكل رسول لله جاء كل أمة بحســـب الرسول الذي جاءها والبراءة من الشرك وأهله .

فإذن هذا الأصل هو الدين عند الله جل وعلا الذي قال الله فيـــه : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ وفي قوله : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام كل مخاطب بالإسلام الذي بعث به الرسول الذي أرسل إلى تلك الطائفة وبعد محمد بن عبد الله عليـــه الصلاة والسلام لا يقبل من أحد إلا الإسلام الذي بعث به محمد عليـــه الصـــلاة والسلام .

فإذن دين الله الذي أرسل به الرسل مشتمل على تحقيق التوحيد لله وخلع الأنداد والكفر بالطاغوت كما قال جل وعلا في سورة النحل : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة**

رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وقال: ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾

ونحو ذلك من الآيات .

فإذن العلم بدين الرسل هذا مهم للغاية فتعلم دين نوح عليه السلام وتعلم دين إبراهيم عليه السلام وما خالف به نوح قومه وما خالف به إبراهيم قومه وكذلك دين موسى عليه السلام ودين عيسى وما خالفوه به أقوامهم وكذلك الدين الذي بعث به سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام وما خالف به أقوامه إذا عرفت حقيقة دين المرسلين فإنه يسهل عليك أن تعرف ما عليه الناس في الأزمان التي غلب فيها الجهل

س : ما المراتد بقوله (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) ؟ .

ج : الشرك الأكبر

الرابعة من المقدمات قال : (وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل في هذا أفادك فائدتين) التوحيد تركه ممن تركه راجع إلى أحد شيئين أو هما معاً في بعض الأحوال :

الأول : الجهل به .

الثاني : العناد .

والجهل قد يكون لعدم وجود من ينبه وقد يكون للإعراض عــن البحــث فيــه والعناد والاستكبار هذا يكون مع العلم وإقامة الحجة وكل من الأمــرين مكفــر فمن لم يأتي بالتوحيد عن إعراض منه وجهل فهو كافر ومن لم يــأتي بالتوحيــد ويترك الشرك بالله جل وعلا عن عناد واستكبار فهو كافر .

لهذا قال العلماء : الكفر كفران :

١ ـ كفر إباء واستكبار كقوله جل وعلا ﴿ إلا إبليس أبي واستكبر وكان من الكافرين ﴾

والنوع الثاني : كفر الإعراض كما قال جل وعلا: ﴿ **بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون** ﴾ فليس كل من كفر . كفر عن عناد واستكبار بل قــد يكــون كفره عن الإعراض ولهذا جاء في آخر نواقض الإسلام التي كتبها إمــام الــدعوة رحمه الله . الناقض العاشر الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به لا يهمــه أن يتعلم التوحيد ولا يهمه أن يعرف الشرك ولا يهمه هذه المسائل . معرض عن دين الله أصلاً

وإذا تقرر ذلك فهنا ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بذلك هذا مــن جهــة الحكم على الواقع . ذاك الذي تكلمنا عليه من جهة التأصيل أن الكفر قد يكون من جهة الإعراض والجهل وقد يكون من جهة الإباء والاستكبار .

ومن جهة الواقع يعني الحكم على الناس فإن المتلبس بالشرك يقال لــه : مشــرك سواء كان عالماً أم كان جاهلاً والحكم عليه بالكفر يتنوع:فإن أقيمت عليه الحجة

الرسالية من خبير بها ليزيل عنه الشبهة وليفهمه بحدود ما أنزل الله علي رسـوله بالتوحيد وبيان الشرك فترك ذلك مع إقامة الحجة عليه فإنه يعد كـافراً ظـاهراً وباطناً وأما المعرض فهنا يعامل في الظاهر معاملة الكافر وأما باطنه فإنه لا نحكـم عليه بالكفر الباطن إلا بعد قيام الحجة عليه لأنه من المقرر عند العلماء : أن مـن تلبس بالزنا فهو زان وقد لا يؤاخذ إذا كان عالما بحرمة الزنا فزنا فهو مؤاخـذ . وإذا كان قد أسلم للتو وزنا غير عالم بأنه محرم فالاسم باق عليه يعني أسم الزنـا باق أنه زان وأسم الزنا عليه باق. لكن لا يؤاخذ بذلك لعدم علمه وهـذا هـو الجمع بين ما ورد في الباب من أقوال مختلفة فإذن يفرق في هذا الباب بين الكفر الظاهر والباطن والأصل : أنه لا يكفر أحد إلا بعد قيام الحجة عليه لقول الله جل وعلا : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ والعذاب هنا إنما يكون بعد إقامة الحجة على العبد في الدنيا أو في الآخرة وقد يعامل معاملة الكافر استبراءً للـدين وحفظاً له من جهة عدم الاستغفار له ومن جهة عدم التضحية له وأن لا يـزوج وأشباه ذلك من الأحكام فإذن كلام أئمة الدعوة في هذه المسألة فيه تفصيل مـا بين الكفر الظاهر والكفر الباطن ومن جهة التطبيق في الواقع يفرقون .

فإذا أتى للتأصيل قالوا هو كفر سواء أكان كفره عن اعراض وجهـل أو كـان كفره عن إباء واستكبار وإذا للتطبيق على المعين أطلقوا على من أقيمـت عليـه الحجة الرسالية البينة الواضحة أطلقوا عليه الكفر .

وأما من لم تقم عليه الحجة فتارة لا يطلقون عليه الكفر كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في موضع ، وإن كنا لا نكفر من عند قبة الكـواز وقبـة البدوي لأجل عدم وجود من ينبههم ، الشيخ ما كفر أهل الجبيلة ونحوهم ممـن

عندهم بعض الأوثان في أول الأمر لأجل عدم بلوغ الحجة الكافية لهم وقد يطلق بعضهم على هؤلاء الكفر ويراد به أن يعاملوا معاملة أهل الكفر ، حرزاً ومحافظة لأمر الشريعة والإتباع حتى لا يستغفر لمشرك ، حتى لا يضحى عـــن مشـــرك أو يتولى مشركاً ونحو ذلك من الأحكام

فإذن نخلص من ذلك : أن قوله (وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهـــل بهذا) أن هذا الجهل بالتوحيد مذموم غاية الذم سواء أطلقنا عليه حكم الكفـــر ونعني به الظاهر لا الكفر الكامل الذي هو ردة مُخرج من الدين أصلاً وإنما الكفر الظاهر الذي تترتب عليه الأحكام الظاهرة في الدنيا أو قلنا : إنه في هذا أتى بخطر عظيم في جهله بالتوحيد فهذا ينبئك عن أن غالب الناس اليوم كما قال الله جـــل وعلا :

﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ وكما قال : ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ﴾ فالحق بين واضح وجلي ومن أراده أدركه ولكن سبب عدم علمهم بالحق ليس هو خفاء الحق نفسه ولكن سببه إعراض من أعرض قـــال الله جل وعلا : ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون الحق ﴾ لما ؟ هل لأجل أن الحق خـــاف ؟ أو يحتاج إلى معلومات خاصة ؟ بل السبب أنهم معرضون ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ﴾ ذلك سبب عدم علمهم بالحق الإعراض .

فهذا الإعراض عن الدين والإعراض عن التوحيد وعدم تعلم التوحيد والجهل بـــه هذا قد تجده في أناس من الخاصة وقد تجده في دعاة وقد تجده في بعض طلبة العلم

، فمن أنعم الله جل وعلا عليه بمعرفة التوحيد ومعرفة ضده ومعرفة أنواع التوحيد وبيان ذلك والأدلة عليه وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه بل أكثر وأكثر الناس فيه من الجهل بالتوحيد حتى وإن زعموا أنهم من أهله ، أفادك فائـــدتين الأولى : الفرح بفضل الله ورحمته فإنه لا شيء يعدل العلـــم بالتوحيـــد والعلـــم بضـــده والاستجابة لأمر الله بالتوحيد والاستجابة لنهي الله جل وعلا عن الشرك ووسائله فإن العلم بذلك هو اصل الاعتقاد والعمل بذلك هو أصل الملة وأصل بعثة الأنبياء والمرسلين وزبده الرسالات الإلهية فمن رأى ما من الله به عليه من الإقبال علـــى هذا العلم وفهمه وفهم حدوده وفهم أدلته وكلام أهل العلم فيه أفاده هذه الفائدة العظمى : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون ﴾ .

ولهذا الفرح بفضل الله وبرحمته يعني بالدين والتوحيد وبتعلمه والإقبال عليه هـــذا هو خير من كل ما يغشاه الناس من أمور الدنيا ومن الأمور التي يظنون أنها فاضلة بأمور الدين كالاهتمام بعلوم مختلفة أو الاهتمام بأشياء متنوعة .

فأصل الملة : أن تُعلم التوحيد وتتعلمه لهذا خاف إبراهيم على نفسه من عبـــادة الأصنام فدعا ربه بقوله ﴿ واجنبني وبنيَ أن نعبد الأصنام ﴾ خاف على نفســـه وخاف على بنيه .

قال إبراهيم التيمي رحمه الله : ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم لهذا بوب الشيخ رحمه الله في كتاب التوحيد : باب الخوف من الشرك .

فهنا إذاً عرفت هذه المقدمات الأربع وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا التوحيد والجهل بالشرك وعد إعارة ذلك أو الاهتمام بذلك الاهتمام الواجب الذي يليق به بعظم مسألة التوحيد أفادك فائدتين : ــ

الأولى : الفرح بفضل الله ورحمته والحق أننا إذا تدبرنا ذلك فإننا نرى أنه لاشيء لنا وإنما هو فضل الله ﷻ فالله ساق لنا هذا الفضل ويسر لنا ذلك بفضله وبرحمته ثم نفرح بفضل الله وبرحمته كما قال ابن القيم رحمه الله في النونية : ــ

واجعل لقلبك مقلتين كلاهما ***** من خشية الرحمن باكيتان

لو شاء ربك كنت أيضاً مثله ***** فالقلب بين أصابع الرحمن

إذا عرفت هذا الفضل وهذه الرحمة التي غشيت بها ومن الله عليك بها فلا تتركنها إلى غيرها البته حتى يأتيك اليقين لأن هذه أعظم نعمة أنعم بها على العبد ، أن يكون عالماً بالتوحيد عالماً بضده مخالفاً لأهل الجهل والجهالة .

قال : (أفادك فائدتين)

الأولى : الفرح بفضل الله وبرحمته كما قال تعالى : ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ وفضل الله ورحمته في الدين والقرآن وفقه الدين وفقه القرآن والتوحيد والإسلام ونحو ذلك .

ولهذا روى ابن أبي حاتم وغيره عن عمر رضي الله عنه أنه دعا غلامه يوما إلي أن يخرج إلى إبل الصدقة (الزكاة) فجمعت له خارج المدينة فلما ذهب إليها اهتال غلامه من كثرتها فقال لعمر : فقال لأمير المؤمنين يا أمير المؤمنين هذا فضل الله ورحمته فغضب عمر وقال كذبت ولكن فضل الله ورحمته القرآن .

قال تعالى ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته** ﴾ يعنى القرآن في نزوله وتشريعه وما حبي الله هذه الأمة به (فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فإن كان ثم فرح فليفرح المرء بهداية الله جل وعلا له للالتزام بدين الله وبمعرفة التوحيد والعلم به وما يتصل بذلك فهذا هو الفرق وبه تعلم أن المحروم من حرم وأكثر الخلق حرموا من هذا الفضل العظيم . ثم الفائدة الثانية : قال (وأفادك أيضاً الخوف العظيم فإنك إذا عرفت ... الخ) الخوف العظيم ملازم لأن الشيطان أضل الأكثرين فتفرح بفضل الله وبرحمته وتخاف فالفرح بفضل الله وبرحمته يعنى بمعرفة التوحيد

والعلم به ومعرفة الشرك ورسائله والابتعاد عنه ذلك والدعوة إلى التوحيد والدعوة إلى النهى عند الشرك إجمالاً وتفصيلاً .

هذا الفرح بفضل وبرحمته يفيد الثبات على ذلك فكلما استحضرت الفرح هـذا وكنت فرحا به كنت مستمسكاً به . ثم الفائدة الثانية : الخوف يجعلك لا تلفت عنه يميناً ولا شمالاً فكلما التفت كلما رجعت لأجل شدة الخـوف مستحضـراً خوف إبراهيم وخوف عباد الله الصالحين والخوف من الشرك لأجل أن لا يقـع العبد فيه وأنت ترى اليوم أن أهل هذه البلاد مثلاً مع ما هم عليه من أثر هـذه الدعوة الإصلاحية العظيمة التي قربتهم إلى الله ﷻ بالتوحيد وبالبعد عن الشـرك ووسائله لكن لأجل عدم الخوف من الشرك وقعوا في شركيات من شـركيات الألفاظ وبعضها من الشرك الأصغر وبعضها قد يكون من الشرك الأكبر في حق بعض الناس .

وهذا نسأل الله جل وعلا السلامة والعافية لأجل عدم الخوف من الشرك فيكثـر عند الناس أن يقولوا نحن على الفطرة والناس في هذا البلد أهل فطرة فيسـتمرون أهل فطرة إلى متي ؟

الأجيال التي بعد آدم عليه السلام كانوا على الفطرة ثم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم .

إذن ما أمن أحد على دينه وهو عالم بحقيقة عداوة الشيطان بل ما يأمن إلا مـن يخاف من يستحضر الخوف دائماً يحذر ويحذر ويستحضر الحذر فإذا غابت عنـه مسائل التوحيد راجع وتأكد وهكذا وتفهم وحفظ وراجع ودعا حتى يثبـت . وحتى يستقيم له دينه .

قال رحمه الله (وأفادك أيضاً الخوف العظيم فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل) يشير الشيخ رحمه الله بذلك إلى ما جاء في الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال (وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا تهوى به في النار سبعين خريفاً)

فقول الشيخ رحمه الله (يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل) من جهة أنه لا يلقى لها بالا لأنه لا يعلم أنها مكفرة وقوله عليه الصلاة والسلام (لا يلقى لها بالا تهوى به في النار سبعين خريفاً) يعلم أنه منهي عنها لكن لا يلقى لها بالا من شدة الخوف منها .

لهذا قال : (فإذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه) بكلمة يحصل الكفر . سواء كان معتقداً لها . يعني : عادلت عليه أو كان قوله لهذه الكلمة من الكفر بالله ناتج عن الإعراض عن دين الله وهو متمكن من معرفته . فإذا الإعراض لا يعذر به العبد إذا كان إعراضاً مع التمكن من المعرفة عنده أهل العلم يمكنه أن يسألهم عنده أهل الديانة . يستطيع أن يبحث عن الحق ثم هو لا يبحث عن ذلك فهذا يدخل في قوله عليه الصلاة والسلام (لا يلقى لها بالا تهوى به في النار سبعين خريفاً)

قال : (وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل) لأنه أعرض مع تمكنه من المعرفة . أعرض مع قرب الحجة منه فجهله لا بسبب خفاء الحق أو بسبب عدم وجود من ينبهه وإنما جهله بها لأجل إعراضه فإذن هنا نلحظ التفريق في الجهل ما بين الجهل الذي سببه عدم وجود من ينبه بالحق والجهل الذي سببه الإعراض .

فاجهل الذي سببه الإعراض مع وجود من ينبه هذا لا يعذر به العبد وأما الجهل الذي يكون لأجل عدم وجود من ينبه فإنه يعذر به حكماً في الآخرة حتى يأتي

من يقيم عليه الحجة ولا يعذر به في أحكام الدنيا فهو على كل حال متوعد هذا التوعد العظيم إذا كان الإنسان قد يهوى في النار سبعين خريفاً يعنى يكـــون في قعرها هذا يعنى أنه فارق نار الموحدين بكلمة يقولها من خاف هذا الشيء يلزمـــه أن يتعلم أسباب الردة وأسباب الكفر والكلمات التي قد يكفر بها وهو لا يشـــعر بذلك وهذا مضبوط بضوابطه الشرعية فإنه ليس كل من قال كلمة الكفر كفر .

ولهذا الشيخ قال هنا : (إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لســـانه وقد يقولها وهو جاهل) قد يقول ذلك وهو جاهل (فلا يعذر بالجهل) يعنى في بعض أحواله (وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركين) المشرك في أي زمان ومكان ما أشرك محادة لله ولرسله قصداً في المحـــادة وإنمـــا حصلت المحادة نتيجة لشركه ولكن إذا قلت للوثني المشرك الجاهلي قلت أنـــت مبغض لله كارها لله جل وعلا محاد لله يقول لا لأنه يقول أنا ما فعلـــت هـــذه الأفعال إلا بقصد التقرب إلى الله حتى يرتفع مقامي عند الله فإذن لا يتصـــور في المشرك أنه أشرك للبعد عن الله بل أشرك ليتقرب إلى الله كما قال الله جل وعلا : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ .

قال رحمه الله بعد ذلك (خصوصاً إن ألهمك الله ما فصل عن قوم موســـى مـــع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين ﴿ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴾ .

قوم موسى مروا على قوم يعبدون آلهة ويعبدون معبودات فنظروا إلى ذلك فظنوا أنه محمود . لأنه مخالف لدين فرعون فقالوا لموسى : ﴿ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة

﴾ فقال موسى لهم : ﴿إنكم قوم تجهلون ﴾ ﴿ إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾ .

وفي حديث أبي واقد الليثي المعروف أنه قال : مررنا ونحن حدثاء عهد بكفر بسدرة وكان للمشركين سدرة ينوطون بها أسلحتهم فقلنا يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبي عليه الصلاة والسلام (الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده .كما قال أصحاب موسى لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة)

قال العلماء : أصحاب موسى لم يكفروا . وأصحاب محمد علية الصلاة والسلام الذين كانوا حد ثاء عهد بكفر لم يكفروا بتلك الكلمة ولكن لو تبعها عمل لكفروا لأنهم طلبوا شيئاً عن جهل فلما بين لهم انتهوا .

وهذا يفيد يعنى . قصة قوم موسى وقصة ذات أنواط تفيد أن الموحد قد يخفى عليه بعض أفراد التوحيد وهذا يفيده في الخوف لأن قوم موسى وهم خاصة أصحاب موسى منهم من قال تلك الكلمة وأصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ومحمد اسلم حديثاً منهم من قال تلك الكلمة مع أنهم يعلمون معنى لا إله إلا الله ويعلمون ما يدخل تحتها من الإفراد لكن جهلوا بعض الإفراد .

هذا يفيد : أن من دونهم لابد أن يخاف الخوف الشديد لأن جهله ببعض الأفراد أولى من جهل غيره فإن أنعم الله عليه بمنبه له بعد الكلام يحجزه عن العمل وينبهه فهذا من نعمة الله عليه وإن لم يجد بل قال ذلك الكلام واتخذ إلها مع الله فإنه يكون قد ناقض بفعله توحيده .

قال (فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا وأمثاله) وهذا لا شك أنه يوجب الخوف الشديد . إذن هذا المقطع من كلام الأمام رحمه الله تعالى فيه تهيئة نفس الموحد لكشف الشبهات التي يأتي بيانها فهيأ نفسه ببيان حال المشركين الذين أشركوا من أقوام كل رسول وبين ديانة كل رسول وبين معنى التوحيد ومعنى ضده وبين أن أكثر الناس مخالفون للتوحيد معرضون عنه جهال به وبين أن هذه المقدمات تفيدك أولاً الفرح والثاني : الخوف .

وهذا تهيئة لنفسيتك حين تتلقى كشف تلك الشبهة فكشف الشبهة إذن الذي سيأتي يكون مع فرحك بالتوحيد وخوفك من الشرك وهذا يقيم حاجزاً نفسياً قوياً من أن تتلقى الشبهة تلقياً عقلياً بحتا كما عليه علماء الكلام وأشباههم دون وضع تعبدي نفسي من الوجل والخوف والفرح والرضا ثم أن تكون حين تعرض لك جواب الشبه يكون في نفس الفرح بفضل الله بالتوحيد والفرح بفضل الله جل وعلا وبرحمته أن كشف لك الشبهة .فإذن الشبهة مذلة أقدام من جهة عرضها ومن جهة كشفها فلابد لها من قاعدة تقوم عليها نفس الموحد وهذه القاعدة هي التي قدمها الشيخ رحمه الله فأول الكلام قواعد علمية والآن هذا الفرح والخوف قواعد نفسية حتى نكون في ما تستقبل من عرض الشبهة ونقدها وكشفها تكون بين قواعد علمية محكمات لا تزيغ بعدها وما بين تحصينات نفسية لا تتأثر بالشبه مهما جاءت .

فذا جاءت الشبهة صار عندك خوف من ضد التوحيد وفرح بما أنت عليه من التوحيد . وهذا يجعلك في قوة وتحصن وأمان بفضل وبرحمة .

فالحمد لله ﷻ على ما أنعم به علينا من نعمة التوحيد ودراسته وتعلمه ونبذ الشرك والبراءة منه وبغض الشرك وبغض أهله ومعاداة أولئك والتبرىء منهم قولاً

وعملاً واعتقاداً . ونسأل جل وعلا بكل أسم له حسن وبصفاته العلي أن يـــديم علينا هذا الفضل وهذه الرحمة وأن يجعلنا فرحين بذلك خائفين من ضده ما حيينا نسأله جل وعلا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن ينعم علينا ويتم نعمه ذلـــك بأن يتوقانا وهو راضى عنا غير مغيرين ولا مبدلين نعوذ بك اللهم من كل فتنـــة تصدنا عن هذا الأمر الجلل في التوحيد . ودعوة الأنبياء والمرسلين هـــذا وآخـــر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

س : هل صفة العلو ذاتية أم فعلية ؟

لا صفة علو الله جل وعلا ذاتية . وهو جل وعلا لم يزل عالياً على خلقه سبحانه وتعالى له علو الذات وعلو الصفات .

س : نسأل الله بكل أسم له حسن فهل هناك لله بعض الأسماء السيئة ؟

أعوذ بالله أسماء الله جل وعلا حسنى حسنة والشر ليس إلى الله جل وعـــلا لا في ذاته ولا في أسمائه ولا صفاته ولا أفعاله يعني لو قال الداعي أسألك اللهم بأسمائك الحسنى هل يفهم منه أنه ثم أشياء غير حسنى . لا يفهم ذلك .

مسألة الكفر الظاهر والباطن ؟

هذا السؤال فيه طول بعض الشيء ونقل قول بعضهم الكفر الظـــاهر والبـــاطن ذكرت لكم تفصيله وأن الجاهل قد يكفر قد يكون جهله عن إعراض مع وجود من ينبه مثل مثلاً واحد في هذه البلاد يجهل التوحيد ويعمل الشرك مع قيام الحجة وقيام الدعوة وكل يبلغ وأهل العلم يبلغون وهم موجـــودون وفي المجـــلات وفي الصحف وفي مناهج التعليم وفي كلماهم وفي الإذاعة ..... إلى آخره .

فهذا إذا أعرض مع تمكنه من السؤال وطلب الحق هذا لا شك أنه لا يعذر بالجهل في هذه المسألة لأن جهله لا بسبب عدم وجود من ينبهه ولكن بسبب أعراضه

أصلاً عن هذا الأمر أما هناك من ينبهه . أما إذا جهل لأجل أنه لم يأتي من ينبهه فهذا هو الذي ذكرنا لكم قول الشيخ رحمه الله فيه(وإن كنا لا نكفر من عند قبة الكواز لأجل عدم وجود من ينبهه) والكفر إنما قلنا كفر ظاهر وباطن تبع لقول بعض أئمة الدعوة كالشيخ ابن معمر وغيره وظاهر كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بعض المواضع وتفصيل هذه المسألة يأتي إن شاء الله تعالى في مسألة الإباء والإعراض وأشباه ذلك .

س : هل هناك فرق بين المشرك والكافر ؟

نعم الكافر قد يكون كافر بلا شرك يكون كافر بلا شرك . مثل من ارتكب شيء من الأمور التي يرتد بها غير الشرك فإنه يكون كافر ولو لم يحصل منه شرك . فالشرك تشريك في العبادة . والكفر قد يكون في بعض ما يحكم عليه بالكفر والردة ولكن ليس ثم تشريك إذاً لو راجعت باب حكم المرتد في كتب أهل العلم لوجدت أن من أحوال الردة الشرك قد يكفر بغير ذلك .

هذا ينبه على أن الشيخ محمد بن عثيمين حفظه الله قد نقل اللقاء اليومي أو الدرس اليومي من مسجد على بن المديني إلى جامع ذي النورين الذي إمامه الشيخ عبد الله الحماد ذلك في حي السلام . اعتباراً من يوم غد الأحد .

الذي يطوف بالقبور ويسألهم ويدعوهم . طريقة أئمة الدعوة رحمهم الله والعلماء أنهم يحكمون عليهم بالشرك يقولون هؤلاء مشركون قبوريون خرافيون لكن الحكم بالكفر الحكم بالكفر هذا أدق فإذا حكمت عليهم بالشرك عبدة القبور مشركون أو نقول هؤلاء الذين عند قبة كذا أو عند مشهد كذا هؤلاء مشركون وخرافيون قبوريون وما أشبه ذلك أما التعبير بالكفر فهذا أخص لهذا يحتاج إليه في

الحكم وهو لأهل العلم فطالب العلم يستعمل لفظ الشرك والخرافة والقبورية كما هي طريقة أهل العلم في ذلك .

أما التكفير فله شروط وله ضوابط . والتفصيل ما بين الكفر الظاهر والبـــاطن في مثل هذه الأحوال طبعاً فيه فرق بين يعنى القاعدة المعروفة عندكم أن هناك فـــرق بين تكفير الجنس وتكفير المعين .

تكفير الجنس نقول : عباد القبور الذين يعبدونها ويتقربون إلى المشـــاهد بـــأنواع العبادات يكون هؤلاء كفار لكن إذا احتجنا للكلام على معين لابد أن يكون ثم تفصيل فيه فإذا الحكم على الجنس غير الحكم على المعين كذلك الحكـــم علـــى الفعل غير الحكم على الفاعل وليس كل من قام به الكفر كافر وليس كل من قام به الفسق فاسق من جهة الحكم الأخروي هو فاسق من جهة الظاهر مشرك مـــن جهة الظاهر كافر من جهة الظاهر لكن قد لا يكون فاسقا من جهة الحكم التام يعنى الدنيوي والأخروي إلى أخره .

فإذا هناك فرق بين الأحكام الدنيوية الظاهرة والأحكام الباطنة في أمثال ذلك .

س : إذا مات أحد جهلة القبوريون تعامله في الدنيا معاملة الكفار ..؟

مثل ما قلت لك إذا مات قبوري تعرف منه أنه مشرك بالله يدعو غير الله يستغيث بغير الله هذا لا يجوز لك أن تستغفر له لأن الله جل وعلا قـــال ﴿ **ما كان للنبي والذين أمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ والمشرك هو أسم فاعل الشرك فهذا لا يجوز الاستغفار له بعينه ولا يجوز التضحية عنه ويعامل في الظاهر معاملة المرتد لكن لا نشهد عليه باطنا بأنه من أهل النار ونرتب عليه أحكام المرتد كاملة وإنما تترتـــب عليه بعض الأحكام دون بعض في تفاصيل يعلمها أهل العلم وهذا معنى قول من

قال : لا نكفر حتى تقوم الحجة الرسالية يعنى الكفر الكامل التي تترتب عليه جميع الأحكام الفقهية وهذا مرجعه إلى الفقه يحتاج إلى عالم يحكم على المعين في الفقه وأنا أوصيكم بأن طالب العلم يفهم العمومات في هذا وأما من جهة الحكم على المعين يتركه لأهل العلم لأن مسألة التكفير خطيرة لأنها إخراج من الإيمان فهـــي أعظم من الفتوى في الطهارة وفي الصلاة وفي الحج وغيره فإذا كان الورع يتورع عن الفتوى في تلك الأشياء فتورعه عن هذا وبعده عنه لا شك أنه من باب أولى فيترك لأهل العلم فهذا لابد منه في أن تعلم الأحكام حتى تصل إلى فهم هذا العلم .

س : ما هو ضابط إقامة الحجة ؟

ج : يأتينا في موضعه إن شاء الله من الرسالة .

س :ما كيفية الحجة ومن يقوم بها ؟ وإذا أعرض فهل يكفر من أول إعراضـــه أم يمهل؟

ج : لابد أيضاً من تفصيل يأتينا في موضعه .

س : وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بجهله وبين ما ذكرت ؟

ج : أنا اللي ذكرت توضيح لكلام الشيخ لا يعارض كلامه بل هو توضيح له .

س : ما حكم لعن الشيطان ؟ .

ج : مختلف فيه من أهل العلم من يجيزه لأن الله جلا وعلا لعنه قال جل وعلا :

﴿ وإن يدعون من دونه إلا شيطاناً مريدا لعنه الله ﴾ ومن أهل العلم من منعه بناءاً على حديث في الباب (لا تلعنوا الشيطان فإنه يتعاظم) وهذا الحديث صـــححه بعض أهل العلم من المعاصرين وإن كان غير معروف في كتب السنة المشهورة ، وإنما رواه تمام في فوائده وغيره ، المقصود أنه مختلف فيه لعن الشـــيطان ، وفي

الجملة المسلم لا يكون لعاناً لا يلعن حتى من يستحق اللعن ، لا يختار لعنـــه لأن استحقاق اللعن من جهة الجواز لا من جهة الوجوب .

س : ما الحكم في قول الشاعر :

رب وا معتصماه انطلقت ********** ملء أفواه الصبايا اليتم

ج : هذا أمر معنى قول : وا معتصماه وأنها ندبة فيها النداء .

س : هناك أمر منتشر عندنا وهو أنه أحياناً إذا سقط الطفل على الأرض يـــرش مكان سقوطه بالماء البارد ، فما حكم ذلك ؟ .

ج : لا أعلم معنى هذا ولا مراد أولئك منه .

س : من حلف مثلاً أن لا يخبر أحد عن هذا السر أو الخبر ثم أخبر فهـــل عليـــه كفارة ؟ وما هي شروط الكفارة في الحلف .... إلى آخره ؟

إذا حلف أن لا يخبر أحداً بهذا الشيء ثم أخبر حانثاً فيما حلف فيه فعليه كفـــارة والكفارة كفارة اليمين معروفة وهي على التخيير بين ثلاثة أشياء : ﴿ فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبـــة ﴾ اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعم أهلك يعني من جهة الغذاء المعتـــاد كما له أن يكون أرز مثلاً ودجاج وطماطم يعني الأشياء اللي تؤكـــل وتطـــبخ فتؤكل ويجزيء أن تعطيه ، تطعم عشرة مساكين بأرز وحده يعني غير مطبـــوخ يجزيء ذلك ويكون لكل مسكين نصف صاع من الرز .

عشاهم وغداهم هذا في كفارة الصيام ، أو يعني جمع العشرة كلهم وعشـــاهم ، قصدك كذا أو غداهم مجزيء إذا كان وضع لهم ما يكفي فهـــو مجـــزيء علـــى الصحيح لكن الأحسن أن يُمَلكوا خروجاً من الخلاف .

****

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ......

قال المؤلف رحمه الله تعالى (واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبينا بهذا التوحيد إلا جعل لها اعداءاً كما قال الله تعالى . ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال الله تعالى ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ إذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه . أهل فصاحة وعلم وحجج فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير سلاحك تقاتل به هؤلاء الشياطين .الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل ﴿ لأقعدن لهم صراط المستقيم ثم لآتينهم من بين أيدهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ ولكن إذا أقبلت على الله و أصغيت إلى حججه وبياناته فلا تخف ولا تحزن إن كيد الشيطان كان ضعيفا والعامي من الموحدين يضرب الألف من علماء هؤلاء المشركين كما قال الله تعالى ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما أنهم يغالبون بالسيف والسنان .وإنما الخوف على المؤمن الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح وقد منَ الله علينا بكتابه الذي جعله تبيانا لكل شيء وهدي ورحمة وبشرى للمسلمين ولا يأتي أهل الباطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى ﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾ قال بعض المفسرين هذه الآية عامه في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق الحمد وأوفاه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو ولى من تولاه . وأشهد أن محمد عبد الله ورسوله وصفيه وخليله . صلي الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا إلى يوم الدين ....

اللهم أنا نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً وقلباً خاشعاً ودعاءاً مسموعاً اللهم أعنا على الحق . اللهم ما أعنا على الحق . اللهم ما أعنا على الحق اللهم لا تجعل لنا إلى الباطل سبيلا . نعوذ بك من الحول بعد الكور نعوذ بك من الضلال بعد الهداية . نعوذ بك أن نضل أو نضل أو نزل أو نزل . أو نجهل أو يُجهَل علينا .

قال الإمام رحمه الله تعالى في مقدماته العظيمة الفائدة بين يدي كشف شبهات المشركين التي لبسوا بيها على عقول الجهلة في توحيد الله ﷻ .وما يستحقه سبحانه وتعالى من إفراده بالعبادة وحده دونما سواه .وأن يكون الأمر كله له . وأن يكون الحكم كله لله جل وعلا فيما يختص بالشرعيات وبما يختص بما يعمله المكلف فالحكم جميعاً لله جل وعلا فالواجب على العبد أن يجعل الفيصل فيما يطلبه وفيما يريد الصواب فيه أن يجعل الفيصل كلام الله جل وعلا وكلام رسوله ﷺ كما قال سبحانه ﴿ إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾ فكما أنه سبحانه الحكم بأمره في ملكوته كذلك هو الحكم فيما يختلف الناس فيه وفيما يطلبون العلم فيه والصواب والحق فيه . في الشرعيات والعمليات قال رحمه الله بعد أن ذكر المقدمات التي سلفت واعلم أنه سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا

بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً كما قال تعـالى : ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ قد يأتي الشيطان للعبد بشبهة أن التوحيد والدين إذا كان من عند الله حقـاً وإذا كان ذلك فيه مرضاة الله جل وعلا والله ينصر أو لياءه ويعز أولياءه ويخـذل أعدائه فالمفترض أن يكون يعنى في إلقاء الشيطان في النفـوس أن يكـون أهـل التوحيد هم الغالبين وأن يكون الرسل ليس لهم أعداء لأنهم من عند الله جل وعلا وهذا الظن قد ظنه طائفة من المشركين فرغبوا في إنزال ملك حتى يتفـق عليـه ورغبوا في أن يكون للنبي كذا وكذا من الأشياء التي يكون معها الاتفاق وعـدم المعاداة له وعدم الجحود لما جاء به كما قال جل وعلا ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ الآيات في سورة الإسراء وكذلك الآيات في سورة الفرقان ﴿ وقالوا ما هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقي إليه كنزاً أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعوا إلا رجلاً مسحورا أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ﴾ فمـن حكمة الله ﷻ أنه بعث الرسول وجعل لكل رسول أعداء وأعداء الرسول مـن الأنس والجن لأن بعثة الرسول لأنس أقوامهم وللجن الذين يسمعون حديثهم إلا محمد عليه الصلاة والسلام فإن بعثته للعالمين جميعاً للأنس كافة وللجن كافة فلكل رسول أعداء وهؤلاء الأعداء جعلهم الله جل وعلا أعداءً لحكمه لأن أمر التوحيد عظيم فلهذا قال سبحانه ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الأنس والجن ﴾

وقال جل وعلا في الآية الأخرى ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيرا ﴾ فحكمت الله جل وعلا اقتضت أن يجعل لكل نبي أعـــداء وهكذا لكل أتباع الرسول والأنبياء جعل لهم أعداء لأن حكمـــة الله ســـبحانه وتعالى اقتضت أن يفرق بين حزب الله وحزب الشيطان وهذا الفرق بين حـــزب الله وحزب الشيطان وقد يكون فرقاً بالعلوم وقد يكون فرقا بالسيف واللســـان ولهذا القرآن فرقان فرق الله جل وعلا فيه بين علوم الحق وبين علوم المشـــركين والمقصود أن حكمة الله اقتضت أن يكون لكل نبي عدوا فلا ينظر الموحد في زمن ما إلى أن أهل التوحيد قلة أو إلى أنهم مزدرون أو إلى أنهم لا يؤبه لهم أو إلى أنهم مكثوا زمنا طويلا لم ينصروا أو نحو ذلك من الأشياء أو أنهم يعـــذبون أو أنهـــم يطردون أو ما يفعله الأعداء بأهل التوحيد لا ينظر إلى ذلك وإنما ينظر إلى الحق في نفسه وحكمة الله عرفها أهل السنة بأنها وضع الأشـــياء في مواضـــعها الموافقـــة للغايات المحمودة منها والله جل وعلا أذن بالشر في ملكه والشر ليس إليه ليظهـــر طيب الطيب ويظهر طيب أهل الحق على خبث غيرهم فأذن به جل وعـــلا أذن بالشر فداءاً للخير حتى يظهر فلولا هذه العداوة ما ظهر المتمسك بالتوحيد مـــن غيره ما ظهر الذي قناعه تامة من توحيد الله جل وعلا من التردد ﴿ الذين هم في ربهم يترددون ﴾ ونحو ذلك من الحكم العظيمة فالله جل وعلا أنزل العـــداوة في موضعها وهذه العداوة موافقه لغاية محمودة منها فجعل بعض الجن والأنس بـــل الأكثر من شياطين الأنس والجن أعداء للرسل هذا فيه غايات محمودة ومن هـــذه الغايات المحمودة التي هي حكمة الله جل وعلا أن يظهر أنصار الله جـــل وعـــلا الذين يستحقون فضله ومنته ودار كرامته ومنها أن يظهر الفرقان بين أهل الحـــق

وأهل الباطل بشيء بشري وليس بسماوي وربما ينعم الله جل وعلا بشيء من عنده من السماء كتأييد بملائكة أو نحو ذلك ومنها أن يظهر هؤلاء الذين نصروا دينه ليس عندهم شك ولا شبهة مع كثيرة المعادين ومع كثرة الشبة ومع كثر ما يرد فإن استمساكهم بالحق دليل على صحة التوحيد . فالرسل مع قله من استجاب لهم . استمسكوا بالحق وبعضهم مكث مدداً طويلة فظهر أن هؤلاء الذين استمسكوا بالحق وثبتوا عليه حتى أن أحدهم ليؤخذ فينشر بالمنشار نصفين ما يرده ذلك عن دينه هذا شهادة عظيمة بأن هذا الذي حملوه حق لأن الله ﷻ جعلهم مكرمين بهذا الأمر مكرمين بإتباع الرسل وإتباع الحق في حكم شتي والشيخ رحمه الله هنا قال (لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءاً وهذا الحصر مأخوذ من الآية ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ﴾ فلفظ كل ظاهر في العموم وهو بمعنى لم يبعث نبيا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء وأعداء التوحيد أعداء الأنبياء والرسل على قسمين

١ – أعداء رؤساء وأعداء تبع فالرؤساء اما أهل الرياسة والتدبير في أمور الدنيا واما أهل الرياسة في أمور الفكر والدين هؤلاء هم الذين زعموا العداوة وصدوا الناس عن الدين فهذا صنف من أصناف الأعداء

والصنف الثاني : منهم الأتباع والرعاع الذين أعرضوا عن الحق أو الذين أخذتهم الحمية والعصبية في أن لا يقبلوا التوحيد وأن ينصروا رؤسائهم فلا يوصف بالعداوة .

العلماء فقط أو الرؤساء فقط . بل أعداء التوحيد العامة والرؤساء جميعـــا لأن من لم يستجب للتوحيد فقد سب الله ﷻ كل مشرك بالله فهو منتقص للرب جل وعلا ساب له فمن ادعي أن مع الله إلها آخر يتوسط به ويزدلف إلى الله جل وعلا عن طريقه بوساطته وشفاعته سواء كان ذلك عالماً أو لم يكن عالماً وإنما كان تبعا لرؤسائه فإنه عدو للتوحيد وربما كان هؤلاء من جهة انتشارهم في الناس أبلغ في إحياء عداوة التوحيد وبثها من الخاصة وهذا ظاهر بـــين لأن العامة ينشرون من الأقوال والأكاذيب أعظم ما يبثه الخاصة وإذا نظـــرت إلى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام فإن الذي نشر أنه صابئ والذي نشـــر أنه ساحر والذي نشر أنه مجنون أتباع الكفار وأتباع الرؤساء والملأ في العرب وكذلك إذا نظرت في دعوة الإمام المجد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فـــإن الذي نشر في الناس مقالة أعداء الشيخ من علماء زمانه إنما هم العامة فالعامة عداوتهم تأتي من جهة التعصب ومن جهة نصرة الباطل بقناعتهم بمن قال لهم ذلك فعندهم علماء معظمون ورؤساء معظمون فيقتدون بهـــم ويســـتجيبون لمقالهم دون نظر وتدبر فهؤلاء أعداء لتوحيد الله جل وعلا وكل من هـــذين الصنفين يجب الحذر منه يجب على الموحد أن يعاديه فليست عداوة الموحـــد لعلماء المشركين خاصة أو الذين أعلنوا الحرب على التوحيد خاصة : هـــؤلاء لهم نصيب من العداوة أكبر وكل من لم يوحد الله جل وعـــلا وانغمـــس في براثن الشرك وأشرك بالله هو عدو لله جل وعلا فكل مشرك عـــدو لله جـــل وعلا كما قال سبحانه وتعالى ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعده وعدها إياه * فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه** ﴾ قال جل وعـــلا: ﴿ **وكذلك**

جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الأنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ وشياطين الإنس جمع شيطان والشيطان هو البعيد عن الخير مأخوذ من شطن إذا بعد فالشيطان هو البعيد والشيطان النون فيه أصلية وهو البعيد من الخير والخير بما يناسبه ولهذا قيل لبعض الحيوانات شيطان لما يناسبه من بعده عن الخير وما يلائمه وقيل للحمامة في الحديث شيطانه في قوله شيطان حديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي رواه أبو داود وغيره (شيطان يتبع شيطانه) فالشيطان هو البعيد عن الخير والخير في كل بما يناسب . وقد قال الشاعر في ذلك :

أيام كن يدعونني الشيطان من غزل .... ولكن يهوينني إذ كنت شيطانا

يعنى إذ كنت بعيدا عن الخير . مع بقاء اسم الإسلام عليه .

لكن يكمل البعد عن الخير بالكفر . فالكافر والمشرك شيطان من شياطين الإنس ولابد أن يمده شيطان من شياطين الجن لأنه ما من أحد إلا وكل به القرين قال (عدوا شياطين الانس والجن) شياطين الأنس يرون وشياطين الجن لا يرون وهم الذين يلقون أيضاً بعض الشبه في نفوس شياطين الإنس من جهة والوسواس والقرين قال : ﴿ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا في قوله زخرف القول ما ينبئ على أن علوم المشركين وشبهة المشركين فبها رونق ولها زخرف والزخرف هو الشيء الناصع البين الجيد ومنه قيل للذهب زخرف لأنه ناصع واضح فزخرف القول الذي له نصوع وضياء يبصره ببصيرته المتأمل له

فيخدعه فقال جل وعلا هنا ﴿ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول ﴾ في هذا أن ما عند المشركين من العلوم لها زخرف فليحذر منها فلا يتصور في هـذا المقام وهو مقام كشف الشبهات : أن شبهة المشرك ليس لها وجـه البتـة لا تتصور هذا فإن المشرك يوحي بعض المشركين إلى بعض بزخرف القول حتى تتزين الشبهة فلا يقال هذه الشبهة فيها نصيب من الحق فتكون حقـا أو أن يظن أنه شبهة المشرك ليس لها نصيب من النظر البتة بل يكون لهـا زخـرف ويكون لها نظر فإذا تأملها أهل العلم وجدوها داحضة . كما قال جل وعلا :

﴿ والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴾ فالحجج التي يدلي بها أهل الشرك فيها زخـرف وفيها تدليس وفيها تلبيس ولها بعض الشبه لها بعض ما يجعلها ملتبسة بـالحق ولهذا لا تتصور أن الشبه التي ستأتي التي أدلى بها أعداء التوحيد أن كل واحد لا تدخل العقل أصلا . بل منها أشياء خدع بها الشياطين هؤلاء من خـدعوا من أمم الأنس والجن ولكن هذا القول غرور . يعـني أنـه يزهـر وينصـع ويتزخرف عند سماعه أو عند رؤيته ولكن عند التحصيل غرور ليس بشـيء وهذا لأنه إذا تدبر وفحص وجد أن حججهم داحضة قال : (وقد يكـون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج وهذه مقدمه مهمة أيضاً في سبيل كشف الشبهات التي أدلى بها علماء المشركين قد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة . وكتب وحجج العدو للتوحيد لا تتصور خاصة من أمة محمد ﷺ من العلماء الذين جاءوا في هذه الأمة لا يتصور أن عدو التوحيد لا يكون عنـده علم البتة لا يتصور أن عدو التوحيد لا يكون فقيها لا يكون محدثا لا يكـون

مفسراً لا يكون مؤرخاً بل قد يكون مبرزا في فن من هذه أو في فنون كـــثيرة كحال الذين ردوا على إمام هذه الدعوة فإنهم كان يشار إليهم بالبنان فيمـــا اختصوا فيه من العلوم منهم من كان فقيها ومنهم من كان مؤرخا وهذا حال أيضا من رد عليهم أيضا أئمة الدعوة فلا تتصور أن عدو التوحيد لا يكـــون عالما وهذه شبهة ألقاها الضلال في نفوس الناس فجعلوا اعتراض العالم علـــى العالم دال على صحة كل من المذهبين هذا وهذا والأمر واسع ولهذا بعضـــهم يقول في مسائل التوحيد هذا أصح من القول الثاني أو في أصح قولي العلمـــاء هو كذا وكذا وهذا لا يسوغ أن يقال في مسائل التوحيد لأن من خالف في مسائل التوحيد فإنه ليس من علماء التوحيد ولا علماء السنة الذين يصـــح أن تنسب لهم مقال أو أن يأخذ بقولهم في الخلاف بل التوحيد دلت عليه الدلائل من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وبينه الأئمة فمن خالف ولو كان من العلماء الكبار في الفقه أو في التاريخ أو في الحديث أو غيره فإن مخالفته لنفسه ولا يقال أن في المسألة خلاف لهذا لابد أن تنتبه إلى أن عدوا التوحيـــد مـــن علماء المشركين ليس من صفته أن يكون غير عالم بل قد يكون عالما وإمامـــاً في فن من الفنون إمام في التفسير إمام في الفقه مرجع في القضاء ونحو ذلـــك مثل أعداء الدعوة الذين عارضوا الشيخ رحمه الله وعارضوا الدعوة كحـــال مثلاً من المتأخرين داود بن جرجيس فإنه كان على علم واسع ولكـــن مـــن علماء المشركين وكحال محمد بن حميد الشرقي صاحب كتـــاب السـحب الوابلة على ضرائح الحنابلة أيضاً كان من أعداء التوحيد وصـــنف رداً علـــى المشايخ فيما تكلموا فيه على منظومة البوصيري المعروفة بالميمية وأبطـــل أن يكون ذلك شركاً وقرر ما قاله البوصيري إلى آخر ذلك . وللشـــيخ عبـــد

الرحمن ين حسن صاحب كتاب فتح المجيد المجدد الثاني رحمه الله له في ذلـــك رسالة رد بها على صاحب هذا الكتاب فهو بارز في الفقه وأشـــير إليـــه في التفسير وفي التراجم إلى آخره لكنه من علماء أعداء التوحيـــد مـــن علمـــاء المشركين لأنهم نافحو عن الشرك وردوا على أهل التوحيد وردوا التوحيـــد وضلوا الناس في تعريف التوحيد والشرك وبيان ما به يكون المسلم مشـــركاً مرتداً فأضلوا الناس في ذلك فإذا المقدمة المهمة بين يدي هذه الرسالة ألا تظن أن العلماء الذين يشار إليهم بالبنان أن هؤلاء لا يكونوا مشـــركين . بـــل في زمن الشيخ رحمه الله وما بعده كان هناك علماء يشار إليهم ولكنهم كـــانوا مشركين مثل مفتي الشافعية أيضاً في مكة أحمد بن زيني دهلان وأشباه هؤلاء فالناس يرجعون إليهم ويستفتونهم فيصدرون عنهم فلا يتصور أن الشرك ليس له علماء تحميه فإذا كمقدمه لا تقل في مسألة من المسائل التي يأتي كشـــف الشبهة فيها . قالها العالم الفلاني وقالها الإمام الفلاني وكيف يفعلـــها الإمـــام الفلاني فهذا إما أن يكون جاهلا ما حرر المسألة كبعض العلماء المشـــهورين المذكورين بالخير وإما أن يكون قد علم فعادى وعارض وصنف في تحســـين الشرك مثل ما فعل مثلا الرازي فخر دين الرازي صاحب التفســـير المســـمى بمفاتيح الغيب حيث صنف في تحسين دين الصابئة ومخاطبتهم للنجوم كتـــاب سماه السر المكتوم في أسرار الطلسمات ومخاطبة النجوم وبه كفره طائفة مـــن أهل العلم فيحسن كيف يخاطب النجوم وكيف يستغاث بها وكيف تستمطر إلى آخره . وصنف في ذلك ليدل صابئة حران على ذلك وهذا لاشك

أنه من الضلال البعيد فلا يقال في أي شبهه يأتي ردها أو رد عليها أئمة السنة والتوحيد لا يقال :كيف العالم الفلاني قالها كيف راحت على العالم الفـــلانى

وهؤلاء إما أن يكونوا جهالاً فلا يصنفون في أعداء التوحيد وإما أن يكونــوا صنفوا في الشرك وتحسينه فهؤلاء هم الذين عناهم الشيخ بقوله وقد يكــون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج إذا رأيت نقولهم (قد يكون عند شيخ الإسلام ابن القيم مثل ما فعل داود بن جرجيس مثلاً صنف كتابا أسمـــه صلح الأخوان نقل فيه عند شيخ الإسلام ابن القيم نقولا . ونقل عن أقــوال المفسرين وأقوال كثير من علماء مثل في هذا العصر ما صنف مثلاً محمد بـــن علوي المالكي كتاباً حشد فيه أقوال نحواً من مائتين أو ثلاثمائة مـــن العلمـــاء الذين أقروا بعض الشركيات وبعض التوسلات ونحو ذلك في كتبهم هذا ليس هو العبرة فإذاً القاعدة التي يجب أن يكون عليها قـــدما الموحـــد أن علمـــاء المشركين قد يكون لهم علم كبير وحججا لأنـــه لـــيس الشـــرك ســـبباً في انسلاخهم من العلم كما قال جل وعلا عن أوائلهم ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ وقد يكون هذا العلم في الإلهيات كمـــا قالوا ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا ﴾ هذا اعتراض شبهة وقالوا ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وقد يكون في الفقهيات كما قـــالوا ﴿ إنما البيع مثل الربا ﴾ ونحو ذلك فجنس العلوم التي وجدت في هذه الأمة موجودة عنـــد أعداء الرسل إما من جهة الإلهيات وإما من جهة الشرعيات فعارضوا الرســـل .بما عندهم من العلم بل إن الله ﷻ سمى قولهم حجة فقال وذلك تعظيماً له من جهة قوة الشبهة فيه قـــال: ﴿ والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له

حجتهم داحضة عند ربهم ﴾ وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج هل هذه الكتب الكثيرة التي له والفقهيات والتراجم والتفسير وما أشبه ذلك يجعله ليس عدوا للتوحيد إذا صنف في عداوة التوحيد وصنف في تحسين الشرك ودعا الناس إلى ذلك ، لا فإنه يكون عدواً للتوحيد ناصراً للشرك ولا كرامة ولو كان اثر السجود في جبهته ولو كان عنده من المؤلفات أكثر مما عنده المكثرين كالسيوطي وغيره فهذا ليس بعبرة وكلامه بالتالي ليس بعبرة لأنه ليس من علماء التوحيد فعلومه ضارة وليست نافعة قال بعد ذلك رحمه الله : (إذا عرفت ذلك) يعني ما تقدم من أن أعداء الرسل قد يكون لهم علوم وكتب يصنفونها وحجج يدلون بها ، قد يكون يحتجون بالكتاب قد يكون يحتجون بالسنة وأشباه ذلك وبأقوال المحققين من أهل العلم مثل ما ينقلون عن احمد بعض الأشياء ، ينقلون عن شيخ الإسلام ينقلون عن ابن القيم ينقلون عن ابن حجر ينقلون وينقلون وهذا كله من العلوم الضارة وليست من العلوم النافعة قال : إذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج (أنتبه لهذه الكلمة) (لابد له) لابد لطريق التوحيد الطريق إلى الله طريق التوحيد لابد له من أعداء كما ذكرنا وهؤلاء الأعداء قد يكونون علماء وهؤلاء العلماء أهل فصاحة وعلم وحجج لابد أن تُكَوِّن حاجزاً من أن يصدوك عن الهدى ويدخلوك في الضلال أو أن يلبسوا عليك الدين فليست الفصاحة هي المعيار فإبليس كان فصيحاً وليس العلم في نفسه هو المعيار بل لابد أن يكون العلم هو العلم النافع وليست الحجج وجود حجج وإيرادات وجواب هو المعيار فإذا كان هذا موجوداً فانتبه إلى وصية الشيخ رحمه الله في مقدمة هذه الرسالة

العظيمة كشف الشبهات قال: فالواجب عليـــك إذا علمـــت أن ثم أعـــداء والأعداء قد يكونون علماء وعندهم فصاحة وعلم وحجج معنـــاه العـــداوة استحكمت وتوجه الضراب عليك وتوجه الأسلحة عليك أعظم فما الـــذي يجب عليك ؟ هنا يجب عليك أن تصون نفسك وتحمي نفسك أعظم حمايـــة في هذا الأمر الجلل الذي من ضل فيه كان من الخاسرين أبد الـــدهر قـــال : فالواجب عليك وجوباً شرعياً أن تتعلم من دين الله ما يصير لك سلاحاً وقوله من دين الله هذا للتبعيض لأن العلم منه واجب عيني ومنه واجب كفائي وقوله : (فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله يعني به ما كان من الـــدين فرضـــاً عينياً على كل أحد وهو الذي لا يعذر أحد بالتقليد فيـــه وذلـــك في معـــنى الشهادتين وتحقيق مسائل القبر الثلاث من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ فهذا العلم واجب بأدلته وهو الذي وصف لك وصنف فيه الشيخ الرسالة العظيمة ثلاثة الأصول لنجاتك في هذا الأمر الخطير بين علمـــاء المشـــركين قـــال : فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير لك سلاحاً تقاتل بـــه هـــؤلاء الشياطين تقاتل به ابتداء أو تقاتل به دفعاً؟ كلاهما لابد من الـــدفع في حينـــه ولابد من الابتداء في حينه مقاتلة بالحجة والبيان إذا لم تكن ذا سلاح فالخوف ثم الخوف عليك ولهذا تجد أن بعض أهل الفطرة وأهل هذه الـــبلاد وأهـــل التوحيد الذي يفترض فيهم ويظن فيهم أن يكونوا حماة لهذا الأمـــر العظـــيم توحيد الله ﷻ الذي هو حق الله على العبيد أن لا يصغوا لشبهة في التوحيـــد والآن تجد أن منهم من عنده شبه في السحر ، من عنده شبه في الكهانة وتجد من يردد كلاماً في أن هؤلاء الذين يعبدون القبور ويعبدون الأوثان وينـــادون الموتى والغائبين بما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ أو فيما لا يقدرون عليه يقـــول :

هؤلاء فيهم كذا التكفير صعب الحكم عليهم بالشرك صعب ، هم أهل صلاة يعرفون الله عندهم محبة الدين ونحو ذلك من الكلام وهذا يزلزل نفس الموحد لأنه يظن أن المسألة إذا مادامه صاحب صلاة وصاحب زكاة وعنده حب للخير وكذا فلا يحكم عليه حكم الشرك أو الكفر مع أنه ساب لله جل جلاله وذلك بعبادته غير الله جل وعلا فنفس الموحد في هذا المقام تأتيها أنواع كثيرة من الهجوم تارة في أشياء نفسية وتارة بشبه علمية وتارة بأشياء راجعة إلى الضعف الذي في نفس بعض أهل التوحيد فإذا لابد من الانتباه لهذا وهو أن الواجب أن يتعلم المرء من دين الله ما يصير له سلاحاً يقاتل به هؤلاء الشياطين ، ما هو هذا السلاح ؟ هو تعلم التوحيد وضده وتعلم الشرك بأنواعه كما صنف فيه الشيخ رحمه الله كتابه ، كتاب التوحيد ثم إن كان بين قوم عندهم مجادلة في التوحيد لابد من الإطلاع على ردود الأئمة على علماء المشركين الذين شبهوا في التوحيد كما قدمت لك في المقدمة أن معرفة هذا الكتاب يعني كشف الشبهات مبنية على أشياء منها مطالعة كتب العلماء في رد شبهة المشبهين الذين عارضوا الدعوة وعارضوا التوحيد قال : تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل : ﴿ **لأقعدن لهم صراطك المستقيم** ﴾ يعني قد تكون سائراً على الصراط فيكون إبليس الشيطان ومن معه من الإنس والجن يأتونك في هذا الصراط المستقيم ليحرفوك عنه قال : ﴿ **ثم لأتينهم** ﴾ يعني وهم على الصراط ﴿ **من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** ﴾ يعني هجوم من كل جهة وهذا يعظم المصيبة ويعظم الابتلاء فيكون إذاً التعلم وأخذ السلاح

واجب وجوباً لا محيد عنه قال بعد ذلك رحمه الله : ولكن إذا أقبلت على الله ، أقبلت على الله بصدق وإخلاص وإنابة وتخلص من الحول والقوة وإنطراح بين يدي الله جل وعلا أن يخلصك من كيد الشياطين وكيد أعدائه في الشبهات والشهوات قال : وأصغيت إلى حججه إلى حجج الله وبيناته فلا تخف ولا تحزن ، يعني إذا فعلت السبب الواجب عليك بتعلم الحجج والبيانات التي بينها الله جل وعلا في كتابه وأقبلت على الله بقلب منيب صادق مخلص محباً لما عند الله راغب في الخير ملتمساً له فلا تخف ولا تحزن ، الشيخ حينما صنف ذلك استحضر زمنه واستحضر بعض البلاد ، بلاد هذا الزمن التي فيها قلة من التوحيد وأكثر من حولهم وأكثر أقاربهم وأكثر علمائهم في بلدهم ينافحون عن الشرك ويدعون إليه فإنه يجد نفسه في خوف وفي حزن ، في خوف من أن يصاب وقد يكون إذا كان ضعيفاً قد يكون يأتيه التردد في هذا الأمر إلا إذا أقبل على هذا الأمر الجلل ولم يحد عنه قال : وأصغيت إلى حججه وبيناته فلا تخف ولا تحزن إن كيد الشيطان كان ضعيفا والله جل وعلا مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال : والعامي من الموحدين يغلب ألفاً أو قال الألف من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى : ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ .

العامي من الموحدين عنده محكمات وهي العلم الواجب الذي ذكرنا أنه لا يصح إسلام العبد إلا به عنده من المحكمات ما يرد بها شبه المشبهة وشبه علماء المشركين مثال : ما ذكره بعض أئمة الدعوة أن رجل من عوام الموحدين كان في المدينة في المسجد النبوي فقال له أحد العلماء لما عرف أنه من هذه الجهة يعني في الزمن الأول قال له : أنتم تقولون لا يطلب من الموتى

هؤلاء الشهداء أحياء بنص القرآن والله جل وعلا يقول : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ فهؤلاء أحيـــاء وليســـوا بأموات فلماذا لا نطلب منهم قال له : العامي هذا من الموحدين : لو قال الله ﷻ : ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ لطلبنا منهم ولكن قال : ﴿ يرزقون ﴾ وهم يرزقون مثل ما نرزق فنحن نطلب من الرازق فهـــذا رجـــوع إلى المحكمات فالموحد ولو كان عامياً لا بد أن يتمسك في هذا البـــاب العظـــيم بالمحكمات من المحكمات مثلاً تعريف كلمة التوحيد ، من المحكمات تعريـــف العبادة التي ترجع إليها معهما شبه المشبه من المحكمات إجماع أهل العلم على أن صرف العبادة لغير الله كفر وأن من صرف العبادة لغير الله فهو مشـــرك ، من المحكمات أن المسلم قد يرتد بأشياء كما نص عليه العلماء في باب حكم المرتد ، من المحكمات التي ترجع إليها أن مشركي العرب كـــانوا يعبـــدون الأصنام والأوثان لا لأنها حجارة لكن عبدوها لان فيها أرواح الصـــالحين ، تحل في الأصنام أرواح الصالحين والأولياء ﴿ أم اتخذوا من دونه أولياء ﴾ ﴿قل اتخذتم من دونه أولياء ﴾ ونحو ذلك اتخذوا الأوثان أو الأنبياء أو صالحين فإذن من المحكمات التي ترجع إليها في هذا المقام أن شرك مشركي العرب ليس هو بعبادة الصنم هذه مهمة من المحكمات والأساسيات فإذا تقرر هـــذه الأربـــع محكمات ومن الله عليك بأشياء زيادة على ذلك من حفظ بعض الآيـــات في هذا المقام كقوله جل وعلا : ﴿ والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطمير إن

تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾ وكقوله جل وعلا : ﴿ وهم عن دعائهم غافلون ﴾ وقوله ﴿ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ لأن هذا فيمن يبعث لأن هذه الآيات في من يحشر يوم القيامة فيجيب وهو غافل عن الدعاء في الدنيا وإذا حشر الناس يوم القيامة كانوا لهم أعداء يعني لمن عبدهم فمن المحكمات أن ترد على كل من قال : إن عبادة المشركين لغير الله هي عبادة الأصنام كما يدندن حوله أكثر المفسرين المتأخرين كل ما أتت آية فيها عبادة غير الله يجعلونها في الأصنام بينما إذا رأيت تفسير ابن جرير رحمه الله تجد أن كل نص فيه عبادة غير الله جل وعلا يجعله في الأصنام والأوثان والأنداد جميعاً وهذا لا شك أنه فقه عظيم بنصوص القرآن .

إذاً عرفت المحكمات التي ترجع إليها فلا يحتاج العامي من الموحدين إلى أن يعلم التفاصيل كلها فإذا علم ثلاثة الأصول بأدلتها وعلم الذي ذكرنا المقدمات الأربع هذه فإنه يغلب الألف من علماء المشركين ، لما ؟ لأن معه المحكم وأولئك معهم المتشابه والذي معه المحكم يغلب من معه المتشابه لأنه واضح والمتشابه غير واضح والمتشابه مشتبه وأما المحكم فواضح بين ، فكل شيء شُبِّه عليك به ارجع به إلى أصله إلى المحكم منه فتجد أن المسألة اتضحت فتدع المتشابه في النظر وفي الجدال وترجع إلى المحكمات فتعلوا الحجة قال : كما قال تعالى : ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ قال : فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما هم الغالبون بالسيف والسنان ، هذه الآية ﴿ وإن

جندنا لهم الغالبون ﴾ قال فيها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وجماعة ممن بعده أن الأمة ظاهرة (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق) ظاهرة وغالبة في كل زمن وأنه لا يتصور وجود زمن لا يكون في هذه الأمة طائفة ظاهرة على الحق غالبة لأن الله جل وعلا قال : ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ فأكد ذلك بأن وأكده باللام وهذان نوعان من المؤكدات وهذه الغلبة وهذا الظهور قد يكون بالحجة والبيان وقد يكون بالسيف والسنان فإن عدم أهل الحق الظهور بالسيف والسنان فهم غالبون في كل زمن بالحجة والبيان ومعلوم أن النبي ﷺ مكث مدة في مكة وهو يجاهد هم بالقرآن فإذاً الجهاد والقتال قائم في كل حين حتى في لحظتنا هذه بيننا وبين المشركين وبين أعداء الملة والدين إما بحجة وبيان نجا هدهم بها وإما بسيف وسنان والسيف والسنان له شروطه المعتبرة شرعاً والحجة والبيان قائمة في كل زمان فإذاً هذه الأمة منها طائفة ظاهرة على الحق لا يضرها من خالفها ولا من خذلها إلى قيام الساعة وهم ظاهرون بالحجة والبيان وأهل التوحيد ظاهرون على أعدائهم بالحجة واللسان والحجة والبيان لأن حججهم محكمات واضحات ولأن حجج غيرهم داحضة لأنها شبهات .

قال : وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح ، إلى الآن كل هذه مقدمات فيها وصف يأتي بعد إن شاء الله الدرس القادم ، ابتداء دخول في لب الكتاب وتفاصيل الشبه وتقعيد الردود عليها في تبيان كلام الشيخ رحمه الله قال : وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح وهذا والله حق فالخوف على الموحد أن يأتي ويسلك طريقاً ليس

معه سلاح فقد سُمع من بعض أهل التوحيد والمنتسبين إليه من يُسَّهل بين خلاف الأديان وربما بعضهم سماها الأديان السماوية الثلاثة وسُمع منهم من يُسهل في أمر إتيان السحرة وسُمع منهم من يشكك في كفر أهل الشرك وكفر عباد القبور والأوثان وهكذا بل حرك ترى في الناس فقد يكون في هذا الزمان عندنا في هذا البلد بخاصة فكيف بغيره من إذا حركته في مسائل التوحيد ربما سلم لك شيئاً أو أشياء وجادلك في أشياء كانت من الواضحات وهذا لأجل أنهم خاضوا الطريق واختلطوا بالناس وذهبوا وجاءوا وسافروا وانفتحوا على الأقوال المختلفة ووسائل الإعلام المختلفة دون سلاح مثل ما قال الشيخ رحمه الله هنا : وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح خلا ص كل يصيبه ما معه سلاح هذا يصيبه بطعنة وهذا يصيبه بطعنة من الشبهات حتى يكون ذهنه قائماً على غير الحق نسأل الله جل وعلا العافية .

وقال : وقد من الله علينا بكتابه الذي جعله تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ، هذه الكلمة تأصيل لأن الردود على المشركين وكشف الشبه الأصل فيها كتاب الله جل وعلا ، وكل حجة عندنا فإنما هي في القرآن ، في هذا الأمر العظيم أمر التوحيد ومضادة الشرك وأهله هي في القرآن ، لما ؟ لأن القرآن كما قال جل وعلا : ﴿ تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ فقوله : ﴿تبياناً لكل شيء ﴾ فيه بيان كل الأشياء وأعظم الأشياء حاجة إلى تبيانها مسألة التوحيد والشرك وبيان التوحيد وبيان الشرك وهذا هو أعظم ما يحتاج إليه العباد فكان هذا داخلاً دخولاً أولياً في قوله :

﴿تبياناً لكل شـيء﴾ إذاً الرجوع في التبيان والبيان والحجة إلى القرآن وهذا كما سيأتي في أن كل الحجج إنما هي من القرآن والسنة مبينة للقرآن قـال : فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها وهـذا قاعدة عامة في كل شيء في مسائل العقيدة والتوحيد وكل مسألة يحتاج فيها إلى حكم الشرع فإنها في القرآن كما قال جل وعلا : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ على أحد وجهي التفسير

قال : إلا وفي القرآن ما ينقضها ويين بطلانها كما قال تعالى : ﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾ المثل ليس المراد به ما يسير مسير كما يقال في الأمثال كذا وكذا وإنما المثل هو القول الذي يسير في الناس القول إذا كان له حجة وله مسير في الناس من جهة القناعة به لشبهة فيه قيل له مثل ولهذا قال جل وعلا هنا : ﴿ ولا يأتونك بمثل ﴾ يعني بحجة باطلة في التوحيد في إبطاله أو في تحسين الشرك أو في إيراد الشبه وأنهم ليسوا بكفار ولا مشركين إلا جئناك بالحق يعني في رده وبيان بطلانه وبيان الحق في ذلك وأحسن تفسيرا وأوضح تبياناً وأحسن تأويلاً وشرحاً لذلك المثل وللحق الذي فيه لأن القرآن غالب قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة نقف عند هذا ، وما بعده يبدأ الكلام الذي يدخل في العلم الغزير وما سبق مقدمات وهذه المقدمات مهمة مهمة للغاية .

نجيب على بعض الأسئلة : ـــ

س:يقول:نرجو عندما تذكر قول شيخ الإسلام أو قول غيره أن تذكر الكتاب الذي يوجد فيه هذا القول حتى يسهل الرجوع إليه للاستفادة وتدوينه

ج : بالنسبة لأقوال شيخ الإسلام بن تيمية أحياناً أتذكر مثلاً أو يتذكر الذي ينسب القول إلى شيخ الإسلام ويعزوه إليه يتذكر المرجع يعني مظنته ، يقول : مثلاً في فتاوي في كذا أو في اقتضاء الصراط المستقيم أو في كتاب كذا من كتب شيخ الإسلام وتارة يحفظ القول وينسى مكانه بالنسبة للشباب الذين يطالعون مثلاً قريبين من كتب شيخ الإسلام دائماً لقربها عند المطالعة تجد عنده تذكر مستمر للقول في مكانه إلى آخره لكن إذا تطاول العهد بكلام شيخ الإسلام أو كلام غيره فإنه يذكر القول وقد يند عن الذهن المرجع فلا بأس إذا حصل منا تذكر للمرجع نذكره إن شاء الله تعالى وإذا صار هناك تردد فيه أو نسيان فنرجئه أو نمر عليه .

س : من ذبح عند قبر مثلاً متى يحكم عليه أنه مشرك ؟

ج : إذا ذبح عند القبر متقرباً لصاحب القبر فهو مشرك تحكم عليه بالشرك لذبحه لأنه صرف العبادة لغير الله ثم تقيم عليه الحجة فإن مات بعد قيام الحجة عليه فهو خالد مخلد في النار .

س : ومتى يعذر بالجهل ؟

ج : سبق لنا بعض كلام في هذه المسألة

س : ما رأيكم في من يقول اللهم لا تشغلنا إلا في طاعتك ؟

ج : لا تشغلنا عن طاعتك أو لا تشغلنا إلا في طاعتك دعاء طيب لقـــول الله جل وعلا : ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾ يعـــني في طاعـــة الله ﴿ وإلى ربك فارغب ﴾ فشغل الإنسان بالنية يكون طاعة فإذا دعا بهذه الـــدعوة يعـــني يدعوا بتحسين النية في كل عمل حتى يكون طاعات .

يقول : في هذا العصر نجد من الدعاة إلى الله من مكث سنين طويلة يكتب للإسلام بنية صالحة حتى وفاته عليه بعض الأخطاء في العقيدة والمنهج هل يمكن أن نقول بعد كل ما فعل أن منهجه غير إسلامي .

بالنسبة للذين يكتبون وعليهم أخطاء ننظر فيه يعني فيما يخص بحثنا اليوم ننظر هل هو معاد للتوحيد هل هو يحسن الشرك أو يهون من شأنه فإن كان كذلك فلا كرامة أو على الأقل نقول مثل ما يقول علمائنا الأوائل إذا واحد مثلاً ما يعرفونه في تحقيق التوحيد ولا في نصرة التوحيد يقولون ما نعرفه بشيء يسكتون عنه لا يمدحون ولا يذمون إذا ما حقق التوحيد ولا دعا إليه في بلد فيها الشرك بالله جل وعلا وكلمة منهجه غير إسلامي لأن كلمة إسلامي هذه دخل فيها فئات كثيرة ودخل فيها أصناف من الناس منهم من هو قريب ومنهم من هو متوسط ومنهم من هو بعيد فهي كلمة لا تقال يعني منهجه غير إسلامي كلمة فيها سعة .

هنا قال : قلت إن احمد زيني دحلان من الذين يدافعون عن الشرك لهذا المذكور كتب في علوم الآلة مثل النحو فهل ننتفع بها ؟

لا علماء المشركين لا تنتفع منهم بشيء لأن الانتفاع منهم بشيء يجعل في القلب شيء من التعاطف معه هذا مخالف لما يجب من البراءة منه مثل كتاب احمد زيني دحلان هذا في النحو ليس بشيء وثم كتب كثيرة جداً بالمئات تغني عنه .

احمد زيني دحلان له كتاب سماه الدرر السنية في الرد على الوهابية وكان مفتي الشافعية في مكة وبسببه وبسبب هذا الكتاب وبسبب مؤلفه انتشرت الدعايات السيئة على هذه الدعوة وعلى إمامها رحمه الله تعالى كان إذا أتى الناس إلى الحج جمعهم مفتي الشافعية فيجمع الجاوة مثلاً ويجمع أهل مصر ويجمع أهل الشام ويجمع أهل أفريقيا ويجمع ويجمع ويعطيهم نسخ من هذا الكتاب ويقول ظهر في جهتنا رجل يقال له كذا وأصحابه يقال لهم : الوهابية هؤلاء خوارج وهؤلاء يدعون إلى كذا إلى آخره لهذا يردد الناس جميعاً ما كتبه أحمد زيني دحلان في كتابه هذا الدرر السنة وقد قال عن شيخ الإسلام رحمه الله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وكان هذا الرجل يأمر النساء الآتي يتبعنه بحلق رؤوسهن وكان يختار منهن الزوجة التي يريد والظاهر من حاله بالقرائن أنه يدعى النبوة هذا في الكتاب وقد روى بعضهم حديثاً عن النبي ﷺ قال فيه يخرج في ثاني عشرة قرن من الزمان رجل يلعق براثمه يحدث فتنة يعتز فيها الأراذل والسفل ويذل فيها أهل الفضل والكمل أو شيء من هذا وهي فتنة تتجارى بها الأهواء وما شابه ذلك قال بعدها وهذا الحديث وإن لم يعرف من خرجه لكن شواهد الصحة تدل عليه ما هو موجود إلا في كتابه ومن نقل عنه فهؤلاء علماء مشركون حقيقة يعني حسنوا الشرك دافعوا عنه ردوا على أهل التوحيد طعنوا في الدعوة وفي أئمة الدعوة رحمهم الله تعالى

فماذا يبقى في حالهم لا شك أنه أقل ما يجب العداوة القوية والمفاصلة والبراءة منهم إذ هذا هو معنى قوله ﴿ إن برءا منكم ومما تعبدون من دون الله .... ﴾ إلى قوله ﴿ وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾

س : إذا مات عالم يروج شبهة فما موقف أهل السنة والجماعة منه ؟

ج : هذه الشبهة التي يروجها أن كانت بالشرك يحسن الشرك فهو مشرك وهذا يتبرأ منه وليس بموحد لأن كل عالم حسن الشرك ودعي إليه فهو مشرك لأن الحجة قامت عليه لكونه عالما بالقرآن وبالسنة والقوة عنده قريبة فلا يعذر بعدم بحثه أو يعذر إذا كان حسن الشرك ودعا إليه مثل تحسين الاستغاثة بغير الله ومثل الدعاء إلى الإشراك بالموتى وأشباه ذلك . بخلاف من عنده شبهة راجت عليه في مسائل يعظم الاشتباه فيها مثل مسألة الشفاعة في سؤال النبي ﷺ ذلك فهذا لا يتبع فيما وقع فيه .وما أورده . وإن دعي إلى ذلك فيرد عليه . إلا إذا كانت الشبهة كما ذكرنا في التوحيد فإنه يخرج من الدين إذا كان حسن الشرك ورد علي التوحيد .

س :هناك من العلماء من أخطأ في توحيد الأسماء والصفات قد أولوا بعض الصفات وهؤلاء العلماء لهم جهود كبيرة في خدمة هذا الدين والعلم والعلماء،فهل نحكم عليهم حكم الشرك من العلماء ؟ لا حاشا وكلا الذي يخطئ في توحيد الأسماء والصفات يأول بعض الصفات لا نحكم عليه بالكفر بل هو مبتدع مخالف عاصي فهو ممن خلط عملاً صالحاُ وآخر سيئاً ويجب

النهي عما أخطأ فيه إذا كان مما أخطأ فيه متعدياً علي الناس بمعنى منتشر في الناس يجب التحذير من ذلك إنكار للمنكر حتى لا يقتدي الناس به فيما أخطأ فيه وبعض الأئمة منهم أحمد وغيره قيل له :ترد علي فلان وفلان ولهم من المقامات كذا وكذا يعني من الصلاح والطاعة فقال :ويلك أنا خير لهؤلاء من آباؤهم وأمهاتهم ألا تري كيف أدفع عنه من يقتدي به في سوءه حتى لا تعظم عليه ذنوبه يوم القيامة تقول:أنا خير لهؤلاء من آبائهم وأمهاتهم ألا تري كيف أدفع عنهم الإقتداء بهم بالسوء .

حتى لا تعظم ذنوبهم يوم القيامة هذا فقه . فقه عظيم لأن النصيحة لأئمة المسلمين ولعاميتهم توجب أن يبين خطأ المخطئ حتى لا يتبعه الناس في خطاه الذي صنف أو الذي دعي إذا أخطأ وأخطأ بخطاه اقتدى به أمم مع قرب الحق منهم وإن كان الوصول إليه فلم يقتنعوا بالحق و لم يأخذوا به فكما قال النبي عليه الصلاة والسلام (ومن دعا إلى ضلالة فعلية وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أوزارهم شيء) وقال أيضاً في الحديث الآخر (من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها فإذاً التحذير من خطأ المخطئ في توحيد الأسماء والصفات أو بدعة المبتدع أو ضلال من ضل في بعض المسائل هذا في مصلحته . والإسلام أغلى من فلان وفلان حتى ولو كان ممن يشار إليهم من المصنفين القدماء أو المحدثين لأن المقصود حظر التأثير فيما أخطأ فيه عن أن يتبع في ذلك فالتنبيه لابد منه وكل رد له مقام فأحيانا يكون المقام في ذكر حسنات وسيئات وتارة يكون المقام لا يجوز فيه أن تذكر حسناته في مقام الرد والسلف رحمهم الله تعالي في ردودهم على المخالفين تارة يذكرون ما لهم وتارة لا يذكرون ما لهم . بل

يذكرون ما عليهم وهذا لأجل تنوع المقام فإن كان ذكر ماله في مقام الرد عليه يغري به ويوقع الشبهة في تحسين كلامه فإنه يكون ذلك شبهة توقعها في الناس مثلاً ترد على الرازي مثلاً في الأسماء والصفات أو في التوحيد بعامة أو ترد على فلان فتقول كان إماماً مبرزا وكان ذا علوم وكان العلماء لا يصلون إلى شئ من علومه وحفظ كذا وكذا اللي بيقرأه بينذهل------ كل هذا ثم بعدين تريدني أصدقك أنه أخطأ أنت من أنت وهذا وقع في بعض من كتب في ردوده مدحاً لمن رد عليه يأتي القارئ له فلا تتصور القارئ طالب علم الشيء إذا نشر يقرأه العامة ربما يقرأه واحد في بيت أو يقرأه مثقف عادى يقرأ فيقول إذا كان هذا عالم وأنت الآن مجدته هذا التمجيد وأخطأ ليش أنا آخذ كلامك ولا آخذ كلامه . فتقع الشبهة ولهذا هدى السلف في الردود أنه بحسب المقام تارة يذكرون ماله وما عليه مثل ما ذكر شيخ الإسلام في مقامات ما للمخالفين وما عليهم وتارة لا يحسن أن يذكر ماله لأنه قد يغري ذلك الجاهل بالإقتداء به أو أن تكون المسألة فيها قولان أو اختلاف علماء وكل يأخذ ما يشتهى .

هذا تحقيق في مسألة ما أشيع أو ما أكثر الكلام فيه في مسألة الحسنات والسيئات وفي ذكر الحسنات والسيئات فيكون تحقيق المقام أن هذا يختلف فإذا كان المقام مقام تقييم له فيذكر ماله وما عليه وإذا كان المقام مقام رد عليه فلا تذكر حسناته إذا كان في ذكرها إغراء بقبول ما قال ولو عند بعض الجهلة لأن هذا يحفز من قبول الحق الذي يأتي به الرد .

هذا يتكلم عن المنهجية في طلب العلم ......

نحتاج إلى تفصيل بعض الشيء ....

ما رأيكم في قراءة كتب شبهات المشركين أو الشبهات التي يلقيها بعض المسلمين على العلماء والدعاة وحجة التحذير منها والرد عليها لا هذه لا تؤخذ ولا تقرأ إلا لمحكم أمره عالم يمكن أن يرد عليها أما الذي يخوض في هذا الميدان بلا سلاح أو يعرف أن سلاحه ضعيف لابد أن يحذره ولا يعرض دينه وعقيدته ويقينه للتردد والتذبذب

من المعلوم أن العقيدة من الأمور التي لا يجوز فيه التقليد البتة وهناك من العلماء من أراد الوصول إلى الحق و لم يعرف بعدائه للتوحيد ولكن لمعرفته بأن العقيدة لابد فيها التحرير حصل ما كان مخالفاً للصواب فهل نحمل ذلك على التأويل وأنه كان متأولاً نرجوا البيان علماً أن من أعداء الدعوة من قصد الوصول إلى الحق ولعل منهم من رجع وتاب ..... إلى آخره .

هذا راجع إلى تفصيل الكلام في المسألة الظاهرة والباطل بالسنة إلى اجتهاده في الوصول إلى الحق هذا بينه وبين الله جل وعلا لكن إذا كان مشركا دعا إلى الشرك وحسنه وأبطل حجج أهل التوحيد وعادى التوحيد وأهله فلا شك أنه مشرك كافر ولا كرامة إذا كان من العلماء لأن الحجة عليه قائمه والقوة عنده قريبة يمكن أن يبحث ويبحث الحق موجود في الكتب بل هناك من قال من أهل العلم في هؤلاء أن الله ﷻ قال في القرآن ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ وهؤلاء العلماء بلغهم القرآن وفهموا معناه فإن كانوا أعرضوا عن القرآن مع علمهم فهؤلاء قد قامت عليهم الحجة فالمقصود أن الرؤساء هؤلاء رؤساء في

الضلال والكفر والشرك من الذين حسنوا الشرك أو دعوا إليه أو أبطلوا التوحيد أو أبطلوا حجج أهل التوحيد ودعوا الناس لمعاداة أهل التوحيد هؤلاء طواغيت مشركون

س : الذين خلطوا في باب الأسماء والصفات قسمان : منهم علماء وصل اجتهادهم إلى ذلك ومنهم من يؤول على جهل اتباع هواه وفكره فهل يساوى بينهم ؟

لا . لا شك المخطئون والضلال ليسوا على درجة واحدة في أبواب الاعتقاد .

نفعنا الله حل وعلا وإياكم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

****

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : (وجواب أهل الباطل من طريقين : مجمل ومفصل أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة العظيمة لمن عقلها لقوله تعالى ﴿ هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فإما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله (وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فحذروهم)

مثال ذلك إذ قال بعض المشركين : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ وأن الشفاعة حق وأن الأنبياء له جاه عند الله أو ذكر كلاماً عن النبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجاوبه بقولك : إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكمات ويتبعون المتشابه وما ذكرت لك أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله هذا أمرمحكم ظاهر بين لا يقدر أحد أن يغير معناه وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه ولكن

اقطع أن كلام الله لا يتناقص وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله وهذا جواب جيد سديد ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله فلا تستهين به فإنه كما قال تعالى ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ل شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين اللهم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً وتقي وخشية يا أرحم الراحمين أما بعد ....

فمن هذه الجملة من هذه الرسالة العظيمة كشف الشبهات . يبتدئ الكلام على الشبهات وعلى إبطالها وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى قبل ذلك مقدمات غالية في الأهمية وهى المحكمات التي يحتاج الموحد أن يرجع إليها في حجاجه مع أهل الباطل وأهل الظلم والطغيان قال الإمام رحمه الله هنا وأنا أذكر لك أشياء مما ذكره الله في كتابه جوابا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين مجمل ومفصل ..

كل شبهة في كلام المشركين أدلوا بها فإن جوابها في القرآن إما عن طريق الجواب المجمل وإما عن طريق التفصيل لقول الله جل وعلا ﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق واحسن تفسيرا ﴾ والله جل وعلا أبطل حجج المشركين

بالإجمال وبالتفصيل وكلام الشيخ رحمه الله هنا جواب أهل الباطل من طريقين مجمل ومفصل كلمة مجمل تارة يقابل بها المبين وتارة يقابل بها المفصل ومعناها إذا قوبل بها المبين يختلف عن معناها إذا قوبل بها المفصل والأول هو الذي يبحثه الأصوليون حين يجعلون في مباحثهم في الركن الثالث من اركان أصول الفقه وهو البحث في الاستدلال المجمل ويقابلون به المبين والمجمل الذي يقابل به المبين اختلفت عبراتهم في تعريفه ولكن حاصلها يرجع إلى أن المجمل ما لم تتضح دلالته أو كما قال بعضهم ما احتمل شيئين ولا مرجح أو كما قال بعضهم ما لم يكن متحد المعنى و لم يكن ثم ما يبين ذلك المعنى فيه فإذاً المجمل الذي يقابل بالمبين هذا يبحث فيه من جهة دلالة الألفاظ ومن جهة الاستدلال فيقال هذا مجمل وهذا مبين ومعلوم أن النصوص إذا جاء فيها شيء مجمل فلابد من البحث عما يبين حتى يتم الاستدلال لأن الاستدلال بالمجمل لا يصح لأنه محتمل لأشياء ولا مرجح لأحد الاحتمالات من اللفظ أو من التركيب وإنما لابد من البحث عن البيان في أدلة أخرى وأما في مقام البرهان وعند أهل الحجاج والاستدلال فإنهم يستخدمون لفظة المجمل المقابل لها المفصل وهو الذي عناه الشيخ رحمه الله في هذا المقام حيث قال : من طريقين مجمل ومفصل . والمجمل هنا هو المجمل في باب الحجاج وباب الاستدلال وإقامة البرهان وذلك أن البراهين في إقامتها تنقسم إلى براهين مجملة وبراهين مفصلة ويقصد بالإجمال . البرهان العام الذي يمكن أن ترجع أفراد كثيرة إليه من جهة الاحتجاج فيصلح حجة لأشياء كثيرة دون تحديد وأما المفصل الذي يقابل به المجمل هذا . فإنه الرد الذي يقابل به كل شبهة على حدة فنكون الشبهة لها رد بالتفصيل عليها وقد يكون هناك في الرد المفصل ما يشترك فيه

بين رد ورد وهذا يأتينا إن شاء الله تعالى فتحصل لك أن قول الإمام رحمه الله تعالى جواب أهل الباطل من طريقين : مجمل ومفصل أن المجمل هو الجواب العام والاستدلال العام والبرهان العام الذي يصلح لكل حجة يوردها المورد يوردها المجادل والمفصل هو البرهان والدليل لإبطال كل شبهة على حدة ذلك على وجه التفصيل فإذاً عندنا الإجمال هنا غير الإجمال المعروف في أصول الفقه فالإجمال هنا واضح بخلاف المجمل في أصول الفقه فإنه ما لم تتضح دلالته فإذا قول الشيخ رحمه الله : أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة (يعنى أما الجواب الذي فيه البرهان والدليل العام والشامل لرد أفراد كثيرة من شبه أهل الباطل بل لرد كل شبهة يوردها المبطلون قال : فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها وهذا واضح فإن النبي ﷺ أحال على هذا الجواب المجمل وأحال على هذا الأمر العام في قوله عليه الصلاة والسلام في بيان آية آلا عمران : ﴿ فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فحذروهم ﴾ وهذا إحالة إلى تحذير عام من كل صاحب شبهة وهذه يحتاجها كل مسلم كل موحد لأن درجات العلم تختلف حتى لبعض أهل العلم قد يخفى عليه جواب بعض الاشكالات لكن إن كان من الراسخين في هذا العلم ومن الموفقين آمن بما اشتبه وأحال الجواب على المحكم ولا يلزم من ذلك أن تكون كل شبهة مردودة عند كل عالم كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى لكن المحكمات الأمر المجمل العام هذا تستفيده في كل موقف من المواقف التي يجادلك من يخالف طريقة أهل التوحيد طريقة أهل السنة والجماعة طريقة السلف الصالح فالاستمساك بهذا الجواب المجمل هذا غاية في

الأهمية لأنه قد لا يستحضر طالب العلم أو يستحضر الموحد جواب كل شبهة على تفصيلها فإذا تمكن من هذا الجواب المجمل فإنه يتمكن من رد كل شبهة أو ردها المبطلون وتفصيل هذا الاستدلال المجمل -------برد كلام أهل الباطل في التوحيد وبه تنكشف شبههم جميعا قال فيه : وذلك قوله تعالى ﴿ هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنا أم الكتاب وآخر متشابهات فإما في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا ألوا الألباب ﴾

هذه الآية فيها بيان من الحق جل وعلا أن هذا القرآن أنزل على النبي ﷺ وهو قسمان : ١ – منه محكم ٢ – ومنه متشابه .

والمتشابه والمحكم راجعان إلى دلالة الألفاظ وراجعان إلى المعنى لا إلى المراد به فالمحكم اختلفت أقوال العلماء في تعريفه ما هو المحكم وما هو المتشابه فقال بعضهم : إن المحكم هو ما استبان معناه واتضحت دلالته فلا لبس فيه متضح لكل أحد لا لبس فيه ولا اشكال والمتشابه ما يشتبه معناه المراد به فلا يتضح فإذا رجع على هذا التعريف المحكم إلى المتضح البين والمتشابه إلى ما يحتاج إلى اجتهاد ونظر لا يتضح معناه ومن الأقوال في ذلك ما رواه علي بن أبي طلحة في صحيفته المعروفة في التفسير عن ابن عباس أنه قال رضي الله عنهما أنه قال : المحكم هو ناسخه وأمره ونهيه وحلاله وحرامه وأرجع المحكم ابن عباس إلى ما يكون من جهة العمل وأما الأخبار فإنها لا يعلم تأويلها إلا الله جل جلاله لأن حقيقتها غير معلومة يعني في الأمور الغيبية كما سيأتي :

وقال آخرون من أهل العلم : المحكم راجع إلى ما لا تعدد في دلالته والمتشابه إلى ما تتعدد الدلالة فيه والأقوال في هذا كثيرة معروفة في كتب الأصوليين ومن الباطل فيها ما يجعل المحكم ما رجع إلى أمور الفقه في الأحكام والمتشابه ما يرجع إلى أمور العقيدة لأن هذا معناه أن الله ﷻ لم يبين لنا بياناً محكماً شيئاً من أمور العقيدة وهذا باطل ومن الباطل فيه ما يقال : إن من المتشابه أو المتشابه منه آيات الصفات ومنه الحروف المقطعة في أول السورة وهذا أيضاً من الأقوال الباطلة فيه وليس هذا محل بسط الكلام في المحكم والمتشابه لكن المقصود من ذلك أن الراجح عن أهل العلم : أن المحكم هو ما تبينت دلالته واتضحت والمتشابه هو ما يحتاج في بيان دلالته إلى اجتهاد ونظر والقرآن جعله الله جل وعلا محكماً كله وجعله جل وعلا متشابهاً كله في آيات آخر قال جل وعلا في بيان أن القرآن جميعه محكم ﴿ كتاب أحكمته آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ فالقرآن على هذا كله محكم بمعنى أنه لا تفاوت فيه ولا اختلاف متقن لا تفاوت فيه ولا اختلاف لا من جهة الأخبار ولا من جهة الإنشاءات فهو جل وعلا أحكمه لا اختلاف فيه كما قال جل وعلا ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ والقرآن أيضاً متشابه كله كما قال جل وعلا ﴿ الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها ﴾ فالقرآن متشابه لأنه بعضه يشبه بعضا آيات في التوحيد وآيات في وصف أحد الرسل بيان حاله مع قومه وآيات كذلك بيان في الجنة والجنة والنار والنار والآخرة والآخرة وكذلك في صفات الله وصفات الله وهكذا

فبعضه يشبه بعضا . في الأمر والنهي وفي الأمر والنهي وفي الحلال والحرام وفي الحلال والحرام وهكذا .

وهذان القسمان غير القسم الذي في هذه الآية هذه الآية فيها تقسيم ثالث للقرآن وهو أن القرآن منه محكم ومنه متشابه والمحكم ما اتضحت دلالته وبانت والمتشابهة ما يحتاج في بيان دلالته إلى اجتهاد أهل العلم فيه أو إلى رده للمحكم ومن الاجتهاد أن يرد إلى المحكم فالمتشابه من القرآن ما لم تتضح دلالته في نفسه يشتبه على الناظر فيه وذلك من قوله تعالى ﴿ إن البقر تشابه علينا ﴾ يعنى لا ندرى المراد أي واحدة من هذه البقر ﴿ إن البقر تشابه علينا ﴾ فلا ندرى أي واحدة من البقر أردت بالأمر وهذا هو المراد هنا من قوله ﴿ وآخر متشابهات ﴾ يعنى يشتبه بعضها من حيث الدلالة والأمر فلابد من إرجاعها إلى المحكم إذا كان كذلك فالمحكمات التمسك بها هو الأصل الأصيل في رد الشبه وهذه الآيات المحكمات أنواع فمنها .

النوع الأول : الآيات المحكمات في رد شبه أهل الباطل في التوحيد جميعاً .

النوع الأول الآيات التي فيها بيان أن الكفار مقرون بتوحيد الربوبية وأنهم لا إشكال عندهم في ذلك هذا نوع

والنوع الثاني : من الآيات أن الكفار ما أرادوا عبادة ما عبدوا إلا لأجل التقرب إلي الله ﷻ بالزلفى والشفاعة . إلى آخر الآيات في ذلك .

والنوع الثالث من الآيات المحكمات في هذا الباب الواضحة أن الأموات التي عبدت لا تملك شيئاً . وأنها يوم القيامة تتبرأ ممن عبدها .

والنوع الرابع من الأدلة المحكمة في هذا الباب في رد حجج المشركين الآيات التي فيها بيان أن الله ﷻ لم يتخذ ولداً ولم يتخذ شريكاً ولم يتخذ ولياً ولم يتخذ شفيعاً كآية سورة سبأ .وآية سورة الإسراء . وآية الفرقان وأشباه ذلك .

النوع الخامس . من هذه الأنواع المحكمة أن معبودات المشركين في القرآن مختلفة . فمنهم من عبد الأصنام . ومنهم من عبد الأوثان والصنم ما كان علي هيئة صورة مصورة منحوتة والوثن ما لم يكن علي هيئة صورة . شجر قبر إلي آخره كوكب ومنهم من عبد الملائكة ومنهم من عبد الأولياء ومنهم من عبد الجن ومنهم من عبد الشجر والحجر إلي آخره فهذه التصانيف في الآيات لمعبودات المشركين هذه **تنزل** عليها كل حالة من حالات أهل الشرك في هذا الزمن . وفيما قبله وما بعده فهذه آيات محكمات أصول في باب توحيد العبادة هذه الأنواع .لهذا تري أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يكثر من تنويع هذه الأدلة لأنها حجة في هذا الباب محكمة لا يستطيع أحداً أن ينقضها ولا أن يردها.

قال جلا وعلا (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات) معني (هن أم الكتاب) أي هن الأصل الذي يرجع إليه في الكتاب فالمحكمات البينات الواضحات وما من آيه مشتبهة في القرآن إلا ويمكن إرجاعها إلي محكم فيه فمعني أم الكتاب يعني هن أصل الكتاب الذي يرجع إليه لأن الأم هي أصل الولد وأم الكتاب الأصل الذي يرجع إليه الكتاب في آية وذلك لأنها مشتملة علي معاني الكتاب ومن هذا كانت الفاتحة أم القرآن لأن جميع آيات القرآن راجعة إلي آيات الفاتحة إما بظهور أو بشيء من البيان قال (وآخر

متشابهات) فهنا بين القرآن منه كذا ومنه كذا ومنه محكم ومنه متشابه . متشابه لم تتضح دلالته وهذا المتشابه قد يكون في الأخبار وقد يكون في الأمر والنهي قد يكون في الأخبار وقد يكون في الإنشاءات ولا يحد المتشابه بقسم الإنشاء دون الأخبار أو بقسم الأخبار دون الإنشاء بل المتشابه وقع في الكلام الأخبار والإنشاءات ومعنى الأخبار يعنى التي يكون امتثالها بالتصديق والإنشاءات معناه التي يكون امتثالها بالعمل قال هنا في بيان موقف الذين زاغوا قل ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ نلحظ أن قوله جل وعلا : ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ ﴾ فيه إثبات أن القلوب زاغت قبل النظر في القرآن فهم زاغو قبل ثم بعد ذلك تلمسوا الدليل على زيغهم قال ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ﴾ فزاغت قلوبهم ثم اتبعو ما تشابه منه فيتبعون ما تشابه منه . يستدلون بما تشابه بما لم يتضح معناه أو بما يحتمل أو بما لو رُدَّ إلى المحكم لبان ﴿ يتبعون ما تشابه منه ﴾ يعنى يتبعونه ويجمعونه لأجل الاستدلال به ويتركون المحكم وهذا مثل ما حصل من النصارى أنهم نظروا في القرآن فزعموا أن رسالة محمد ﷺ خاصة بالعرب لقول الله جلا وعلا ﴿وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ وأيضاً في قول الله جلا وعلا ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ فاحتجوا بآيات علي خصوص بعثة الرسول ﷺ للعرب وهذا احتجاج بالمتشابه وإتباع له لأن في قلوبهم زيغٌ فموجود الزيغ في قلوبهم وهو رد الكتاب وعدم إتباع محمد عليه الصلاة والسلام فتلمسوا وتتبعوا الدليل كذلك كما هو ظاهر في هذه الأمة الفرق

الضالة من الخوارج والمرجئة والقدرية والمعتزلة وأشباه هذه الفرق فإن كل فرقه احتجت بالمشابهة وتركت المحكم فأخذت بعض آيات ، الخوارج علي بدعتهم في تكفير صاحب الكبيرة اســتدلوا بقول الله جلا وعلا ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالد فيها ﴾ فقالوا هذا يدل علي أن فاعل الكبيرة كافر لأنه حكم عليه بأنه خالد في النار واحتجت المرجئة مثلاً علي بدعتهم بآيات واحتجت القدرية علي بدعهم بآيات والجبرية علي بدعهم بآيات إذاً القرآن فيه احتجاج لكل صاحب زيغ حتى في هذا العصر أتت طائفة وقالوا :الصلوات في القرآن ثلاث لأن الله جل وعلا لم يذكر في القرآن خمس صلوات . فلا نصلي إلا ثلاث ومن هنا قال عدد من أهل العلم من المفسرون وغيرهم إن الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الابتلاء لأنه لو كان القرآن واضحاً صار الزائغ عنه معاند فقد لأنه واضح فلن يزيغ إلا المعاند والله جلا وعلا من حكمته أن جعل القرآن منه محكم ومنه متشابه لم تتضح دلالته ليبتلي الناس كيف يعملون هل يسلطون أهوائهم مستدلين بالمتشابه أم يتخلصون من الهوى فيرجعون المتشابه إلي المحكم ويرجعون ذلك إلي الراسخين في العلم وإلي أهل العلم الذين يفهمون المتشابه ويفهمون المحكمات فإذاً الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الابتلاء فالله جل وعلا ابتلى الناس بالحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملا وابتلاهم بالرسول عليه الصلاة والسلام هل يؤمنون به أو لا يؤمنون ؟ إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك كما قال في صحيح مسلم : وكذلك ابتلى الله جل وعلا الناس بالقرآن بجعل بعض القرآن متشابها . هل يرجعون للمحكم . ويسلمون لأهل العلم أم أنهم يخوضون في

المتشابه فيقعون في الفتنة لهذا قال أهل العلم في التفسير معنى قوله ﴿فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة﴾ يعني ابتغاء فتنة أتباعهم كما نص عليه ابن كثير في تفسيره . فهم اتبعوا ما تشابه منه لأجل أن يضلوا ويفتنوا الأتباع معهم فهم إذا تقررت عندهم أشياء ثم نظروا و لم يسلموا لأهل العلم القياد الراسخين في العلم فلم يرجع الخوارج للصحابة و لم يرجع القدرية للصحابة وهكذا في أشياء كثيرة و لم يرجع المعتزلة إلى أئمة السنة و لم يرجع الأشاعرة إلى أئمة أهل الحديث والسلف قبلهم فيما اختلف فيه فاتبعوا ما تشابه منه وتركوا المحكمات ابتغاء الفتنة يعني لأجل أن يحصل لهم إتباع الأتباع وقوله ﴿ابتغاء الفتنة﴾ نفهم منه أن من أضل بشبهة فهو مبتغ للفتنة سواء قال أنا لم أرد الإضلال أو قال أردته لأن الله جل وعلا قال : ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفينة﴾ وإذا نظرت إلى قول النبي ﷺ (فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم) ما يبين أنهم لم يبتغوا الفتنة في الناس قصداً في الإضلال فيعلمون أنهم على باطل فيضلون الناس هذا غير مراد وإنما ابتغوا الفتنة كحالة لهم فهم حين اتبعوا ما تشابه منه فقد ابتغوا الفتنة في حالتهم فحالهم حين اتبعوا المتشابه وتركوا المحكم أنهم يبتغوا الفتنة فترلوا مترلة القاصد لذلك لأنهم تركوا المحكم واتبعوا المتشابه فلما أنهم لم يتخلصوا من الزيغ مع وضوح الهدى ووضوح طريقه و لم يتبعوا المحكم وإنما اتبعوا المتشابه فالحال أنهم بطريقتهم هذه ابتغوا الفتنة لهم ولاتباعهم فكأنهم قصدوا ذلك قصدا وإن كانوا يقولون إنما أردنا الخير فالخوارج كانوا

أشد الناس عبادة أشد من الصحابة عبادة يحقر أحد الصحابة عبادته مع عبادتهم وصلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم فلا يظن بهم أنهم اتبعوا المتشابه من القرآن قصداً في مخالفة القرآن وقصداً في الإضلال إنما حصل منهم الضلال لشيئين .

أولاً :أنهم تركوا المحكم واتبعوا المتشابه

ثانياً : أنهم لم يرجعوا في بيان المتشابه إلى الراسخين في العلم في زمانهم في زمن الصحابة رضي الله عنهم .

قال جل وعلا ﴿ وابتغاء تأويله ﴾ والتأويل هنا الذي ابتغوه أن يترلوا المتشابه على ما أرادوا يعنى وابتغاء تفسيره والذي يجب أنه إذا عرض المتشابه فإنه يرجع في تفسيره إلى المحكم ويرجع في تفسيره إلى أهل العلم أما من عرض له متشابه فدخل في تأويله بجهله وبهواه وبما عنده فلا شك إنه سيقع في الزيغ والضلال لأنه ليس متأهلاً لرد المتشابه إلى الحكم في كل مسألة أو إلى بيان معنى المتشابه والتأويل في القرآن أتى على معنيين .

المعنى الأول للتأويل : ما تؤول إليه حقيقة الشيء ما تؤول إليه حقيقة الآيات والآيات على قسمين :

١ ـ منها آيات أخبار ٢ ـ ومنها آيات إنشاء

﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ﴾ صدقاً في الأخبار وعدلاً في الإنشاء يعنى في الأمر والنهى . فالأخبار تأويلها ما تؤول إليه حقيقتها فإذا كانت الأخبار غيبيات عن الله جل وعلا فتأويل الخبر حقيقة وكنهه الذي عليه الله جل وعلا والخبر تأويل الخبر الذي هو وصف مثلاً للجنة تأويل بيان حقيقة الجنة ما هي

؟ هذا معنى للتأويل ومنه قوله جل وعلا في سورة الأعراف ﴿ **هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق** ﴾ يعنى هل ينظرون إلا ما تؤول إليه حقيقة الأخبار التي أخبر الله جل وعلا بها يوم يأتي تأويله يعنى ما تؤول إليه حقيقة الأخبار ورأوا الجنة ورأوا النار . وحصل يوم البعث يقول الذين نسوه .... إلى أخر الآيات . هذا هو النوع الأول من التأويل في القرآن .

الثاني : التأويل بمعنى التفسير . وهذا في قول الله جل وعلا ﴿ **وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين** ﴾ ومنه أيضاً في هذا قوله جل وعلا ﴿ **ألا أنبئكم بتأويله** ﴾ وأشباه ذلك فالتأويل هنا بمعنى التفسير . تأويل الأحلام بمعنى تفسير الأحلام فالتأويل بمعنى التفسير هذا في القرآن وهذا هو الذي اعتمده ابن جرير الطبري في تفسيره حيث يقول : قال أهل التأويل وبنحو الذي قلنا في هذه الآية قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك قال أهل التأويل يعنى قال أهل التفسير وهتاك معنى ثالث للتأويل ليس في القرآن ولا في السنة وإنما هو اصطلاح حادث للأصوليين هذا ليس هو المراد هنا لأن التأويل عندهم في مقابلة الظاهر وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى معنى آخر لقرينه هذا معنى جديد اصطلاحي وهو منقسم إلى ثلاث أقسام كما هو معروف عند الأصوليين :

١ – صحيح ٢ – وضعيف ٣ – وباطل

هناك المراد ب ﴿ **وابتغاء تأويله** ﴾ في هذه الآية يحتمل المعنى الأول ويحتمل المعنى الثاني . ابتغاء تأويله يعنى ابتغاء معرفة ما تؤول إليه أخباره وأوامره

ونواهيه أو ابتغاء تأويل بمعنى ابتغاء تفسيره فيصح الأول ويصح الثاني. وهنا نقف عند قوله ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ اختلف السلف على الوقف هنا هل الوقف على قوله ": ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ أو الوقف على العلم فيكون معطوف على ما قبله ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ على قولين للسلف . وسبب الخلاف أن هناك قولين . هنا ما المراد بالتأويل فمن نظر إلى أن التأويل هو العلم بما تؤول إليه حقيقة أخباره عن الآخرة . حقيقة صفات الله جل وعلا حقيقة الأخبار عن الجنة حقيقة الأخبار عن النار حقيقة الأخبار عن الملائكة فهذا لاشك أمر غيبي لا يعلمه أحد فمن نظر إلى هذا قال الوقف على لفظ الجلالة . فقال : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ يعنى وما يعلم تأويل ما تؤول إليه حقائق أخباره إلا الله جل وعلا . وهذا المعنى صحيح فإن حقيقة الأخبار وما تؤول إليه ليس ثم أحد يعلمها إلا الله جل وعلا ومن نظر إلى أن التأويل المراد به ما تؤول إليه حقيقة الأمر وحقيقة النهى قال الأوامر تأويلها بامتثالها بفعلها بعملها على وجه أحكام الشريعة والنواهي تأويلها بالاجتناب لها والبعد عنها على أحكام الشريعة وهذا من التأويل في الإنشاءات يعلمه الراسخون في العلم من جهة العلم والعمل جميعاً لهذا قال بعضهم هنا: يقف علي العلم لأن الراسخين في العلم يعلمون التأويل علي ما ذكرنا يعني ما تؤول إليه حقائق الإنشاءات ما تؤول إليه حقيقة الأمر امتثال الأمر على الوفق الشرعي ما تؤول إليه حقيقة النهي امتثال النهى على الأمر الشرعي . الأمر بالكف .

وقال آخرون : الوقف على العلم فالعلماء يعلمون كما قال ابن عباس أنا ممن يعلمون تأويله فيكون المعنى هنا في التأويل التفسير لأن النبي ﷺ دعي لأبن عباس فقال اللهم علمه التأويل قال أنا مما يعلمون تأويله فيكون هنا معنى :

﴿ وابتغاء تأويله ﴾ يعنى ابتغاء تفسيره فلا يعلم تفسيره الحق إلا الله ﷻ وإلا الراسخون في العلم .

التفصيل هو الصحيح فإذاً نقول يحتمل أن يكون الوقف على لفظ الجلالة ويحتمل أن يكون على العلم فمن وقف على لفظ الجلالة ورأى أن الراسخين في العلم لا يعلمون التأويل فهو إنما يعنى أي من أهل السنة ومن الصحابة لأنه مروي عن السلف نوعان . من الوقف لأنه مروي عن السلف نوعان من الوقف فمن رأى أن الوقف على لفظ الجلالة رأى أن التأويل هو ما تؤول إليه حقائق الأخبار فقط

ومن رأى أن الوقف على العلم قال : التأويل هو ما تؤول إليه حقائق الإنشاءات مثل ما قال ابن عباس ناسخه وحلاله وحرامه وأمره ونهيه أو التأويل بمعنى التفسير ومن قال : أن المتشابه لا أحد يعلمه البتة إلا الله ﷻ فليس علم المتشابه إلى أحد من الخلق فهذا غلط ولا يصح نسبته إلى أحد من أهل السنة وهذا يعنى أن المتشابه المطلق الذي لا يعلمه أحد هذا غير موجود في القرآن عند المحققين من أهل السنة والجماعة فإن المتشابه الموجود في القرآن متشابه نسبي إضافي فعندنا المتشابه هنا في هذه الآية . قسمان : متشابه مطلق : ومتشابه نسبي فالمتشابه المطلق غير موجود البتة . بمعنى يشتبه معناه فلا يعلم له معنى أصلاً والثاني المتشابه النسبي الإضافي . نقول أشتبه على أشتبه على العالم الفلاني المعنى اشتبه على الإمام الكلام في هذه المسألة أشتبه عليه تأويل

الآية وأشباه ذلك فهذا ممكن فيكون متشابه إضافي لكن لا يوجد آية في القرآن معناها ما نقول : تأويلها يعني ما تؤول إليه حقائق الأخبار فيها . لا .
إنما معناها هذا لا يوجد آيه في القرآن يشتبه معناها على جميع الراسخين في العمل من هذه الأمة هذا القول ليس من أقوال أهل السنة والجماعة وإنما هو من أقوال أهل البدع الذين ذهبوا مذهب التجهيم فإذاً نقول الصحيح أن الراسخين في العلم يعلمون لكن يعلمون المتشابه الذي يمكنهم علمه وهو ما كان في باب الإنشاءات أو كان في باب التفسير تفسير المعنى وهذا متعين لأن الله جل وعلا قال ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ آمنا به كل من عند ربنا لو كان من الراسخين في العلم لا يعلمون البته وإنما يقولون آمنا به كل من عند الله فليس لهم فضيلة على ما سواهم في المتشابه فما فضيلة أهل العلم الراسخين فيه في المتشابه إذا كانوا كعوام المسلمين إنما يعلمون المحكم والمتشابه جميعه يقولون فيه آمنا به كل من عند ربنا هذا فيه إبطال لمزية أهل العلم في العلم والمحكمات قلنا : إن معناه . هو ما اتضح معناه وبانت دلالته والمتشابه ما خفي معناه و لم تضح دلالته فإذاً على قول من قال إن الراسخين في العلم لا يعلمون فهذا فيه إبطال لمزية أهل العلم كما حرره ابن عطية رحمه الله تعالى والخطابي وأجادا في ذلك في هذا البيان وهذا يعني أن الراسخ في العلم يعلم وإذا كان كذلك فهنا يشكل على كثيرين تركيب الآية ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به ﴾ كيف يكون التركيب على هذا الوجه فنقول : قال أئمة التفسير على هذا الوجه يكون التركيب ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون ﴾ يعني حالتهم أنهم يقولون : أمنا به .

فيعلمون مع الإيمان به ويقولون كل من عند ربنا لأجل أنه ليس في قلوبهم شك من ورود المتشابه وأما ضعاف الإيمان وأما ضعاف العلم فقد يكون في قلوبهم شك من وجود المتشابه في القرآن كما فعل صبيغ بن عسل المعروف في زمن عمر حيث كان يتتبع ما الذاريات ذروا ويشكك الناس بها فإذا ضعف العلم ربما وقعت الشبهة في القلب من صحة القرآن أما الراسخون في العلم فيعلمون ويقولون ﴿ أمنا به كل من عند ربنا ﴾ فليس في قلوبهم شك ولا شبهة من ورود المتشابه في القرآن لأنهم يعلمون أن المتشابه في القرآن لأجل ابتلاء الناس هذا خلاصة معنى الآية . ومعناها مهم في هذا الموضع .

قال وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فأحذروهم فإذا الواجب على الموحد . الواجب على المسلم أنه إذا ضبط المحكمات في التوحيد بأنواعه وفي الشريعة فإنه إذا أتي من يتبع ما تشابه منه فإنه يجب عليه أن يعمل شيئين :

الأول : الحذر كما أوصى النبي ﷺ بقوله : ﴿ فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم ﴾ والحذر هذا يوجب المفاصلة في القلب بأن لا يصغي إلى حديثه ولا يجعل أحداً يلبس عليه دينه هذا الأول .

والثاني : يجب عليه أن يقول آمنا به كل من عند ربنا فيرجع سبب الإشكال إلى جهله وأما الآية فواضحة يعلمها الراسخون في العلم ولهذا مثلاً في باب التوحيد يأتيك من يحتج بالمتشابهات مثلاً ربما مجالها سيأتي لكن لإيضاح المقام يقول : في قول الله جل وعلا ﴿وكان أبوهما صالحاً ﴾ فهذا فيه دليل على تأثير الصلاح فيما بعد . أو يقول : الشهداء أحياء وأنت لا تسأل ميتاً وإنما

تسأل حياً بنص القرآن لقـــوله : ﴿ ولا يقولون لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ﴾ ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ﴾ ونحو ذلك فإذا هناك احتياجات في وتوحيد العبادة بآي من القرآن وفي توحيد الأسماء والصفات بآي من القرآن وهكذا حتى إن أهل شرب الخمر والعياذ بالله وأهل الربا ونحو ذلك من الموبقات وجدوا لهم بعض المشتبهات فاحتجوا بها فالموحد المسلم يحرص تمام الحرص على أن يحذر ممن يوقع في قلبه الشبهة ولهذا أنتبه لقوله تعالى ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ﴾ فاحذر أشد الحذر من أن يوقع في أذنك شبهة تبقى ولا تستطيع الرد عليها ثم ينميها ا الشيطان حتى يوقع في القلب الزيغ فلهذا قال بعض السلف لا تصغي إلى ذي هوى بأذنيك فإنك لا تدري ما يوحي إليك إذا كان رجل غير محكم العلم قوي لا يجلس مع أهل الشبه يحذر لأن السلامة في الدين أعظم ما ينبغي الحرص عليه .

قال هنا الشيخ رحمه الله : مثال ذلك الآن الجواب المجمل اتضح وأنه في كل مسألة ترجعه إلى المحكم إذا أتي أحد بشبهة فترجع إلى المحكمات وذكرت لك أنواع المحكمات في القرآن من الآيات فإذا أتى أحد بشيء من المشتبهات فأنت ترجعه إلى نوع من الآيات في المحكمات نوع من الآيات المحكمات فتبطل شبهته ولو شبه وشبه فنقول له ما عندي من الاستدلال محكم بين لا يستطيع أحد أن يدفعه وما أتيت به شبهة فأنا أؤمن بأن الجميع من عند الله ولكن لا اترك المحكم بالمتشابه لأن هذه طريقة أهل الزيغ فتمسك بها فإن هذه من أعظم الفوائد والعوائد قال الشيخ رحمه الله بعد ذلك : مثال : مثال تطبيقي لما ذكرنا .

الجواب المجمل عرفناه بالاستمساك بالمحكم في ورود المتشابه إذا أتى استدلال متشابه ما عرفت الجواب عليه أو جاوبت فأورد عليك شبهة ثانية فتمسك بالمحكم واترك الإصغاء للمتشابه قال : مثال ذلك إذا قال لك بعض المشركين : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ استدل هنا المشرك بهذه الآية ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين أمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ .

دلت الآية على أن الأولياء لهم مترلة عند الله جل وعلا لأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأنهم الذين آمنوا وكانوا يتقون وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة معنى ذلك أن الولي له المترلة العظيمة عند الله جل وعلا ثم يستدل بأن الشفاعة حق ، الشفاعة حق فيقول هنا الولي له جاه وله حرمة وله مترلة عند الله جل وعلا والشفاعة حق والأنبياء لهم جاه أيضاً والمترلة العظمى عند الله جل جلاله فكيف تجعل من سأل الأولياء من الأموات أو سأل بعض الأنبياء من الأموات ودعاهم يكون مشركاً مع مترلتهم عند الله والشفاعة حق والمترلة عندهم ثابتة ، المترلة لهم ثابتة فهنا هذه شبهة يأتي جوابها تفصيلياً لكن إذا وقعت هذه الشبهة في القلب يعني أو وقعت على الأذن وعرضت على القلب فكيف يكون الجواب إذا لم تعرف الجواب التفصيلي هذه شبهة عظيمة فماذا تقول ؟ : تقول : ما عندي من العلم محكم وهذه محتملة لأنه هو دخل فيها باستدلال لأن الأولياء الله جل وعلا بين أن لهم فضل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أن الله أكرمهم وهو استدل بهذا الإكرام على أن لهم جاهاً عند الله جل وعلا وهذا النوع صار متشابهاً لأنه جعل الفضل الذي آتاه الله جل وعلا

الأولياء أو الشهداء أو الأنبياء بعد مماتهم دالاً على الجاه وعلى أن هذا الجاه لا يرد إذا توسطوا به فتلحظ أنه أدخل أشياء زائدة عن معنى الآية فالآية فيها اشتباه في المعنى لكن إذا فسرها أهل العلم أوضحوا معنى ذلك فإذاً هنا يأتينا رد ذلك تفصيليا لكن هنا كيف ترد عليه فتقول ما عندي محكم وهو أن الله ﷻ بين أن المشركين الذين كفرهم النبي ﷺ وقاتلهم إنما أرادوا الزلفى إنما أرادوا القربى .

وهم ما توجهوا إلا لأولياء ، ﴿ أم اتخذوا من دونه أولياء ﴾ ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ فأولئك تقربوا للأولياء لماذا ؟ لأجل الزلفى فهذه محكمة واضحة المعنى كذلك بيان أن المشركين كانوا يقرون بالربوبية وأنهم مشركون وسبب شركهم مع عبادتهم وطاعتهم في أشياء كما ذكرنا سبب الشرك هو طلب الشفاعة كما قال جل وعلا : ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعاً ﴾ فنفاها عنهم فهذا أصل وكذلك النوع الثالث من الآيات المحكمات التي فيها بيان أن الله ﷻ حكم على من أله عيسى بالكفر : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم * وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ .

إذاً فهو يورد الشبهة وأنت تورد عليه المحكمات ، المحكمات واضحة المعنى لكن هذه الشبهة التي أوردها في هذه الآية تلحظ أن الاستدلال بها فيه

مقدمات فقال ﷻ : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ فهو يأتي ويقول : هذا معناه أن لهم جاه عند الله تلحظ أن هذا الاستنتاج هذا اتباع للمتشابه لأن الآية تدل على أنهم مكرمون وليسوا أصحاب جاه لأن الآية فيها ما أعطاهم الله جل وعلا من الفضل لكن أن لهم جاه هذه لم تأت في الآية جعل من اتبع المتشابه هناك تلازم بين المكانة والرفعة وبين أن يكون لهم جاه ما معنى الجاه ؟ الجاه معناه أنه إذا توسط فلا يرد فجعل هذه ملازمة لهذه وهذا لا شك أنه من اتباع المتشابه لأنه ليست دلالة الآية على ذلك فإذاً هذا مثال لحجة يُدلي بها المشرك فإذا أدلى بهذه الحجة فتدفعه بالمحكمات الكثيرة قال هنا : أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره يعني لا تفهم معناه الصحيح لا تستطيع أن توضح له كلام المفسرين فيه كلام أهل العلم فيه إبطال ما أورد من الاستدلال قال : فجاوبه يعني أجبه بقولك : إن الله ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه أن ليس له معنيان بأن المشركين عبدوا غير الله للزلفى قال : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ هذا بيان واضح لا يحتاج إلى مقدمات في الاستدلال كذلك قولهم : ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ وهم طلبوا الشفاعة هذا أمر بين واضح قال الشيخ رحمه الله : هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف

معناه فهذا هو الذي يجيد به الموحد إذا أدلى أحد بالشبهة تقول أنا لا أعرف المعنى وهذا ليس بعيب أن تكون لا تعلم بعض الآيات معنى بعض الآيات لأن العلم واسع وتقول تعترف وتقول : أنا لا أعرف معنى هذه الآية الصحيحة لكن أعلم أن المحكم هو كذا وكذا لكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض لما ؟ لأن القرآن كله من عند الله جل وعلا وأنه محكم وكله حق والحق لا يتناقض حقاً بل يؤيده ويدل عليه قال : وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله عز وجل لأن الرسول ﷺ إذا ثبتت سنته وصارت مقبولة محتجاً بها فإنها مبنية للقرآن ودالة عليه كما قال جل وعلا : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ فأنزلت السنة وكان جبريل يأتي للنبي ﷺ بالسنة كما يأتيه بالقرآن لبيان معنى الذكر تارة يكون بياناً لفظياً وتارة يكون بياناً محملياً وكلام النبي ﷺ لا يخالف ما جاء في القرآن لكن التوفيق بين هذا وهذا تقول : أنا أجهله . تقول : كلام النبي ﷺ هو بين لا يخاف كلام الله جلا وعلا . وكلام لله جل وعلا لا يناقض كلامه جل وعلا لكن التوفيق بين هذه الآية و هذه الآية رد هذا المتشابه إلى المحكم حتى يتضح المعنى هذا لا اعلمه أنا وإنما يعلمه الراسخون في العلم لكن ما عندي من العلم بالتوحيد هذا بين محكم لا يستطيع أحداً يرده أو يشكك في دلالته قال رحمه الله بعد ذلك في نهاية هذا الجواب المجمل وهذا جواب جيد سديد ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى تحتاج إلى توفيق في التخلص من هنا التوفيق يأتي بتخلص العبد من هواه وتخلص العبد من رؤيته لعقله ونفسه لأن بعض الناس يأتي للمتشابه ويخوض فيه لأن عقله جيد يقول : أنا عقلي ليش ما أحاول أفهمه ليش يعنى ما نفهم

؟ لا بل نفهم فيدخل في المتشابه ويغوص ويغوص ويخرج منه أشياء يضل بها كما قال جل وعلا ﴿ ابتغاء الفتنة ﴾ ﴿ ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ يعني ابتغاء تفسيره فيخوض في المتشابه المشكل المعنى رغبة وطلباً للتفسير فيضل في التفسير ويعتقد أن تفسيره صواب وأن فهمه للآية صواب وفهمه للسنة صواب فيكون ممن اتبع المتشابه وترك المحكم الواجب عليه ألا يخوض في ذلك وأن يرد معناه إلى أهل العلم الراسخين فيه قال : وهذا جواب سديد لكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى وإذا أردت الخير في هذا الباب فإياك ثم إياك من تعظيم عقلك وأن تقول : قد حصلت من العلم كذا وكذا فتخوض في أشياء وتطعن بفهمك على فهم أهل العلم فإذا خالفت في فهمك فهم الراسخين في العلم فاعلم أنك لو استرسلت في فهمك فإن هذا من اتباع المتشابه لأننا نقطع بأن الراسخين في العلم يعلمون المعنى ولا يمكن أن يكون المعنى مفقودا من الراسخين في العلم وأن يؤتاه من ليس براسخ في العلم لأن الله جل وعلا قال : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ قال : ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى فلا تستهن به فإنه كما قال جل وعلا :

﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا ﴾

تحتاج إلى صبر لأن النفس تنازع خاصة طالب العلم الذي قرأ عنده قراءات وثقافات وأشباه ذلك تنازعه نفسه في حل كل إشكال تنازعه نفسه في الدخول في الاستدلال في كل متشابه ولهذا تجد بعض طلبة العلم الآن بعض المنتسبين للعلم والقراء تجد أنهم يوردون إشكالات كثيرة فالعالم لم يرد عليهم

بالمحكمات ولا يضطرب بورود المتشابه لكن من ليس براسخ في العلم إذا ورد متشابه عنده فإنه يضطرب لأنه لا يعرف عظمة المحكمات وكثرتها ووضوح معناها فأن المحكمات في الأدلة والمحكمات في العقيدة والمحكمات في الأحكام هذه واضحة عند أهل العلم بينة ما يمكن أننا نضطرب معها فقد يرد إشكال فنقول والله هذا مشكل نبحث عن جوابه ماذا قال أهل العلم في جوابه لكن من لم يكن صابراً على الاقتداء بالمحكمات فإنه سيدخل في المتشابهات متعجلاً وسيضل من حيث ظن أنه سيبحث أو سيحل الإشكال ولهذا هنا لا بد في المتشابه من الصبر ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا ﴾ مثل ما قال الشيخ رحمه الله وأجزل له المثوبة ويحتاج إلى صبر كثيرين ما صبروا جاءتهم الشبه فاتبعوها ما صبروا دخلوا فيها بأهوائهم وآرائهم وما صبروا ولو صبر زمنا طويلاً وتمسك بالمحكمات كان قد أدى الذي عليه . قال:

﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ ولا شك أن الذي يستمسك بالمحكم في رد المتشابه فإنه قد أدى الذي عليه وامتثل قول الله جل وعلا وخلص من الابتلاء والفتنة بالمتشابه ويكون حاله إذاً أنه ذو حظ عظيم لأنه سلم من الابتلاء بذلك وسلم من الفتنة فنجح حيث لم يتبع المتشابه ورد المتشابه إلى المكم .

ولا شك أن هذه الكلمة ينبغي لك أن ترد دها في مسائل العلم جميعاً وخاصة المسائل التي يكون هناك فيها إلقاء للشبه في أمر توحيد العبادة وكذلك في أمور العقيدة بشكل عام .

فلا تجهل لها قدراً وخذها شكوراً .   للذي يحيي الأنام

ونختم بهذا وأسأل الله جل وعلا أن ينور قلوبنا بالعلم الصالح النافع وأن يجعلنا ممن يحذر من المتشابهات ويفقه المحكمات ويستعين بالله جل وعلا في أمره كله اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك فأنر قلوبنا بالإيمان واجعلنا من الصابرين ونعوذ بك أن نضل أو نضل أو نجهل أو يجهل علينا أو نذل أو نذل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله : قال شيخ الإسلام رحمه الله . وأما الجواب المفصل فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين ا لرسل يصدون بها الناس عنه منها قولة نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا فضلاً عن عبد القادر أو غيره ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله واطلب من الله بهم فجاوبه بما تقدم وأن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت ومقرون بأن أوثانهم لا تدبر شيئا وإنما أرادوا الجاه والشفاعة وأقرأ عليهم ما ذكره الله في كتابه ووضحه فإن قال هؤلاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

أسأل الله لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح والقلب الخاشع ربنا اجعل ما علمتنا حجة لنا نعوذ بك أن نضل أو نضل أو نذل أو نذل أو نجهل أو يجهل علينا .

لما ذكر إمام الدعوة رحمه الله تعالى ورفع درجته أن جواب أهل الباطل من طريقين : مجمل ومفصل . ذكر المجمل ثم ذكر المفصل ومن المعلوم في فن التأليف أن التقاسم إذا وردت فإنه يناسب أن يقدم ما كان الكلام عليه مختصراً وما كان الكلام عليه مطولاً فإنه يؤخر . ولهذا الشيخ رحمه الله قدم المجمل على المفصل لاعتبارات .

١ – منها أن الكلام على المجمل قليل والكلام على المفصل كثير ولو أخر الكلام القليل لذهب الذهن في المفصل ونسي أنه سيأتي المجمل ومن فوائد تقديم المجمل على المفصل أن المجمل يفهمه كل أحد يحتاجه كل موحد وسهل الفهم إذا علم عقيدة التوحيد وفهم بعض أدلتها فإنه يمكنه أن يجعل ذلك محكما فإذا أتي من يشبه عليه دينه ومن يجعله يتردد في بعض هذه أو يشككه أو يورد عليه الشبه فإنه يحتج عليه بالمحكم فلا يجد ذلك صعباً وأما المفصل يحتاج إلى علم يحتاج إلى مقدمات تارة لغوية وتارة أصولية وتارة من واقع حال العرب فقال رحمه الله تعالى ابتداء بالمفصل بعد المجمل ابتداء برد شبهة وهي شبهة تحتاج إلي تأمل لأن. أكثر الذين يكون عندهم نوع قرب أو قبول للتوحيد ربما تروج عليهم هذه أكثر من غيرها فقال : وأما الجواب المفصل فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه هذه الكلمة وأما الجواب الفصل ليست موجودة في كثير من النسخ المطبوعة و لم أرى النسخ الخطية حتى نتثبت هل هي موجودة أم لا ؟ وعلى العموم فإن الشبهة على الجواب المفصل الشبهة التي سيجيب عليها بالمفصل هي قولهم نحن لا نشرك بالله إلى آخره .

فقوله إذاً وأما الجواب المفصل فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه

هو إيراد لهذه الاعتراضات الكثيرة على التفصيل ويلزم من إيراد الاعتراضات إيراد الأجوبة فقوله : فإن أعداء الله لهم اعتراضات هذا لأجل أنه سيورد بعد الاعتراضات الأجوبة هذا من ناحية ، من ناحية الأسلوب ومن ناحية التأليف لكن المعنى ظاهر قال منها قولهم : نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه

نفعاً ولا ضراً فضلاً عن عبد القادر أو غيره ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله واطلب من الله بهم قال : فجاوبه بما تقدم وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت ومقرون بأن أوثانهم لا تدبر شيئاً وإنما أرادوا الجاه والشفاعة واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه هذه الشبهة يمكن تقسيمها إلى أقسام .

القسم الأول : قولهم أو الجملة الأولى قولهم : نحن لا نشرك بالله وهذا القول منهم نحن لا نشرك بالله يريدون به الإشراك بالله في الربوبية ولهذا قالوا بعده : بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق .... إلى آخره .

وقولهم : نحن لا نشرك بالله راجع إلى أن الشرك له حقيقة شرعية جاءت في النصوص ولكن حرفت هذه الحقيقة وصرفت عن وجهها ففي النصوص : الإشراك والشرك هو اتخاذ الند مع الله جل وعلا في المحبة والعبادة .

الإشراك أو الشرك هو أن يجعل لله شريك إما في ربوبيته أو في ألوهيته أو في أسمائه وصفاته يعني أن يعتقد أن له مماثلاً في اتصافه وفي أسمائه هذا معنى الشرك ولهذا الشرك في النصوص تارة يتوجه إلى الشرك في الإلهية وتارة يتوجه إلى الشرك في الربوبية أما الشرك في الربوبية فكقوله جل وعلا في سورة سبأ مثلاً : ﴿ **وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير** ﴾ يعني من شرك في التدبير والتصريف وتارة يكون نفي الشرك أو النهي عنه لأجل الألوهية كقوله جل وعلا في آخر سورة الكهف : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحد** ﴾ هذا شرك في الألوهية في العبادة والآيات في هذا أيضاً كثيرة والشرك الثالث في الأسماء والصفات كقوله جل وعلا : ﴿ **ولا يشرك في حكمه أحدا** ﴾ وكقوله :

﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ وكقوله : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وكقوله : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ هذا هو الذي يعلمه أهل العلم بما دلت عليه بالتنصيص الآيات فكان ذلك معلوماً عند العرب تفهمه بلغتها لما أتى اليونان إلى بلاد المسلمين بكتبهم يعني استقدم بعض المسلمين كتب اليونان في قصة معلومة ولا بأس أن نذكرها وهي أن أحد ولاة العباسيين أرسل وفد إلى ملك الروم وطلب منه أن يرسل إليه بكتب الأوائل التي عنده كتب الأوائل المقصود بها كتب الروم واليونان وكتب من يسموهم الحكماء والفلاسفة فعرضوا هذا على الملك موفدين من الوالي المسلم من ولاة العباسيين فقال أمهلوني فاستشار علماء النصرانية وعلماء بلده فقالوا له : هذه وكانت موجودة في بيت للكتب قالوا : هذه هي زينة مملكتنا فكيف تعطيهم إياها فأجبه بالنفي فإن هذه لا يجوز أم تخرج من بلدنا وسكت واحد منهم فقال له : ما لك سكت وكان من حكمائهم وحزاق علماء نحلتهم وملتهم فقال : يا عظيم قومنا أرى أن ترسل بالكتب إليهم ولا تمنعهم منها

فقال له : ولما ؟ قال لأن هذه الكتب ما دخلت إلى أمة إلا أفسدت عليها دينها ووافقته عليه البقية فحصل أن أرسلت الكتب كتب اليونان وترجمت إلي آخر ذلك اليونان فلا سفه اللي أرسلت كتب أرسطوا إلي آخره وأفلاطون هذه الفلسفة غايتها توحيد الربوبية غايتها أن ينظر في الملكوت ينظر في الوجود فيثبت أن هذا الكون له صانع لأن هذا غاية الحكمة يثبت أن هذا الكون معلول عن علة وهذه العلة عاقلة فيسموها علة العلل أو العقل الأول في كلام فلسفي يعني له تفاصيل فدخل هذا على المسلمين فلما دخل رأى من قرأ تلك الكتب بعد

ترجمتها أن هذه هي كتب الحكمة وكتب الحكماء وكتب الفلسفة يعني طلب الحكمة قالوا :إن هذه هي الغاية فكيف نوجد وسيلة للجمع ما بين الشريعة ، ما بين الإسلام والقرآن وما بين هذه الكتب وفلسفة اليونان فأخرجوا ما يسمى بعلم الكلام وهو خليط من الشريعة من النصوص وما بين عقل الفلاسفة وهذا الخليط جعلت فيه الشريعة والعقل هذا يقارن هذا وهذه تقارن ذاك يعني ما قدموا الشريعة على العقل وما قدموا العقل على الشريعة فنظروا في هذا ونظروا في هذا ولكن ينظرون في الشريعة بالعقل وينظرون في العقلانيات بالشريعة هنا نظروا إلى أن غاية الغايات هو النظر في الملكوت فلهذا اجمع المتكلمون على أن أول مهمة هي : يعني أول واجب على العبد أن ينظر في الملكوت ويثبت وجود الله هذا الأصل صار مستغرقاً عندهم لا محيد عنه وخاصة بعد مرور عقيدة جهم وأن الغاية عنده إثبات وجود الله أيضاً في مناظرته مع طائفة السمنية كما ذكرت لكم فيما سبق هذا الخليط الذي نتج صار هو الغاية عند كثير من الناس فبالتالي نظروا في تفسير كلمة التوحيد الشريعة فيها لا إله إلا الله هذه أصل التوحيد وكلام الحكماء كما يقولون فيه أن الغاية هو إثبات وجود الله والنظر في علة العلل والنظر في الملكوت حتى يطلب الحكمة فيما وراء الطبيعة فقالوا : إذاً معنى هذا لأن ذاك عقل صحيح وهذه شريعة صحيحة معناه أن يفسر الإله بالعلة علة العلل لأن أول واجب في الشريعة لا إله إلا الله أول واجب في الفلسفة أن ينظر في الملكوت فيثبت أن لهذا الملكوت أو لهذا الكون علة نتج عنها فخلطوا ما بين هذا وهذا فقالوا : إذاً ولا يمكن للعقل يكون مخطئاً يعني عندهم نتاج الفلاسفة عقل قطعي ولا يمكن أن تكون الشريعة أيضاً فاسدة فهذا صحيح وهذا صحيح وقالوا : إذاً نفسر الإله بأنه الخالق بأنه القادر على الاختراع قالوا : إله هنا نظروا قالوا :

لكن إله في اللغة ليس معناه الخالق فتأملوا فيما جاء في كتب اللغة فوجــدوا أن هناك من قال : إله هذا بمعنى آله إذا جعل غيره متحيراً فأله الرجل تحــير وتــردد وهذه مادة ربما تكون موجودة في بعض استعمالات العرب أله الرجل يعني تحــير وتردد فقالوا : إذاً لا إله إلا الله إذا كان معنى الإله هو الخــالق القــادر علــى الاختراع فهو الذي فيه تتحير الأفهام لأن قصدهم هناك أن ينظر وهم إذا نظروا وتأملوا تحيرت الأفهام حتى يثبت الوجود فقالوا : هنا التقت اللغة مع الشريعة مع العقل وهذا قرروه في كتبهم فحصل منه أن معنى لا إله إلا الله يعني لا قادر على الاختراع إلا الله لا خالق إلا الله وإذا كان كذلك فيكون الشرك الذي يخرج من كلمة التوحيد هو أن يقول : ثم قادر على الاختراع ثم رازق ثم من تحيرت الافهام في حقيقته غير الله جل وعلا فمتى يكون مشركاً عندهم إذا لم يثبت لا إله إلا الله ومتى لا يثبت لا إله إلا الله إذا قال : إنه ثم خالق غير الله جل وعلا هذا الخلــيط من العقل واللغة الضعيفة التي نقلوها والقليلة والشرع فيما نظروا فيــه يعــني في بعض النصوص انتج لهم أن الشرك هو الشرك في الربوبية يعني اعتقاد أن ثم خالق مع الله ﷻ ودون هذا في كتب المتكلمين الأوائل ونقله عنهم الاشاعرة واثبتــوا ذلك في كتبهم ولهذا الأشاعرة يقولون والماتريديه : أول واجب علي العبد النظر وبعضهم يقول:الشك وبعضهم يقول: القصد إلي النظر فهذا أول واجب والإلــه من هو ؟ الإله منهم من يقول : الإله هو القادر علي الاختراع ومنهم من يقول : الإله هو المستغني عما سواه المفتقر إليه كل ومنهم من يقول : الإله بمعني آله وهو المحير فلا يوصل إلا حقيقته وهو الله جل وعلا فنتج من هذا وهو موجود في كتب المتكلمين وكتب الأشاعرة والماتريديه إلي يومنا هذا نتج من هذا انحراف خطير في الأمة وهو أن الإله ليس هو المعبود وأن لا إله إلا الله معناهــا : لا قــادر علــي

الاختراع إلا الله لا مستغنياً عما سواه ولا مفتقراً إليه كل ما عداه إلا الله لا متحيراً في حقيقته إلا الله فنتج من ذلك إخراج العبودية عن أن تكون في كلمة التوحيد ونتج من ذلك الانحراف الخطير أن لا إله إلا الله ليست نفياً لاستحقاق أحد العبادة

مع الله جل وعلا فنتج وهي النتيجة التي قدم لها الشيخ هنا أن طوائف كثيرة من المؤمنين يعني من المسلمين فشا فيهم كلام الأشاعرة هذا وكلام المتكلمين وكلام المبتدعة هذا في معني كلمة التوحيد فيكون معني الشرك عندهم راجع إلي واحد مما دلت عليه النصوص وهو الإشراك في الربوبية الذي جاء مثلاً في سورة سبأ وفي غيرها أما الإشراك في العبادة ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ فهذا عندهم لا ينقض كلمة التوحيد طيب نظروا بعد ذلك فيما فعلته العرب وستأتي الشبهة التي تليها فيما فعلته العرب بما أشركت العرب ؟ قالوا : أشركت بعبادتها الأصنام وبأنها ما وحدت الله في ربوبيته و لم تقل لا إله إلا الله بل قالت : أن الأصنام لها نصيب من الإلهية يعني لها نصيب من الربوبية ولهذا من اعظم ما راج على كثير من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وراج على كثير من علماء الأمصار أن الألوهية تفسر بالربوبية وأن لا إله إلا الله تفسر بمقتضيات الربوبية ، هذا نتيجة لهذا الانحراف لهذا هنا المشرك الذي قال : في شبهته قد يكون عالماً وقد يكون غير عالم يقول : نحن لا نشرك بالله هو قال هذه بحسب اعتقاده هو لا يشرك بالله بحسب اعتقاده أن الشرك إنما هو الشرك في الربوبية وليس في الإلهية وهذا نتيجة لما ذكرت لكم فإذاً هذه الكلمة لا نشرك بالله ردك عليها كشف هذه الشبهة كما ذكر الشيخ رحمه الله في آخر الكلام وبما

أوضحت لك في أنه أولاً توضح موارد الشرك في القرآن ، ما الذي نفـــي مـــن الإشراك بالله نفي الثلاثة التي ذكرت لك وكل واحدة عليها أدلة حبذا تجمع هذه الأدلة في كل موضع يعني في كل نوع وتحفظ ذلك ، هذا نوع

الثاني : معنى الإشراك في النصوص .

الثالث : أن تبين أن الانحراف وقع فصرف الإشراك ، معنى الإشراك عن معناه في النصوص إلى المعنى الباطل ونتج عنه أن كلمة التوحيد فهمت أيضاً غلطاً ففهـــم منها أنها نفي لربوبية غير الله جل وعلا وهذا باطل ، فإذاً قولهم : نحن لا نشـــرك بالله هذه كلمة جملة يمكن أن تردها تفصيلاً وهذه الشبهة التي أوردوها لها رد بما أورده الشيخ رحمه الله .

الشيخ ما أجاب عن كل جملة جملة ، لكن أجاب عن النتيجة التي وصلوا إليهـــا بهذه المقدمات الباطلة .

قالوا : نحن لا نشرك بالله ، لما تشركون بالله ؟ قالوا : لأننا نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له ، يعني لا يخلـــق ولا يـــرزق استقلالاً ولا ينفع ولا يضر استقلالاً إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً كما جاء في النصوص ، يقولون : نحن نقول ذلـــك فهو عليه الصلاة والسلام لا يملك نفعاً ولا ضراً استقلالاً ما يمكن أن يعطينا شيء ولكن هو عليه الصلاة والسلام يمكن أن يعطينا عن طريق الوساطة عـــن طريـــق التقريب عن طريق التزلف ، يعني أن يقربنا زلفى .

وهذه الشبهة أول من أوردها فيما اعلم في كتابه إخـــوان الصـــفا في كتـــابهم ورسائلهم المشهورة رسائل إخوان الصفا الرسائل الخمسين المعروفة فإنهم قرروا أن التوحيد هو الربوبية وأن هؤلاء الأموات من الأنبياء والصالحين أنهم لا يملكون

نفعاً ولاضراً كما قال هنا ، هذا الذي أورد الشبهة ، ولكن تتوسط بهـــم ، لمـــا تتوسط بهم ؟ عللوا بأن أرواحهم عند الله لأن الله قال عن أرواح الشهداء أحياء عند ربهم والعندية معناها أنهم لهم القربى عند الله فلهم الجاه ولهم الزلفى عند الله جل وعلا فإذا سألتهم ، إذا دعوتهم فإنما تتوسط بهم لا تسألهم استقلالاً فيقـــول هؤلاء : نحن لا نعتقد أن هذا ينفع ويضر بنفسه ينفع ويضـــر اســـتقلالاً يخلـــق استقلالاً يرزق استقلالاً حاشا وكلا ولكن يمكن أن يخلق الله بواسطته الولـــد في رحم الأم إذا سألناه يمكن أن يرزق الله بواسطة شفاعته لأنه مقرب عند الله ﷻ هذا التقريب عند الله ﷻ وصفوه بقولهم : ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله فقدموا هاتين المقدمتين يقول : أنا مذنب والمذنب لا يمكن أن يكون ولياً لله أو مقرباً عند الله فعلى اعتقاده لا يمكن أن يصل إلى الله مباشرة وأولئك قالوا : والصالحون لهم جاه عند الله هذا الجاه ماذا يفعل قالوا : هذا الجاه بمعنى أنـــه لـــو سأل لم يُرد وإن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره فأتى من هذه الشـــبهة ورد التوحيد باعتبار أن هذا الصالح الذي هو عند الله جل وعلا مقـــرب وهـــذا الصالح الذي عند الله له الزلفى والمقام الأعظم بحيث أنه لو سأل لم يُـــرد فقـــال الشيخ رحمه الله هنا أو تكملة الشبهة قالوا : وأطلب من الله بهم أطلب من الله لا منهم بمعنى لا اسألهم ولكن أطلب من الله بهم ،كلمة بهم هنا ليس بمعنى التوســـل بهم يعني بجاههم يقول : اسأل الله بالنبي اسأل الله بالولي اسأل الله بأبي بكر وعمر لأن سؤال الله بالصالحين هذا بدعة ووسيلة إلى الشرك وليس شركاً أكبر لكن هو القصد من قولهم : وأطلب من الله بهم يعني أطلب من الله بواسطتهم وبشفاعتهم وبتقريبهم إياي عند الله زلفى فإذاً كلمة بهم لا يقصد بها التوسل بالجاه لأن هـــذا بدعة وليس شركاً وإنما يقصدون بها الشفاعة والتقريب زلفى قال : فجاوبه بمـــا

تقدم هذه الشبهة ، تلحظ شكلها مركبة لا شك أنها شبهة وهي التي تروج عند الجميع كيف واحد يؤمن بالله ويقول أن الله واحد في ربوبيته ، لا ينفع إلا هو ، ولا يخلق إلا هو ولا يرزق إلا هو إلى آخر ذلك ويقول أنا مذنب ولكن أتوسل يعني أتقرب إلى الله بالصالحين بشفاعتهم اسألهم أن يدعوا الله لي أتقرب إليهم بالدعاء حتى يشفعوا لي عند الله جل وعلا هذا لا يجعلني مشركاً فأنا على حد قولهم يقول : هو لا يشرك بالله وهذا ليس شركاً بالله فما الجواب ؟

قال : فجاوبه بما تقدم وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت فهذا الآن الدرجة الأولى من الجواب نقول الآن له : نحن معك فيما ذكرت لكن ننظر إلى حال المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ وحكم عليهم بالكفر والشرك ما حالهم ؟ ننظر إلى القرآن ماذا فيه ؟ القرآن فيه أنهم مقرون بأن الله هو الخالق وحده وهو الرازق وحده وهو الذي ينفع وحده وهو الذي يضر وحده إذا قال : ما الدليل على هذا ؟ هل المشرك كان يعتقد هذا ؟ نقول نعم مشركوا العرب كانوا يعتقدون ذلك كما قال الله جل وعلا : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ وقال : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله ﴾ وفي الآية الأخرى : ﴿ ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ وقال الله جل وعلا : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله ﴾ وفي آية ﴿ قل من ﴾ آية سورة يونس : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر * فسيقولون الله ﴾ إذاً في آيات كثيرة هذا الاعتقاد الذي وصفت أنك لست مشركاً باعتقاده نقول : هذا وصف

الله جل وعلا به مشركي العرب مشركي أهل الجاهلية فهذه الدرجة الأولى من جواب هذه الشبهة .

الدرجة الثانية : ومقرون بأن أوثانهم لا تدبر شيئاً الأوثان جمع وثن وهو المتجه إليه بالعبادة وفي غالبه لا يكون على هيئة صورة والأصنام ما كان على هيئة صورة وقد يقال للأصنام أوثان باعتبار أنها معبودة من دون الله جل وعلا كما قال جل وعلا في سورة العنكبوت في قصة إبراهيم : ﴿ إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً ﴾ وفي الآيات الأخرى في قصة إبراهيم قال : ﴿ ما هذه الأصنام التي أنتم لها عاكفون ﴾ فإذاً هي أصنام وأوثان فالأوثان ما لم يكن على هيئة صورة فإذاً نذهب إلي شرك المشركين ونقول له : المشركون مقرون بأن أوثانهم لا تدبر شيئاً إذاً المشرك مقر بأن الوثن ليس له نصيب في التدبير فإذا ما رفضه من كلمة لا إله إلا الله وصار به مشركاً ليس من جهة اعتقاده أن ثم مدبراً غير الله ﷻ لأنه الله جل وعلا قال ﴿ ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ﴾ هذه الآن المقدمة الثانية والمقدمة الأولي اعتقاد المشركين بالربوبية في الله جل وعلا أنه هو المتفرد بالأمر كما قال ذلك عن نفسه يعني كما قال المشرك عن نفسه أنه يشهد هذه الشهادة .

الخطوة الثانية: اعتقاد هؤلاء في الأوثان بم ؟ قالوا اعتقد في الأوثان العرب أنها لا تدبر شيئاً إذا استدللت بهذه الآيات وبحال العرب يأتي النتيجة وهي : وإنما أرادوا الجاه والشفاعة لماذا أرادوا الجاه والشفاعة فقط ؟ لأن الله جل وعلا قال ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلي الله زلفى ﴾ ومن المتقرر في اللغة أن

كلمة ما وبعدها إلا ما النافية التي يأتي بعدها إلا هذه تفيد الحصر فإنه قال عند قولهم :لا نعبدهم لشيء ولا لعلة من العلل لا لأنهم يملكون الرزق ولا يملكون الموت والحياة ولا لأنهم يدبرون الأمر ولا نعبدهم إلا لشيء واحد وهو أن يقربونا إلي الله زلفى فإذاً ينتج من ذلك أن المشركين كان شركهم باعتقاد أن هذه الأوثان تقرب إلي الله زلفى باعتقاد أن هذه الأوثان لأجل أن لها مترلة عند الله وأن لها جاه عند الله فهي تقرب ما هذه الأوثان التي عبدت ؟ الملائكة أليس كذلك ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴾ قالوا ﴿سبحنك أنت ولينا من دونهم ﴾ وقال جل وعلا في الأولياء ﴿ أم اتخذوا من دونه أولياءً ﴾ وقال جل وعلا في قصة عيسي عليه السلام ﴿ وإذ قال الله يا عيسي بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾ وقال للنبي عليه الصلاة والسلام ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا ﴾ إذاً نوعت المعبودات المنفية ولما نزل قول الله جل وعلا ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ﴾ فرح المشركون قالوا إذاً سنكون مع الصالحين سنكون مع اللات وسنكون مع عيسى وسنكون مع عزيز وسنكون مع كذا وكذا مع من عبدنا فأنزل الله جل وعلا قوله ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ﴾ ...... الآيات . فإذا ترتب على ما ذكرنا أن ما قاله صاحب الشبهة هي

دعوى لا تجابهه بأن تقول هذه دعوى بل أنت مشرك .لا . تقول له: نأخـــذها واحدة واحدة أنت الآن تقول أنا لا أشرك بالله وأنك تشهد كذا وكذا فنقـــول ننظر إلى حال المشركين في الآيات . فإذا تأملت حال المشركين وقصصت عليـــه وتلوت عليه الآيات وأفهمته إياها كيف كانت حالة المشركين وأنهم مقرون بمـــا أقر هذا به فإذاً تنقله إلى الخطوة الثانية وهى أن المشركين كانوا لا يعتقـــدون في أوثانهم أنها تدبر شيئاً . تنقله بعد ذلك للخطوة الثانية فيما قدمت لك ســـالفاً في معنى الشرك . ما معنى الشرك . ومعنى كلمة لا إله إلا الله ثم تنقله إلى أن أولئك لم يرضوا بلا إله إلا الله لأنهم إنما أرادوا الزلفي بنص الآية وأرادوا الشفاعة بـــنص آية الزمر أيضا ﴿ **أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئًا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعاً** ﴾فهي له وحده دون ما سواه . يعنى ملكا هو الذي يخبرك عن حكمها جل وعلا لا تبدأ أنت بتصريف أمرك في الشفاعة كما تريد لا هـــي لله جل وعلا سبحانه استحقاقا وله جل وعلا ملكاً وملكاً وأمراً ونهياً .

قال : وأقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه بهذا يتبين لك أن هـــذه الشـــبهة وهي من الشبه التي قد تواجهها كثير من الناس تروج عليهم يقول : كيف أنـــا مؤمن وأنا كذا كذا يعنى علشان ذهبت إلى رجل من الصالحين من الأولياء عنـــد قبره وقلت له اشفع لي فإن لك جاها عند الله ولك مقاماً عند الله . فاسأل الله لي أن يرزقني ولداً اسأل الله أن يعطيني وظيفة اسأل الله لي أن ييسر أمري . أكـــون مشركاً كأبي جهل وكذا ؟

هذه تروج على كثير من جهة العاطفة ومن جهة التقريب يقول أنا أصلي و أنـــا أزكى وأنا كذا وأعتقد أن الله هو الخالق الرازق وأنا لا أشرك بالله جـــل وعـــلا

فينفى شيئاً هو في حقيقته واقع فيه ولهذا قال الصنعانى في رسالته وكذلك الشوكاني في رسالته تطهير الاعتقاد هذا الصنعانى وكذلك الشوكاني في رسالته توحيد العبادة المعروفة قالوا فيما جابهوه في اليمن قالوا : إن الأسماء لا تغير الحقائق يعنى إن غير المشركون وعلماء المشركون الأسماء فإن الحقائق لا تتغير إذا سموا طلب الشفاعة وطلب الزلفى توسلا فإن هذا لا يغير الحقيقة إذا سموه سؤال بهم كما قال الشيخ هنا عنهم قالوا: وأطلب إلى الله بهم فهذا لا يغير حقيقة الأمر وهو أنهم يطلبون من الله صحيح ولكن متوسلين بشفاعة أولئك لا بذواتهم والتوسل بشفاعتهم اشفع لي واسأل الله لي وأطلب من الله لي واسأل الله لي وأشباه ذلك هذا كله هو طلب الزلفى أو يتقرب إليهم ليشفعوا من دون التنصيص على الشفاعة يقول : أنا أتقرب إليه اذبح صحيح للولي لكن أنا أقصد الذبح لله لكن للولي حتى ينعطف قلب هذا العبد الصالح علي بأني ذبحت فيسأل الله لي فإذا مقصود من عبد غير الله من عبد الأوثان من عبد الأصنام من عبد القبور من عبد الموتى مقصودهم أن يشفع أولئك لهم ليس مقصود أولئك أن يتخذوا هذه أرباباً أو آلهة استقلالا ما هذا مقصود أحد ممن أشرك ولكن هذا مقصود أولئك من أنهم يريدون القربى والزلفى فإذا تحتاج في رد الشبه إلى أن تتدرج في المقدمات .

أولاً . والثاني : أن تفهم كيف ترد الشبهة بعمومها وكيف تفصل جمل الشبهة فترد عليها بخصوصها .

الثالث : أن تقدم الرد المجمل أو الرد الإجمالي على ما أورده من الشبهة برد مفصل على تفصيل كل جملة جملة مثل ما ذكر الشيخ رحمه الله هنا قال : حالتهم أذكر لهم حالة المشركين لا تجادله بأنك لست أنت مشرك لأنه كذا وكذا أولاً .

لا ولكن صف له حال المشركين على تفصيل الكلام الذي ذكرنا ثم انتقل بعـــد ذلك إلى معنى كونه مشركاً إلى معنى كونه نافى كلمة التوحيد إلى آخر ما ذكر .

هذه من المهمات في أن تتصور كيف تتدرج في رد الشبهة وإحذر من أن تنساق في رد الشبهة مع العاطفة فتجبهه .

بكلام قد يقوى الشبهة عنده فلابد أن يكون الانتقال كما عليه قواعـــد إقامـــة البرهان وإقامة الحجاج مع المخالف أن تنتقل في شأنه من المتفق عليه إلي ما هـــو أقل اختلافا ثم إلي ما هو أكثر وهكذا المسألة التي يقوي الاختلاف فيها لا تبتدئ بها ابتدأ بالواضح واضح جداً ثم انتقل بعده درجه إلي الأقل وضوحاً ثم إلي الأقل وضوحاً وهكذا أما إذا ابتدأت بما هو أكثر إشكالاً فإنه لن يقتنع لأن ما هو أكثر إشكالاً يحتاج إلي مقدمات كثيرة فإذا تبتدئ معه بما هو أكثر وضـــوحاً الأكثـــر وضوحاً وصف حال المشركين مشركي العرب من جهة إقرارهم بالربوبية واحد . الثاني إقرارهم بأن أوثانهم لا تدبر شيئا . الثالث: بـــأنهم إنمـــا أرادوا الزلفـــى والشفاعة بنصوص القرآن في ذلك لكن لو ابتدأت بمعنى العبادة ربمـــا يأتيـــك في مخالفات يقول لك لا العبادة هي كذا إذا أتيت معه في التكفير هنا يخالفك يقول لك لا هي كذا وكذا وكذا فتبتدئ معه بتقرير شرك المشركين وترد عليه شبهته هذه بأن أولئك ما أرادوا إلا الزلفى التدرج إذاً مهم .

وبعض الذين دعوا إلى التوحيد مع الأسف أوقعوا المدعو في شبهة أعظم مما كان عنده لأنه جاء للمستغلق من المسائل فأرادوا أن يجيب عليها بما عنده واضح لكن ذاك عنده ليست بواضحة فأرادوا أن يجيبه فزاد الأشكال إشكالاً .

الشبهة الثانية تحتاج إلى وقت أيضاً وهى قوله : فإن قال : هؤلاء الآيات نزلــت فيمن يعبد الأصنام كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام هذه تحتاج إلى رد أيضــاً مفصل .

س : هل توزيع كتاب كشف الشبهات في موسم الحج مناسب ؟

ج : نعم مناسب ما فيه شك أنه مناسب لأنه هو وضع سهل العبارة واضح .

س : هل يمكن لأهل السنة والجماعة أن يستخدموا كلمة إله بمعنى محير ؟

ج : لا . لا يمكن لأنها صارت لها معنى شرعي جاءت في النصوص بمعنى معبــود خلاص لا تستخدم تلك الكلمة في غير ما جاءت في النصوص لكن نقول : هذا المعنى هم قالوا : أنها وردت في اللغة على شكل شاذ بمعنى إذا ورد في نص يعــنى في شعر أو في خطبة من خطب العرب أو نحو ذلك فنفهم المعنى بمراجعة كتــب اللغة أما كلمة إله فهي لا نستخدمها إلا بمعنى معبود إله بمعنى مألوه معبود .

س : يقول : ما الفرق في أن يدعو أحد الله بأبي بكر وعمر أو أن يدعو بواسطة أبي بكر وعمر ؟

ج : أنا نبهتكم لهذا التوسل توسل بغير الله في الدعاء له قسمان :

الأول : أن يسأل الله بذات فلان . أن يسأل الله بجاهه يعنى يقــول : اللــهم إني أسألك في دعاء . دعاء في المسجد أو في بيته أو في أي مكان . اللهم إني أسألك بمحمد عليه الصلاة والسلام . أسألك برسولك محمد أسألك بأبي بكر أســألك بعمر أسألك اللهم بعثمان أن تعطيني كذا وكذا فيكون هو قد سأل الله ولكــن جعل وسيلته فلان . يعنى عمل فلان وهذا الفلان له عمل النبي عليــه الصــلاة والسلام له عمل أبي بكر له عمل عمر له فلا مناسبة بين سؤالك وسؤاله والــنبي

عليه الصلاة والسلام ما أرشد إلى هذا لهذا نقول : هذا النوع بدعة ولا يجوز لأنه لا مناسبة بين عمل فلان وعملك . ما بين ما عمله وقدمه وما بين ما عملتـــه أو يسأله بجاهه فيقول أسألك اللهم بجاه نبيك . بحرمة نبيك بجاه أبي بكر . بجاه فلان من الصالحين أن تعطيني كذا وكذا هذا أيضاً بدعة واعتداء في الدعاء ووسيلة إلى الشرك وهو القسم الثاني .

القسم الثاني : اللي هو شرك أكبر أن يكون معنى التوسل أن يسأل الله متوســـطاً بأولئك ما يقول : اللهم أعطني بفلان . لا يقول : يا فلان اشفع لي عند الله اللهم أعطني كذا وكذا بشفاعة فلان له هذا التركيب جميعاً أو يقول : يا نبي الله أسأل الله لي كذا وكذا يا حسين اشفع لي عند الله بكذا وكذا يا عبد القادر أسألك أن تسأل الله لي كذا اشفع لي بكذا يكون قد صلى مثلاً عند قبته . عند قبره ركعتين تقرباً أو طاف أو ذبح أو نذر أو من دون ذلك فهذا معنى الوساطة الوساطة يعني أنه طلب منهم الوساطة . طلب منهم الزلفى طلب منهم الشفاعة ففرق بـــين أن يسأل الله بهم وما بين أن يتوسط عند الله بهؤلاء فالسؤال بهم أن يقول اللـــهم إني اسألك بنبيك اسألك بأبي بكر هذا بدعة ووسيلة إلى الشرك واعتداء في الدعاء أما لو سأل هذا أن يشفع له عند الله أو تقرب إليه بشيء من العبادات ليشفع له عند الله هذا هو الشرك الأكبر الذي عناه الشيخ بما ذكر .

س : هل المعبودات من الأحجار والأشجار تكون في النار مع من عبدها ؟

ج : نعم كلها والأصنام والجن الذين عبدوا ورضوا بالعبادة .

س : الأخ يقول لنا ما اتضحت له الشبهة ولا ردها ؟

ج : أنا اجتهدت بأن يكون الأسلوب أكثر سهولة وأكثر وضوح . ما أدرى إذا كان مستغلقا هذه مشكلة يعنى صعب أنى أسهل أكثر من ذلك ودي اللي إتضح له الشبهة واتضح له الرد يعنى يشير بإصبعه يشير بيده .

الذي هي واضحة عنده جداً إيراد الشبهة والرد يرفع اصبعه .

وضوح متوسط واضحة لكن بتوسط التوسط معناه أنه قد يحتاج إلى مراجعة فيما أورد يحتاج يراجع حتى يفهمه من ؟

طيب الأخير اللي ما اتضحت له ؟ يعنى كان فيه قصور عنده في إيراد الشبهة أو إيراد الرد عليها هاه يرفع ؟

ما فيه عيب يعنى لأن هذا لكى أجتهد لكم أكثر أو نشوف لنا طريقة لأنه يقول : لماذا لا تصاغ الشبهة بأسلوب أكثر وضوحاً مما عليه ثم يكون الجواب بأسلوب أوضح كذلك .

أنا عندي أني أوضحته وربما يعتب على كيف أوضح الشبهة بهذا التوضيح وهذا اللي جعلني فيما مضى أتردد في شرح الكتاب كثيراً لأن تعليم الشبهات مشكلة يعنى إيضاح الشبهة ثم الرد عليها صعب وليس منهجاً لكن برجاء أنكم من دعاة التوحيد ممن سينافحون عنه فلابد من إيضاحها لعل الله جل وعلا يجعل منكم مجاهدين في سبيل الله .

س : هل تدخل المناظرات التي تقوم اليوم بين بعض الدعاة مع النصارى وغيرهم من إيراد الشبهة على المدعو ؟

ج : طبعاً المحاجة والمجادلة فن ولها علم خاص بها علم البرهان وعلم الحجاج وهي من علوم المنطق أو من علوم الفلسفة بالعموم وعلوم المنطق بالخصوص تحتاج إلى

فهم لأنه لابد من ترتيب المقدمات يعنى تهتم بالجواب سواء في الفقه في أي حجة تريد إبطالها أو تريد مناقشتها .

أولاً : تأتى بالمقدمات جميعاً وتنظر هل النتيجة بنيت على هذا المقدمات مجتمعة أو على واحد منها فإن كانت عليها مجتمعة نظرت في صلة المقدمات بعضها ببعض فإن وجدت سبيلا إلى الطعن فيها كان هذا أقوى حجة لأن شيخ الإسلام مع المتكلمين والفلاسفة يأتي للمقدمة ويطعن فيها لما بنيت عليه النتيجة يطعن فيها بالعقل ويطعن فيها أيضاً بالنقل إذا كانت المقدمات كل واحدة أنتجت نتيجة فتناقش كل مقدمة على حدة إذا كانت هذه المقدمات ظنية ناقشتها مناقشة الظنيات إلا إذا كانت أنها قطعية أيضاً . نظرت في النتيجة التي نتجت عنها فتناقشها هنا ترتب الحجاج بالأسهل فالأسهل لا تأتي بالأصعب ثم الأسهل ثم آخر شيء الأسهل لا . تبدأ بالمتفق عليه بالأسهل قبولا ثم بما بعده فإذا بتناقش واحد حتى عندك في البيت أو في مجلس يأتيك مثلا في كلامك . يأتي إلى جزئية ويمسكها تجئ أنت تنشغل عن الكلام كله وهو مهم ويشغلك بجزئيه في كلامك فتناقشه فيها ويضيع لب الموضوع هذا تكون أنت ضعيفا إذا في الحجاج وفي النقاش لأنه أضاع عليك الأصل يجعلك تلتفت إلى جزئية وهذا الآن مع الأسف أهل الصحف وأهل المجلات أغرقوا كثير من الذين يكتبون كتابات إسلامية بشبهات صغيرة والتأصيل العام لا يناقش يأتي في كلام يعنى شبهة فرعية من فروع الإسلام فرع من الفروع أو كذا ويستغرقون ويسلطون عليه الضوء ويناقشونه ويناقشه ورد و أخذ وعطاء ليشغلوا الناس بذلك . لكن أين أصول الإسلام .

هنا تحجب لأنه لو نوقشت الأصول صار الكلام فيها أقرب وأوضح وصارت الحجة فيا من جهة العمل أقوي وإقامة الحجة على المخالف أوضح خلاف

الفرعيات الفروع كثير الخلاف فيها الجزئيات قد لا تصل مع المخالف فيهـــا إلى نتيجة واضحة فينتبه الذي يجيب على الشبهات أو يحاج أي مخالف أو أي صاحب شبهة سواء في الأصول يعني في التوحيد أو في الفروع في الفقه فإنه ينبغي لـــه أن ينتبه كيف يورد الجواب وكيف يرتب الأجوبة حتى يكون ذلك أبلغ في التأثير .

هنا الاعتذار لا تأتي في رد الشبهة المحاجة بتقديم العذر لمن تحاجه . لا نقول لـــه أنت معذور يعني هذا يقويه هو خلي استماعه لك ضعيف .

الأخ يقول : ألا أقول له إن هؤلاء معذورون لأنهم جهال لا ما تقول له : معذور تقول له : المسألة عظيمة هذا كفر وإيمان شرك وإيمان لابد تفهمها لابد نـــتكلم عنها بوضوح إذا سهلت له الأمر تسهل وصار ما عنده قلق من وضعه .

نكتفي بهذا القدر واسأل الله جل وعلا أن يجمعنا وإياكم بعد الحج في ثبات على الطاعة وقبول للعمل وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

هذه الشبهة أورد الجواب عليها فقال : فإن قال هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبـــد الأصنام كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً

قال : فجاوبه بما تقدم فإنه : إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها إلى آخر كلامه . يعني بقوله : فجاوبه بما تقدم ما قدمه في المقدمات بما سبق وقوله فإنـــه هذا تفصيل لذلك الجواب قال إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها فـــأول أبطال لقومهم أن يقام عليه حال الكفار مع الربوبية والله جل وعلا بين لنـــا أن أفراد الربوبية كان الكفار أفراد توحيد الربوبية كان الكفار يقرون بها فلما كـــان الكفار مقرين بتوحيد الربوبية كان شركهم جائيا من جهة توحيد الإلهية وقد بين ذلك جل وعلا في آيات كثيرة كقولـــه جـــل وعـــلا ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ وكقوله ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل من نزل من السماء ماءاً ﴾ ....الآية

وكقولـــــه ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ﴾ــــالآيات

وكقوله في الآيات التي في أول الجزء من النمل والآيات التي ذكرناها كـثيرة في بيان إقرار المشركين بالربوبية إذا كان ذلك وأقر بهذا فإن جزء من شبهته قد زال حتى يعلم أن شرك مشركي العرب لم يكن من جهة اعتقادهم أن هذه الأصـنام تخلق أو قادرة على الاختراع أو لها نصيب في الملك وإذا كان كذلك نقول : هم من هذه الجهة أرادوا من الأصنام هذه الشفاعة كما قال جل وعـلا ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ وكقوله جل وعـلا ﴿ **هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ وكقوله جل وعلا ﴿ **أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب** ﴾ فإذاً المشركون لهم اعتقاد في إلهية هذه الأصنام ويرون أنهم إنما يتقربون إليها لأجل التوسط لأجل الشفاعة فهذا برهان ثانٍ فالبرهان الأول علـى هذه الشبهة حال المشركين مع إقرار الربوبية والبرهان الثاني في الرد علـى هـذه الشبهة بيان أنهم مع الأصنام ما قصدوا إلا التوسط والشفاعة لأن الله جل وعـلا بين لنا أنهم لا يعتقدون في الأصنام أنها تخلق وترزق وتأتي بالمطر وتسير الرياح إلى آخر ذلك بل إنما قصدوا منها الشفاعة واتخاذ الأصنام وسائط والبرهان الثالث ما ذكره الشيخ بعد ذلك بقوله : ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام ومنهم من يدعو الأولياء .

كما أسلفنا أن عبادة المشركين لغير الله كانت متجهة إلى أربعة أنواع ذكرناهـا لكم فيما سلف وتلخيصها أنهم عبدوا الأصنام المصورة وعبدوا الملائكة وعبـدوا الأنبياء والأولياء وعبدوا الأشجار ، الأنبياء والأولياء والملائكة ، وعبدوا الأشجار والأحجار يعني اعتقدوا فيها وعبدوها فهذه جملة الأنواع ويدخل في الأشـجار والأحجار عبادة الشمس والقمر والكواكب لأن لها نصيباً من كونهـا أحجـار

ويدخل في عبادة النوع الثاني أصناف ويدخل في النوع الأول أصناف إلى آخره فإذاً لم تكن عبادة العرب منصبة على نوع واحد إذا أراد الدليل فنقول له : من جهة أن العرب وغير العرب من المشركين والكفار عبدوا أنبياء وعبدوا صالحين فالآيات في هذه كثيرة كقوله جل وعلا : ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ﴾ وكقوله جل وعلا : ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ﴾ وكقوله : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ وكقوله جل وعلا : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾ وكقوله جل وعلا : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ على القراءة فيها (اللات والعزى) وهو رجل صالح كان يلت السويق فمات فعكفوا على قبره إلى آخر ذلك إذاً فنجمع لهم الآيات التي هي صريحة في أن الصالحين عبدوا ثم الدرجة الثانية من هذا البرهان الثالث أن نقول في القرآن أيضاً بيّن جل وعلا أن الذين عبدهم المشركون كانوا أمواتاً غير أحياء كما قال جل وعلا في ذكر الحُجاج مع المشركين قال في وصف الآلهة : ﴿ لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون أمواتاً غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ فهذه الآية فيها بيان أن الذين عبدهم المشركون والكفار من العرب كانوا لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون وأنهم أموات غير أحياء ومعنى قوله : ﴿ أموات غير أحياء ﴾ أنهم الآن ليسوا

على وصف الحياة بل هم على وصف الموت وهذا يعني أنهم كـــانوا قبـــل هـــذا الوصف أحياءً لأن الذي يوصف بأنه ميت هو من كان حياً قال جل وعلا هنا : ﴿ أمواتاً غير أحياء ﴾ ثم أكد ذلك بقوله : ﴿ وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ يعني ما يشعرون متى يبعث ؟ والذي يبعث هو الميت الذي يوصف بأنه كـــان حيـــاً فمات وهذا واضح في خروج الجمادات والأصنام عنها الذي يبعث ذووا النفوس الجن والإنس والحيوان وهنا معلوم أن المقصود من عُبِدَ من الإنس فـــإذا كـــان كذلك بطل إدعاء أن العرب إنما عبدت أصناماً له وصف الحجارة فقـــط وقـــد ذكرنا لكم لما تعلق العرب ومن قبلهم بالأصنام لأنهم يعتقدون أن هـــذا الصـــنم الذي هو مصور على هيئة صورة ما تحله روح أو كما يقولون روحانيـــة تلـــك الصورة فإذا كانت الصورة صورة بشر حلت فيه حين الخطـــاب وإذا كانـــت الصورة صورة كوكب حلت فيه روحانية الكوكب حين الخطاب وإذا كانـــت الصورة صورة ملك حضر الملك حين الخطاب وهكذا فيما يزعمون وكل الذي يحضرون ويخاطبونهم وهم صادقون حين يقولون خاطبنا الصنم فخاطبنا وكلمناه فكلمنا وسألناه فأجابنا ولكن لم تجبهم الأرواح الطيبة وإنمـــا أجابتـــهم الأرواح الخبيثة أرواح الشياطين والجن ولهذا قال جل وعلا في آية سبأ : ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم به مؤمنون ﴾ يعني أن الحقيقة أن الذي خاطبهم وأوقعهم في هذا إنما هم شياطين الجن وقد قال جل وعلا : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل

منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴾ وكان إضلال الشيطان ليس من جهة الشهوات فحسب بل هو في أعظم إضلال وهو في عبادة غير الله جل وعلا إذاً جواب هذه الشبهة ترتب على ثلاث أنواع من البراهين مرتبة :ـ

الأولى : كما ذكرنا في أن عبادة المشركين كانت في أن إقرار المشركين بالربوبية على وجه التفصيل وتسوق الآيات .

الثانية : أنهم ما أرادوا ممن عبدوهم ولو كانت الأصنام إلا التوسط والشفاعة كما هي الآيات .

الثالثة : أن الآيات فيها ذكر أن تلك المعبودات لم تكن أصناماً فحسب بل كانت تلك المعبودات من البشر والملائكة والجن يعني أن غير الله جل وعلا عبد بجميع أنواع غير الله فعبدت الملائكة وعبد الصالحون وعُبد الأولياء وعُبد الأنبياء إذا تبين ذلك واتضح فنأتي إلى خاتمة هذا البرهان قبل أن نمشي مع كلام الإمام رحمه الله تعالى فنقول : إن هذا البرهان وردّ هذه الشبهة بما ذكرنا واضح ولكن يبقى نتيجتة وهو فهم معنى التوسط وفهم معنى التوسل وفهم معنى الشفاعة وهذا سيأتي في جواب الشيخ الذي أو في تكملة كلام الشيخ رحمه الله لكن المقدمة قبل هذا أنه إن سلم بهذه البراهين الثلاث مرتبة فانتقل معه إلى الكلام على الشفاعة ولا تتكلم في الشفاعة قبل هذه البراهين لأن الكلام في الشفاعة الشبه القولية فيه والعملية والنقلية كثيرة فيحتاج إلى محكم وإلى واضح حتى يُرجع إليه عند الاختلاف فإذاً حين الحجاج مع المشركين يقدم لهم إذا قالوا أن الأولين ما عبدوا إلا الأصنام البراهين الثلاثة ولا يتكلم في الشفاعة إلا بعدها ، ما معنى الشفاعة وكيف توسلوا هم ومعنى التوسل وما شابه ذلك ؟

س : ما الفرق بين درجتي البرهان الثالث ؟

ج : قلنا الأول الآيات .

الدرجة الأولى في البرهان الثالث الآيات التي فيها ذكر عبادة الأنبياء والصالحين صراحة

والدرجة الثانية منه كالاستحضار بأن يقال : لا هذا ليس بصحيح إنما عبدوا الأصنام .. عبدوا أصنام هؤلاء ما عبدوهم مباشرة فيقال له : الله جل وعلا بيّن أن الذين دعاهم المشركون ﴿ أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ والآيات في أول الأحقاف أيضاً واضحة في الدلالة على هذا فإذاً الدرجة الثانية من البرهان لتبين أنهم ما عبدوا صور الصالحين أصنام فقط وإنما عبدوا من كان حياً فمات ، ومن لا يشعر متى يبعث واضح . س : سائل يقول الجن واقع تحت أي عبادة ؟ عبادة الأنفس كلها واحد الملائكة والأولياء

فإن قال الكفار يريدون منهم وأنا اشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم فالجواب أن هذا قول الكفار سواءً بسواء فاقرأ عليه قوله تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ .

هذه الشبهة وأنهم ما قصدوا إلا الشفاعة تحتاج على شيء من التقرير فإن المشركين وأشباه المشركين والمدافعين عن المشركين يقولون : إن الأسباب جعلها الله جل وعلا منتجة لمسبباتها فجعل الأكسية سبباً في دفع الحر وفي دفع البرد وجعل القلم سبباً للكتابة وجعل الطعام سبباً لدفع الجوع وجعل الشراب والماء سبباً لدفع الظمأ إلى آخر ذلك وجعل بيتك سبباً وجعل العصا التي تحملها سبباً

وجعل كذا وكذا سبباً قالوا : فكيف يعقل أن تكون هذه الأسباب نافعة والأنبياء والأولياء والصالحون بعد الموت لا ينفعون فلا شك أنهم أعظم قـــدراً وســـببيتهم أعظم من هذه الأشياء فكيف يُقال أن الطعام ينفع والنبي ﷺ لا ينفع كما يقولون وكيف يقال أن الأكسية تنفع والنبي ﷺ بعد مماته لا ينفع أو الأولياء والصالحون لا تنفع ويدخلون لك في تقرير الشفاعة والتوسل من جهة الأسباب والارتبـــاط بالمسببات وجواب هذا يكون بمعرفة حال المشركين ، فإن المشركين حين أشركوا ما أرادوا إلا أن يتخذوا هذه الأسباب مسببات حينما توجهوا إلى عيسى عليـــه السلام وإلى أمه وإلى اللات وإلى الصالحين وإلى القبور لما توجهوا ؟ هل يعتقدون فيها الاستقلالية إنما اعتقدوها أسباباً فإذاً شبهة السببية هي مقدمة شبهة الشفاعة فإنهم يقررون السببية حتى يصلوا منها إلى أنه لا بأس أن تتشفع برسول الله ﷺ أو تتشفع بالأولياء والصالحين فإذاً فهمك لعبادة المشركين يقضي على هذه الشـــبهة من أساسها وتستطيع بفهمك لعبادة المشركين أن ترد على أن من أتـــى بهـــذه الشبهة التي هي مقدمة للقول بالشفاعة .

الأسباب كما هو معلوم في الشرع نوعان : ـــ

١ـــ أسباب مأذون بها .

٢ـــ أسباب محرمة .

فليس كل سبب جائز في الشرع أن يُتعاطى وكون النبي ﷺ سبباً بعد موتـــه أو كون الصالحين أسباباً بعد موتهم هذا عند الجدال والبرهان نقول : هذا احتمـــال احتمال أن يكونوا أسباباً واحتمال أن لا يكونوا أسباباً لأن الصـــبر والتقســـيم ومقتضى الجدل الصحيح يقضي أن نقسم لأنه احتمـــال أن يكونـــوا كـــذلك واحتمال أن لا يكونوا كذلك فننظر في حال الأولين نقول : الله جل وعلا بيّن لنا

أن أرواح الشهداء عنده في مقام عظيم وأنه لا يجوز لنا أن نقول أن الشهيد ميت كما قال جل وعلا :

﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ﴿ بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ وقال جل وعلا في آية آل عمران ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ وأولهم شهداء بدر وشهداء أحد وهم كثير ففي زمن النبي ﷺ من السنة الثانية إلى وفاته عليه الصلاة والسلام ننظر في هذا السبب هل كان شيء من النبي عليه الصلاة والسلام أو فيما تنزل من القرآن وجهنا إلى الانتفاع بهذا السبب على فرض أنه سبب نافع فهذا باليقين لا يقوله أحد أن ثمة آية أو حديث أو سلوك للصحابة بأنهم توجهوا إلى أرواح الشهداء وهم أحياء بنص القرآن للانتفاع بهذا السبب وحال الصالحين والأولياء الذين توجه لهم المشركون غير الأنبياء لا شك أنهم أقل حالاً من هؤلاء الشهداء الذين شهد الله جل وعلا لهم بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون لأن أولئك ما شاركوهم في وصف الشهادة ، الأنبياء أعظم وأرفع درجة من الشهداء فإذا كان كذلك صار هذا إجماعاً قطعياً في زمن النبوة وهو أعلى أنواع الإجماع صار هذا إجماعاً قطعياً في زمن النبوة أن هذا السبب ولو فُرِضَ أنه ينفع فإنهم تركوه قصداً و لم يتزل فيه شيء فدل على أنه سبب غير نافع وأنه سبب غير مأذون به هذا من جهة.

والدرجة الثانية : أنه بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام وكون النبي عليه الصلاة والسلام في الرفيق الأعلى أو مع الرفيق الأعلى واضحاً كان هذا عند الصحابة ومع ذلك لم يتوجه الصحابة ولا التابعون قطعاً إلى روح النبي عليه الصلاة

والسلام يطلبون منها أو يجعلونها سبباً فهذا إجماع ثـــانٍ توالـــت عليـــه اعصـــر والإجماع الثالث في حادثة نقلت أن عمر ﷺ لما أصاب الناس في عام الرمادة سنة سبعة عشر لما أصاب الناس الضيق والكرب والجفاف والجوع كان يستسقي كما في الحديث المعروف في البخاري وفي غيره فلما دعا أو فلما خطب قال : إنا كنا نستسقي برسول الله ﷺ يعني في حياته والآن نستسقي بعم رسول الله ﷺ ، يـــا عباس قم فادعوا فقام العباس ودعا وأمن الناس على دعائه وهذا يدل دلالة قطعية على أنهم انتفعوا بسبب دعاء العباس و لم يطلبوا الانتفاع بسبب دعاء النبي عليـــه الصلاة والسلام لعلمهم بأن ذلك السبب غير مشروع وأنه من توجه إلى النبي ﷺ طالباً أن يدعوا ، أنه مخالف للشريعة وأنه شرك لأنه لا يمكـــن أن يتوجهـــوا إلى المفضول ويتركوا الفاضل لا يمكن أن يتوجهوا إلى الأقل ويتركوا الأعلـــى وهـــو رسول الله ﷺ بل هذا لو كان لغير المصطفى ﷺ وهم في حياته كانوا يستغيثون به فيما يقدر عليه ويستشفعون به فيما يقدر عليه عليه الصلاة والسلام إلى آخـــر ذلك ، وهذا إجماع ثالث لأن الحديث صحيح فيه .

إذا تقرر هذا فنقول : هذا كله على فرض أن السبب نافع ولكنه لم يؤذن بالسبب فقد تكون الخمرة نافعة لكن لم يؤذن بها والله جل وعلا قال في الخمر والميسر :

﴿ فيهما إثم كبير ومنافع للناس ﴾ ومع ذلك حرمها .

وقال عليه الصلاة والسلام (تداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام) وقال (إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها) الحديث في أبي داود وفي غيره .

إذا تبين ذلك فنقول إذاً : على فرض أن هذا السبب ينفع فإنه سبب محرم غـــير مأذون به في الشرع لتلك الأنواع الثلاثة من الاجتماعات .

ثم ننتقل إلى درجة ثانية من الحِجاج معهم فنقول : في الحقيقة هذا السبب غـــير نافع في الدنيا وهو ما تعلقوا به من جهة الشفاعة أيضاً نقول : تقرر أنه ، أن هذا السبب غير مأذون به وأنه مردود في الشريعة لأنه شرك المشـــركين نقـــول : أن الدرجة الثانية نقول هذا السبب في الحقيقة غير نافع ، لما ؟ نقول للآتي :

أولاً : أن الله جل وعلا بين أن روح عيسى عليه السلام وروح أمه لا تنفعهم ولا تضرهم بنص القرآن ، فقال جل وعلا : ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام * انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون *قل أتعبدون ﴾ يعني عيسى وأمه ﴿ قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً * والله هو السميع العليم ﴾ فإذاً في هاتين الآيتين من ســـورة المائـــدة والتي ساقها الشيخ رحمه الله في الأولى بيان التوجه إلى أرواح الأنبياء والصـــالحين لأن عيسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل ولأن أمه من عباد الله الصالحين ومن القانتات فتوجهوا إلى روج نبي وإلى روح أمة صالحة وأم نبي وأم أحد أولي العزم من الرسل .

بيّن جل وعلا أن توجههم لتلك الأرواح تعلق بسبب غير نافع ، ما الدليل ؟ قال : ﴿ قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعا ﴾ وهذا يدل علـــى أن هذا السبب غير نافع .

وقال جل وعلا في الآية الأخرى في سورة الجن : ﴿ قل إني ﴾ في وصف النبي عليه الصلاة والسلام وفي الأمر له بأن يقـــول : ﴿ قل إني لا أملك لكم ضراً ولا

رشداً ﴾ بيّن جل وعلا أن محمداً عليه الصلاة والسلام لا يملك لهم ضـــراً ولا رشدا إلا فيما جعله الله جل وعلا سبباً نافعاً في حياته وهو أعظم ـــ النبي عليـــه الصلاة والسلام أعظم سبب نفع الناس وأعظم الأسباب النافعة في حياته حيـــث هداهم إلى الإيمان وأنقذهم من الضلالة إلى الهدى وأخرجهم من الظلمـــات إلى النور .

وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام السبب هذا الذي هو سبب الهداية وما اقـــدره الله عليه في الدنيا اصبح باطلاً لأنه جل وعلا بيّن أن الأنبياء والصالحين لا يملكون ضراً ولا نفعاً لمن عبدوهم ، وقد قال جل وعلا في أول ســـورة الفرقـــان : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا * الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك * وخلق كل شيء فقدره تقديرا * واتخذوا من دونه آلهة ﴾ اربطها بمن اتخذ ولد بمن اعتقد أن لله جل وعلا ولداً قال : ﴿ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * ولا يملكون لنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشورا ﴾ .إذاً هذه كلها تبين أن هذه الأسباب غير نافعة وإنما هي نافعة في حياتها أو يوم القيامة تنفع لأن الله جل وعلا جعلها أسباباً نافعة في هذين النوعين من الحياة .

هذا تدرج في البرهان وإيضاح فيما ذكره الإمام رحمه الله تعالى وهو الذي فـــتح هذه المعاني بما ذكر بعد توفيق الله جل وعلا .قال : فإن قال الكفار يريدون منهم وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد منه ، والصالحون ليس لهم مـــن الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم .

فالجواب : أن هذا قول الكفار سواءً بسواء لأنهم ما عبدوهم إلا ليشفعوا ما توجهوا إليهم إلا للشفاعة ما قصدوهم إلا لاعتقاد أنهم أسباب تنفع الصنم سبب ينفع والروح سبب تنفع وروح النبي سبب ينفع والوثن والقبر سبب ينفع والجني سبب ينفع فيما حرم الله جل وعلا وهذا من الشرك الذي بينه الله جل وعلا في القرآن .

قال فاقرأ عليه قوله تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ ثم قال : واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه وفهمتها فهماً جيداً فما بعدها أيسر منها ورحمه الله رحمة واسعة كم كان بصيراً بشبه المشركين وبالحجاج عنها والجدال وبيان الصواب ووجه الحجة في ردها ودحضها فكانت واضحة كانت الشبه واضحة عند إمام الدعوة رحمه الله وكان فقه الكتاب والسنة والرد عليها أوضح وأبين عنده فشرح الله صدره لذلك وإن كثيرين إذا جاءتهم الشبه وراجت عليهم فإنهم يترددون ولكن الله جل وعلا شرح صدره للقيام بهذه الدعوة وبيان التوحيد فضلاً من الله ونعمة .

إذاً نقف عند هذا وليكن لك مراجعة على المقدمات والشبه الثلاث والجواب عليها والجواب المجمل والمفصل لأن تأصيل ما ذكرنا وفهمه فهماً جيداً ينبني عليه ما سيأتي من ذكر الشبه والجواب عليها .

أسأل الله جل وعلا أن يرحم إمام الدعوة وأن يرفعه في عليين وأن يجعله مع الأنبياء والصديقين والصالحين والشهداء وحسن أولئك رفيقا ، اللهم اجزهم عنا

أحسن الجزاء على ما أوضحوا وبينوا وجاهدوا في الله وصلى الله وسلم وبـــارك على نبينا محمد ﷺ .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أمـــا .... بعد

قال المؤلف رحمه الله تعالى : (فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله وهذا الالتجـــاء إلى الصالحين ودعائهم ليس بعبادة ، فقل له أنت تقر أن الله افترض عليك إخـــلاص العبادة وهو حقه عليك فإذا قال نعم فقل له : بيّن لي هذا الذي فرضه الله عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده وهو حقه عليك فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك قال الله تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴾فإذا أعلمتـــه بهذا فقل له : هل علمت هذا عبادة لله فلابد أن يقول : نعم والدعاء مخ العبادة ، فقل له فإذا أقررت أنه عبادة لله ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره فلابد أن يقول : نعم فقل له إذا علمت بقول الله تعالى :﴿ فصل لربك وانحر ﴾ وأطعمت الله ونحرت له هل هذا عبادة ؟ فلابد أن يقول نعم فقل له : فإن نحرت لمخلوق نبي أو جـــني أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله فلابد أن يقر ويقول نعم وقل له أيضاً المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين والـــلات وغير ذلك فلابد أن يقول : نعم فقل له : وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء

والذبح والالتجاء ونحو ذلك وإلا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهره وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة فهذا ظاهراً جداً .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ وبارك عليه وعلى الآل والصحب أجمعين وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين اللهم نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً خالصاً اللهم نعوذ بك أن نضل أو نضل أو نذل أو نُذل أو نجهل أو يُجهل علينا اللهم اجعل قلوبنا خاشعة لك وعيوننا دامعة لك اللهم وهيئ لنا من أمرنا رشدا نعوذ بك من فتنة المحيا ومن فتنة الممات ومن فتنة المسيح الدجال ومن فتنة القبر وهذه صلة للكلام على ما قرره إمام هذه الدعوة رحمه الله تعالى في كشف شبهات المشركين فإن المشركين لهم شبهات متنوعة قد مر معنا أعظم شبهاتهم وأكثرها تأصيلاً ثم يأتي الآن من شبهاتهم ما انتشر فيهم لكنه عن طريق المكابرة والجهل وقال طائفة منهم إنهم لا يعبدون إلا الله وأن الالتجاء إلى الصالحين وسؤال الصالحين ودعائهم والاستغاثة بهم ليس بعبادة وهذا هو الذي ذكره الإمام رحمه الله بقوله : فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله وإذا قال الشيخ في هذا الكتاب فإن قال فلا يستحضر أن الذي يقول بهذه الشبهة هو الذي قال بالشبه التي قبلها بل هو يستحضر جنس المدللين بالشبه قال : فإن قال يعني الذي يورد الشبهة أو الذي يقع في الشرك وقد يكون من الأولين وقد لا يكون قال : فإن قال أنا لا أعبد إلا الله وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة وهذه يقولها كل مشرك فإنه ما من مشرك يقر على نفسه بالشرك وبأنه يعبد غير الله جل وعلا لأن هذه الأمة ببعثة محمد ﷺ أنقذت من الشرك إلى التوحيد ومن

عبادة غير الله إلى عبادة الله وحده دونما سواه وكل أحد من هذه الأمة يقول : أنا لا أعبد إلا الله وقد يكون مصيباً في قوله وفعله يحقق قوله وقد يكون ضالاً يقول شيئاً وهو يخالفه إلى غيره وهذه المخالفة ناتجة عن أنه يظن أن ما يفعله من صرف العبادة لغير الله أنه ليس بشرك وليس بعبادة فعنده أن الدعاء دعاء غير الله ليس بعبادة وأن الالتجاء إلى الصالحين وسؤال الأولياء الأموات كشف الكرب ورفع الضر والشفاعة وأشباه ذلك أنه ليس من العبادة وكذلك يزعمون أن النحر لهم والذبح ليس بعبادة وأن النذر لهم ليس بعبادة وهكذا فما من صورة شركية يفعلها أهل الشرك إلا وإذا احتججت عليهم بأن فعلهم شرك قالوا : نحن لا نعبد إلا الله وهذه الأشياء التي نفعلها ليست بعبادة وإنما هي للوسيلة وأما العبادة فإنما هي لله وحده دونما سواه وهذا القول منهم دعوة بلا برهان ولا دليل بل هم المشركون الذين عبدوا مع الله جل وعلا غيره قال رحمه الله مقرراً لشبهتهم ومستحضراً الجدال والحجاج مع رجل منهم قال : فإن قال أنا لا أعبد إلا الله وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعائهم ليس عبادة فقل له :

فترتبت هذه الشبهة على مرتبتين :

الأولى : زعمه أنه لا يعبد إلا الله والمرتبة الثانية : زعمه أن الالتجاء إلى الصالحين ودعاء الصالحين بأنواع الدعاء من الاستغاثة والاستعانة والاستشفاع إلى آخره أنه ليس بعبادة

الثانية : هي التي قادتهم إلى الأولى لأجل عدم وضوح الثانية قالوا أنهم لا يعبدون إلا الله فلهذا الشيخ رحمه الله ابتدأ بالثانية لأنها هي وسيلة إثبات صحة الأولى أو خطأ المرتبة الأولى .

قال : فقل له أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك فتسأله وتقول له هل تقر بأن الله فرض عليك إخلاص العبادة وأن العبادة حق الله عليك لأن الله أمر بها في القرآن في قوله : ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ﴾ وفي قوله جل وعلا في سورة الزمر : ﴿ قل الله أعبد مخلصاً له ديني * فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ وكذلك في آية البينة وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي فيها إثبات وجوب الإخلاص لله جل وعلا وهذا النوع من الأدلة التي فيها الأمر بالإخلاص .

والنوع الثاني من الأدلة الذي فيه الأمر بالإخلاص بيان أن المشرك الذي لم يخلص لله جل وعلا أنه كافر وأنه من أهل النار كقول الله جل وعلا : ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ وكقوله جل وعلا : ﴿ وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ ونحو ذلك من الآيات التي فيها بيان مصير المشرك الذي جعل مع الله في العبادة غيره يعني لم يخلص دينه لله وأشباه ذلك من الأدلة فتقول له أنت تقر بأن الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حق الله عليك وكل مؤمن أو كل منتسب للقبلة يقول نعم أنا مقر بأن الله جل وعلا فرض علينا الإخلاص ، إخلاص العبادة وأن إخلاص العبادة حق الله علينا قال الشيخ : فإذا قال نعم فقل له بيّن لي الذي فُرِض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده تسأله عن بيان هذا الذي تُقر أن الله فرض عليك وكثير بل الأكثر من

المشركين جهال لا يعلمون معنى العبادة ولا يعلمون معنى الإخلاص ولا يعلمون معنى الذي فرض الله جل وعلا عليهم ولهذا فإذا سألته عن هذا فإنه لن يجيب بل سيقول : لا أعرف معنى العبادة أو لا أعرف جواب هذا بل إخلاص العبـــادة لله أن أصلي لله وأزكي لله وأشباه ذلك فإنه يجعل الإخلاص في بعض الصور لهذا قال الشيخ رحمه الله فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولـــك .... إلى آخره .

فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له وهذا خلوص منه في الحجاج إلى تعليم الجاهل فإن المحتج على الخصم لا يسوغ أن يترله دائماً مترلة المعانـــد أو أن يجعله معانداً فيغلظ له في القول ويغلظ له في الحجة لأنه ربما نفر من ذلك وانتصر لنفسه وترك سماع الحجة فإنك تستدرجه حتى يُقر بأنه جاهل فإذا أقر بأنه جاهل لا يعرف معنى العبادة ولا يعرف معنى الإخلاص ولا يعرف معنى الدعاء وأشـــباه ذلك فإنك تبيّن له ذلك حتى تقوم الحجة علي أفراد واضحة في قلبه وفي عقلـــه وذهنه لهذا هذا الحوار الذي ذكره إمام الدعوة فيه فائدة عظيمة ذكرها لك الآن وهي أنه من أقوي وأنفع وسائل الحجاج أن تترل من أمامك مترلة الجاهل حـــتى تنقلب معه إلي معلم غير مناظر لأن المعلم دائماً أعلي من المتعلم أعلي من جهـــة الحجة وأعلى من جهة قبول المتعلم لما يقول : فإن المقابل لـــك إذا أحســـن أن عندك علماً ليس عنده . فإنه سيسيطر إلي الاستفادة منك وهذا يثير كـــثيراً مـــن النفوس في قبول الحق إذا علم أنه جاهل بما أوجب الله جل وعلا عليه وهو يدعي شيئاً يجهله فهذه وسيلة من الوسائل العظيمة في الحجة وفي جواب الشبهة فـــإذاً نستفيد من هذا أننا إذا رأينا من هو شرك بالله جل وعلا أو من جادل عن نفسه بأنه ليس بمشرك فإنه لا يحسن أن يترل دائماً مترلة المعاند الذي تقام عليه الحجـــة

بنوع من الشدة والغلظة بل يُنظر في أمره ويستدرج حتى يُجعل في مترلة الجاهـــل وإذا كان كذلك فإنك تقيم عليه الحجة وتعلمه دين الله جل وعلا .

قال : فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له .

والعبادة سبق أن أوضحنا معناها في شرح ثلاثة الأصول وفي كتاب التوحيد وأن العبادة يحصل معرفتها تحصل معرفتها في الأدلة من الكتاب والسنة بنـــوعين مـــن الاستدلال :

أما النوع الأول من الاستدلال : فالنصوص التي فيها الأمر بالعبـــادة بعبـــادة الله وحده دون ما سواه وأن من صرف العبادة لغير الله فهو كافر مشرك كقـــول الله جل وعلا في الأول : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم . . . الآية ﴾ في أول البقرة

ومن الثاني قول الله جل وعلا في آخر سورة المؤمنون : ﴿ ومن يدعوا مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾ ومن السنة قول النبي ﷺ (الدعاء هو العبادة) فإذا بينت له هذه الأدلة بعامة فتقول له إن العبادة هي كل ما العبادة نعلم أن هذا الشيء عبادة بأن الله جل وعلا أمر به أو أمـــر بـــه رسوله ﷺ فإذا كان هذا الشيء مأمور به علمنا أنه عبادة لأن الله جل وعـــلا لم يأمرنا إلا للتعبد فصح أن هذا الذي أُمرنا به أمر إيجاب فإنه عبادة وكذلك أمـــر استحباب فتقول له : أمرنا الله جل وعلا بإخلاص الدين له ، فإذاً إخلاص الدين لله عبادة ، أمرنا الله جل وعلا بخوفه فالخوف عبادة أمرنا الله جل وعلا برجائـــه فالرجاء عبادة أمرنا الله بالصلاة فالصلاة عبادة أمرنا الله بالزكاة فالزكاة عبـــادة

أمرنا الله بالنحر فالنحر عبادة أمرنا الله بكذا وكذا فهذه عبادات هذا النوع الأول من الاستدلال

والنوع الثاني : ما جاء في كل مسألة من تلك المسائل التي عددناها من العبادة وأن الله أمرنا بها ما جاء في كل مسألة من دليل خاص يثبت وجوب اختصاص الله جل وعلا بهذا النوع من العبادة فإذاً الدليل الأول دليل عام تقول إن هذا قد أمر الله به هذا الشيء قد أمر الله به فهو عبادة والله جل وعلا أمرنا أن نعبده دونما سواه وأخبرنا أن من عبد غيره فهو مشرك كافر والنوع الثاني من الأدلة والاستدلال ما كان في كل مسألة بحسبها فنقول مثلاً : أمر الله جل وعلا بإفراده بالعبادة بقوله : ﴿ إياك نعبد ﴾ فقدم المفعول على الفعل والفاعل ليفيد الاختصاص اختصاص العبادة به وقصر العبادة عليه وحده دون ما سواه وقال : ﴿ وإياك نستعين ﴾ قدم المفعول على الفعل نستعين والفاعل ليدل على أن الاستعانة في العبادة إنما تكون بالله جل وعلا وحده هو المختص بها وكذلك قوله جل وعلا : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ﴾ فيها أن هذه الأشياء لله وحده مستحقة يعني الصلاة والنسك مستحقة لله دون ما سواه لا شريك له كذلك تأتي للإنابة والتوكل فتقول : قال الله جل وعلا : ﴿ عليه توكلت وإليه أُنيب ﴾ فدل على أن التوكل عليه وحده دون ما سواه لأنه قدم الجار والمجرور على ما يتعلق به وهو الفعل فدل على اختصاص التوكل بالله جل وعلا يعني بأن التوكل يكون عليه وليس على غيره وكذلك الإنابة فإنها إليه لا إلى غيره وهكذا في غيرها من المسائل وكذلك الدعاء فإن الدعاء أمر الله به بدعائه

وحده فقال : ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ﴾ وقال : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ .

إذاً فتوضح له معنى العبادة ثم توضح له الأمر بالعبادة بأن يُعبد الله دون ما سواه ثم تبين له ما أمر الله به وأن كل مسألة مما أمر الله به أنها تدخل في العبادة فدخل الذبح في العبادة ودخلت الصلاة في العبادة ودخل الخوف في العبادة ودخل التوكل في العبادة ودخلت الاستغاثة في العبادة ودخل الرجاء في العبادة إلى آخر مفردات توحيد العبادة ثم بعد ذلك تقيم له الدليل الثاني أو النوع الثاني من الأدلة والاستدلال بأن الله في القرآن والنبي ﷺ في السنة جعل هذه الأنواع مختصة به وحده دون ما سواه فصار الدليل من جهتين من جهة دخولها في العبادة والله أمر بعبادته وحده دون ما سواه ومن جهة أن الله جعلها مختصة به دون ما سواه وهذان نوعان من الأدلة يكثر فيها أفرادها وتكثر الآيات والأحاديث في كل واحد من هذين النوعين .

فإذا بينت له ذلك فقد تم البيان في إيضاح أن هذه المسائل من العبادة والشيخ رحمه الله تعالى مثل لذلك بمثال في الدعاء لأن الدعاء هو الذي يدخل فيه كثير من الصور

فقال : (فبينها له بقولك : قال الله تعالى : ﴿ أدعو ربكم تضرعاً وخفية ﴾ وفي قوله رحمه الله : بينها له بقولك قال الله تعالى ، أن حجة الموحد يجب أن تكون دائماً بالأدلة وأن لا يحتج بحجج عقلية لأنه قد يكون الخصم عنده من العقليات ما ليس عند الموحد ، فيغلبه إما بتأصيل أو برد إلى المنطق أو ما أشبه ذلك

فتضعف حجة الموحد ولكن يبين له الحجة بالأدلة ثم يوضح وجه الاستدلال من الدليل قال : فبينها له بقولك قال الله تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذا الدليل ، أن الله جل وعلا أمرنا بدعائه فيكون الدعاء عبادة لأنه مأمور به وأمر بدعائه تضرعاً وخفية وسبب ذلك أن المشركين يدعون ألهتهم التي يعبدونها مع الله أو من دونه يدعونها جهاراً يدعونها برفع الصوت والله جل وعلا حي سميع بصير أقرب إلى الداعي من نفسه ومن عنق راحلته فلما أمر الله جل وعلا بذلك علمنا أن هذه مخالفة لصنيع المشركين ، قال سبحانه : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴾ ذلك لأنه سبحانه يعلم السر وأخفى وقد قال الحسن رحمه الله تعالى ما كان دعائهم إلا فيما بينهم وبين ربهم إلا همهمة أو قال إلا حديثاً بينهم وبين ربهم حتى أنه يدعوا الداعي والرجل بجنبه لا يسمعه في حديث له ساقه ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره ونقله أيضا عنه ابن كثير وجماعة .

فالتضرع والخفية صفة الداعي فنقول له : أليس الدعاء دعاء الرب جل وعلا على هذه الحال عبادة لله جل وعلا فلابد أن يقول نعم والدعاء مخ العبادة يعني أن الدعاء لب العبادة فإن العبادة أنواع واعظم أنواعها الدعاء ولهذا قال عليه الصلاة والسلام (الدعاء هو العبادة) تعظيماً لشأن الدعاء كما قال الحج عرفة فالدعاء مخ العبادة ومعظمها ولبها ولهذا قال الشيخ رحمه الله : فلابد أن يقول : نعم والدعاء مخ العبادة هذه جملة استطرادية فقل له إذا أقررت أنه عبادة لأن الخصم لابد أن يقر أن دعاء الله وحده عبادة قال إذا أقررت أنه عبادة ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره تبدأ تناقشه بعد تعريف

العبادة وما قدمنا تقول : إذا دعوت الله وحده ليلاً ونهاراً في حاجة خوفاً وطمعاً ثم في هذه الحاجة بعينها سألت الولي أو الميت أو صاحب السر أو صاحب المشهد أو صاحب القبة أو ما أشبه ذلك دعوته وسألته هذا السؤال هل يكون هذا شركاً في العبادة أم لا ؟

فلابد أن يقول نعم ، لما ؟ إلا أن يكون مكابراً لابد أن يقول نعم لأن عين الشيء سأله الله جل وعلا ودعا به الله وحده طمعاً وخوفاً ورجاءً ليلاً ونهاراً ثم توجه به إلى غير الله في الحاجة عينها فلابد أن يقول : نعم هذا شرك بالله جل وعلا لهذا قال الشيخ رحمه الله : فقل له إذا أقررت أنه عبادة ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره فلابد أن يقول

نعم فقل له فإذا علمت بقول الله تعالى : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ .

هذه صورة ثانية ، الصورة الأولى في الدعاء والصورة الثانية في النحر قال إذا علمت قول الله جل وعلا : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ يعني انحر لربك ولا تنحر لغيره :

﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ﴾ .

قل له إذا نحرت لله وحده وذكرت اسم الله على الذبيحة ونحرت الإبل أو البقر أو ذبحت الذبائح متقرباً بها إلى الله جل وعلا هل هذا عبادة ؟

فسيقول نعم هذا من أعظم العبادات لأن الذبح في الأضاحي والنحر في الحج وأشباه ذلك هذا من أعظم العبادات لله جل وعلا فقل له إذا نحرت لمخلوق يعني تقربت بهذا الدم لمخلوق كما فعلت بأن تقربت بدم آخر لله ، فتقربت بالدم

لمخلوق فما الفرق بين هذا وهذا ؟ لا فرق لأنك تقربت بالذبح الأول لله وبالذبح الثاني تقربت للنبي أو للولي أو لصالح أو لجني تخاف من شره أو لساحر أو ما أشبه ذلك هل أشركت في هذه العبادة غير الله فلابد أن يقر ويقول نعم لأنه لا مفر له فعين الفعل فعلته لله والفعل عينه فعلته لغير الله فهل هذا شرك أم لا ؟ فلابد أن يقول أن هذا النوع عبادة لغير الله لأني قصدت بها غير الله وذاك عبادة لله لأني قصدت بها الله جل وعلا ولا يمكن أن يقول في الصورة الثانية إن هذا ليس بعبادة و لم أقصد بها غير الله لأنه حين فعل تقرباً إلى الله بالذبح أقر بأن الذبح عبادة وحين توجه إلى غير الله بهذا الذبح وبإراقة الدم أقر بأن هذه العبادة توجه بها لغير الله فلابد إذاً أن يقول نعم للحجة وهذا تمام الوجه الأول من هذا الاحتجاج وهو ظاهر بيّن قوي في أن يتدرج مع المشرك ومع هذا الذي يعبد غير الله ويدعوا غير الله ويستغيث بغير الله نعوذ بالله من الخذلان أو يذبح لغير الله أو أنواع الصور الشركية فإنه يتدرج معه في هذا حتى يقر بأن الحجة واضحة وأنه إذا فعل ذلك فقد عبد مع الله جل وعلا غيره نسأل الله السلامة والعافية .

وعلى هذا الاحتجاج هو لابد أن يقر ، وما أُمر به فهو عبادة هذا باتفاق العلماء فإن جادلت عالماً فإنه إن لم يكن مكابراً فسيقر بأن ما أمر به عبادة .

لأن الله جل وعلا لا يأمر بشيء ويكون مباح لابد أن يكون عبادة إما أن تكون عبادة واجبة أو أن تكون عبادة مستحبة يترتب عليها الثواب وإذا كان لا يعلم ليس بعالم فتدرجه مثل ما ذكرنا ومثل ما ذكر الشيخ رحمه الله حتى ولو كان عالماً فإنك إذا ذكرت هذه الحجج مع المقدمات التي ذكرنا فإنها أبلغ ما يكون من الحجاج معه والحظ أن الشيخ رحمه الله اختار هذا النوع من الحجاج بتجربته ولكثرة ما جادل عن المشركين فهو اعلم رحمه الله بالحجة الأقوى وبالشبه التي

أدلى بها الخصوم وكيف تكشف هذه الشبهة ؟ هذا نوع وأما النوع الثاني قـــال وقل له أيضاً يعني هذه الوجهة الثانية وهذه الوجهة أيضاً متجهة إلى المرتبة الثانية فيما قال المشرك حيث قال : هذا الالتجاء إلى الصالحين ودعائهم ليس بعبادة فبيّنا له أنه عبادة بما ذكرنا أولاً فإذاً تكون النتيجة أنه يعبد غير الله فيكون قوله : أنا لا أعبد إلا الله قول ليس له نصيب من الصحة بل هو قول مجرد دعوة .
والنوع الثاني قال : وقل له أيضاً هذا وجه آخر من الحجة ، المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك فإنه لابد أن يقول : نعم إن كان عارفاً بما حصل من المشركين وإن كان غير عالم بذلك فتقيم عليه الحجة بإيضاح شرك المشركين بما قدمناه لك في الدروس السابقة فإذا أقمت عليه ذلك وأوضحته فلابد أن يقول : نعم لأن القرآن أوضح ذلك أتم إيضاح قال : فقل له وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك .

عبادتهم لآلهتهم فيما كانت إنما كانت في الدعاء كانوا يدعونهم قال : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ يعني مـــا نـــدعوهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وكانوا يذبحون لغير الله كما في حديث ثابت بن الضـــحاك أن رجلاً نذر أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال له : (هل كان فيها عيـــد من أعيادهم ؟ هل كان فيها وثن من أوثانهم ؟ قال لا ، قال : هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قال : لا ، قال (فأوف بنذرك)

فدل قوله (هل كان فيها وثن من أوثانهم) أنهم كانوا يذبحون للأوثان فإذا تعبد المشركين بالذبح وبالنذر وبالدعاء ونحو ذلك . هذا أمـــر معـــروف ولم يكـــن شركهم من جهة أنهم . يصلون لهم أو أنهم يزكون لهم أو أنهم يحجون لها لهـــذه

الآلهة لا كانوا يحجون لله وكانوا يصلون لهم صلاة وكانوا يغتسلون من الجنابة وكانوا يذكرون الله ونحو ذلك مما ذكرناه في أنواع العبادات في أول هذا الشرح إنما كان شركهم من جهة أنهم يدعون غير الله ويذبحون لغير الله ويلتجئون لغير الله ويتخذون تلك الآلهة والأولياء والأنبياء وسطاء بينهم وبين الله جل وعلا .

قال وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك وإلا فهم مقرون أنهم عبيد الله وتحت قهره .

يعني بما قال الله جل وعلا في آيات كثيرة في إقرار المشركين للربوبية وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة .

وهذا ظاهر جداً لا شك أنه ظاهر جدا حجة واضحة مبنية على فهم حال المشركين وقد أوضحنا حالهم مفصلاً في أول شرح هذا الكشف المبارك .

بعدها أنتقل إلى مسألة الشفاعة وهي مسألة طويلة تحتاج منا إلي درس مستقبل فنرجئها إن شاء الله تعالى .

نجيب عن بعض الأسئلة :

فيه مما شرح في الدرس الماضي لم يفهم لدي كثير من الأخوة و لم تفهم إلا أشياء مما كانت تكراراً لما سبق .

هذه مشكلة لكنها ليست مشكلتي إنما هي مشكلة من حضر لهذا الدرس دون مقدمات لأن كشف الشبهات في الحقيقة ترددت كثيراً مثل ما تذكرون في

الابتداء به لأنه لا يصلح إلا لمن ضبط ثلاثة الأصول بشرحها وضبط كتاب التوحيد بشرحه فينتقل إلى كشف الشبهات هذا من جهة .

والجهة الأخرى أن أوائل هذا الشرح فيهما كثيراً من المقدمات التي تحيل إليها فمن لم يستحضر ما ذكرناه في المقدمات في أوائل هذا الشرح ربما يخفي عليه بعض المقدمات التي ينبني عليها الحجاج وكما قال الشاعر :

غيري جنى وأنا المعذب فيكم وكأنني سبابة المتندم

شخص ذهب إلى القبر ولكن لم يدعو صاحب القبر ولكنه التجأ إلي الله بإخلاص وصدق أن يكشف كربته و لم يكن لصاحب القبر عند الدعاء شيء في قلبه ولكن دعا الله بصدق هل هذا العمل جائز؟

الجواب :أن هذا العمل بدعة وجيه ووسيلة من وسائل الشرك لأن تحري استجابة الدعاء عند قبور الصالحين والأولياء هذا يفضي إلي اعتقاد أن لهم حرمة وأن لمكانهم لمكان قبرهم خصوصية فيؤدي إلي التوسل بهم وإلي الاستغاثة أو الإستشفاع بهم فالله جل وعلا يسأل الحاجات في أي مكان وأعظم الأمكنة التي يدعي الله جل وعلا فيها المساجد فهي أحب البقاع إلي الله فمن أراد أن يجاب طلبه وأن يعطي ما سأل فليتحري الأمكنة التي يحبها الله جل وعلا المساجد وشبه ذلك ، وحلق الذكر وليتحرى أيضاً أوقات الدعاء التي يجاب فيما ويتحرى الدعاء الجامع ويتوسل إلي الله جل وعلا بأسمائه وصفاته ويكون عنده اضطرار وأشباه ذلك مما هو من أسباب إجابة الدعاء أما من دعا عند قبر لنفسه دعا الله جل وعلا ولو كان مخلصاً فإنه مبتدع آثم على أمر أكبر من الكبائر .

س:

لا القبر ليست الفائدة منه أن تدعوا عنده القبر الفائدة منه أن تتذكر الآخـــرة (زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة) .

(كنتم نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة) والزيارة المشروعة هي التي فيها تذكر والسلام على أموات المسلمين وسؤال الله جل وعـــلا لهـــم والدعاء للميت ويجوز أن يدعوا لنفسه عرضاً مع الدعاء للميت دون القصد فأما أن يتحرى الدعاء عند القبور فهو بدعة أو أن يقصد الدعاء لنفسه عند القبور فهو بدعة أيضاً لكن يدعوا لنفسه عرضاً مع الدعاء للميت كما كان عليـــه الصـــلاة والسلام يقول إذا زار القبور (نسأل الله لنا ولكم العافية) فهـــذا علـــى جهـــة العرض لا القصد .

س : قال ذكرت بأن المشرك لا يشهد على نفسه بأنه مشرك فما معنى قوله تعالى : ﴿ شاهدين على أنفسهم بالكفر ﴾ ؟

ج : الشهادة في هذه الآية شهادة بلسان الحال لا بلسان المقال كما قال ابن كثير وغيره من المفسرين ، فالشهادة هنا كالشهادة في قوله جل وعلا : ﴿ وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ﴾ فهذه الشهادة بلسان الحال لا بلسان المقال .

س : هل يجوز التوجه بالدعاء إلى الله بالتوسل بجاه محمد عليه الصلاة والسلام أو بحق الصالحين من عباد الله ؟ .

ج : الجواب أن التوجه أو التوسل في الدعاء بالجاه بدعة ووسيلة من وسائل الشرك فلا يجوز أن يدعوا متوسلاً إلى الله بجاه نبيه أو بجاه عبد صالح أو بالحرمة أو بالمكانة أو ما أشبه ذلك والاعتداء في الدعاء بأن يدعوا بما لم يؤذن به هذا من جهة ، والثانية أن هذا الدعاء وسيلة إلى الشرك بهؤلاء باعتقاد عظمتهم أو أنهم يشفعون أو ما أشبه ذلك والثالث أن السؤال بالجاه بجاه فلان وبحرمته سؤال بأمر أو بشيء أجنبي عن السائل والداعي والمشروع أن تسأل بشيء لك أو بشيء تملكه كالسؤال والتوسل بالعمل الصالح أو أن تسأل بأسماء الله جل وعلا وبصفاته أو أن تسأل الله جل وعلا بإيمانك وطاعتك لله فهذا توسل بأمر لك وليس بأجنبي عنك وعمل غيرك وحرمته وجاهه له وليس لك ولهذا ترك الصحابة رضوان الله عليهم هذا السؤال وهذا الدعاء فإنه اعتداء وبدعة ووسيلة إلى الشرك .

آخر السؤال ......

السؤال غير واضح هذا الجمع بين منازعة القدر بالقدر وحديث السبعين ألف لعله يكرره في وضوح .

س : يقول كل ما أمر الله به عباده ، وقد قال تعالى : ﴿ **واعفوا واصفحوا** ﴾ هل هذه عبادة ؟

ج : نعم إذا عفى متقرباً بالعفو إلي الله جل وعلا فقد تعبد وإذا صفح متقرباً بالصفح إلي الله جل وعلا فقد تعبد يعني لأن المأمور به عبادة إذا تقرب به أما إذا فعله هكذا من غير قربه فليس بعبادة .

س : ما حكم قبول بعض الصحف أن الغبار الذي أتي مدينة الرياض هو سـبب دخول فصل الخريف ؟

ج : إذا كان قول هذا القائل يعني به أن هذه الفصول تسبب هـذه المـتغيرات الكونية فإن هذا لا يجوز ومحرم وهو نوع شرك بالله جل وعلا وإذا كان يجعلـها زمناً وظرفاً ووقتاً أجرى الله جل وعلا سنته أنه يحصل في هذا الوقت هذه الأشياء فهذا لا بأس به فيفرق في هذا الباب ما بين الباء التي للسببية وفي الـتي للظرفيـة فمثلاً نقول : في الوسم تأتي الأمطار لكن ليس معناه أنه بالوسم يأتي المطر وإنمـا أجرى الله سنته أنه في هذا الوقت الذي هو طلوع هذا النجم الذي هو الوسـم وأشباه ذلك طلوع النجم يكون عنها الوسم هذا ظرف ووقت يحصل فيه أنـواع من سنة الله جل وعلا في كونه إذا جاء نجم كذا جاء البرد لكن مجيء البرد ليس بسبب النجم وإنما ظهور النجم وقت البرد مثل ما يكون ظهور الهـلال وقـت لدخول الشهر وليس هو الذي أدخل الشهر وأشباه ذلك فإذاً هـذه الأشـياء ، الفصول والأنجم إذا جعلت ظرفاً ووقتاً فلا بأس وإذا جعلت سبباً من اسـتخدام الباء ، باء السببية فإن هذا كقول من قال مطرنا بنوء كذا وكذا .

وبهذا القدر كفاية وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

****

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : فإن قال أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها فقل : لا أنكرها ولا أتبرأ منها بل هو ﷺ الشافع والمشفع وارجوا شفاعته ولكن الشفاعة كلها لله كما قال عز وجل :

﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾ ولا تكون إلا من بعد إذنه كما قال عز وجل :

﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه ﴾ ولا يشفع لأحد حتى يأذن الله فيه كما قال عز وجل : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ ولا يرضى إلا التوحيد كما قال عز وجل : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ وإذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون إلا من بعد إذنه ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ولا يأذن إلا لأهل التوحيد ، تبين لك أن الشفاعة كلها لله فاطلبها منه فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعته اللهم شفعه في وأمثال ذلك) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه اللهم نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً وقلباً خاشعاً اللهم نعوذ بك أن نذل أو نُذل أو نضل أو نُضل أو نجهل أو يُجهل علينا ...

وقفنا عند قول الإمام المصلح المجدد رحمه الله تعالى : فإن قال أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها فقل : لا أنكرها ولا أتبرأُ منها بل هو ﷺ الشـافع والمشـفع ارجوا شفاعته لكن الشفاعة كلها لله .

شفاعة النبي ﷺ جنس تحته أنواع فهو عليه الصلاة والسلام يشفع يوم القيامة في أنواع من الشفاعة وأعظمها وأجلها شفاعته عليه الصلاة والسلام في أهل الموقف ، أن يعجل لهم الحساب بعد أن نالهم من الكرب والشدة ما جعلهم يستغيثون به عليه الصلاة والسلام في عر صات القيامة في ذلك الموقف العظيم وهذا هو المقام المحمود الذي خص الله جل وعلا به محمداً عليه الصلاة والسلام كما قال سبحانه :

﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ وهذا المقام المحمود هو شفاعته عليـه الصلاة والسلام في الناس جميعاً لكي يفصل بينهم ولكي يعجل لهم الحساب ولهذا جاء في حديث جابر وغيره أن النبي ﷺ قال : (من سمع النداء وقال مثل ما يقول المؤذن ثم قال : في الدعاء المعروف بعد الآذان اللهم رب هـذه الـدعوة التامـة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدتـه) إلا وحلت له شفاعتي يوم القيامة وذلك أنه سأل الله جل وعلا لنبيه ﷺ المقـام المحمود وسأل له الوسيلة والفضيلة وهي متحققة للنبي عليه الصلاة والسلام ولكن السائل إذا دعا الله جل وعلا بذلك وسألها للنبي ﷺ ففي سؤاله ذلك لـه عليـه الصلاة والسلام أنواع من العبادات التي بها استحق أن تحل عليـه ولـه شـفاعة المصطفى ﷺ منها يقينه بما وعد الله جل وعلا نبيه ومنها حبـه للمصـطفى ﷺ ودخوله في أمته ورغبته ومحبته أن يكون عليه الصلاة والسلام أنفع الخلق للنـاس

يوم القيامة وهو عليه الصلاة والسلام كذلك إذا خصه الله جل وعلا بالشـــفاعة ومر معنا في ذلك شرح الواسطية ومر معنا في غير ذلك أنواع الشـــفاعات الـــتي أعطاها الله جل وعلا نبيه محمد في ذلك المقام العظيم يوم القيامة فهنا قال : فـــإن قال أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأُ منها .

هذا يشمل إنكار الشفاعة العظمى والشفاعات الأخرى الشفاعة في أهل المعاصي إلا يدخلوا النار والشفاعة في من دخل النار واستحقها ودخلها أن يخرجه الله جل وعلا منها والشفاعة في أقوام تساوت حسناهم وسيئاهم أن يدخلهم رهم جـــل وعلا الجنة وأشباه هذا فإن قال أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها فقـــل لا أنكرها ولا أتبرأ منها بل هو ﷺ الشافع والمشفع .

الشافع يعني بما أعطاه الله جل وعلا والمشفع في من شفع له عليه الصلاة والسلام فإنه لا يشفع في أحد يوم القيامة إلا أعطاه الله جل وعلا ما سأله وإلا أعطاه الله جل وعلا ما شفع فيه حتى الكافر عمه فأنه يشفع فيه عليـــه الصـــلاة والســـلام ويخفف عنه من العذاب بسبب شفاعته عليه الصلاة والسلام فهو عليه الصـــلاة والسلام الشافع وهو عليه الصلاة والسلام المشفع ونرجو شفاعته نرجو أن نكون ممن شفع الله جل وعلا فيهم نبيه عليه الصلاة والسلام ونأخذ بأســـباب تلـــك الشفاعة فإن شفاعة المصطفى ﷺ فيمن يشفع فيه هي بإذن الله كما ســـيأتي ولا تكون إلا فيمن رضيه الله جل وعلا وهذا يعني أن يبذل العبد الأسباب التي بهـــا يكون المصطفى ﷺ شفيعاً له وهذه الأسباب كثيرة جاءت في السنة جاء بيانها في سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام .

قال : وأرجو شفاعته وكوننا نرجو شفاعة المصطفى ﷺ ونسعى لـــذلك ببـــذل الأسباب الشرعية في هذا لا يعني أن نسأل الشفاعة ممن لا يملكها ابتداء بل الذي يملك الشفاعة هو الله جل وعلا لظاهر قول الله جل وعـــلا : ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾ واللام هنا لام الملكية فالشفاعة ملك لله جميعاً فجميع أنواعها يملكهـــا الرب جل وعلا ويعطيها من شاء بشرط الإذن والرضى كما سيأتي .

قال : لكن الشفاعة كلها لله أو لكن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾ .

والشفاعة معناها ضم الداعي والسائل طلبه إلى طلب سائل آخر ليتحقـــق طلبـــه ويكون الشافع يعني الثاني أقوى من الأول هذا في مقتضى اللغة ، وهي مـــأخوذة من الشفع وهو ضد الوتر كما قال جل وعـــلا : ﴿ والفجر وليالٍ عشر والشفع والوتر ﴾

فالشفع مغاير للوتر وسمي الشافع شافعاً والشفيع شفيعاً لأنه صار بالنسبة للسائل زوجاً وشفعاً بعد أن كان الطالب والسائل واحداً فشفع طلبه يعني صـــار هـــذا الشافع ثانياً في السؤال فبدل أن يطلب الشيء واحد بالشفاعة صار الطالب لـــه اثنين الأول صاحب الحاجة والثاني صاحب الشفاعة فإذاً الشفاعة حقيقتها ضـــم الشافع طلبه لطلب السائل ليحقق له مراده وهذا عام في موارد الشفاعة في اللغـــة فإذاً على هذا تكون الشفاعة ممن يمكنه ذلك فإذا دعا الداعي في الدنيا لأخ مـــن

إخوانه أو لمن دعا له فإنه شافع له بالدعاء يعني أنه سأل الله جل وعلا أن يُعطي فلاناً مطلوبه الذي هو كيت وكيت وكما جاء في حديث الأعمى المروي في السنن بإسناد حسن أن النبي ﷺ لما جاءه الأعمى يشكو حاله علمه دعاءً ثم قال له : فقل اللهم إني أستشفع إليك بنبيك محمد ﷺ وهذا يعني أنه يجعل دعاء المصطفى ﷺ في حياته شافعاً له يعنى دعا هو ما أوصى به النبي عليه الصلاة والسلام ثم رغب في أن يكون الشافع له محمد عليه الصلاة والسلام يعنى الداعي له بما أراده من الرب جل وعلا فإذا كان كذلك صارت حقيقة الشفاعة قائمة على أن الشافع يطلب كما طلب الأول وأنه لا يشفع إلا فيمن رضي أن يشفع له لا يشفع ممن طلب منه الشفاعة رغما عنه يعنى إذا سأل سائل آخر أن يشفع له فالشافع لا يشفع إلا إذا رغب أن يشفع وليس كل من طلب الشفاعة من الناس من فلان من النبي علية الصلاة والسلام من أهل العلم أن يجاب إلى طلبه فيشفع فيه المصطفي عليه الصلاة والسلام ويشفع فيه العلماء إلى آخر ذلك في الدنيا فإنه قد يطلب ويرد قد يطلب من الشافع أن يشفع فيقول الشافع لا أشفع لك والمصطفى عليه الصلاة والسلام هو الذي أنزل الله جل وعلا عليه قوله : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ ولهذا قال الشيخ رحمه الله ولا تكون إلا من بعد إذا الله كما قال عز وجلا ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ وإذن الله في القرآن وفي الشفاعة نوعان .

١ ـــ إذن قدري كوني ٢ ـــ وإذن شرعي ديني

فحصول الشفاعة لا يكون إلا بعد أن يأذن الله بالنوعين .

فأول : الإذن الشرعي يعنى أن يكون هذا المشفوع له ممن أذن شرعاً أن يشفع فيه ومعلوم أن الله جل وعلا نهى المؤمنين أن يستغفروا للمشركين ولو كـانوا أولى قربى فقال جل وعلا في سورة بـراءة ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى القربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم *وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعده وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأوّاه حليم ﴾

فدل هذا على أن الشرع نهى أن يستغفر للمشرك يعـنى أن يشـفع في مغفـرة الذنوب عند الله جل وعلا لأهل الشرك وإذا كان كذلك فـإن اشـتراط الإذن الشرعي يعنى أن من طلب الشفاعة من النبي ﷺ في الدنيا وهو من أهل الشرك أو في الآخرة وهو من أهل الشرك فإنه لم يؤذن الإذن الشرعي في أن يشفع فيهم أو أن يسأل الشفاعة لهم وكذلك في البرزخ وهو ما بين الحيـاتين الأولى والآخـرة وهو حياة خاصة كذلك فإن من سأل النبي ﷺ الشفاعة وهو في قبره عليه الصلاة والسلام فقد سأل ما لم يؤذن به شرعاً ولهذا الصحابة رضوان الله عليهم ما سألوا النبي ﷺ الشفاعة بعد موته وكذلك ما سألوا شهداء أحد الشـفاعة والشـهداء يشفعون كما جاء في الحديث لأن الشفاعة مشروطة بالإذن الشرعي ولو حصل من أحد أنه طلب الشفاعة فإنه لو فرض أنه عليه الصلاة والسلام يشفع في البرزخ فإن هذا الذي طلب الشفاعة أشرك حيث سأل الشفاعة بما لم يؤذن به في الشرع لأنه طلب الشفاعة ممن لم يؤذن له في ذلك والشفاعة كلها لله جل وعلا فتحصل لنا من الشرط الأول وهو الإذن أنه ينقسم إلى قسـمين : ١ ـــ الإذن الشـرعي

وهو أن يكون الله جل وعلا أذن للشافع أن يشفع الأذن الشرعي . وكذلك أذن للمتشفع أن يطلب الشفاعة الإذن الشرعي وربنا جل وعلا قال للشافع ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ يعني لا أحد يشفع عند الله جل وعلا إلا بعد أن بإذن الله جل وعلا الإذن الشرعي فإن أهل الإيمان من الرسل . والأنبياء والصالحين والملائكة لا يشفعون لمن لم يؤذن له شرعاً لمن خالف الشرع وطلب الشفاعة من غير الله لأن الله جل وعلا قال ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾ طلب الشفاعة منهي عنه بقول ﴿ ما كان للنبي والذين أمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ وطلب الشفاعة معناه طلب الدعاء فالشفاعة وطلب الدعاء واحد فإذا جاء أحد إلى قبر وقال لصاحب القبر أسألك أن تدعوا الله لي معناه أنه سأل الشفاعة فهي بمترلة قوله : أسألك أن تشفع لي لأن الشفاعة كما ذكرت لك هي طلب الدعاء ضم الشافع طلبه إلى المشفوع له فقول القائل لأحد : أسألك أن تدعو لي يعني أن تشفع لي وهذا بالنسبة للأموات مهما علت مرتبتهم فإنه لا يجوز وطلبها منهم لا يوافق إذن الله جل وعلا الشرعي إذا تبين ذلك .

فالقسم الثاني من الإذن : الإذن الكوني القدري يعنى أن الشافع عند الله جل وعلا لا يشفع ابتداء كما هو الحال في الدنيا في أحوال الشافعين عند البشر يأتي ويطلب سواءً كان المشفوع عنده يرضى بهذه الشفاعة أو لا يرضى يرغب فيها أو ل يرغب هذا من حال أهل القصور حال أهل الفقر والمسكنة يعنى من أهل الدنيا أما ربنا جل وعلا ذوا الكمال المطلق وذو الإحسان إلى خلقه وذو الغنى التام وذو القدرة التامة جل وعلا فإنه لا يشفع عنده أحد ابتداء بل لا يشفع أحد حتى يأذن

الله للشافع أن يشفع الإذن الكوني القدري يعني يعلم الله جل وعلا أن هذا يرد أن يشفع فيقول له اشفع كما ثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام إذا كانت الشفاعة العظمى يوم القيامة ويأتيه الناس قال : فأتى فأخر بين يدي العرش فأحمد ربي بمحامد يفتحها على لا أحسنها الآن يخر ساجداً فيبتدئ بالحمد والثناء على الله جل وعلا والله سبحانه يعلم أنه يريد أن يشفع ولا يشفع ابتداء لأنه لابد من الإذن الكوني لابد أن يقال له : اشفع قال عليه الصلاة والسلام فيقول الرب أو فيقول يا محمد ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفع فهذا يدل على أن الشفاعة يوم القيامة لا يبتدئ بها أهلها حتى يأذن الله جل وعلا لهم في أن يشفعوا وهذا أصل عظيم في هذا الباب .

إذاً الإذن الكوني القدري بالدليل الذي ذكرت لك يدل على أن هذا الذي شفع لا يملك الشفاعة وإنما هو محتاج لأن يشفع كما أن الطالب محتاج في أن يشفع له والله جل وعلا هو الذي يملك الشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام لا يملكها فيشفع شفاعة من يملك وإنما هو يرجوا أن يقبل منه أن يشفع كما جاء في هذا الحديث ودلالته واضحة على ما ذكرنا .

إذاً قوله جل وعلا ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ يعني لا أحد يشفع عند الله جل وعلا إلا بإذنه سبحانه الشرعي وبإذنه سبحانه القدري فإن شفع من لم يأذن الله فيه شرعاً فإنه لا تقبل شفاعته مثل ما شفع نوح عليه السلام في ابنه قال : ﴿ رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق ﴾ فأجابه ربنا جل وعلا بقوله ﴿ يا

نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك . . . .
الآيات ﴾

فإذاً دل على أنه إذا ابتدأ أحد في أن يشفع فيمن لم يؤذن له بالشفاعة شرعاً فإنه لا تقبل شفاعته وترد عليه . وأما الإذن الكوني فإنه في الآخرة لا يحصل يعنى بعد الموت لا يحصل الإذن لا تحصل الشفاعة ولا تقع إلا بعد الإذن الكوني أما في الدنيا فإنه قد يشفع أحد فيؤذن له كونا بالشفاعة بحسب إرادته فيبتدئ بالشفاعة ثم ترد عليه إن لم تكن شفاعته موافقة للأذن الشرعي أو لم تكن شفاعته موافقة لحكم الله جل وعلا فتحصل من هذا أن الشفاعة لها من حيث الزمن حالان :

١ـ : في الدنيا ٢ ـ : وما بعد الممات

أما في الدنيا فإن الإذن الكوني للشافع يحصل بإرادة الشافع فقد يشفع والله جل وعلا يأذن سبحانه ولو كانت حكمته في أن يرد هذا الشافع في الدنيا . مثل ما حصل من شفاعة نوح عليه السلام في ابنه ومن شفاعة إبراهيم في أبيه ومن شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام في عمه فأنزل الله جل وعلا ﴿ ما كان للنبي والذين أمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ﴾

أما بعد الممات . فإنه لا يبتدئ أحد الشفاعة يعنى يوم القيامة ولا في البرزخ حتى يأذن الله جل وعلا ومعلوم أن الله جل وعلا لا يأذن في وقوع الشرك ولا يأذن أذنا كونيا ولا إذنا شرعيا في حصول ذلك من الأموات لكن من الأحياء قد يبتدئون ويطلبون ذلك لأنها دار تكليف فيأذن الله جل وعلا كونا بحصول ما لم

يأذن به شرعا لأنها دار تكليف فيقول سبحانه ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ معناها لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه وذلك لكمال قدرته جل وعلا وقهره وجبروته وكمال ملكه وكمال عزته وكمال صفاته سبحانه وأسمائه أما الخلق فقد يشفع عندهم بلا إذن منهم .

قال الشيخ رحمه الله تعالى بعد ذلك : ولا يشفع في أحد يعني النبي ﷺ أو لا يشفع في أحد يعنى جميع أنواع الشفعاء إلا من بعد أن يأذن الله فيه وهذا شفاعة هذا إذن آخر فباعتبار آخر الإذن ينقسم إلى قسمين :

١ ـــ : إذن للشافع أن يشفع ٢ ـــ : وإذن للمشفوع فيه أن يشفع له .

قال : ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه يعنى في حق المشفوع له أن يشفع . أما أن يشفع لكل أحد والله جل وعلا لا يأذن لهذا أن يشفع له فإن هذا لا يحصل والله جل وعلا لا يرضى إلا بالشفاعة لأهل التوحيد كما سيأتي .قال : كما قال عز وجل ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ لا يشفعون يعنى الملائكة أن هذه الآية في سورة الأنبياء ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ يعنى الملائكة فلا يشفعون فيمن يريدون كما يظن أهل الشرك بل لا يشفعون إلا لمن رضى الله جل وعلا قوله وعمله فيمن ارتضاه ربنا جل وعلا والله سبحانه لا يرضى إلا لأهل التوحيد كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال : أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه فقوله (أسعد الناس بشفاعتي) قال العلماء : أسعد هنا جاءت على أفعل التفضيل لكن معناها الوصف لا التفصيل يعنى سعيد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا

إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه فأسعد بمعنى سعيد كقوله جل وعلا في سورة الفرقان : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقر وأحسن مقيلا ﴾ ومعلوم أن مقيـــل أهل النار ليس فيه حسن بل هو قبيح وشر وعذاب عليهم فقولـــه : ﴿ أحسن قيلا ﴾ يعني حسناً مقيلهم فهذا معلوم في اللغة بأن أفعل قد تخرج عن بابهـــا إلى الوصف وهذا كقوله كما ذكرنا (أسعد الناس بشفاعتي) فسعيد الناس بشفاعته عليه الصلاة والسلام أهل التوحيد والذين يرضاهم الله جل وعلا ورضى لهم قولاً هم أهل التوحيد فإذا كان كذلك فمن سأل من لا يملك الشفاعة . الشفاعة فإنه ليس ممن رضى الله جل وعلا قوله ولا رضى عمله لأن الله نهانا عن ذلـــك ولأن الصحابة رضوان الله عليهم لم يفعلوا ذلك .

قال جل وعلا ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ وهذا هو الشرط الثـــاني وهـــو شرط الرضى فإن الشفاعة لا تنفع عند الله جل وعلا إلا بتحقيق شرطين :

١ ـــ الإذن ٢ ـــ والرضا

والرضى نوعين أيضاً رضى عن الشافع ورضى عن المشفوع له فالذين يشـــفعون هم الذين رضى الله عنهم وهم الأصناف الذين جاء ذكرهم في الأحاديث الأنبياء وأولهم محمد عليه الصلاة والسلام والعلماء والشهداء والصالحون هؤلاء هم الذين يشفعون فرضى الله جل وعلا قولهم وكذلك النوع الثاني : الرضا لمن شـــفع لـــه وهذا الرضى قد يكون رضا عن مآل حاله لأنه من أهل الإسلام وقد يكون رضى في الشفاعة لحكمة يعلمها جل وعلا وهذا إخراج لحال أبي طالب قـــال ﴿ ولا

يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ وهو جل وعلا لا يرضى إلا التوحيد بدلالـة الحـديث الذي ذكرنا وكذلك دلالة قول الله جل وعلا ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ ولقوله جـلا وعـلا ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ يعني التوحيد . الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والـبراءة من الشرك وأهله .

هذا هو الإسلام وهو التوحيد الذي جاء به الأنبياء والرسل جميعاً فإذاً هو سبحانه لا يرضى إلا الإسلام العام ومن كان من هذه الأمة فلا يرضى يعني بعـد بعـث محمد عليه الصلاة والسلام فلا يرضى إلا ما فيه بل لا يرضى إلا اتباع المصـطفى عليه الصلاة والسلام فقوله : (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) يعـني من ابتغى غير دين محمد عليه الصلاة والسلام فلن يقبل منـه لأن محمـداً عليـه الصلاة والسلام بعثه الله وبعثه بالإسلام الخاتم الذي نسخ كل دين قبله قال رحمه الله بعد ذلك فإذا كانت الشفاعة كلها لله هذا استنتاج ترتيـب النتـائج علـى المقدمات فإذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون إلا بعد إذنه ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه . ولا يأذن إلا لأهل التوحيد فهذه أربعة أشياء إذا كانت الشفاعة كلها لله أولاً هذه مقدمات في الحجة لينبني على هذه المقدمات النتيجة وهذه المقدمات كل واحدة منها سبق شرحها ودليلها قال : فإذا كانـت الشفاعة كلها لله يعني من جهة الملك في أن الذي يملكها الرب جل وعلا فإذاً هو الذي يتصرف ويقول سبحانه هذا يشفع فيه وهذا يشفع وهذه الحال فيها شفاعة وهذه الحال ليس فيها شفاعة إذ هو المالك للشفاعة سبحانه بخلاف أهل الـدنيا

فإنه يملك المرء الشفاعة في أحد أنا مثلاً أريد أن اشفع لفلان فإني أملكها بحيث أبتدئ الشفاعة ولو لم يرضى المشفوع عنده فأبتدئ سواء قبل أم لم يقبل هذا لأجل حال القصور الذي أنا عليه والضعف والمسكنة فلا أملك ولا أستطيع أن أفرض عل أحد شيئاً أما حقيقة الشفاعة فإنها لله سبحانه يملكها فالشفاعة عنده جل وعلا ليست كالشفاعة عند خلقه جل وعلا بل هو الذي يملك الشفاعة فالذي يجيء يطلب الشفاعة لا يجيء وهو يتقدم عند الله جل وعلا بشيء يملكه هو بل الذي يملك الشفاعة الرب سبحانه وتعالى فحقيقة الشروط ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ ونحو ذلك من الآيات دالة على أن الشفاعة ملك لله فالآية آية الزمر ﴿ قل لله الشفعة جميعا ﴾ دالة وكذلك الشروط دالة على أن الشفاعة كلها لله جل وعلا قال في الشرط الثاني : ولا تكون إلا بعد إذنه مثل ما مر معنا ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه هذا الشرط الثالث . ولا يأذن إلا لأهل التوحيد هذا الشرط الرابع . تبين لك أن الشفاعة كلها لله يعني أحداً ليس له من الأمر شيء كما قال جل وعلا ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ قال بعدها فأطلبها منه يعني إذاً إذا كانت لله وهذه الشروط الأربعة والمقدمات الأربعة واضحة فتحصل أن الشفاعة لله والطلب إذا يكون ممن يملك قال : فأطلبها منه فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعة المصطفى ﷺ اللهم شفعه في فتسأل الله جل وعلا أن يأذن للنبي ﷺ وأن يسخره عليه الصلاة والسلام للشفاعة فيك وهذا هو وجه التوحيد والطريقة الشرعية المأذون بها قال : وأمثال هذا يعني من الأدعية التي تناسب هذا المقام .

إذاً فهذا الكلام الذي ذكرناه جواب على قول من قال أتنكر شفاعة رسـول الله ﷺ وتبرأ منها .

وهذه الشبهة كثيراُ ما تقال لأهل التوحيد فإذا قالوا لغيرهم ممن طلبوا الشفاعة من المصطفى ﷺ أو من الأولياء قالوا لهم : الشفاعة لله وطلب الشفاعة من المـوتى شرك لأن الله جل وعلا لم يأذن بهذا والله هو الذي يملك الشفاعة هذا لا يملكها ومن طلب من الميت ما لا يملكه ولا يقدر عليه ابتداء فقد طلب منه ما هو مختص بالله وهذا يعنى أنه أشرك به قالوا : أتنكر الشفاعة فإذا هم إذا أنكر عليهم الشرك قالوا أتنكر شفاعة المصطفى ﷺ لأن أهل العلم من أهل السنة ومن الفرق الأخرى مجمعون يعنى غير المعتزلة . الأشاعرة والماتريديه وأشياه هؤلاء مجمعون علـى أن المصطفى ﷺ يشفع وعلى أن الأولياء والصالحين يشفعون فإذا قلت لهـم طلـب الشفاعة شرك أرادوا أن ينسبوك لأهل الضلال ممن ينكرون الشفاعة فقالوا أتنكر الشفاعة حتى ينسبك إلى الخوارج أو إلى المعتزلة أو ما أشبه ذلك فإذا قوله هنا فإن قال : أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها هذه يقولها المشرك للموحد حـتى ينسبه وحتى ينسبه يصح الوجهان لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة فكأنه قـال لك أأنت خارجي إذا أنكرت عيه طلب الشفاعة أأنت خارجي أو أأنت معتـزلي فتقول له لا أنكرها ولا أتبرأ منها بل أنا سلفي سني موحد ولست من أهل البدع والفرق الضالة بل هو عندنا عليه الصلاة والسلام هو الشافع المشفع بأنواع مـن الشفاعات نثبتها قد لا يثبتها بعض أهل البدع كالأشـاعرة ونحـوهم وارجـوا شفاعته عليه الصلاة والسلام نرجو شفاعته ونبذل الأسباب .

فنسأل الله جل وعلا أن يشفع فينا نبيه عليه الصلاة والسلام وكذلك نأتي بالأسباب من الدعاء بعد الأذان ومن محبة المدينة ومن الرغبة في الموت فيها وكذلك في السعي في القتال في سبيل الله وأشباه ذلك مما هو من أسباب نيل شفاعته عليه الصلاة والسلام .

وبذلك وإنما نطلبها ممن يملكها والذي يملكها هو الله جل وعلا .

هذا حقيقة هذا البرهان وهذا التفصيل من الشيخ رحمه الله تعالى قال : فإن قال : النبي ﷺ أعطى الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله قال : فالجواب أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا يعنى نهاك عن طلب الشفاعة فقال سبحانه ﴿ فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله ﴿ فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ وهذا دليل وبرهان سديد للغاية كما ذكرت لك أن الشفاعة طلب والشفاعة هي الدعاء فإذا طلبت من النبي فإذا طلب أحد من النبي ﷺ وهو في البرزخ مع حياته الكاملة عليه الصلاة والسلام أكمل من حياة الشهداء عليه الصلاة والسلام إذا طلب منه أن يشفع فهذا الطالب سأله والسؤال دعاء فحقيقة طلب الشفاعة أنها دعوة الميت سؤال الميت سؤال النبي عليه الصلاة والسلام في قبره وهو في الرفيق الأعلى عليه الصلاة والسلام سؤاله ودعائه والطلب منه فإذا قال القائل يا محمد يا رسول الله اشفع لي فقد دعاه وطلب منه إذا قال يا محمد يا رسول الله اسأل لي الله فقد سأله وطلب منه عليه الصلاة والسلام وهذا طلب الدعاء ممن ليس في الحياة الدنيا ممن هو عند الله جل وعلا والله سبحانه نهانا أن ندعوا أحداً غيره فقال جل وعلا ﴿

وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ وقوله ﴿ فلا تدعوا ﴾ هذا نهى نهانا عن الدعاء ومن المعلوم المتقرر في الأصول أن الفعل المضارع لاشتماله على مصدر يترل مترلة النكرة في سياق النهى أو النفي فتعم أنواع الدعاء ﴿ فلا تدعوا ﴾ هذا يعم جميع أنواع الدعاء لا يدعى مع الله أحد دعاء استغاثة دعاء استعانة دعاء استقاء دعاء شفاعة دعاء نذر إلى آخره . فجميع هذه الأنواع داخلة في النهى في قوله جل وعلا ﴿ فلا تدعوا ﴾ دعاء العبادة ودعاء المسألة .

وكذلك دلت الآية على عموم آخر وهو قوله جل وعلا : ﴿ فلا تدعوا مع الله أحد ﴾ لأن أحدا نكرة جاءت في سياق النهى فدلت على عموم كل أحد فالملائكة لا يدعون والأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه لا يدعون وكذلك الصالحون ممن انتقلوا عن الدنيا لا يدعون والأولياء من الأموات لا يدعون والشهداء .

الشهداء شهداء المعركة لا يدعون أيضاً وكما ذكرت لكم في درس سبق أن الصحابة أجمعوا في حياة النبي عليه الصلاة والسلام والنبي ﷺ مقرهم على ذلك بل والتشريع يترل أن أحدا منهم لم يسأل الشهداء شهداء أحد الشفاعة و لم يطلب منه شيئاً مع أنهم كانوا في حياة أولئك الشهداء ربما طلبوا منهم لكن لما ماتوا تركوا الطلب مع أنهم كما قال الله جل وعلا : ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون . . . ﴾ الآية فدل هذا على أن طلب

الشفاعة من الميت داخل في سؤال الميت وفي دعاء الميت وهذا كما قال الشيخ رحمه الله : فإن قال النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله فقل : نعم النبي ﷺ أعطى الشفاعة في عرصات القيامة بأنواع من الشفاعة لكن الذي أعطاه الشفاعة في عرصات القيامة هو الذي نهاك عن طلب الشفاعة في البرزخ يعن أن تطلبه وانت في الحياة الدنيا وهو في البرزخ فالجواب كما ذكر الشيخ أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا ما الدليل على النهي قال : فقال تعالى : ﴿ فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ ووجه دخول طلب الشفاعة في الدعاء ما ذكرته لك وما هو واضح تقريره قال : فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك إذا كنت تريد أن يشفع فيك المصطفى ﷺ فأطع الله في قوله : ﴿ فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ يعني فلا تسألوا مع الله أحدا وقوله : ﴿ مع الله ﴾ فيه إشارة إلى سؤال من لا يملك شيء ومن لا يقدر عليه وأن من سأل غير الله وهذا الغير لا يملك الشيء فقد دعا مع الله أحدا وهذا ظاهر من جهة الاستدلال ومن جهة البرهان الواضح القوي .

قال في برهان آخر وأيضاً هذا نوع آخر من البرهان على المسألة فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ فصح أن الملائكة يشفعون وأن الأفراط يشفعون وأن الأولياء يشفعون أتقول أن الله أعطاهم الشفاعة وأطلبها منهم فإذا قال : إن الفرط لأنه يقول : النبي ﷺ أعطى الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله فقل هذا من جهة الإلزام لأن الإلزام إن ألتزمه تناقض وصار مبطلاً وإن لم يلتزمه تناقض أيضاً وصار مبطلاً فقل له الأفراط يشفعون ولهذا إذا مات فرط صغير فندعوا لوالديه بالمغفرة وندعوا أن يشفعه في والديه كما جاء في السنة من الدعاء في الآثار .

فإذاً هل يقول هذا الذي احتج بأن النبي ﷺ أعطى الشفاعة يقول بأن كل من أعطي الشفاعة يُسأل الشفاعة فنقول هؤلاء الأفراد يشفعون فسألهم الشفاعة ولا قائل به أن الأطفال الصغار يُؤتى إلى قبورهم ويطلب منهم الشفاعة مع أن الحجة التي أحتجوا بها في حق النبي ﷺ هي الحجة التي تسوغ في حق هؤلاء الصبيان .

كذلك الملائكة يشفعون فهل يطلب المسلم الشفاعة من الملائكة ويقول يا جبريل اشفع لي عند الله وهذا لا قائل به حتى عباد القبور لا يقولون هذا لأنهم لو قالوا به صاروا إلى دين الجاهلية بالاتفاق وصاروا إلى دين المشركين بالاتفاق فإذاً هذه الحجة حجة إلزامية يحتج عليهم بما يقرون به على ما يحتجون له فهم يقرون أن الملائكة يشفعون فيقال لهم النبي ﷺ أعطى الشفاعة كما ذكرتم ولكن نهينا أن نسأله الشفاعة فإن قالوا لا بل أعطيها ونسأله الشفاعة نقول لهم الملائكة يعني نبرهن لهم بالبرهان الأول : ﴿ فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ فإن لم ينفع فيهم فنقول لهم الملائكة أيشفعون

فإن قالوا لا فقل لهم بل يشفعون لأن الله جل وعلا قال فيهم : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ ولأنه ثبت في الحديث الصحيح أن الله جل وعلا يقول يوم القيامة : (شفعت الملائكة وشفعت الأنبياء وشفعت العلماء و لم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين فيخرج بعثاً من النار .... إلى آخر الحديث)

فإذن إذا قلنا له أن الملائكة تشفع بنص القرآن وأخبر الله أنهم يشفعون والنبي ﷺ أخبر فاسأل الملائكة أن يشفعون لك فإن قال به ولا قائل به فيصير إلى دين

المشركين بالاتفاق فيما بيننا وبين عباد القبور كذلك قل الأفراط يشفعون بما جاء في الحديث أفتذهب إلى قبر طفل وتسأله الشفاعة وهذا لا قائل به بالاتفاق .

إلى أن قال : فتقول إن الله أعطاهم الشفاعة وأطلبها منهم فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه يعني بالاتفاق هذه عبـــادة الصـــالحين عبادة الملائكة عبادة غير الله التي أجمع عليها الناس بأن يُسألون الشفاعة ويتعبـــد ويتقرب إليهم بطلب الشفاعة وإن قلت لا، لا أطلبها مـــن هـــؤلاء لا أطلـــب الشفاعة من الملائكة ولا أطلب الشفاعة من الأفراط قال الشـــيخ رحمـــه الله وإن قلت لا : يعني لا تطلبها منهم بطل قولك أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبها مما أعطاه الله لأن هذا إلزام بما هو لازم في نفس الأمر فإما أن يطرد الباب فيجعل هذا وهذا باباً واحداً وهذ يرجعه بالاتفاق إلى دين المشركين وإما أن يُفرق بين هذا وهـــذا فيتناقض فيدل على بطلان حجته التي ادعاها بقوله : أطلبه مما أعطاه الله .

نقف عند هذا إلى الدرس القادم إن شاء الله تعالى وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يمن علينا بشفاعة المصطفى عليه الصلاة والسلام .

س :

ج : هم احتجوا قالوا : النبي صلى الله عليه وسلم أُعطي الشفاعة على هذا القدر من الإطلاق نقول نعم أعطي الشفاعة فيقول إذن أنا اطلبه مما أعطاه الله فإذن لو ما شفع بي إلا يوم القيامة فأطلبه مما أعطاه الله يشفع يوم القيامة فيقـــول أيضـــا الملائكة تشفع يوم القيامة ، والأفراط يشفعون يوم القيامة أفتطلب منهم الآن أن يشفعوا لك فإذا قال ذلك رجع إلى عبادة المشركين بالاتفاق .

س :

ج : هذا من عندك هذا من كيسك لأن أهل التوحيد هم الذين يقولون بان النبي ﷺ أفضل من الملائكة أما أهل الشرك يعني الأشـــاعرة والماتريديـــه فعنـــدهم أن الملائكة أفضل من الأنبياء والمرسلين وما أحد يحتج منهم بهذا واضح يعني أنـــت نزلت جمعت بين قولين متناقضين هم ما يقولون واضح

س : في الحقيقة هذا السؤال غريب لكن لا بأس أن نذكره ما له علاقة بالـــدرس يقول : أعتذر عن هذا السؤال فإنه خارج عن الدرس ، ظهر فيلم فيديو بعنـــوان فاتح القسطنطينية وبهذا الفيلم يمثلون القائد محمد الفاتح بشكل أفلام كرتونية مع العلم أن هذا القائد شخصية إسلامية فما حكمه ، فقد رأينا بعض طلاب العلـــم يشاهدون هذا الفيلم ويسهرون عليه الليل أغلبه ؟

ج : ما أظن أن طالب علم يسهر على هذا اللهو وأمثاله قد يستفيد منه لصـــغار عنده أو نحو ذلك لكنه يسهر عليه ويجلس يشاهده هذا ما يصلح أن يكون طالب علم لأن طالب العلم عليه واجبات كثيرة نسأل الله جل وعلا يعين الجميع علـــى أدائها

لكن بالنسبة لتمثيله هذا مختلف فيه يعني تمثيل مثل الشخصيات هذا مختلف فيه ما بين العلماء وفيه منهم من يجيز ومنهم من لا يجيز وأنا ما أعرف هذا الفيلم علـــى حقيقته كيف هو .

إذا كان رسم تصوير فالمصور له يأثم لكن المشاهد لما صور لا يأثم لأنه ما دخـــل في التصوير وهذا يحتاج منكم إلى نظر يعني من نظر إليه يعطينا صفة هـــذا حـــتى يكون الحكم فرعاً عن التصور .

س : هل تجوز الشفاعة من الشخص الغائب ؟

ج : دعاء الغائب هذا شرك بالله يعني يكون في مكة ويقول يا خالد لا تنسيني من دعائك هذا شرك بالله لأنه كيف يصل إلى ذلك

س : قال ما جاء في لامية أبي طالب :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ****** ثمال اليتامى عصمة للأرامل

هل يصح قول من قال : أنه فيه استغاثة بغير الله ؟

ج : لا ، هو عليه الصلاة والسلام يسأل الله جل وعلا أن يسقي الناس وهـــو في حال حياته يدعوا من جنس دعائه عليه الصلاة والسلام الاستسقاء ولمن طلب منه الدعاء في الدنيا فهذا له أن يدعو بل قد دعا لعمه و لم يستجب له عليه الصـــلاة والسلام فيه .

س : ما الضوابط في أسماء الله الحسنى ؟

ج : الأسماء الحسنى يعني موضع الكلام في درس العقيدة العام يعني كالواســـطية والطحاوية وغيره لكن نذكره على عجل الأسماء الحسنى هي ما جمع ثلاثة شروط :

الأول : مجيئها في الكتاب والسنة .

الثاني : أنها هي التي يُدعا الله جل وعلا بها .

الثالث : أنها هي المشتملة على الكمال المطلق الذي لا نقص فيه فما لم تتوفر فيه هذه الشروط الثلاثة جميعاً فإنه ليس من الأسماء الحسنى قد يكون اسماً من أسماء الله لا يكون من الأسماء الحسنى فقد يكون اسماً يخبر به عن الله جل وعلا ولا يكـــون من الأسماء الحسنى .

س : إذا قيل للشهيد أو للرسول عند قبره اشفع لي يوم تبعث فما حكم ذلك ؟

ج : هذا الذي نتكلم فيه من الصباح هذا الذي نتكلم فيه من بعد صلاة العشـــاء هذا شرك لأنه سأل طلب منه دعاه سأله فهذا شرك .

س : هذا سائل يقول : مهم جعل الكتابة بالقلم الأحمر .

يقول : ما رأيك فيمن ينسب لشيخ الإسلام ابن تيمية أن ســـؤال الميـــت أن يدعو الله لك ليس من الشرك الأكبر بل هو بدعة ؟

ج : هذا جاء في كلام شيخ الإسلام صحيح لكن البدعة يريد بها البدعة الحادثـــة يعني التي حدثت في هذه الأمة وليس مراده رحمه الله بالبدعة ، أن البدعـــة الـــتي ليست شركاً لأن البدع التي حدثت في الأمة منها بدع كفرية شركية ومنها بدع دون ذلك ، فإذن قوله : وأما سؤال الميت أن يدعو الله للسائل فإنه بدعة يعـــني هذا حدث في هذه الأمة حتى أهل الجاهلية ما يفعلون هذا ما يقولون هـــذا مـــا يقولون ادع الله لنا إنما يقولون : اشفع لنا فمسألة أن يطلب من الميت الدعاء هذه

بدعة حدثت حتى عند المشركين ليست عندهم عند أهل الجاهلية ليست عندهم بل حديث في هذه الأمة وإنما كان عند أهل الجاهلية الطلب بلفظ الشفاعة اشفع لنا يأتون ويتقربون لأجل أن يشفع يتعبدون لأجل أن يشفع أو يخاطبونه بالشفاعة ويقولون اشفع لنا بكذا وكذا أما ادع الله لنا هذه بدعة حدثت في الأمة فكــلام شيخ الإسلام صحيح أنها بدعة محدثة وكونها بدعة لا يعني أن لا تكون شــركاً أكبر فبناء القباب على القبور وسؤال أصحابها والتوجه إليها على هذا النحو الذي تراه من المشاهد والحج إلى هذه المشاهد وجعل لها مناسك كل هذا بدعة نقــول بدعة حدثت في هذه الأمة وهي يعني سؤالها وسؤال أصــحاب هــذه المشــاهد والذبح لها على هذا النحو الموجود لم يكن موجوداً في الجاهلية على هذا النحــو وإنما كانت عبادتهم للأموات على شكل أصنام وأوثان والتجاء للقبــور وأشــباه ذلك لكن ليس على هذا النحو فلم يكن أهل الجاهلية يحجون كالحج إلى بيت الله الحرام يحجون إلى مشهد أو إلى قبر أو ما أشبه ذلك ، نقول : هذه بدعة لكن هل يعني أن ذلك ليس شركاً أكبر لا ، لأن البدع منها ما هو مكفر .

س : ما حكم إطلاق لفظ خير خلق الله جميعاً محمد ﷺ ولفظ سيد الخلق ،حبيب الله والحبيب المصطفى ﷺ ؟ .

ج : هو عليه السلام هو سيد ولد آدم وأشرف الأنبياء والمرسلين وخير خلق الله جميعاً عندنا لأن الصحيح عندنا في مسألة التفضيل بين الملائكة والرسل والأنبيــاء أن الرسل والأنبياء أفضل من الملائكة ، ولا نقول البشر أفضل من الملائكة بــل نقول : الأنبياء والرسل وأولياء الله أفضل من الملائكة لهذا يصح أن نقول :خــير

خلق الله محمد عليه الصلاة والسلام وهو عليه الصلاة والسلام سيد الخلق وهـــو حبيب الله وهو خليل الله .

س : يقول : قول القائل اللهم إني أسألك بحق جبريل عندك أن تفعـــل لي كـــذا وكذا هل يجوز ؟

ج : هذا سؤال بالحق وبالجاه وأشباه ذلك وهو سؤال في أمر أجنبي قد ذكـــرت لكم أن هذا ممنوع من ثلاثة أوجه ذكرناه أظن في الدرس الماضي أو الذي قبلـــه فمن سأل الله بحق فلان حق ملك أو نبي سأله بأمر أجنبي عنه وهؤلاء لهم منزلـــة عند الله لا شك وجاه ولكن ليس هذا الحق لك وسؤالك به سؤال بأمر خـــارج عنك فسؤال العبد ربه متوسلاً يكون بأسماء الله جل وعلا وصفاته لأن هذا سؤال بإيمانه بالأسماء والصفات وإيقانه بها واقراره بذلك ووصف الله جل وعلا بـــذلك وتسميته بها وسؤال أيضاً بالعمل الصالح تسأل الله جل وعلا بأعمالك الصالحة أما سؤالك الله بعمل غيرك الصالح أو بمقامه عند الله أو بمنزلته عند الله هو سؤال بأمر أجنبي ولذلك صار اعتداء في الدعاء وبدعة وخيمة ووسيلة أيضاً إلى الشرك .

س : يقول هل يجوز الإستشفاع بأحد من الخلق ؟ مثل طلبة العلم وهل تأذن لي بالاستشفاع بك في دعائي ؟

ج : نحن نذكر في هذه الدروس من أولها إلى آخرها أن مثل هذا لا يجـــوز وأن مثل هذا بدعة حتى ولو استشفعت بحي سواء كان صالحاً أو عالماً أو من تظن فيه هذا كله من البدع المحدثة في الدين إنما تسأل الدعاء على قول بجوازه تقول : يـــا فلان أدع الله لي هذا الذي يجوز في الحياة مثل ما روى أن النبي ﷺ قال يا عمر لا

تنسانا من دعائك والعلماء مختلفون هل يجوز طلب الدعاء من الحي مطلقاً أم يجوز في بعض الأحوال أم هو مكروه على أقوال ، والسلف الصالح رضوان الله عليهم ما كانوا يأذنون لأحد أن يطلب منهم الدعاء فقد مرة رجل لحذيفة فقال أدع الله لي فدعا له فجاءه آخر مرة أخرى فصاح في وجهه وقال : أأنبياء نحن ؟ فإذا ساغ مرة فلا يسوغ أن يؤتى فلان من الناس حتى ولو كان صالحاً عالماً أو كان يظـــن فيه هذا ظن خير أن يطلب منه الدعاء دائماً والمسؤول أيضاً الدعاء يجب عليه أن يُنكر مثل ما أنكر حذيفة حتى لا تتعلق القلوب بغير الله مرة يحصل ذلك فلا بأس إلا في حال ذكرها شيخ الإسلام رحمه الله حيث قال إن طلب الدعاء يجـــوز إذا كان من طلب الدعاء من غيره يريد منفعة ذلك الغير ولا يريد منفعة نفسه وعلى هذا يحمل طلب النبي ﷺ من عمر أن يدعو له لأن هذا فيه إحسان إلى السائل ، فإذا أردت لفلان مثلاً من الناس أن يدعو لك لكي ينتفع هو بتأمين الملائكة لـــه بقولهم : ولك بمثل هذا وأشباه ذلك ، يقول شيخ الإسلام هذا هو الجـــائز أمـــا الدعاء أصلاً يا فلان أدع الله لي ولا تنسنا من دعائك ونحو ذلك فيقـــول شـــيخ الإسلام هو مكروه وإن قيل بجوازه فإنه ليس على وجه الديمومة أما يقول القائل في دعائه استشفع بفلان أو يا فلان اشفع لي وهو غائب فهذا شرك ، شرك بالله جل وعلا ولا يجوز أن يحوم حول هذه المعاني ذهن طالب علم أو موحد ولو قيل مثل هذا لعامي من العامة من أهل نجد أو من غيرهم ممن عرف التوحيد لصاح في وجه من قال به لأن هذا هو الشرك أو وسيلة الشرك فينبغي أن ينتبـــه لمـــداخل الشيطان على النفوس .

س : يقول ما الفرق بين قول القائل : اللهم منّ علينا بشفاعة نبيك وبين ســـؤال النبي ﷺ الشفاعة ؟

ج : إذا مثل ما ذكر الشيخ محمد رحمه الله ، تطلب الشفاعة من الله تسأل الله أن يشفع فيك نبيه فإذن طلبت الشفاعة ممن يملكها وهو الله جل وعلا أما إذا طلبت الشفاعة من النبي ﷺ فقد دعوته عليه الصلاة والسلام ودعوة غير الله شـــرك ثم سألته الشفاعة وهو بعد موته عليه الصلاة والسلام ، لا يملك أن يشفع حتى يأذن الله جل وعلا ، والله جل وعلا لا يأذن بهذه الصورة وطلب الشفاعة منه عليـــه الصلاة والسلام هو الذي بحثناه في هذه الجلسة من أولها .

س : كيف يكون الذي يطلب الشفاعة من الملائكة كافر بالاتفاق ؟ مع أن هناك من لا يُقر أن عبادة المشركين للملائكة هي بالدعاء ؟

ج : أنا لا أذكر أحدا من أهل العلم يعني المفسرين قال إن تعبد المشركين من أهل الجاهلية للملائكة أنه ليس بالدعاء ، لا أعرف من لم يقل به من قال بغيرها يعني على ظاهر السؤال هناك من لا يُقر أن عبادة المشركين للملائكة هي الدعاء مـــا أدري من قال هذا لعل السائل يفيدنا وإذا كان هناك من يقول به من الأولين يعن من السلف أو من المتأخرين فإنه يمكن حصر الإجماع في فترة زمنية أما على علمي فإنه لا أحد قال إن العرب مثلت الملائكة على صور على أصنام وإنمـــا يـــدعون الملائكة ويطلبون منهم كما قال جـــل وعـــلا : ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾

س : هل قول الرسول ﷺ لعمر (لا تنسنا يا أخي من دعائك) ثابت ؟

ج : هذا رواه أبو داود والترمذي وجماعة وإسناده ضعيف .

س : هل جميع أنواع الشفاعة التي ذكرها الشيخ في كتاب التوحيد ثابتة في الكتاب والسنة ؟ .

ج : ما أدري واش يعني كتاب التوحيد ، كتاب التوحيد ما ذكر فيه أنواع الشفاعة ، أنواع الشفاعة مذكورة في الواسطية وفي كتب العقيدة العامة أما كتاب التوحيد أما إذا كان في الشرح نعم ثابتة .

س : لو بلغ شخص خبر يسره فقال للذي أعلمه الخبر أشكر حياتك فما حكم قول هذه العبارة ؟ .

ج : يعني أشكرك ما فيه بأس إن شاء الله .

س : يقول : قوله جل وعلا : ﴿ والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ﴾ قرأت في أحد مختصرات التفسير أن معنى سيهديهم إلى العمل فكيف يكون العمل بعد الموت ؟ .

ج : هذا أحد الأقوال في الآية وهو أن قوله تعالى : ﴿ سيهديهم ﴾ يعني في الدنيا وأن مجيء السين فيها مع إفادتها التعقيب هذا باعتبار القدر يعني والذين قتلوا في سبيل الله قدراً يعني بما مضي في علم الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم في الدنيا ويبين لهم الطريق يعني هداية الدلالة والإرشاد وهداية التوفيق والقول الثاني : وهو الصحيح : أن الهداية هنا هداية في الآخرة لطريق الجنة فهنا ليس اعتبار القتل هنا

اعتبار قدري سابق بل هو اعتبار بالواقع فقوله ﴿والذين قتلوا في سبيل الله﴾ فحصل لهم القتل ﴿فلن يضل أعمالهم﴾ يعني أن الله جل وعلا يبارك عملهم القليل وينمي لهم عملهم إلى يوم القيامة كما ثبت في الحديث أن الشهيد ينمي له عمله إلى يوم القيامة قال : ﴿فلن يُضل أعمالهم سيهديهم﴾ يعني في الآخرة :

﴿ويصلح بالهم﴾ الهداية إلى طريق الجنة يعني سيهديهم على الصراط لأن هذا هو النوع الرابع من أنواع الهداية عند أهل السنة وهو هداية أهل الجنة لطريق الجنة وهداية أهل النار للنار ففي أهل الجنة في الشهداء قال هنا : ﴿سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ يعني بعد أن يهدوا لطريق الجنة وفي الهداية للنار قال جل وعلا في سورة الصافات : ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم * وقفوهم إنهم مسؤولون * ما لكم لا تناصرون . .﴾ الآيات .

س : يقول : من يرى عليه سمات الصلاح تقول العامة له زُرنا تصل البركة هل هذا جائز ؟

ج : البركة كما هو معلوم نوعان :

١ ـــ بركة ذات ٢ ـــ بركة عمل وإيمان وصلاح

بركة الذات بمعنى أن أجزاء الذات تكون مباركة فإذا لمست هذا المبارك الذات انتقلت لك بركة حصل لك بركة وانتفاع من ذاته من شعره من عرقه من بدنه

فهذه ليست إلا للأنبياء والمرسلين فهم الذين يتبرك بذواهم بعرقهم ببقية سؤرهم بدمهم ...إلى آخره فهذا لا بأس به كما جاء ذلك في السنة الصحيحة عن النبي ﷺ

والنوع الثاني من البركة بركة عمل وهذا لكل مؤمن بركة راجعة إلى عمله الصالح وذلك من جهة إيمانه وتقواه وصلاحه وعمله الصالح فلكل مؤمن بركة بقدر ما عنده من الإيمان والعمل الصالح مثل ما جاء في الحديث الذي رواه البخاري وغيره أن أسيد قال لأبي بكر لما نزلت آية التيمم في قصة عائشة المعروفة تخفيفاً على الأمة قال : ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر وثبت أيضاً في البخاري وفي غيره أن النبي ﷺ قال (إن من الشجر شجرة بركتها كبركة المسلم) فدل على أن كل مسلم فيه وله بركة ولما تزوج النبي ﷺ صفية واعتق قومها وجعل عتقهم صداقها قال : فلم تكن أو معنى ما جاء أي لم تكن امرأة لها بركة على قومها أعظم من بركة صفية فدل هذا على أن كل نؤمن له بركة ، بركة عمل فإذن إذا أتى رجل صالح أو زارك أحد من إخوانك المؤمنين وقال قائل حلت البركة أو جاءت البركة يعني أن هذه الزيارة عمل صالح والعمل الصالح مبارك وهذا العبد الصالح إذا جاء وقال القائل حلت البركة يعني لأنه إذا جاء العبد الصالح فإنه سيشغل أهل البيت في زيارته لهم بما ينفعهم في آخرهم فهذه من بركة إيمانه وعمله الصالح فلا بأس .

أما بركة الذات فليست إلا للأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه

في هذا القدر كفاية وأسأل الله لي ولكم المغفرة والعلم النافع والعمل الصالح وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين قال المؤلف رحمه الله تعالى : فإن قال أنا لا أشرك بالله شيئاً حاشا وكلا ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك فقل له إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقر أن الله لا يغفره فما هذا الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره فإنه لا يدري فقل له كيف تبرأ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه وتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا فإن قال الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام فقل له ما معنى عبادة الأصنام أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والحجارة تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها فهذا يكذبه القرآن كما في قوله تعالى ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض** ﴾ فإن قال هو من قصد خشبه أو حجراً أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون أنه يقربنا إلى الله زلفى ويدفع الله عنا ببركته أو يعطينا ببركته فقل صدق وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها فهذا أمر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام فهو المطلوب ويقال له أيضاً قولك الشرك عبادة الأصنام .هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك فهذا يرده ما ذكره الله في كتابه . كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين فلابد أن يقر لك أن من آشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهذا هو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب وسر المسألة أنه إذا قال أنا لا أشرك بالله فقل له وما الشرك بالله ؟ فسره لي .

فإن قال : هو عبادة الأصنام فقل وما معنى عبادة الأصنام ؟ فسرها لي فإن قال أنا لا أعبد إلا الله وحده فقل ما معنى عبادة الله وحده فسرها لي . فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب وإن لم يعرفه فكيف يدعى شيئا وهو لا يعرفه وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان أنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون عليها ويصيحون فيها كما صاح إخوانهم حيث قال (أجعل الآلهة إلهاً واحد إن هذا لشيء عجاب) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلات والسلام علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين ....

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من العلم والعمل يا أرحم الراحمين ربنا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين لا حوله لنا ولا قوة إلا بك اللهم كما علمت العلماء فعلمنا وكما فهمتهم ففهمنا ألحقنا بزمرة ورثة الأنبياء يا أرحم الراحمين .. أما بعد .

فهذا الكلام الذي سمعناه جواب على شبهة أدلي بها طائفة أخرى وهذه الشبه التي ذكرها الشيخ رحمه الله تجد فيها تكريرا وذلك لأنه أورده ما أورد الناس من الشبه على التوحيد فقد يكون ما قاله فلان يدخل بعضه فيما قاله الآخر ولهذا ترى أن فيها نوع تكرير ونوع إعادة لأن الشبه متداخلة وهذا يدل على أن القول يتوار دون على شبه أصلها واحد فإذا أحكم طالب العلم المقدمات التي ذكرناها في أول هذا الشرح وجواب الشبه الثلاث التي هي أكبر ما عندهم سهل عليه الجواب عن الشبه الأخرى مهما اختلف وتلونت وهذا الذي ذكر هنا جواب

الشبهة التي يمكن أن تعنون بقولهم الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك وأن الشرك مخصوص بعبادة الأصنام وفي الحقيقة أن الذين عبدوا غير الله جل وعلا لا يعرفون معنى الشرك كجهلهم بعلوم الشريعة وبأصول الدين فإنهم لا يعرفون معنى العبادة ولا يعلمون معنى الشرك ولا يعلمون معنى التوحيد لهذا قد ينكرون شيئاً وهم واقعون منه وقد ذكر الشوكاني رحمه الله في رسالته الدر النضيد أن عباد القبور عندهم تغير للأسماء فيسمونها بغير اسمها فيسمون الشرك توسلاً ويسمون طلب الشفاعة من الأولياء توسلاً ويسمون إنزال الحاجات بالأولياء والأنبياء التجاء إلى الصالحين لأنهم عند الله جل وعلا لهم المقامات العالية وأشباه ذلك . قال : الشوكاني : وهذا لا يغير من الحقائق شيئا إذ العبرة بالحقائق لا بالأسماء العبرة بالمسميات لا بالأسماء فلو سميت الخمر ماءاً هذه تتمة من عندي .

فلو سميت الخمر ماءاً فإنها خمر ولو سمي سرقة الأموال إنه هدايا فإنه سرقة فالأسماء لا تغير في الأحكام الشرعية إذ الأحكام مرتبطة بحقائق الأمور فإذا وجدت حقيقة الأمر الذي حرمه الشرع أو أمر به الشرع فإنه هو المقصود بالتحريم وهو المقصود بالأمر وإن اختلفت الأسماء إذ لا عبرة باختلاف الأسماء هنا تفريعاً على ذلك .

قال : الإمام رحمه الله تعالى ورفع درجته في الجنة فإن قال : يعنى المدلى بالشبهة أنا لا أشرك بالله شيئا حاشا وكلا وهذا صنيع كل من يعبد غير الله يعبد الأولياء والأنبياء ويتقرب إليهم أو يتقرب إلى المشاهد أو إلى الجن أو إلى ما شابه ذلك من أنواع المعبودات من دون الله كلهم يقولون نحن لا نشرك إذ لا أحد يقر على نفسه بالشرك والكفر قال فإن قال : يعنى بعد ما ذكرنا من مسألة الشفاعة أو من أدلى بهذه الشبهة أنا لا أشرك بالله شيئا حاشا وكلا يعنى أنا لست من المشركين وعندي إباء أن أكون من أهل الشرك أو أن افعل الشرك فحاشا وكلا أن أشرك

بالله شيئا لم ؟ قال : لأن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك فإذا رجع أمر هذه الطائفة إلى أنهم يتبرءون من شيء يفعلونه وإذا كان هذا المتبرئ منه من أصول الدين من التوحيد فإن فعله يدل على أنهم لم يعلموا معنى الشرك ومعنى التوحيد فلابد لهم إذاً من إقامة الحجة لأنه ينفي عن نفسه أن يكون من المشركين ويكره الشرك ويكره الكفر لكنه واقع فيه فلابد من البيان له والتعليم وإقامة الحجة عليه في أن ما يفعله داخل فيما نفاه عن نفسه .

قال رحمه الله : فقل له : هذا ابتداء جواب الشبهة إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من الزنا وتقر أن الله لا يغفره ..... إلى آخر الكلام هذا الجواب للشبهة مبني على مراتب .

الأولى : هذه المرتبه التي سمعت وهي أن تطلب منه تفصيل الشرك . ما هو هذا الشرك الذي لا يغفره الله وأنت تنفيه عن نفسك هات معنى الشرك .

المرتب الثانية : أن يفسر الشرك بعبادة الأصنام فيسأل ما معنى عبادة الأصنام ؟

الثالثة : هل الشرك مخصوص بعبادة الأصنام أم لا ؟

فهذه ثلاث مراتب لجواب هذا الإشكال فمن قال أن التوسل بالصالحين ليس بشرك يعني التوسل الشركي الذي يفعله عباد القبور والخرافيون ويعدونه توسلاً وهو دعاء غير الله جل وعلا وطلب الشفاعة من الأموات هذا مبني على هذه الثلاث مراتب فنأتيها واحدة واحدة .

فالأولي : قال الشيخ رحمه الله إذا كنت تقرأ أن الله حرم الشرك أعظم من الزنا وتقر أن الله لا يغفره فما هذا الأمر الذي عظمه الله وذكر أنه لا يغفره ؟ فإنه لا يدرى .

هذا تنزيل لطائفة إذا قلت له ما هذا الشرك الذي حرمه الله وعظمه وبين أنه لا يغفره وأنه أعظم من الزنا ومن شرب الخمر ومن إتيان المحارم إلى غير ذلك .
فطائفة منهم يقولون لا ندرى ما هذا الشرك . لا نعلم ما هذا الشرك .فإذا هذه الطائفة يقال لها : كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه . إذا كنت لا تعرف حقيقة الشرك فكيف تقول أنا لا أشرك بالله شيئا ومعلوم أن المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ينفون عن نفسهم الكفر وينفون عن أنفسهم الشرك بالله جل وعلا لأن هذا الشريك الذي دعوه مع الله جل وعلا هو لله جل وعلا فنفوا أن يكونوا مشركين على الحقيقة مثل ما قال قائلهم وهو يلبى : إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك .
فإذا كان الشريك لله فإن سؤاله لا يعد سؤالاً لأحد غير الله جل وعلا مثل اعتقاد النصارى والاعتقاد في الملائكة أنها بنات الله وكذلك الاعتقاد في الأصنام والأوثان فهم إذا لا أحد يقر على نفسه بأنه مشرك مطلقا إذ يلزم من ذلك أن الشرك المطلق يعنى أنه يقر بأن ثمة مصرف للأمور غير الرب جل وعلا والمشركون مقرون بأن المصرف للأمور هو الله جل وعلا وحده إذ يلزم لازماً عقلياً واضحاً وأيضا شرعيا . أن من اعتقد بأن مع الله إله آخر يلزمه أن يعتقد أنه رب وأنه يعطي ويمنع وأنه هو الذي يدبر الأمر . وهو الذي يسخر السحاب وينزل المطر ولهذا تجد أن في القرآن الكريم كثيراً ما يحتج على المشركين بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية فهم خروجاً من هذا الإلزام قالوا إن هذه الآلهة لله جل وعلا فهو يملكها وهى تحت تصرفه وهم ينقلون ما يحتاجه خلقه إلى الله جل وعلا مثل ما فعل غلاة المتصوفة حيث قالوا إن العالم له أقطاب أربعة فوض الله إليهم رفع حاجات أهل الأرض فالقطب الفلانى في مصر والقطب الثاني في الهند والقطب

الثالث في الشمال والقطب الرابع في الجنوب يعنى أن هؤلاء فوض الله إليهم أمر رفع الحاجات فنخلص من ذلك أن من وقع في الشرك فإنه قد يقول : أنا لم أقع في الشرك وحاشاي أن أشرك فإذا طلب منه تفسير الشرك لم يعرف تفسيره وهذه مرتبة العوام فهؤلاء جوابهم أن يقال كيف تبرئ نفسك من شيء وأنت لا تعرفه كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه لا شك إن هذا يدل على عدم رغبة في الخير بل يدل على عدم معرفة وعلم بما خلق الله جل وعلا العباد له فإنه إذا علم أن الشرك محرم وأنه لا يغفره الله وأن أهله مخلدون في النار إن لم يتوبوا فكيف يقول : أنا لا أعرف هذا الشرك فهذا إعراض عن الدين كما قال الله جل وعلا ﴿ **بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون** ﴾ فإذا كيف لا تسأل عنه كيف لا تتعرفه . أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا ؟وهذافي الحقيقة جواب . يصلح للعوام لأن العامي لا يصلح له ما يصلح لمن يجادل ببعض الشبه العلمية فهذا يقول : أنا لا أشرك فتسأله عن الشرك فيقول : أنا لا أعرفه فيقال له : كيف تنفي عن نفسك شيئاً وأنت لا تعرفه ؟ فهذا يكفى في جواب هذا العامي أن يجعلك معلماً له وكما ذكرنا لك في السابق إذا استطعت في مجادلة عوام المشركين في أن تجعلهم في مرتبة أدنى منك فتكون معلماً بحسن عبارة في أن تجره إلى أن يعترف على نفسه بالجهل ثم تنتقل من مناظر إلى معلم فهذا من أعظم الوسائل للإقناع ولإحداث الخير وإقامة الحجة وبيان المحجة

فلا ينزل العالم العامي منزلة العالم لا ينزل من هو خال من الحجة أصلاً جاهل من هو عنده شبه فإذا عاملت هذا معاملة هذا فإنك تخسر . بل ينبغي أن تسلك

ما ذكره الشيخ رحمه الله هنا في أن تطلب منه تفسير الشيء فإذا كان عنده علم ناقشته برد تفسيره وإذا لم يكن عنده علم فتقول له كيف تكون على هذا الحال تنفى عن نفسك شيء وأنت واقع فيه وأنت جاهل بمعناه فإذا تنتقل معه إلى التعليم لهذا تقول له كما قال الشيخ رحمه الله أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا ؟ فلا شك أنه سيقول :لا. بل إن الله إذا حرم علينا هذا فهو سيبينه لنا . فتبدأ معه في بيان التوحيد ومعنى لا إله إلا الله . والشرك والكفر بالطاغوت والعبادة إلى غير ذلك .

ثم قال ، وهي المرتبة في أناس من أهل هذه الشبهة وهم الذين يقولون : نحن لسنا مشركين . وحاشانا من ذلك . والالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك أهل المرتبة الثانية من هذه الطائفة هم الذين يقولون :الشرك عباده الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام تلحظ هذه الكلمة مرت معنا في شبهة قبل ذلك لكنها مرتبة لطائفة ممن يقولون الالتجاء إلي الصالحين ليس بشرك والشيخ رحمه الله كرر لأن المقام يحتاج إلي هذا لأن هؤلاء يدخلون تحت مظلة من يقول : الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك وأولئك يدخلون تحت مظلة الشفاعة يعني طلب الشفاعة من الأموات وآخرون يدخلون تحت مظلة أخرى إذاً أصول الشبهات مختلفة وقد يشترك أهلها في الإيراد في طوائف منهم كما يمر معنا هنا إذن فهؤلاء طائفة ثانية من أهل هذه الشبهة قال الشيخ رحمه الله : فإن قال الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام قد يكون لقن هذه الحجة فيكون عامياً ويكون عنده شبهة في هذه المسألة بأن الشرك هو عبادة الأصنام ولذلك احتاج إلى التفصيل فقل وما معنى عبادة الأصنام تسأله عن معنى عبادة الأصنام إما أن يقول : لا أعرف معنى عبادة الأصنام وإما أن يقول عبادة الأصنام كذا وكذا فإن قال لا أعلم معنى عبادة الأصنام فنقول له

كيف تفسر شيء بشيء وتحتج عليه وأنت لا تعلمه فإذا سكت فإنك تدلي عليه معنى عبادة الأصنام فإن قال معنى عبادة الأصنام أنهم يتوجهون إلى هذا الحجر بسؤاله فهم يعتقدون في الأحجار لأنها أحجار فتقولة له أتظن ؟ مثل قال الشيخ هنا أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها فتسأله هؤلاء الذين عبدوا الأصنام كيف عبدوها ؟ كيف سموا عبده للأصنام ؟ فإما أن يقول لأنهم اعتقدوا فيها الخلق والرزق والإحياء والإماتة فتقول له هذا يكذبه القرآن وتسرد له الآيات مثل ما قال الشيخ كما في قوله تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض ﴾ الآية في يونس ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض ومن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ يعني إذا كنتم مقرين بتوحيد الربوبية أفلا تتقون الله في إشراككم معه آلهة أخرى فهذا نوع إذا قال اعتقدوا فيها أنها تخلق وترزق وتنفع وتضر وترسل المطر إلى آخر ذلك فقل هذا يكذبه القرآن وتسرد له الأدلة وإن قال هذا احتمال ثاني وإن قال هو من قصد خشبة أو حجر أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له فإنه قد يقول هذا نتيجة لعلم له بحال المشركين بأنه يقصد الخشب يقصد الحجر يقصد البنية على القبر على أنواع من أشرك بهم في الجاهلية يدعون ذلك مثل ما أخبر الله جل وعلا في كتابه بقوله : ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ فإذا صار الشرك في الدعاء لأنه قال دعوا الله مخلصين ثم قال فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون يعني الشرك في الدعاء فإذا فسره بهذا التفسير بأنه

قصد الخشبة أو الحجر أو البنية على قبر يعني قصد هذه الأشياء لم يقصد من في القبر قصد الخشب قصد الحجر قصد نفس البناء يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون إنه يقربنا إلى الله زلفى ويدفع عنا ببركته ويعطينا ببركته فقل صدقت هذا هو الشرك وهم ما قصدوا خشبة يدعونها لاعتقاد في الخشبة بل لاعتقاد في الروح التي تحل في الخشب حين السؤال فالمشركون يعتقدون أنه إذا سألت الخشبة التي هي ممثلة على صورة كوكب من الكواكب المؤثرة في اعتقادهم أو على صورة ملك أو على صورة نبي أو على صورة ولي أو على صورة صالح أو على صورة من يعتقدون فيه فإن هذا الصنم أو الوثن إذا سُئل تكلم وهذا الكلام منه إنما هو من شيطان فهم يعتقدون أنه إذا خاطبوه ودعوه فإن روحانية هذا الكوكب تتكلم أو روحانية الملك تتكلم أو روحانية الولي والنبي تتكلم حتى ربما أنه ينطق الجني على لسان الميت وهم يعرفون أن هذا هو كلامه فيقول سمعنا من القبر كذا وكذا بصوت الولي فلان الذي نعرفه ويكونوا قد صدقوا فيما سمعوا لأنهم سمعوا صوت الولي نفسه ولكنهم لم يسمعوا الولي نفسه وإنما سمعوا صوته الذي قلده الشيطان والجني ومعلوم أن شياطين الجن عندها قدرة على التشكل في الصور وعندها قدرة على التشكل في الأصوات وعندها قدرة على أن تُرِيَ الأشياء على غير حقيقتها وهذا مما أقدرهم الله جل وعلا عليه ليحصل الابتلاء وتحصل الفتنة فإبليس عليه لعنة الله حصل منه ما حصل من التشكل في صورة رجل وصورة شيخ نجدي عند المشركين إلى آخره وفي يوم بدر كذلك والجن يتشكلون ربما أتاك جني في صورة آدمي وأنت لا تعلم ربما تكلم من تكلم بصوت وهو شيطان فإذا ما يذكرونه من أنهم حين يسألون الأخشاب أو الأحجار أو الغرف التي على القبور أو المشاهد أو يأتون إلى القبر وأن هناك من

تكلم وقال سألبي حاجتكم أو أمرهم بأشياء وفهم صادقون لكن هذا من الجن ودخولهم في هذا الأمر إنما هو من جراء الشرك بالله جل وعلا كما قال سبحانه في آخر سورة سبأ : ﴿ بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ يعني في الحقيقة مع أنهم إنما دعوا الملائكة : ﴿ ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴾ لأنهم كانوا يطلبون من الملائكة : ﴿ وقالت الملائكة سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ﴾ يعني في الحقيقة أنهم كانوا يعبدون الجن لأن الذي تكلم وخاطبهم الجني وهم تقربوا لمن خاطبهم وهو الجني ففي الحقيقة العبادة توجهت للجن لا إلى الملائكة كما قال جل وعلا : ﴿ بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ وقال سبحانه في سورة الأنعام : ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخلقوا له بنين وبنات بغير علم ﴾ جعلوا له شركاء الجن فالجن اتخذت شركاء وإن لم يعتقدوا ذلك هم أنهم عبدوا الصنم يعني أنهم عبدوا الجن لكن في الحقيقة هم عبدوا ذلك واتخذوهم شركاء إذن فنقول له صدقت في أنهم قصدوها يدعونها ويذبحون لها ويقولون إنها تقربنا إلى الله زلفى ويدفع عنا ببركتها ويعطينا الله ببركتها مثل ما قال بعضهم لبعض الموحدين من نحو أكثر من مائة سنة قابل رجلاً من المشركين فقال له الموحد كثير من أهل الطائف لا يعرفون الله إنما يعرفون قبر ابن عباس فأجابه المشرك بقوله معرفة ابن عباس تكفيه ...لما ؟ لهذا الأمر لأنهم إذا توجهوا إلى ابن عباس فمعناه توجهوا إلى الله جل وعلا مثل ما قال هذا القائل فقل له صدقت وهذا هو فعلكم عند

الأحجار والبنايات التي على القبور وغيرها إذا أتوا إلى البنايات التي على القبور أكثر القبور الآن التي بنيت عليها البنايات لا يوصل إلى القبر ولا يخلص إليه وإنما هم يدعون ويعتقدون ويتمسحون ويطلبون بركة هذه البنية وفي قلبهم من في هذا القبر وقد لا يكون في القبر أحد ، قد لا يكون في القبر أحد أصلاً أو يكون فيه مشرك أو يكون فيه حيوان ونحو ذلك يكون قد دفن في هذا واعتقد ذلك .

فإذن الذي فعله هؤلاء في كالأولون عند الأصنام والأوثان والخشب والحجر والبناء التي على القبور هو الذي فعله أهل هذه الأزمان عند البنايات التي على القبور فقل له صدقت وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايات التي على القبور فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام وهو المطلوب وهذه حجة واضحة بينة إن كابر وقال لسنا معتقدين فيهم الاستقلال بل نعتقد فيهم الأسباب مثل ما يقول طائفة يقولون نحن لا نعتقد أنهم يعطوننا استقلالاً ولا يغفرون لنا ولا يشفعون مرضانا ولا يدفعون عنا الضر بأنفسهم وإنما هم أسباب فكما أن الله جل وعلا جعل أسباباً تقينا الحر وأسباباً تقينا البرد وأسباباً تقينا كذا وأسباباً تجلب لنا كذا فإن الله جل وعلا جعل هؤلاء أسباباً فيجاب بما أجبته لك مفصلاً من قبل ومطولاً فيجاب بأن هذا السبب هو عينه الذي تعلق به المشركون فإنهم قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهذا هو معنى السببية بنفسها وهذا هو معنى طلب الوساطة وطلب الجاه ويقال له أيضاً وهذه الفئة الثالثة من أهل هذه الشبهة قولك من واضح التعلق بين هذا القول وبين قولك الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك لأن الالتجاء معناه عندهم الدعاء دعاء الصالحين طلب بركة الصالحين بسؤالهم وطلب الشفاعة عندهم الالتجاء إليهم بالذبح لهم مثل ما فسره هنا .

فإذن قوله الالتجاء مساو لقوله يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون إنه يقربنا إلى الله زلفى ويُدفع عنا ببركته ويعطينا ببركته هذا هو الالتجاء إلى الصالحين وهذا هو عين ما يفعل عند الأصنام والأوثان والآلهة المختلفة ويقال له أيضاً قولك الشرك عبادة الأصنام هذا تتمة لهذا الجواب هل مرادك أن الشرك مخصوصاً بهذا هذا تتمة لهذا الجواب لكنه في طائفة ثالثة فيمن يقول الشرك مخصوصاً بعبادة الأصنام هل مرادك أن الشرك مخصوصاً بهذا وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل في ذلك ؟ فإذا قال نعم الشرك مخصوص بعبادة الأصنام فهذا يرده ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيس أو الصالحين وهذا قدمناه بوضوح في أن أنواع الشرك عند أهل الجاهلية متنوعة ، ليست نوعاً واحداً فمنها الأصنام وفيها أدلة في القرآن كثيرة ومنها الأوثان المصورة ، الأنبياء ، الأولياء وما شابه ذلك ومنها الاعتقاد في الأحجار والأشجار المصورة على صور الكواكب وأشباه ذلك .

قال : فهذا يرده ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق بعيسى أو الصالحين فلابد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب يعني تقول لهذا الذي قال : الشرك مخصوص بعبادة الأصنام هل عيسى عليه السلام أشرك به أم لا ؟

فإن قال لا فقل له بل أشرك به كما قال الله جل وعلا في القرآن : ﴿ **وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله** ﴾ وكذلك كقوله جل وعلا : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً** ﴾ والآيات في هذا الباب كثيرة فإذن قل له هل عيس

عليه السلام عُبد واتُخذ إلهاً أم لا ؟ فإن قال لا بيّن له الآيات وإن قال نعم فهو المقصود أيضاً وعلى كل من الاحتمالين مع الجواب فإنه يرد هذا تخصيصه الشرك بعبادة الأصنام وهذه الكلمة الشرك عبادة الأصنام تراها في كثير من تفاسير المتأخرين فقلّ أن ترى تفسيراً من تفاسير المتأخرين إلا وإذا ذكر الشرك بالله في القرآن وعبادة غير الله فسروها بأنها عبادة الأصنام والمفسرون الأولون كالإمام ابن جرير رحمه الله تعالى وكغيره من الأئمة يفسرون الشرك حيث ورد وعبادة غير الله بأنواع ما ورد فيكثر أن يقول ابن جرير رحمه الله تعالى : نهى الله عن الشرك به ودعوة غيره من الأصنام والأوثان والأنداد .

ابن جرير يكثر من هذه الثلاثة الأصنام والأوثان والأنداد لأنها أنواع ما جاء في القرآن .

قال : فلابد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهو الشرك لأنه إذن يكون قوله : الشرك مخصوص بعبادة الأصنام يكون غلطاً فتقول له إذن لابد أن تقر أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب .

قال رحمه الله : وسر المسألة أنه إذا قال أنا لا أشرك بالله فقل له وما الشرك بالله فسره لي ؟ فإن قال هو عبادة الأصنام فقل له وما معنى عبادة الأصنام فسرها لي ؟ فإن قال أنا لا أعبد إلا الله وحده فقل ما معنى عبادة الله وحده فسرها لي ؟ فإن فسرها بما بيّنه القرآن فهو المطلوب فإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات .

يبين لك الشيخ رحمه الله أن سر إقامة الحجة وكشف الشبهة في هذه المسألة مبني على هذه المراتب التي ذكر سر المسألة يعني سر مسألة جواب هذه الشبهة أن

تقول إذا قال : أنا لا أشرك بالله ، قل له وما الشرك بالله ؟ دائماً تسأله ما هذا الذي نفيته إن قال هو عبادة الأصنام فقل ما عبادة الأصنام ؟ إن قال : أنا لا أعبد إلا الله : فقل ما عبادة الله وحده ؟ فدائماً تجعله جاهلاً بمعنى تجره إلى ميدان الجهل حتى يقول : أنا جاهل فإن قال أنا جاهل فتنتقل معه من الحجاج إلى التعليم وإن قال إن فسرها ، هذا نوع ثاني من الناس ، إن فسرها بما في القرآن لكنه جهل أو اشتبه عليه دخول المعاصرين وعبادة غير الله في هذه الأزمنة بما جاء في القرآن ففسرها بما في القرآن تقول : هذا هو المطلوب فتبين له وجه الشبه .

إن فسر ذلك : هذه الحالة الثالثة بغير معناه وهذه خاصة بأهل العلم ومن يدلون الشبهة من المنتسبين إلى العلم وعلمهم غير نافع إن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله ، إن قال فسر الشرك بغير معناه الصحيح تذكر له الآيات الواضحة في معنى الشرك وأن الشرك يكون بأنواع كما جاء في القرآن وكما بينه الشيخ رحمه الله في كتاب التوحيد .

بيّن له معنى عبادة الأوثان فإذا بينت له ذلك يتضح أن الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكروها علينا ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا : ﴿ **أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب** ﴾ قال رحمه الله بعد ذلك : فإن قال هذا دخول في شبهة جديدة فإن قال نوع من موردي الشبهة إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء ، هذا نوع من الناس يقول لا كفرهم كان بشيء آخر ليس بالشرك بالله ولا بالتوجه إلى الصالحين ولا التوجه للأنبياء وهذه أمور جائزة لكن كفرهم كان بشيء آخر ما هذا الشيء ؟ قال وإنما يكفرون لما قالوا : الملائكة بنات الله فإن لم نقل عبد

القادر ابن الله ولا غيره وهذه كثير ما يوردوها الصوفية في أن الأولين كفروا باعتقادهم أن الملائكة بنات الله جل وعلا وهذا الاعتقاد مبين في القرآن في سور كثيرة كسورة النحل والصافات وسورة الزخرف وغير ذلك من السور .

يقول لم نقل عبد القادر يعني الجيلاني وهو معظم ومُأله في العراق وفي باكستان والهند وفي غيرها أيضاً ، إن قال أنا لم أعتقد في عبد القادر أنه ابن الله ولا في النبي ﷺ أنه ابن لله ولا في عيسى أنه ابن لله ولا في كذا أنه ابن لله ولا في البدوي أنه ابن لله ولا في علي رضي الله عنه أنه ابن لله ... إلى آخر ذلك .

وهؤلاء إنما كفروا في أن الملائكة بنات الله يعني اعتقاد البنوة مثل ما قال البوصيري في قصيدته الميمية المعروفة قال :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم **** واحكم بما شئت فيه واحتكم

أو كما قال وقال أيضاً : لو ناسبت قدره يعني النبي ﷺ

لو ناسبت قدره آياته عظماً **** أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

فيقول قل ما شئت في النبي ﷺ من وصفه بما شئت إلا في شيء واحد وهو أن لا تقول كما قالت النصارى في عيسى انه ابن لله جل وعلا ويفهمون هذا على الحديث الذي رواه البخاري وغيره في قوله عليه الصلاة والسلام (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله) قالوا فمعنى الحديث أنه لا تبلغوا بي مبلغ النصارى في قولهم إن عيسى ابن الله وما هو غير ذلك فجائز لكم هكذا يفهمونه وهذه حجة طائفة كبيرة من غلاة الصوفية وأصحاب الطرق في قولهم : إن المحرم والشرك هو إدعاء البنوة أما غير ذلك فليس من الشرك بالله كما قال :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم **** واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

أو كما قال

قال : فالجواب هذا جواب هذه الشبهة إن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل بيّن أن نسبة الولد إلى الله كفر لكنها ليست كل الكفر فقال جل وعلا : ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ﴾ والأحد الذي لا نظير له : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ أحد يعني لا نظير له في ذاته ولا نظير له في أسمائه ولا نظير له في صفاته جل وعلا واحدُ في أُلوهيته لا شريك له واحدُ في ربوبيته لا شريك له واحدُ في أسمائه وصفاته لا سمى له فكما أنه لا شريك له في الربوبية .

المقصود في الحوائج فدلت الآية على نوعين فمن جحدهذا كفر ولو لم يجحد الصورة دلت الآية على نوعين النوع الأول هو من لم يجعل الله واحداً وجعله اثنين كاعتقاد طائفة من النصارى أو اعتقد ثلاثة كاعتقاد طائفة أخرى من النصارى وغيرهم .

فقوله جلا وعلا : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ هذا فيه رد على من اعتقد البنوة وقوله : ﴿ الله الصمد ﴾ ، ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ رد على من اعتقد أنه يُصمد في الحوائج إلى غيره فإذن سورة الإخلاص دلت على كفر نوعين من الناس وهم :

من لم يجعل الله مختصاً بالأحديه .

ومن لم يجعل الله مختصاً بالصمدية

والصمد هو الذي يصمد إليه في الحوائج يعني يقصد وحده دون ما سواه .

قال : فمن جحد هذا فقد كفر ولو لم يجحد السورة ، هذا برهان على أن الشرك في القرآن ليس هو وأن المشركين مشركي العرب وغيرهم ليسوا معتقدين في البنوة وحدها بل معتقدين في البنوة ومعتقدين أيضاً في الشريك مع الله جل وعلا في العبادة وقال تعالى : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ﴾ قال الشيخ رحمه الله : ففرق بين النوعين وجعل كلاً منهما كفراً مستقلاً وهذا .

استدلال واضح قوي إذ قال الله جل وعلا : ﴿ ما اتخذ الله من ولد ﴾ يعني قبل أن يخلق الخلق ولا بعد أن خلق الخلق ولو اتخذ الرحمن ولداً لعبدنا ذلك الولد طاعة لله جل وعلا وامتثالاً لأمره كما قال سبحانه في سورة الزخرف : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ على الصحيح في تفسيرها أنها على ظاهرها يعني أنا أول من يعبد هذا الولد لو اتخذه الرحمن امتثالاً لأمر الله وطاعة له جل وعلا والواقع أن هذا لا يكون ولا يمكن إذ الله جل وعلا ما اتخذ مما يخلق بنات و لم يتخذ سبحانه ولداً لأنه لم يلد و لم يولد ولو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء لتتره سبحانه وتعالى عن الولادة بدءاً وأصلاً وفرعاً فإذن قوله : ﴿ ما اتخذ الله من ولد ﴾ هذا نفي للولادة اتخاذ الولد ، قال : ﴿ وما كان معه من إله ﴾ وهذا نفي لنوع آخر وكما هو مقرر في العربية والأصول أن واو العطف هذه تفيد التغاير تغاير الذات وتغاير الصفات ، فتغاير الذات كما تقول محمد وخالد فذات محمد غير ذات خالد وتغاير الصفات كما في قوله جل وعلا : ﴿ تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾ فالقرآن هو الكتاب ولكن الواو دلت على

تغاير الصفة فهو كتاب وهو قرآن فقوله جل وعلا هنا : ﴿ **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله** ﴾ كما قال الشيخ : فرق بين النوعين ودلت الواو على تغاير ذات الإله عن ذات الولد باعتبار اعتقاد المشركين وعلى تغاير صفة الإله عن صفة الولد وهذا هو الواقع في اعتقادهم فإنهم إذا توجهوا للولد فإنهم إنما يتوجهون إلى الله كما يقول النصارى أب وابن وروح القدس إله واحد يجعلون الإله الواحد له ثلاث أقانين أو كما يقول طائفة أخري من النصارى : إنه أب وابن فيجعلونه اقنونين فقط فهذا توجه لشيء واحد باختلاف الأقانين وهذا داخل في الولادة حيث قال جل وعلا : ﴿ **ما اتخذ الله من ولد** ﴾ الشيء الثاني ﴿ **وما كان معه من إله** ﴾ فالآلهة في الواقع هذه مغايرة في الذات للولد ومغايرة في الصفات .

لا يقال إن الولد مُتخذ إله لأن قول العلماء مغايرة في الذات يصدق عليه اختلاف الجمع والمفرد والعام والخاص فإذا عطف عام على خاص فيعتبر عندهم تغاير في الذات مثل ما قال جل وعلا : ﴿ **من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدوٌ للكافرين** ﴾ فعطف جبريل وميكال على الملائكة وهذا تغاير في الذات واضح تغاير في الذوات لأن الثاني بعض الأول فالعام إذا جاء بعده خاص يعتبر تغاير في الذوات : ﴿ **إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ هذا تغاير في إيش في الصفات لأني أشوف كثير منكم وأنا أتكلم يفكر كأنه ما فهمها المقصود أن استدلال الشيخ في محله بل حجة واضحة حيث قال : ففرق بين النوعين وجعل كلاً منهما كفر مستقل وقال تعالى : ﴿ **وجعلوا لله شركاء الجن**

وخلقهم ﴾ يعني مع خلقه لهم جعلوا له شركاء الجن ﴿ وخرقوا له ﴾ وفي القراءة الأخرى ﴿ وخرّقوا له بنين وبنات بغير علم ﴾ ففرق بين كفرين ، فجعل الشرك بالجن هذا نوع وجعل خرق البنين والبنات له سبحانه نوع آخر قال : ففرق بين كفرين والدليل على هذا أيضاً أن الذين كفروا بدعاء الله إلى آخره المقصود من هذه الأدلة أن قول القائل : ما كفرت العرب ولا النصارى ولا اليهود إلى آخره إلا باعتقاد البنوة فهذا الكلام باطل وهذه الشبه مردودة على أصحابها بالأدلة التي ذكر وتوسع الشيخ رحمه الله فقال : والدليل على هذا أيضا أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلاً صالحاً لم يجعلوه ابناً لله والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك وكذلك أيضاً العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في باب حكم المرتد أن المسلم إذا زعم أن لله ولداً فهو مرتد ويفرقون بين النوعين وهذا في غاية الوضوح .

الأمة مجمعة والفقهاء والأئمة مجمعون على أن الردة ليست مخصوصة باعتقاد الولد لله جل وعلا فدل هذا على بطلان هذه الشبهة وهذا إيراد واستدلال واضح بين والحمد لله كما قال الشيخ في آخره وهذا في غاية الوضوح .

نقف عند هذا ونسأل الله جل وعلا أن يوفقني وإياكم لما يحب ويرضى وأكرر في أن الانتفاع بما نذكر يعظم عندما تعرف كتاب التوحيد وشرحه وخاصة ما ذكرناه من الأدلة وأوجه الاستدلال في شرحي على كتاب التوحيد لأن فهم كشف الشبهات مبني على فهم كتاب التوحيد لأنك إذا قلت : إيراد ما معنى العبادة ؟ ما معنى عبادة الأصنام ، الشفاعة كل هذه تفصيلها هناك وليس تفصيله في هذا الكتاب .

س :

ج : هذا مختلف فيه تأملها ، أنا نبهت في أول الأمر إلى أن هذه الشبهة التي جاءت اليوم هي تكرير لما سبق لكن باعتبار مختلف لأن المورد لهذه الشبهة عنده ما ليس عند المورد للأولى فالشيخ قد يكرر لهذا .

س :

ج : إيه هذا الذي خلاني استطرد بعض الشيء لأني لما قلت المغايرة بين الذات والصفات أشوف كثير من الأخوة حلقت عيونهم في السماء ما أدري وش .

المغايرة ، الواو تقتضي في اللغة الجمع مطلق الجمع والمغايرة وإذا قلنا مطلق الجمع فالمراد بلا ترتيب ، بلا ترتيب في الزمان ولا في المكان ولا في الفضل وتفيد أيضاً المغايرة ، والمغايرة تعني أن ما بعد الواو غير ما قبل الواو وقد يكون ما بعد الواو يعني المعطوف والمعطوف عليه ما قبل الواو قد يكون هذا وهذا من الذوات فإذن الثاني غير الأول مثل ما مثلت لكم دخل محمد وخالد ، من كان عدواً لله وملائكته ورسله كل شيء مختلف عن الثاني واضح .

الثاني التغاير في الصفات ذكرت لك أن التغاير في الذوات لا يسقط بأن يكون الأول بعض الثاني ولا أن يكون الثاني بعض الأول يعني إذا جاء عام بعد خاص معطوف بالواو فيصدق عليه أنه تغاير ذوات لأن الذات الثانية أعظم وأكثر من الذات الأولى في عطف العام على الخاص أو الأولى أكثر ذواتاً من الثانية فإذن تغاير في الذوات يعني هذا ليس هو هذا من جهة الذات والثاني تغاير في الصفات والتغاير في الصفات يكون في المعاني مثل ما ذكرت لكم : ﴿إلا الذين أمنوا

وعملوا الصالحات ﴾ الإيمان والعمل الصالح ليس ذاتاً وإنما هو معنى أليس كذلك ؟

الإيمان هل هو ذات ترى ؟ العمل الصالح ذات تُرى ؟ ليس عيناً ولا ذاتاً وإنما هو معنى .

فإذن العطف بالواو بين المعاني يدل على تغاير الصفات فتكون ، يكون الأول غير الثاني من جهة الصفة ولهذا نقول : إنه إذا قيل إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات على تعريف أهل السنة للإيمان ودخول العمل في مسماه هذا يفهم من وجهين الأول أن العمل خاص بعد عام فالإيمان عام والعمل خاص فحصل تغاير في الصفة من جهة الشمول والثاني أن الإيمان إذا قرن به العمل الصالح فيعني بالإيمان التصديق الجازم بالأشياء والعمل الصالح هو العمل فهذا يغاير ذاك بالحيثية والثاني اختيار شيخ الإسلام بن تيمية ﴿ إن الذين أمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ يعني بالإيمان الأصل اللغوي ومعناه أيضاً الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله إلى آخره يعني ما هو قصيم للإسلام ،

الإسلام العمل الظاهر

الإيمان الاعتقاد الباطن وعملوا الصالحات تغاير في الصحة إذن الأول يدل على العمل الباطن والثاني يدل على العمل الظاهر مثل قوله جل وعلا : ﴿ تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ .

بعض المعاصرين الجهلة قال هذا يدل على أن القرآن غير الكتاب لأن الواو تقتضي المغايرة فالقرآن شيء والكتاب شيء .

والقرآن هو ما لا يقبل التغيير وأما الكتاب فيقبل التغيير في مؤلف ألغة باطل معروف هذا ناتج من الجهل باللغة فقوله : ﴿ تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ وقوله : ﴿ تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾ في سورتين هذا يدل العطف بالواو على تغيير صفة الكتاب عن صفة القرآن لا على تغيير القرآن عن الكتاب والصفة التي حصل بها التغايير أن القرآن فيه صفة القراءة والكتاب فيه صفة الكتابة فإذن هذا دليل على أنه مكتوب وإنه سيقرأ حيث كان مكتوباً وهذا البحث يبحث في الأصول وأيضاً في النحو وفي كتب حروف المعاني وبحث معروف ومهم لأن فهم الاستدلال مبني عليه .

س :الآية في قوله جل وعلا : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ﴾ ما وجه المغايرة في الصفات ؟ يسأل الأخ

ج : أن الإلهية غير صفة اتخاذ الولد ﴿ وما كان معه من إله ﴾ فالاتخاذ اتخاذ الولد شيء غير كون إله معه فاتخاذ الولد من الله كما يقول أولئك : اتخذ الله عيسى ولداً واتخذ الله العزيز ولدا فإذن جعلوا عيسى ولداً ليس بدعواهم ولكن باتخاذ الله له وأما وجود الإله ﴿ وما كان معه من إله ﴾ فهذا وجود لإله حق مع الله جل وعلا فمن هذه الجهة كان غير متخذاً .

فالأولى فيها الاتخاذ والثانية فيها وجود الإله فهذا كفر وهذا كفر .

تقف عند هذا وأسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : وإن قال: ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ فقل هذا هو الحق ولكن لا يعبدون ونحن لم نذكر إلا عبادتهم مع الله وشركهم معه وإلا فالواجب عليك حبهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال ودين الله وسط بين الطرفين وهدى بين ضلالتين وحق بين باطلين فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا هذا كبير الاعتقاد هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا في أمرين أحدهما أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء وأما في الشدة فيخلصون لله كما قال تعالى : ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه * فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا ﴾ وقوله : ﴿ قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة * أغير الله تدعون إن كنتم صادقين * بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ﴾ وقوله : ﴿ وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله منه نعمة نسي ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله * قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ﴾ وقوله :

﴿ وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداهم تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً والله المستعان .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،الملك الحق المبين وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ....

أما بعد

فأسأل الله جل وعلا لي ولك العلم النافع والعمل الصالح والقلب الخاشع وأن يجعلنا ممن إذا علموا عملوا وإذا عملوا سألوا الله جل وعلا الثبات والرشد والسداد ، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين فلا حول لنا ولا قوة إلا بك .

ذكر الإمام رحمه الله تعالى مسألة جديدة يوردها المشركون ويلقنها من يلقنها من عوام المشركين ومن المتعلمين عندهم وهذه المسألة هي مسألة كرامات الأولياء فإن عُباد الأموات وعُباد غير الله جل وعلا في الأعصر المتأخرة يُروجون كرامات الأولياء ليدلوا الناس بذلك على أن هذا الولي الذي صار له من الكرامات كذا وكذا انه يستحق أن يدعى وأن يستشفع به وأن يستنصر به وأن يستعاذ به وأن يتوكل عليه إلى آخر أنواع العبادة فجعلوا حصول الكرامات ورؤية من رأى من هذه الكرامات والإقرار بذلك وأن أهل السنة يقرون بكرامات الأولياء جعلوا ذلك سلماً لدعوة الناس لعبادة غير الله جل وعلا وهذه حجة كثير ما يرددها

الخرافيون فينبغي لأهل التوحيد وللدعاة إليه أن يقفوا عند هذه الشبهة كثيراً وهذا الوقوف بينه الشيخ رحمه الله تعالى أتم بيان فقال : وإن قال ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقل هذا هو الحق ولكن لا يعبدون يعني أن قوله تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ رتب آخره على أوله فجعل الأولياء لهم كرامة وهذه الكرامة وهي أنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فالولي ولي الله جل وعلا الذي حقق الولاية بالإيمان والتقوى لا خوف عليه ولا يحزن وهذا ظاهر الآية ودل ذلك على أن هؤلاء لهم منزلة خاصة عند أهل الإيمان بل عند الله جل وعلا وهذه المنزلة إنما هي لأجل إيمانهم ولأجل تقواهم لهذا قال بعدها في وصف الأولياء : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾

ففي الآية التي ساقها الشيخ ذكر الأولياء وذكر أنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهذه يحتج بها كل من يعبد غير الله جل وعلا ويحتجون بها على أن الولي له ما ليس لغيره فماذا يصنع الموحد لجواب هذه الشبهة قد ينساق إلى أن يقول : إن هذا الذي تقول إنه ولي ليس بولي أصلاً وهذا يجعل الموحد في زاوية ضيقة ويحرج نفسه كثيراً لأنه يخرج عن ميدان الحجة إلى ميدان الحجة فيه متوهمة فميدان الحجة أن الولي يعبد ولا يُعبد وهو من جهة غيرته يخطئ ويقول : هذا أصلاً ليس بولي فمثلاً لو ناقش أحداً عن عبادة البدوي وما يحصل عند قبره من الاستغاثة بغير الله ومن النذور ، من النذور للبدوي ومن الاستعانة به ومن طلب كشفه للضر وأشباه ذلك ، لو جاء وناقش من يقول : هذا ولي والله جل وعلا يقول : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

قد يبتدأ بعض أهل التوحيد فيقول : من قال لك أن هذا ولي فتنصرف الحجة إلى مسألة يصعب معها الإثبات أو النفي فيكون ذاك يستدل بما يورده أصحاب الكرامات أنه كان له كذا وكذا ونذهب عن أصل المسألة وهي أنه لا يعبد سواء كان ولياً أو غير ولي إلى هل هو ولي أم لا ؟ .

وبعض الموحدين في بعض الأقطار الإسلامية يسلكون هذه الطريقة وهي غلط وليست على طريقة أهل العلم وأئمة الدعوة رحمهم الله وليس كذلك أيضاً ما جاء في القرآن من تقرير التوحيد ومناقشة المشركين في آلهتهم فإن الذي في القرآن أن الإلهية التي عُبدت أنها لا تستحق العبادة ، قال الله جل وعلا : ﴿ أفرءيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ .. إلى آخره .

بين أنه لا تستحق العبادة وكذلك فيما هو غير ذلك من عبادة من يُعبد بين أنه لا يستحق العبادة أما الكلام في ذاته وأحواله فهذا ليس من الدعوة الحقة بل يترك هذا لأن الغرض هو تقرير التوحيد فإذا قال لك هو ولي من أولياء الله فلو كان عندك ليس بولي بل نقل عنه العلماء ونقل في التراجم انه كان يترك الصلاة وأنه كان يقول كلمات كفرية أو لم يكن صالحاً أو كان كافراً أو إلى آخره فلا تذهب إلى هذا لأن مصير هذا الرجل عند الله جل وعلا ولكن اذهب على الحق المطلق وهو أن الولي يعبد ولا يُعبد وأن الكرامات التي أعطيها الولي له وليست لغيره وهذا هو الذي بينه الإمام رحمه الله هنا .

فقال فقل هذا هو الحق يعني أن الأولياء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولكن لا يُعبدون يعنى أن الأولياء في الآية أنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأنهم الذين آمنوا وكانوا يتقون وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لم يذكر أنهم

يعبدون بل في آيات أخر بين أن من أتخذ ولياً من دون الله فقد ضل وخسر خسراناً مبيناً كما قال جل وعلا ﴿ **قل افتخذت من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً** ﴾ وكقوله جل وعلا ﴿ **ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً** ﴾ يعنى أن المراد ليس هو إلى كونه ولاياً أو غير ولى . المراد أن العبادة لله جل وعلا وحده قال سبحانه ﴿ **قل أفتخذتم من دونه أولياء** ﴾ فهذه الآية قد تنفع أهل التوحيد في الاحتجاج على أهل الشرك في أن الله جل وعلا ذكر أن الأولياء لا يتخذون من دونه ﴿ **قل أفتخذتم من دونه أولياء** ﴾ يعنى فيقول من دونه في العبادة ، في العبادة أولياء فجعلتم الأولياء معبودين وهذا وإن كان ليس هو من تفسيرها الصحيح ولكنها حجة في رد الاحتجاج بلفظ الأولياء على العبادة والإ فمن المعلوم أن قوله تعالى ﴿ **قل أفتخذتم من دونه أولياء** ﴾ لا يقصد به فلان الولي وإنما يقصد به الولاية يعنى النصرة والمودة وأشباه ذلك لكن هذه الآية وأشباهها في القرآن يحتج بها على إبطال التعلق بلفظ الأولياء والشيخ رحمه الله هنا قال فقل هذا هو الحق ولكن لا يعبدون يعنى أن الآية دلت على هؤلاء الأولياء لهم الكرامة لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكن ليست الآية أنهم يعبدون ولا أنهم يستغاث بهم ولا أنهم يدعون من دون الله جل وعلا .

قال بعد ذلك : ونحن لم نذكر إلا عبادتهم مع الله وشركهم معه جل وعلا يعنى أننا لم نتكلم معك إن هذا ليس بولي وليس بصالح وليس له كرمات . بل له كرمات وهو ولي وهو كذا ،وكذا لكن ليس معبوداً مع الله جل وعلا ونحن لم نناقشك في شأنه بل شأنه وكرامته إن حصلت له . والأمر غيبي فهو عند الله جل

وعلا ولا يدرى بماذا ختم له لكن إن كان مات على الولاية فهو عند الله جل وعلا مقام الأولياء ونحن لم نتكلم معك في شأن ولايته هل هو ولي أو ليس بولي ؟ إنما الكلام في أنه هل يستحق أن يعبد ؟ هل هو يشرك به مع الله في هذه الأفعال التي تفعلونها أم لا ؟ فهذا يجعل الموحد منصفاً ويجعله صاحب برهان جيد وواضح ويجعله أيضاً حازماً لئلا يجره الخصم إلى ميدان معركة يصرفه فيها عن الحق .

مثل مرة . أتاني بعض الأخوة وقال هناك رجل من بعض البلاد الأفريقية يريد أن يبحث بعض الأمور وأنا ذكرت له أن يأتيك فجاءني وذكرت له بعض المسائل في التوحيد .تعريف التوحيد والعبادة وكلام أهل العلم في الشرك إلى آخره بكلام مطول فقال الذي كره الذين يدعون إلى التوحيد في بلادنا كرههم كره الناس فيهم هو أنهم ينشرون في الناس أن هؤلاء الذين يتعلقون بهم أنهم ليسوا بصالحين وليسوا بأولياء بل هؤلاء الأموات منهم المشرك ومنهم الكافر ومنهم الذي كان يفعل كذا ويفعل الموبقات فينشرون أشياء عنهم لا يمكن أن تقبل حمية لهم ولهؤلاء الأولياء لا تقبل أن يتكلم أحداً فيهم فأخذتنا الحمية لهم عن سماع ما عند هؤلاء من الكلام في التوحيد . وهذه في الحقيقة أفادت كثيراً مع أنها واضحة في كشف الشبهات لكن أفادت من حيث التطبيق فإن الذي ينبغي على طالب العلم أن يكون صبوراً في دعوته وأن لا يستجره الخصوم إلى ميدان ليس هو ميدان الدعوة بل يركز على الأصل الذي دعا الناس إليه أما الكلام في فلان وهل هذا كان ولياً أم ليس بولي صالح أو ليس بصالح ليس الكلام في هذا أولياء الله جل وعلا عندنا لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولهم الكرمات لكن الكلام أنه هل يجعل الولي معبوداً مع الله هل يدعى الولي هل يستغاث بالولي هل يذبح للولي

وإلا فلا شك أن الولي له المقام عند الله جل وعلا إذا ختم له بخير وهذا يجعل الموحد يحتج بحجة واضحة ولا ينساق بعاطفته إلى إثبات شيء أو إبطاله لا صله له بمحض الحق أو ربما يكون هذا متأخراً من حيث الاحتجاج .

قال : فقل هذا الحق ولكن لا يعبدون ونحن لم نذكر إلا عبادهم مع الله وشركهم معه .

وهنا لو قال : كيف أشرك بهم هل عبدوا ؟ لم يعبدوا ؟ ترجع إلى المسائل التي مرت في الدرس الماضي بتفصيلاتها . قال : وإلا فالواجب عليك حبهم وإتباعهم والإقرار بكرماتهم فالواجب علينا جميعاً حب أولياء الله جل وعلا إجمالاً وتفصيلاً فيمن علمنا أنه من أهل الإيمان والتقوى واتباعهم على ما هم عليه من العمل ولأنهم لم يكونوا أولياء إلا باتباع محمد عليه الصلاة والسلام ولهذا نتبعهم فيما به صاروا أولياء فنحب نبينا عليه الصلاة والسلام ونتبع سنته ونحكم ما جاء فيها على مرادات القلب وعلى الظاهر وعلى المقامات والأحوال التي تعرض والإقرار بكراماتهم يعني الواجب أن نقر بكرمات الأولياء لأنه لا يجحد كرمات الأولياء إلا أهل البدع والضلال .

وذكرنا لك في الكلام على الواسطة معنى كرمات الأولياء ومن هو الولي وما شروط الولاية ومذهب أهل السنة في كرامات الأولياء والمذاهب في ذلك فيراجع في ذلك الموضع وقول الشيخ رحمه الله (ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال يعني به الخوارج والمعتزلة فإنهم الذين ينكرون كرامات الأولياء كما سبق

قال : (ودين الله وسط بين طرفين) هذا بعامة دين الله وسط بين الغالي والجافي . الإسلام وسط ما بين غلو النصارى وجفاء اليهود وأهل السنة وسط ما بين

الفرق ما بين الخوارج والمرجئة وما بين الجسمة والمعاطلة وما بين الطوائف المختلفة في هذا الباب في الإيمان بأسماء الله جل وعلا وصفاته وفي الأسماء والأحكام وفي الصحابة وفي أمهات المؤمنين وفي الفتن .... إلى آخره . أهل السنة أيضاً وسط لأن دين الله جل وعلا وسط .

قال : (وهدى بين ضلالتين وحق بين باطلين أشار بذلك إلى أن مسألة الأولياء منهم من غلا فيها فجعل الوالي ينازع الله في الألوهية أو له نصيب في الألوهية كقول غلاة الصوفية والباطنية وطوائف جعلوا الولي له شيء من خصائص الألوهية بل جعلوا الولي يغوض إليه شيء من الربوبية والعياذ بالله فهذا في الجهة الغالية والجهة الجافة كالخوارج والمعتزلة الذين أنكروا كرمات الأولياء وذكرنا لكم أنهم أنكروا كرمات الأولياء حتى لا تشتبه حجج الأنبياء والآيات والبراهين والمعجزات التي أعطيها الأنبياء بكرمات الأولياء فنحن أعنى أهل السنة يقرون بأن الأولياء لهم كرمات وأنهم مكرمون عند الله وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة كما أخبر الله جل وعلا بذلك عنهم لكن لا نغلوا في ذلك فنجعل لهم صفات ليست في البشر ولا نجفو عنهم وننكر كرماتهم بل نحن وسط بين الجافين والغاليين فهم يعبدون ولا يعبدون ويرزقون ولا يرزقون ويدعونه جل وعلا رغباً ورهباً .

وكانوا له جل وعلا خاشعين ويدعون الناس إلى محبته جل وعلا وإلى توحيده وإلى نصرته كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عن نفسه أن أصحابه وقعوا مرة في دمشق ومرة في خارجها في شدة فظهر لهم الشيطان في صورة شيخ الإسلام ابن تيمية وقال أتحتاجون شيء أأنصركم فمنهم من طلب منه فلما ذكروا ذلك لشيخ الإسلام ظن بعضهم أنه كان في دمشق وأنه جاءهم فقال : لا أنا لم أبرح مكاني

وهذا شيطان عرض لكم ليوقعكم في الشرك وإذا تأملت إلى سيرة الأولياء والصالحين من الصحابة ومن بعدهم ومن آل البيت وجدهم جميعاً ينكرون الشرك بالله جل وعلا ويأمرون أتباعهم بالإخلاص إخلاص الدين لله واتباع السنة وعدم مخالفة الكتاب والسنة والرغب فيما عند الله وحده . وألا يعظم البشر كتعظيم الله جل وعلا التعظيم الذي لا يجوز له إلى آخر ذلك فمن جمع كلام الأولياء في التوحيد وجد أنهم أقاموا الحجة على من اقتدى بهم أو من اتبعهم ومعلوم أن الفرق الصوفية والطرق المختلفة بنت كل طريقة على أقوال شيخ لها اعتقدوه ولياً فاخذوا كلامه .

فيناسب الموحد في البلد الذي يكون فيها طائفة من هذه الطوائف الصوفية أو الطريقة أن يجمع كلمات هذا في مؤلف وينشرها بينهم لتكون حجة على من أخذ بطريقة هذا الشيخ .

فمثلاً في البلاد التي فيها عبد القادر الجيلاني . عبد القادر له كتب طيبة الغنيه وغيرها والفتوحات كتب فيها التوحيد وفيها الأمر بعبادة الله وحده فلو استخرجت لكان في ذلك حجة على أقوامهم .

شيخ الإسلام ابن تيمية هو الذي لفت النظر إلى هذه الطريقة حيث كتب الرسالة السنية المعروفة المسماة بالوصية الكبرى لأتباع على بن مسافر وعلى بن مسافر يغلو أصحابه فيه فطائفته يقال لهم العدوية في الشام وكذلك نقل عن أحمد الرفاعى كلمات في الأمر بالسنة والنهى عن البدع والنهى عن الشرك فيحسن أن تكون طريقة الداعية في البلد أن يجمع كلام هؤلاء الأولياء إذا كانوا بحق أولياء ويقول للناس هذا كلام الأولياء في التوحيد فهذا فيه حجة في هذا المسألة ويعطى

الحقيقة المخالف أننا نحب أولياء الله بعامة وأننا نتولاهم ولا نرد كل ما يقولون وإنما نرد ما خالفوا فيه الحق فقط .

قال : (فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن وقاتل لرسول الله ﷺ الناس عليه .

قوله : هذا الذي يسميه المشركون في زماننا هذا الاعتقاد الكبير أو كبير الاعتقاد .

يعنى اعتقاد الناس في الأولياء ومالهم من الكرمات فإن الاعتقاد قسمان عند الضلال عند الخرافيين .

١ ــ الاعتقاد العام : وهو الاعتقاد في الله جل وعلا العقيدة المعروفة كل بحسب مذهبه الأشعرى على أشعريته والماتريدى على ما تريديته بحسب البلد الذي هو فيها . وهناك شيء يتفقون عليه وهو الاعتقاد الكبير أو كبير الاعتقاد وهو الاعتقاد في الموتى وفي تصرف أرواحهم وأن أرواحهم لها من التصرف والجولان في الملكوت ما يمكنها أن تسمع نداء من يناديها وأن تجيب طلب من يطلب منها وأن لها التصرف في الكون وأنها تطلب من الله وأن الله جل وعلا لا يرد لها طلباً إلى آخره ويدخلون هذا في الحديث عن الأولياء بل يجعلون كرامان الأولياء منشأ هذا الاعتقاد فيذكرون الكرامات الكرامات ثم يبعثون هذا الاعتقاد وكان هذا موجود في نجد وهناك كتب أو رسائل مؤلفة في هذا في ذلك الزمان .

قال : (إذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد أو كبير الاعتقاد هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه فأعلم أن شرك الأولين أحق من شرك أهل زماننا بأمرين .

الأول : التفريق ما بين حال المشركين في هذا الزمان وفي زمان العرب الأول بأن أولئك يشركون إلا في السراء وأما إذا جاءت الشدة والكرب يعلمون أنه لا منجى إلا الله ويخافون أن يفوت الوقت عليهم باتخاذ الواسطة فيقولون هذا متى يصل إليه ومتى يرفع وهل سيرفع الآن أم لا يرفع الآن حاجاتهم فيجعلون التشفع في وقت السعة والإخلاص في وقت الضيق كما أخبر الله جل وعلا عنهم بقوله ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ﴾ آية لقمان والآية الأخرى في العنكبوت . ﴿فلما نجاهم إلى البر إذا هم مشركون ﴾ قال جل وعلا أيضاً الآيات التي ساقها الشيخ ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعوا إلا أياه * فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا ﴾ .

وهذه المسألة مبينة على التفصيل في شرحنا للقواعد الأربع فهذه هي القاعدة الرابعة والأخيرة في القواعد الأربع .

أهل هذا الزمان من المشركين عندهم أن الإشراك يكون في السراء والضراء على السواء بل ربما عظم الرغب في وقت ، في وقت الضر فكانوا مثلاُ يعتقدون حتى في الكتب مثل ما ذكر في بعض التراجم أن أهل بلد سموها كانوا لا يرحلون في البحر إلا وقد وضعوا نسخة من كتاب الشفاء للقاضي عياض المغربي المشهور في السفينة فهو ليس اعتقاد في شخص ولكن هو في الكتاب لما اشتمل عليه الكتاب من حقوق النبي عليه الصلاة والسلام وهذه تراجع في شرح القواعد الأربع .

قال في أخرها ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً والله المستعان .

صحيح فإن كثيرين من عارضوا الدعوة استغربوا من الشيخ أن يقول شرك هؤلاء أعظم من شرك الأولين قالوا ما اكتفيت أن جعلتنا مساويين لأهل الجاهلية في

الشرك حتى تجعل شرك أهل الإسلام أعظم من شرك الجاهلية فقال أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً وفي قوله الشيخ أين من يفهم قلبه فيه إشارة للمذهب الحق وهو أن الفهم والإدراك وأشباه ذلك مردها إلى القلب وليس إلى الذهن أو المخ أو العقل أو أشباه ذلك يعني اللي هو الدماغ ولكن العقل إدراكه من جهة القلب لقول النبي ﷺ (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) والقلب ليس محل إدراك لأنه مضغة ولكن لأنه المكان الذي فيه أصل انتشار الروح في البدن تعلق الروح بالبدن ومعلوم أن الإدراكات تبع للروح فالروح هي المدركة ووسيلة الإدراك الآلات التي في البدن فكما أن اليد وسيلة تناول الشيء والمحرك الروح فكذلك المحرك الروح للإنسان بالكلام الطيب أو بالكلام الخبيث المحرك الروح في التصرفات والبدن أعضائه هذه وسائل لتنفيذ ما قام في النفس لهذا المدرك في الحقيقة ليس هو البدن إنما المدرك الروح والبدن وسيلة ، البدن آلات العينان آلة واللسان آلة والشم آلة والمخ والدماغ آلة والقلب آلة إلى آخره آلة لتحصيل المعارف للروح وهذه المسألة طويلة معروفة .

قال الشيخ رحمه الله هنا : ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً لا شك أن من فهم هذه المسألة فهماً راسخاً علم أن الذي قال هذا الشيخ حق وأن شرك هذا الزمان اعظم من شرك الأولين لكن أين من يفهم ؟ .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : والأمر الثاني أن الأولين يدعون مع الله أُناسُ مقربين عند الله إما أنبياء أو أولياء وإما ملائكة أو يدعون أشجاراً وأحجاراً مطيعة لله ليست عاصية وأهل زماننا يدعون مع الله أُناسُ من أفسق الناس والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك والذي

يعتقد في الصالح والذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد في من يشاهد فسقه وفساده ويشهد به .

هذه المسألة لأهل التوحيد وليست للجواب على أهل الشبهات بل هذه ليفهمها أهل التوحيد فهماً راسخاً وهي أن الأولين يدعون مع الله أُناسُ مقربين أو يدعون أشياء مطيعة لله جل وعلا إما يدعون أنبياء مثل ما كان يُدعى موسى ويُدعى عيسى وتدعى أنبياء بني إسرائيل ويدعى إبراهيم عليه السلام أو أولياء من الصالحين كاللات وغيره وإما الملائكة ويدعون أشجاراً وأحجاراً مطيعة لله ليست بعاصية يدعون أشياء مسبحة لله مطيعة لم تخرج عن توحيده وطاعته وأما أهل الزمان هذا فيدعون مع الله أُناساً من أفسق الناس فمثلاً قوله : من أفسق الناس قد يكون من جهة أنه عُرف عنه في حياته الفسق والفجور بدعوى أنه سقطت عنه التكاليف أو بكونه كان مجنوناً وكان يفعل الأشياء بجنونه يفعل الأشياء من الفسق والمنكرات والكبائر لجنونه أو لكونه محاداً معانداً فاسقاً فاجراً أو كافراً في نفس الأمر هذا نوع والنوع الثاني :

قد يدعون أشياء في محلات يكون تكون الدعاء منصب على نصراني أو يكون الدعاء منصباً على حيوان أو يكون الدعاء منصباً على يهودي أو نحو ذلك وهذه المسائل تختلف باختلاف التحقيق فيها يعني أن يقال هذا الذي يُدعى ليس بصالح بل هو نقل عنه أنه قال لأتباعه كذا وكذا أمر أو ذكر عن نفسه أنه سقطت عنه التكاليف كان يعاشر المردان أو النساء وكذا من الفواحش كان يشرب الخمر كان لا يصلي كان يسرق كان يحتال إلى آخر ذلك فهؤلاء لا شك أنهم ليسوا بأولياء وليسوا بصالحين بل هم فسقة فجار وقد يكونون كفار اً .

صنف من هؤلاء يُدعى الآن ويُسأل وهذا عند التحقيق إذا جمعت الكلام وجدت هذا الكلام صحيحاً المعارضون أو الخرافيون ينقسمون تجاه هذا الكلام إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من يقول هذا الذي تقولون عنه ليس صحيح أصلاً الذي ينقل عن عبد الوهاب الشعراني أنه قال كذا وكذا يقولون هذا مدسوس على كتبه ليس من كتبه أصلاً .

والصنف الثاني من المتأولين من يقول هذا الكلام لأهله فيه تأويل فإن اصطلاحات الصوفية تختلف عن اصطلاحات غيرهم فقد يقولون العبارات التي فيها كفر وليسوا يعنون ظاهرها إنما يعنون معاني باطنة أخري يفهمها القوم مثل ما أعتذر عن ابن عربي بأنه كذا وكذا أراد مقاصد طيبة ولكن فُهم كلامه على ظاهره وهو لم يُرد الظاهر ومثل ما ينقل عن العفيف التلمساني وابن سبعين وأشباه هؤلاء .

والطائفة الثالثة : من تقول هؤلاء سقطت عنهم التكاليف أصلاً والتكليف يراد منه أن يصفو الباطن ويغنى عن شهود السوى يغنى عن شهود غير الله جل وعلا فإذا وصل إلى هذه المرتبة فلم ير إلا الله جل وعلا ولم يتجه إلا إلى الله جل وعلا فإن التكاليف ، الصلاة وتحريم الفواحش إنما هي لإصلاح نفسه ونفسه قد بلغت المرتبة العليا فليس لإصلاحها مجال وهذا قول الغلاة منهم فيقول لا بأس لو فعل هذه الأفعال هو أصلاً وصل وسقطت عنه التكاليف وهؤلاء الطوائف الثلاثة موجود حتى في المؤلفات من يتجه إلى فئة من هذه الفئات الثلاث .

هناك من المدفونين من الموتى من يُتجه إليه على أن المدفون فلان الولي ويكون المدفون غيره مثل ما ذكر شيخ الإسلام عن قبر الحسين بن علي ﷺ في القاهرة فقد حقق والعلماء كذلك حققوا والمؤرخون أنه لم يصل القاهرة وإنما سيق من

العراق إلى دمشق إلى يزيد بن معاوية رحمه الله تعالى ودفن هناك والآن تجد قبر للحسين في العراق ومشهد عظيم وفي الشام وفي القاهرة قال إن المدفون في القاهرة رجل يهودي في المكان هذا وقالت طائفة أن المدفون حيوان أصلاً في هذا المكان فإذن هم اعتقدوا في شيء ليس له حق اعتقدوا في يهود اعتقدوا في حيوانات وهذا الصنف لم يكن يحوم حوله ذهن أو قلب أهل الجاهلية أصلاً ولهذا صار هؤلاء أعظم وأقبح .

هناك عمود كان في دمشق يذهب إليه بالحيوانات أو بأنواع من الحيوانات مثل البقر والجاموس أو الأغنام أو الإبل أو أشباه ذلك التي لم تلد يعني طالت ولادتها أو صار فيها مرض أو أشباه ذلك فيوطوفونها على هذا العمود فتلقي ما في بطنها فوراً فيظنون أن هذا من بركة ما تحت العمود ويقولون هذا العمود كان يتعبد عنده رجل صالح وكان شيخ الإسلام رحمه الله بيّن ذلك قال هذا العمود دفن تحته رجل نصراني وساق الأدلة على ذلك والحيوانات تسمع تعذيب النصراني في قبره فلذلك إذا سمعت العذاب لم تتحمل فاستطلق بطنها لأنه قد جاء في الحديث أنه إذا تولى عن أهله طرق بمطرقة يسمعها من يليه إلا الثقلان فالجن والإنس لا يسمعون العذاب لأنهم مكلفون ولو سمعوا لهلكوا ولرعبوا ولا ما استقامت لهم الحياة أما الحيوانات فربما وصلها من ذلك شيء وربما سمعت فكان تعلقهم ليس بولي وليس بنبي وإنما بمكان تحته رجل نصراني وأشباه ذلك وهذه الأشياء لم يكن عليها شرك الأولين فالأولون لم يسألوا رجلاً يعني ما اتخذوا لعمرو بن لحي المشرك الذي أول من سيب السوائب وساق الآلهة ما اتخذوا له قبراً يعبدونه ولا سألوه إلى آخر أصناف عظمائهم المشركين لكن أهل الأزمنة المتأخرة اعتقدوا في أنواع من الناس من فسقة هذه الأمة أو ممن ارتد أو من النصارى أو من اليهود

لهذا قال الشيخ رحمه الله هنا : والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور وفي النسخة التي عندي هم الذين يحلون لهم الفجور .

يحكون عنهم الفجور هذا الذي أعرفه لكن هذه يحلون لهم يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب أو الحجر أهون في من يعتقد في من يشاهد فسقه وفساده ويشهد به ولا شك يراه يزني ويعتقد أنه ولي من أولياء الله يراه لا يصلي ويعتقد أنه من أولياء الله هذا لاشك أنه ضلال فوق الضلال ويسأله ويدعوه ويرى أنه يستشفع به لا شك أن هذا أعظم وأبشع مما يُذكر عن أهل الجاهلية .

نقف عند هذا لأن التي بعدها يدخل فيها شبهة جديدة والمطلوب من كل طالب علم بعد معرفته لدلائل التوحيد والحجج أن يمرن نفسه على جواب الشبه بعد إحكام الأصل الأخوة الذين لم يحكموا كتاب التوحيد و لم يحكموا ثلاثة الأصول ودخلوا في كشف الشبهات مباشرة وما ضبطوا تلك الكتب فلا يحسن أن يجيبوا عن الشبه إلا بعد أن يحكموا الأصول ، لأن هذه فرع عن تلك من أحكم تلك يدرب نفسه على جواب هذه الشبه على طريقة الشيخ رحمه الله يتأنى يكون حليماً يعرف موقع الاحتجاج يعرف كيف يجر المخالف إلى الحجة الصحيحة يعرف كيف يخلي القلب ، قلب المخالف من الحجة ثم يبتدئ يعطيه الحق ... إلى آخر ذلك .

فتحتاج إلى دربه والملاحظ أن كثيرين يغضبون وهم محمود غضبهم لله جل وعلا لكن يكون جوابهم للشبهات ليس على أصوله فيوقعون المجادل في شبهة جديدة بل قد يقتنع أن ما عليه حق لأن هذا ما استطاع أن يجيب بجواب جيد فالواجب على طالب العلم أن يكون متأنياً في جواب الشبهات حاذقاً يعرف كيف يسوق

المجادل أو يسوق الخصم إلى ميدان الحجة دون أن يلزمه شيء وفي كشف الشبهات ..

أهل الشرك فيقيده حتى نجمعه في الآخر يكون كالمقدمة أو الخاتمة لهذا الكتاب ذكرنا أنا أذكر ذكرنا أربع أو خمس فيما مضى وهذه الآن واحدة جديدة يمكن لعل أحدكم تنهض همته فيجمع هذه الأصول العامة في كيفية المناقشة يعني كيف يجمع الموحد نفسيته ليواجه الخصوم ، نكتفي بهذا القدر ، فيه من الأسئلة .

س : يقول ذكرت في الدرس السابق في تفسير قوله تعالى : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ الآية في آخر سورة الزخرف بأن العبادة ستكون للولد إرضاء لله سبحانه وتعالى فبهذا التفسير يكون حجة للنصارى ؟

ج : هذا ظاهر الآية يحتجون أو لا يحتجون هذا ظاهر الآية : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ يعني لو كان للرحمن ولد فأنا سأعبده إرضاء له تعالى لأنه الذي أمرنا بعبادته وهذا هو تفسير الجمهور والتفسير الثاني للآية أن معنى العابدين الرافضين يعني إن كان للرحمن ولد فأنا أول من يرفض هذه العبادة وهذا التفسير ساقه ابن جرير وابن كثير عن طائفة من المفسرين لكن قالوا هذا الوجه ضعيف لأن هذه اللغة لا يحمل عليها الكلام وإن كانت موجودة في لغة العرب لكن لا يحمل لمخالفتها لتفسير جمهور الصحابة ومن بعدهم .

بالعكس قد يكون في هذا حجة على النصارى إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين هل له ولد ؟ لا ، القرآن كله فيه نفي أن يكون لله سبحانه وتعالى ولد :

﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ﴾ ، ﴿ قل أرأيتكم ﴾ الآية في سورة الأنعام :

﴿ قل أرأيتكم عن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة ﴾ ﴿ قل أفتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً * قل هل يستوي الأعمى والبصير ﴾

س : يقول : ذكر في الأربعين النووية أن العقل في القلب وقد أُشكلت عليّ فما هي ولو باختصار ؟

ج : العقل إدراك ليس جرماً العقل إدراك عقل الشيء أي أحاط به فأدركه هذا العقل من الذي يعقل الذي يعقل أيش ؟ البدن واللا الروح الذي يعقل الروح البدن وسيلة ، وسيلة لتحصيل معارف الروح مثل ما ذكرنا ، الروح منتشرة في البدن أصلها مركزها هي منتشرة لكن مركزها والله اعلم بكيفية ذلك مركز الإدراك في الموقع الذي فيه القلب ولهذا قال : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله) والأصوليون يبحثون هذا ويطيلون فيه هل العقل في الرأس أم في القلب والصحيح أنه في القلب لأن ظاهر الآيات هكذا

س : كلهم يسألون عن نفس المسألة هل يفهم أن الروح موجودة في القلب ؟

ج : لا الروح ليست في القلب الروح على هيئة البدن الروح منتشرة مثل البدن .بمعنى لو فصلت الروح عن البدن لصارت نفس الصورة لكنها صورة جسمانية لأن الميت يُرى في المنام يرى الرائي النبي ﷺ في المنام فقال عليه الصلاة والسلام (من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي) ومعلوم أن رؤية النبي ﷺ في المنام على صورته التي كان عليها رؤية لروحه لأن البدن مدفون عليه الصلاة

والسلام رؤية النبي ﷺ للأنبياء في السماء رأى موسى ورأى عيسى ورأى آدم رأى ايش ؟

رأى أرواحهم لهذا صورة الإنسان الجسمانية في البدن وغير الجسمانية في الروح الروح منتشرة لها أيضاً موقع أصل مثل ما يكون القلب هو الأصل بالنسبة للبدن يعنى من حيث ضخ الدم وحركة البدن كذلك من جهة الادراكات ومن جهة تعلقات الأشياء بالروح فموقعها في هذا الأصل هذا ظاهر ما دلت عليه النصوص ويُجمع على هذا النحو وليس هذا من الخوض في الروح المنهي عنه في قوله تعالى :

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أُوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ لأن البحث في الروح الذي يكون نتيجة للتفقه في الكتاب والسنة هذا مطلوب ولكن إذا كان عن ظن وعقل وتجارب وأشباه ذلك بلا برهان شرعي فهذا هو المذموم

س : هل يكون المقصود من الكلام الثاني خاص لأهل التوحيد ؟

ج : نعم أنا ذكرت أن الثاني أن منهم من الذين يُعبدون ويدعون أولياء أن منهم من لا يصلي ومنهم من يأمر بالفسق ويحكى عنه الزنا وشرب الخمر إلى آخره هذه لإيقان الموحد لكن ما تدخل معه في النقاش يعني إذا قلت له هذه الأشياء جادلك فيهم وهيهات كيف تثبت ؟ لا سبيل إلى الإثبات يعني لكل مجادلة .

س : يقول : لو قام دعاة إلى التوحيد فقالوا لعباد القبور : نعم نوافقكم أن هؤلاء أولياء فإنه يكون هناك تناقض بين الدعاة الذين قالوا : أنهم ليسوا بأولياء فيشك المدعوون في هذه الدعوة ؟

ج : الداعي لابد أن يكون حكيماً قد يكون المناسب أن يسكت يقول ليس الكلام فيه إذا كانوا أولياء فمقامهم عند الله يعني يعلقها ، يعلقها بالشرط إذا كان

يرى مصلحة وإذا كان هذا المدفون ولياً من أولياء الله يقر ولايته لو قال الحسين بن علي نعم أهل البيت الذين لم يعرف عنهم شيء من الفسق إلى آخره يقول نعم هم أولياء لا مانع من هذا ولو صار فيه تعارض بينه وبين غيره الحق أحق أن يتبع .

سؤال ما فهمت ما هو المقصود لكن يقول كتب أهل العلم الراسخين أليس فيها بركة ويؤجر حاملها ويتوسل مقتنيها بطلبه لعلمها الشرعي لأن ذلك مما يتقرب به إلى الله بذلك الجواب : نعم لا شك كتب أهل العلم الراسخين فيها بركة ويؤجر حاملها بنية طلب العلم ويتوسل مقتنيها بطلبه لعلمها الشرعي هذا ما له علاقة بوجود الكتاب في السفينة ولا وجود الكتاب في السيارة فجعل الكتاب في السيارة توسلاً به هذا من التبرك الباطل حتى المصحف ما يُجعل يُتخذ تميمة على الصحيح مثل ما ذكرنا لا يجوز اتخاذ كتاب آخر تميمة يرجوا نفعه ويرجوا دفع الضر هذا من الشرك نوع من أنواع اتخاذ التمائم التوسل بطلب العلم بعملك أنت أما بالكتاب فهو شرك .

س : يقول أستشيرك في حضور هذا الدرس وهو أني لم أسمع شرح كتاب التوحيد والقواعد الأربعة هل أستمر ؟

ج : الذي ينبغي أن لا تستمر فتنظر تحضر درس آخر أو دروس أُخر يكون فيها بداية لطالب العلم بداية صحيحة .

يقول ذُكر في كتاب نُزل الأبرار أن الحامل إذا اشتد عليها الحمل يوضع على بطنها موطأ الإمام مالك فيخف بإذن الله وهو مجرب .

يمكن الشافعية يقولون تحط مسند الشافعي هؤلاء المالكية قالوا تحط موطأ مالك والشافعي يقول حط مسند الشافعي هذا يقال مجرب ولا أثر لذلك قد يتفق أنه

حصل مرة حصل مرتين بإذن الله فوافق هذا لكن لا يجوز الاعتقاد في الكتب بهذا الاعتقاد أن فيها بركة وتتخذ تمائم .

الكلام على الشهداء مر علينا .

يقول الذين يطوفون حول أضرحة وقبور الشهداء يقولون : الله يقول : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموت بل أحياء** ﴾ ذكرنا في أول شرح كشف الشبهات الجواب عن حالة الشهداء بتفصيل لكن من أقوى الحجج اختصاراً أن شهداء أحد الذين نزلت فيهم هذه الآية من آل عمران أجمع المسلمون في حياة النبي عليه الصلاة والسلام وهو بينهم وكذلك أجمع الصحابة في حضرة الخلفاء وأجمع من بعدهم إلى انتهاء القرون المفضلة الثلاث أجمعوا على أنه لا يؤتى الشهداء في قبورهم ليُسألوا وإنما يأتي من مر عليها دون قصد أو شد رحل فيسلم عليهم السلام المعتاد وهذا الإجماع قطعي والإجماع حجة وقد قال جل وعلا : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** ﴾ .

س : هل يجوز أن أقول أن فلان من الناس ولي جازماً وهو رجل معروف بالفضل ؟

ج : ترجوا أن يكون ولياً وعموماً هدي السلف ليس فيه أن يقال : هذا ولي وهذا ولي يرجون أن يكون فلان ولياً وتطالع هدي الصحابة والتراجم الصحابة والتابعين لا تجد هذه الأسماء هذا ولي هذا ولي إنما يذكرون فضله وصلاحه ليقتدي الناس به أما منزلته فهي عند الله جل وعلا .

س : يقول بعض الناس يشتبه ، يقول إن تقسيم التوحيد المعروف لدينا لم يكن على عصر الرسول ﷺ بل كان الرسول يأمر من أراد الإسلام بالشهادتين ولا يُقسم التوحيد بالمعروف عند الناس ؟

ما فيه شك لو كان الناس كأولئك ما احتجنا إلى تقسيم التوحيد إنما لما فشا الجهل في الناس احتاج أن تقول له : خرج محمد إن محمد فاعل أما عند الصحابة تقول خرج محمد فعل وفاعل يضحكون عليك ايش هذا ؟ فحين وقع الناس في الجهل احتجنا إلى التفصيل وإلا فمن المعلوم أن من قال : أشهد أن لا إله إلا الله فهو مقر بأنواع التوحيد الثلاثة تكفي لأنها متضمنة لتوحيد الربوبية ومطابقة في توحيد الإلهية ومستلزمة لتوحيد الأسماء والصفات أو تكون أيضاً متضمنة لتوحيد الأسماء والصفات فهذا ظاهر من كلمة لا إله إلا الله فإذا فشا الجهل في الناس فلا بأس أن يفصل لهم من العلم ما هو ثابت في الكتاب والسنة بتقسيمات ليتضح المراد مثل ما عند الصحابة شروط الصلاة كذا ، أركان الصلاة كذا واجباتها كذا كل هذه العلوم تقسيمات لأجل حاجة الناس .

س : ما صحة الحديث الذي يستدل به على دعاء غير الله إذا كنت بأرض فلاة فقل يا عباد الله احبسوا ؟

ج : هذا الحديث رُوي ومن أهل العلم من حسنه وعلى القول في تحسينه فلا حرج يعني لا إشكال فيه لأن قول الذي ضل الطريق يا عباد الله احبسوا يقصد به الملك الذي معه لا يقصد به الجن أو يقصد به مخاطبة من لا يقدر أو ما أشبه ذلك وهذا على القول بصحته وقد استعمله بعض العلماء فدلوا على الطريق فليس في الحديث مناداة الغائبين الذي يحتج به أهل الشرك وإنما هو قول يا عباد الله احبسوا تتمة الحديث فإن لله جل وعلا عبداً حاضراً سيحبسه والظاهر عند أهل العلم أن

المراد بالعبد الحاضر هو الملك الذي سيسدده لأن الإنسان معه ملائكة كما قال سبحانه : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ يعني يحفظونه بأمر الله .

س : ما معنى قول بعض السلف : أن الصمد هو الذي لا جوف له ؟ ما معنى ذلك كيف نوفق بينه وبين المعاني الأخرى ؟

ج : الصمد فسرت بتفسيرات مثل ما ذكرنا لكم آنفاً أو فيما سبق الصمد الذي يصمد إليه عند الحوائج وهذا هو أكثر التفاسير على هذا تفاسير السلف .

والصمد أيضاً في اللغة : يُقال فلان صمد ، إذا كملت خصال سؤدده وصفات فضله كمال الصفات والخصال المحمودة ويقال فلان صمد : يقال لسيد القبيلة الذي كملت صفاته هذا صمد يعني بلغ في الصفات البشرية عندهم الغاية في الكرم كذا وفي النجدة كذا وفي التواضع كذا وفي الحنكة كذا وفي الحكمة كذا وفي الرأي كذا إلى آخره

وفسرت أيضاً الصمد بأن الصمد هو الذي لا جوف له يعني الإنسان والمخلوق الذي تراه المخلوقات هذه لها جوف ولها أحشاء ولها أشياء في داخلها فالصمد هو الذي لا جوف له فهذا يخرج مشابهة المخلوقات فلا يُظن أن اتصاف الله جل وعلا باليد أن ذلك عن طريق تجويف أو اتصاف الله جل وعلا بالقدم أن ذلك عن طريق تجويف أو اتصاف الله جل وعلا بالعينين ذلك عن طريق تجويف إلى آخره فهو سبحانه وتعالى صمد قد كمل سبحانه في أسمائه وصفاته .

بعض الأسئلة طويلة يعني حبذا السؤال يكون سطر سطرين .

س : ما معنى الأقانيم ؟

ج : الأقانيم هذه عند النصارى ذكرناها عندكم .

الأقانيم : النصارى يعجزون عن تفسيرها بتفسير صحيح مثل الكسب عند الأشاعرة يعجزون عن تفسيره التفسير الصحيح ومعناها القريب أن الأقنوم الصورة أو إحدى الصور للأصل يعني أن الشيء إذا كان له ثلاث جهات يعني أشبه ما تقول شيء له بُعد ثلاثي فإذا أتيت من هنا قلت هذا هو وإذا أتيت من هنا قلت هذا هو وإذا أتيت من الجهة الثالثة قلت هذا هو فعندهم أن الله جل وعلا ثلاثة أقانيم إله واحد آب واحد يعني أب وابن وروح القدس هذا عند الكاثوليكيين أب وابن وروح القدس يُشكلون جميعاً ثلاث صور لشيء واحد وهو الله فهذا يقولون بعدها إله واحد .

وهذا كفرهم الله جل وعلا : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ ونعلم أن قول : ثالث ثلاثة من حيث اللغة يعني أنه منها وليس خارجاً عنها ففي اللغة أن الشيء إذا كان من جنس عدده أدخل فيه وإذا لم يكن من جنس عدده أخرج منه تقول مثلاً : كنت ثالث ثلاثة كنت رابع أربعة كنت خامس خمسة إذا كانوا من الإنسان الله جل وعلا قال : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ﴾ لا حظ هنا قال ثلاثة رابعهم لأنه جل وعلا مباين لهم .

أما إذا كان المعدود من جنس المعدود عليه من جنس المعدود فيدخل في العدد مثل ما قال جل وعلا في سورة المائدة : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ هم قالوا إن الله ثالث ثلاثة يعني داخل في العدد فالأب اللي هو الله والابن وروح القدس شيء واحد كلها إلهية لم تأخذ صفة الناسوتية ولهذا يكون ثالث ثلاثة بحسب تعبيرهم فهو داخل في التثليث نسأل الله العافية .

س : ما حكم الأبيات التي في نهج البردة ؟ وهل يجوز للموحدين حفظها ؟

ج : لا ما يجوز لأحد أن يحفظ الأبيات الشركية إلا أهل العلم الذين يحتاجون إذا حفظوها أن يردوا على الخصوم نعم أما لسائر الناس أو لعامة طلبة العلم فلا ، لأن هذا شرك لا يحث عليه ولا يخاطب المرء بتوحيده فيه فالأصل السلامة إلا عند الحاجة فيؤخذ الشيء بقدره .

نكتفي بهذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ...

****

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم ، فأصغ سمعك لجوابها وهي أنهم يقولون أن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟

الجواب : أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم : ﴿ ولله على

الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا * ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع وحل دمه وماله كما قال ﷻ : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقاً * واعتدنا للكافرين عذاباً مهينا ﴾ فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً زالت هذه الشبهة وهذه التي ذكرها بعض أهل الإحسان في كتابه الذي أرسله إلينا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ..

اللهم نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً وقلباً خاشعاً ودعاءً مسموعاً ربنا لا تكلنا لأنفسنا في ديننا وفي دنيانا طرفة عين اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا ، نسألك أن تجعلنا ممن أعطى شكر وإذا ابتلي صبر وإذا أذنب استغفر

أما بعد

فهذه شبهة جديدة ذكرها إمام الدعوة رحمه الله تعالى مما يورده الخصوم وهذه الشبهة شبهة العلماء لأن الذي يوردها من أهل العلم فإن الشبه التي ذكرنا فيما سبق وأن جوابها الذي ذكره الشيخ أقر بحسنه جمع كثير من أهل العلم في الأمصار كما قال إمام الدعوة رحمه الله تعالى : وقد عرضت ما عندي على علماء الأمصار فوافقوني في التوحيد وخالفوني في التكفير والقتال يعني وافقوه في معنى

العبادة وفي معنى التوحيد وفي معنى الشرك بالله جل وعلا وخالفوه في أن عباد القبور وعباد الأضرحة والأوثان والأشجار والأحجار إلى آخره خالفوا في أن هؤلاء مشركون تقام عليهم الحجة فإن استجابوا وإلا قتلوا خالفوا الشبهة وهي أن هؤلاء ليسوا كالأولين لأن الأولين الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ وبُعثت إليهم الأنبياء هؤلاء يقرون بأنهم اتخذوا آلهة مع الله جل وعلا و لم ينقادوا للرسل بل قالوا : إن هناك آلهة مع الله كما قال سبحانه مخبراً عن قولهم : ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أءنا لتاركوا آلهتنا لساحر مجنون ﴾ وكقول الله جل وعلا : ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ﴾ وكقوله جل وعلا في سورة هود : ﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴾ إلى آخر الآيات في هذا الباب التي فيها اعتقاد أولئك بأن هناك آلهة مع الله جل وعلا قال طائفة من الناس من المنتسبين للعلم إن المشركين من هذه الأمة من عباد القبور هؤلاء وقعوا في الشرك نعم ولكن هذا الشرك ليس كفراً منهم لأنهم يشهدون أن لا إله إلا الله فإذا سألت الواحد منهم هل هناك إله مع الله ؟ قال : لا

فحين يفعل ، يفعل الشيء مع عدم اعتقاد أنه تأليه لغير الله جل وعلا فخالف صنيع أولئك المتقدمين الذين اعتقدوا بإلهين بل اعتقدوا بآلهة مع الله جل وعلا كذلك قالوا هؤلاء إن وقعوا في هذه الأشياء فهي كفر عملي لا يخرج من الملة ككفر من قاتل مسلماً وكفر من أتى حائضاً وكفر من أتى امرأة في دبرها وكفر كذا وكذا مما جاء في النصوص تسميته كفراً وليس بالكفر الأكبر بل هو كفر

أصغر وأشباه ذلك وقالوا أيضاً إن هؤلاء الذين من هذه الأمة فعلوا تلك الشركيات هؤلاء لا يكذبون الرسول ﷺ ولا ينكرون البعث ولا يكذبون القرآن ويجعلونه سحراً ولا يقولون بإنكار الزكاة والصلاة أو بعدم تحريم الخمر وعدم تحريم الزنا كفعل المشركين في الزمن الأول بل هم مقرون بكل هذه التفاصيل لكنهم فعلوا ما فعلوا فهذا يعني أنه لا يخرجهم من الملة وليسوا بمشركين الشرك الأكبر وإذا تقرر هذا فإن هذه الشبهة كما ذكر الإمام رحمه الله تعالى وما أعرفه بشبهة القوم .

قال : فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم فأصغ سمعك لجوابها .

في هذه الجملة ذكر أن هذه الشبهة يوردونها على ما ذكر الأمام يعني ما ذكره في المحاجة ورد الشبهة في التوحيد في معنى التوحيد ومعنى الشرك ومعنى عبادة غير الله ومعنى الالتجاء إلى الصالحين وهل الالتجاء إلى الصالحين شرك أم لا ؟ ومعنى التوسل وأشباه ذلك وتفاصيله مما ذكر من أول الرسالة إلى هذا الموضع فإذا تبين ذلك قال لهؤلاء شبهة يوردونه على ما ذكرنا .

يعني من كل جواب الشبهة السالفة ، فإن محصلة الشبه السالفة أن يقال : أنت محق في هذا الجواب وأن هذا الذي يُفعل شرك وأن الالتجاء إلى الصالحين شرك وأن طلب الشفاعة من الأموات شرك إلى آخر ذلك وأن صرف لأي نوع من أنواع العبادة لغير الله شرك فأنت محق وهؤلاء الذين أدلوا بالشبه في استحسان هذه الأفعال مبطلون وما ذكرته صحيح في أن هذه الأشياء شرك لكن هذه الأشياء شرك ولكنها لا تخرج من الملة من صنعها من فعلها وهذا هو جواب هذه الشبهة فيما يأتي من كلام الإمام رحمه الله تعالى :

قال الشيخ رحمه الله : وهي من أعظم شبههم .

لما صارت من أعظم الشبه ؟ لأنها كما ذكرت شبهة العلماء التي يذكرونها ويروجون على العامة هذا الأمر فكثيرون من الذين ردوا على الشيخ نقلوا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وكلام ابن القيم وقالوا : أنت محق فيما تقول ، لكن كون هؤلاء يكفرون الكفر الأكبر هذا ليس بصحيح بل هؤلاء على كفر أصغر هؤلاء على شرك أصغر وليسوا بمشركين الشرك الأكبر .

هذا تقرير الشبهة على حسب ما يوردونها وهذه الشبهة أجاب الإمام رحمه الله هنا إجابة مختصرة وفي ردود أئمة الدعوة ابتداء من الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه إفادة المستفيد في كفر تارك التوحيد وكتب تلامذته وأبنائه وتلاميذهم إلى هذا الزمن ما يبين رد هذه الشبهة فإن هذه الشبهة من أعظم الشبه ، فتفصيل رد هذه الشبهة في ردود أئمة الدعوة المختلفة من وقت الشيخ محمد رحمه الله إلى زماننا هذا فيه تفصيل الرد على هذه الشبه ولا يتسع المقام لإيراد كل ما ذكروه لكن نذكر تقرير ما ذكره الإمام رحمه الله تعالى وهو أصل هذه الردود وبه كفاية .

قال : وهي أنهم يقولون : إن الذين نزل فيهم القرآن يعني من المشركين لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً ونحن يعني نفارق أولئك ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك .

وهذه لا شك أنه إذا أوتي إليها من جهة عاطفية فإنها تروج لأن الناظر نظراً عاطفياً مجرد عن الحجة والبرهان قد يروج عليه ذلك فيقول : هؤلاء يصلون

ويصومون وقد يكون بعضهم في جبهته اثر السجود وبعضهم يصوم يوماً ويفطر يوماً وبعضهم تصدق بكل ماله وبعضهم مجاهداً في سبيل الله وحارب الكفار وفعل ما فعل من أنواع الجهاد وبعضهم كذا وكذا فيذكر جملة الأعمال الصالحة التي عملها فيقول : كيف تجعله مثل أبي جهل كيف تجعله مثل أبي لهب كيف تجعله مثل فلان وفلان كيف تجعله مثل المشركين وهذه حجة عاطفية ومعلوم أن الديانة قامت على البرهان والبرهان العاطفي أو القضية العاطفية ليست برهاناً باتفاق العقلاء لأن العاطفة لها مدخل أو للهوى مدخل عليها والبراهين خارجة عن مقتضى الهوى البرهان يقام بالحجة المتفق عليها على الاحتجاج بها شرعية سمعية أو عقلية في كلام العقلاء وكلام النظار من جميع الفرق يعني في كون الحجة تمضي والحجة العاطفية ليست بحجة لأنها ناشئة عن رغبة وهوى .

فلذلك نقول هذه الشبهة ينبغي أن يتخلص صاحبها :

أولاً : من العاطفة والعاطفة لا محل لها في الدين لأنها ليست أحد الأدلة وإنما الأدلة على المسائل التي يحتج بها في هذه الشريعة الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح والعقل الصريح وأقوال الصحابة إلى آخر الأدلة المتفق عليها والمختلف فيها يعني أن الحجة ، الحجج في الشريعة ليست فيها الحجة العاطفية ، كيف نجعل مثل هذا ، هذا أمره عظيم ومنه كذا وفيه كذا فكيف يجعل على الشبه بأولئك فقال الشيخ رحمه الله مبدياً حجة علمية وإبطالاً لهذه الإيرادات العاطفية قال : فالجواب أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام .

وهذا حكاية للإجماع وهذا القدر من الحجة صحيح كما أورده الإمام رحمه الله تعالى في أن الإجماع انعقد باتفاق الأئمة الأربعة وأتباعهم وكذلك غيرهم في أنه

من أراد الدخول في الإسلام فقال : أنا أدخل مصدق بأشياء ومكذباً في أشياء أنه لا يدخل في الإسلام وإن قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فإن تصديقه ببعض الأشياء في الدين وتكذيبه ببعض آخر لا يُدخله في الإسلام أصلاً وهذا من جهة أول ما يدخل في الإسلام كذلك من دخل في الإسلام فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم كذب ببعض القرآن ولو بحرف واحد متفق عليه من القرآن فإنه لا يدخل في الملة ويخرج منها بتكذيبه لأن العلماء نصوا على أن من أنواع الردة أن يكون مكذباً أو شاكاً أو جاحداً فمن كذب بشيء ولو بحرف واحد من القرآن متفق عليه فإنه كافر ولا تنفعه صلاته ولا صيامه بالاتفاق قال : وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه آمن ببعض القرآن يعني من حيث الألفاظ وجحد بعضه يعني من المتفق عليه و لم يؤمن به بل قال هذا ليس من القرآن والأمة متفقة على أن هذا الذي جحده من القرآن يعني لفظاً فإنه يكون كافراً بالاتفاق والإجماع وكذلك من آمن ببعض أحكام القرآن المتفق عليها وجحد بعض أحكام القرآن المتفق على معناها يعني التي دلالتها قطعية فإنه يكون أيضاً كافراً خارجاً من الدين باتفاق العلماء وبالإجماع حتى من أورد هذه الشبهة فإنه لا ينكر هذا الإجماع .

مثل لهذا بقوله : كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة ، من أقر بالتوحيد موحد مؤمن بأنه لا إله إلا الله وبأن محمداً رسول الله وكثير الزكاة والصدقات ويصوم فرضاً ونفلاً ويحج بيت الله جل وعلا كل سنة لكن قال :هذه الصلاة ليست بواجبة إما مطلقاً أو ليست بواجبة عليه ، فإن هذا يُعد كفراً بالإجماع لأنه جحد معلوماً من الدين بالضرورة وبالإجماع لا يشفع له توحيده وبالإجماع لا يشفع له كثرة زكاته وصدقاته وبالإجماع لا يشفع له صيامه الفرض والنفل

وبالإجماع لا شفع له التزامه ببقية أحكام الشريعة لأنه جحد وجوب الصلاة إما مطلقاً أو عليه فإذا كان كذلك صارت هذه القاعدة التي أوردوها أو هذه الشبهة منتقضة بالإجماع إذ أنهم قالوا كيف تجعلون من جحد الرسالة من المشركين ومن لم يؤمن بالله إلهاً واحداً ومن كذب الرسول كيف تجعلونه ومن كذب بالبعث يعني لم يؤمن بالبعث كيف تجعلونه كالذي يصلي ويصوم ويفعل ويفعل من هذه الأفعال والأعمال الصالحة فنقول بالإجماع هذه منتقضة بالصلاة وكذلك منتقضة بالزكاة بالإجماع فإنه لو كان مصلياً كثير الصلاة وجحد وجوب الزكاة إما مطلقاً يعني على الناس جميعاً وإما عليه بخاصة فلم يلتزم فإنه يكون كافراً بالاتفاق فإذن يدل على أن الإيراد العاطفي الذي أورده ليس بوارد شرعاً باتفاق أهل العلم قال : أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج .

العلماء من كل مذهب من المذاهب الأربعة المتبوعة مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد رحمهم الله تعالى جميعاً وكذلك غيرهم من المذاهب المهجورة كمذهب سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وإسحاق بن راهوية وابن جرير وجماعات من أهل العلم وكذلك مذهب الظاهرية الذي ألف فيه ابن حزم وقبله داود الظاهري متفقون على أن المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يخرج من الإسلام بقول أو بفعل أو اعتقاد أو شك فذكروا أن المكفرات بالاتفاق أربعة تخرج الموحد من الدين وهي :

١ــ القول ٢ــ الفعل ٣ ــ الاعتقاد ٤ ــ الشك

وذلك لأنهم اتفقوا على أن من قال قولاً يناقض الشهادة أو يناقض أصل توحيده فإنه ، أو يناقض أمراً معلوماً من الدين بالضرورة فإنه يخرج من الدين وكذلك إذا

عمل عملاً أو اعتقد اعتقاداً يعني مكفراً يعني شركاً اعتقد في الله بأنه جسم كالأجسام أو اعتقد في الله صفة قبيحة أو شك في أمر من الأمور فإنه يكفر ولو كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إذن الأئمة متفقون على أن المسلم الذي يعمل بأركان الإسلام ويعمل بفروعه قد يكفر بعمل أو قول أو اعتقاد أو شك فإذن هذه الشبهة التي أوردوها مخالفة أيضاً لإجماع العلماء الذين ألفوا في هذا الباب وفي كل مذهب تجد باباً خاصاً بهذا وهو : باب حكم المرتد وهو الذي يكفر بعد إسلامه وفي الحقيقة قولنا عن هؤلاء يعني عباد القبور الذين نشئوا على ذلك إنهم مرتدون اصعب من أن نقول : إنهم كفار أصليون ولهذا ذهب جمع من علماء الدعوة بل الأكثر منهم ومن غيرهم أن هؤلاء الذين لم يعرفوا التوحيد أصلاً ونشئوا عليه وشبوا عليه وكانوا مشركين بالله جل وعلا و لم يعرفوا الإسلام الصحيح أنهم لم يدخلوا في الدين أصلاً حتى يقال أن أحكام المرتد تجري عليهم بل هم كفار أصليون ومعلوم أن الكافر الأصلي في أحكامه أخف من أحكام المرتد لأن لهم في ذلك تفاصيل معلومة في بابها .

نقول هنا الإجماع إذن منعقد على هذا ومن يحتج بهذا القول من أتباع مذهب مالك أو الشافعي أو أبي حنيفة أو الأمام احمد يقال لهم ما قاله علمائهم في كتب مذاهبهم فإنه سيقف ولهذا يناسب أن يقوم الدعاة إلى الله جل وعلا في كل بلد فيه أنواع من الشرك بالله بالمقبورين والمدفونين والأولياء وغيرهم أن يوردوا الأدلة والأقوال من أقوال علماء مذهبهم ويجمعونها وينشرونها في الناس لأن في هذا إقامة للحجة عليهم ولأن في هذا أيضاً إبعادا للشبهة التي أوردها هذا المورد فإنه قد يتخيل بعض من لم يحقق من طلبه العلم أو بعض العوامل إن هذا القول إنما جاء به الوهابية وليس عليه علماء المذاهب فإذا أجمعت هذه الأقوال ونشرة في البلد ،

البلد الذي يشيع فيها مذهب الإمام مالك ينقل فيه كلام المالكية ، والمالكية عندهم توسع في هذا أيضاً والحنفية أيضاً أكثر منهم والشافعية والحنابلة في باب التكفير أقل يعنى فيما يحصل به الكفر فينتقل من كتبهم ما به يكون رد هذه الشبهة حتى لا يتوهم أن هذا القول تفرد به الوهابية كما يزعمون الدعوة السلفية بعامة في كل بلد إنما عمدتها الكتاب والسنة وإجماع هذه الأمة إجماع علمائها وما كانة عليه سلفنا الصالح وما عقده أئمة أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح وأتباع الأثر هذه عمدتهم في أي بلد فالوسيلة التي يقررون بها الحجة ويضعفون بها الشبهة ينبغي لهم أن يسلكوها لأن الحق أحق أن يتبع .

قال رحمه الله بعد ذلك : ولما لم ينقد أناس في زمن النبيﷺ للحج أنزل الله في حقهم ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا * ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين** ﴾ .قوله : ولما لم ينقد أناس عبر رحمه الله بالانقياد الذي معناه الالتزام وإلا فإن عدم الحج مع الانقياد للحكم يعنى مع اعتقاد وجوبه على المخاطب يه ليس بكفر وإنما يكفر من جحد أو لم يلتزم به يعني قال : لا يجب على وإنما يجب على غيري . من لم ينقد للحكم قال : هو واجب على الناس واجب على غيري وأنا لا يجب على الحج فهذا غير ملتزم به كحال الرجال الذي نكح امرأة أبيه بعد نزول قول الله جل وعلا ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء * إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا** ﴾ . لم يلتزم بالحكم لم ينقد له فقال : أنا غير مخاطب بذلك ولم يلتزم به ولم ينقد له صار كافرا خلاف من لو التزم وانقاد يعنى قال : أنا مخاطب به وهذا حرام على لكن فعله فهذا له حكم أمثاله من أهل الكبائر .

فقول الشيخ رحمه الله : ولما لم ينقد هذا تعبير دقيق ولهذا قرأتم في شروط لا إله إلا الله وتعلمتم أن من شروطها الانقياد فالانقياد معناه الالتزام بما دلت عليه ولو لم يفعل لكنه يلتزم بأن يقول هذا واجب وأنا مخاطب به وهذا محرم وأنا مخاطب بتحريم كذا لكنه لم يفعل فله حكم أمثاله من أهل الكبائر لكن إن يقال هذا غير واجب على أنا ممن ارتفعت عنه التكاليف هذا يجب على الناس وأما أنا فلا يجب على هذا يحرم على الناس وأما أنا فلا يحرم على فيعتقد أنه واجب في نفسه يعنى هذا الأمر محرم في نفسه يعنى المحرم لكن يقول أنا لا ألتزمه لأني غير مخاطب به كفعل طوائف في هذه الأمة فهؤلاء لم ينقادوا للحكم الشرعي .

فالشيخ رحمه الله عبر بالانقياد وهو تعبير علمي له دلالته في الأحكام الفقهية وفي التوحيد .

قال : ولما لم ينقد في زمن النبي ﷺ للحج انزل الله في حقهم ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** ﴾ قوله ﴿ **على الناس** ﴾ هذه من ألفاظ الواجب عند الأصوليين ﴿ **لله علي الناس** ﴾ عليك كذا وأشباه هذا فإن ألفاظ الواجب عندهم كثيرة متعددة ومنها كلمة عليك وعلى وأشباه ذلك ﴿ **ولله على الناس** ﴾ يعنى يجب عليهم حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر بهذا الحكم و لم ينقد فإن الله غني عن العالمين .

بعد ذلك قال : الإمام رحمه الله ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع .
ما رأيكم فيمن قال : أنا موحد أقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله لا أعبد لا الله ومقر لك بالوحدانية بربوبيته وإلاهيته وأسمائه وصفاته ومقر للنبي ﷺ وشاهدك بالرسالة وبأنه خاتم المرسلين وأصلي وأزكى وأصوم وأحج لكن مسألة

البعث هذه فيها نظر عندي والأقرب أن لا بعث بعد الموت ولو كان من اتقى الناس في تلك الأمور لكنه قال أنا أتعبد لله وأصلى وأصوم هذا طاعة لله جل وعلا لكن لا بعث فإنه بالإجماع كافر ويحل دمه وماله لإجماع المسلمين على ذلك كما قال جل وعلا ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا *أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾ .

فهذه الآية دلت على أن من فرق بين حكم وحكم وجحد حكما وقبل حكما فإنه يكون كافرا لقوله تعالى ﴿ أولئك هم الكافرون حقا ﴾ .

قال رحمه الله : فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من أمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا وأنه يستحق ما ذكر زالت الشبهة لم ؟ لأن الذي قال : إن عبادة غير الله جل وعلا ليست شركا أكبر وإنما هي شرك أصغر فإنه لم يؤمن بقول الله جل وعلا ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ وبقول الله جل وعلا في سورة الحج ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ﴾ ونحو ذلك من الآيات الكثيرة في هذا الباب

فأمن بأن المشرك بدعاء غير الله مشرك لكنه ليس بالمشرك .الشرك الأكبر الذي يستحق معه النار فإن هذا لا شك جحد أو عدم لإيمان ببعض ما أنزل الله جل وعلا

هذا من حيث التفصيل العام ومن حيث التفصيل قال رحمه الله بعد ذلك ويقال أيضاً يعنى تفصيلاً للجملة السابقة إن كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء وجحد وجوب الصلاة إنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع يعنى بعد أن تقوم عليه الحجة وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله لا تختلف المذاهب فيه وقد ظن به القرآن كما قدمنا يعنى إذا كنت تقرأ هذا يعنى ما أوردناه من الإجماع وأن المذاهب متفقه على هذا وأن من أنكر البعث فهو كافر حلال الدم والمال باتفاق العلماء وبإجماعهم وبذكر هذا في كتبهم فنرجع إلى خصوص المسألة التي أوردت الشبهة فيها وهى مسألة التوحيد .

قال : فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج .وجه كون أعظم أنه بدأ به الرسول ﷺ في الدعوة فالنبي عليه الصلاة والسلام دعا الناس سنين عددا إلى التوحيد فقط و لم تفرض الصلاة و لم تفرض الزكاة و لم يفرض الصوم و لم يفرض الحج ومعلوم أنه في هذا الحال يعنى في حال الأمر بالتوحيد دون غيره ، أنه إنما تكون البداءة بالأهم كما قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن (إنك تأتى قوماً أهل كتاب) يعنى من اليهود وثم نصار هناك (فليكن أول ما تدعوهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا بالله فهذا يدل على أن هذا أعظم من غيره . ومعلوم أن الصلوات الخمس لم تفرض إلا ليلة الإسراء والمعراج في السنة العاشرة من البعثة ومعلوم أن صوم رمضان الفرض لم يكن إلا في السنة الثانية من الهجرة ومعلوم أن الزكاة المفروضة بانصبائها المعروفة الآن لم تفرض إلا في السنة الثانية من الهجرة وأن الحج لم

يفرض إلا في السنة التاسعة من الهجرة وهذا يدل عللا تأخر هذه المسألة التي تقول : إن من جحد واحداً منها ولم يأتي بها فإنه يكفر بالإجماع فما شأن أصل الأصول . ما شأن أول واجب . ما شأن الأمر الذي دعي إليه النبي ﷺ في مكة سنين عددا .ما شأنه ؟.

هل هو أقل من هذه في الحكم ؟ فالجواب : أن التوحيد هو أعظم فريضة بالاتفاق ولهذا يذكر العلماء في المكفرات في باب حكم المرتد أول ما يذكرون في المكفر ما يتصل بالتوحيد . توحيد العبادة . أو توحيد الربوبية أو توحيد الأسماء والصفات فإنهم يذكرون هذا قبل غيره . لأنه أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وجاءت بها الأنبياء ومعلوم أن الصلوات والزكاة والصوم والحج إلى آخره اختلفت فيه الشرائع والأنبياء جميعاً اتفقوا في التوحيد فدل على أنه حق الله الأعظم وعلى أنه الفريضة العظمى . فإذاً تكون مترلتها أعظم من غيرها .

قال : فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر . سبحان الله ما هذا الجهل . وهذا الاستدلال بالقياس وهذا القياس صحيح قوى ومعلوم أن قاعدة الشريعة العظيمة التي دلت عليها النصوص واتفقت عليها . عليها العلماء أن الشريعة لا تفرق بين المتناقلات ولا تماثيل بين المختلفات فإن المتماثلات في العلة لا تفرق بينهما الشريعة .

إذاً الحكم يدور مع علته وجوداً وعدما . ومما جاءت به الشريعة وجاء في القرآن الاستدلال به الاستدلال بالقياس الأولى فإنه القياس الذي اتفقت عليه هذه الأمة حتى الظاهرية لا ينكرون القياس المسمى عند الفقهاء الأربعة بقياس الأولى لا تنكره الظاهرة وإن كانوا لا يسمونه قياساً بل يسمونه تمثيلاً أولوياً فيقال : هذا

مثل هذا عندهم بل أولى منه ويهربون من تسميته قياسياً والحقيقة أهم يقرون به فالقياس الأولوي يعني أن هذا أولى من هذا ، هذا بالاتفاق عند الجميع وإذا أنكر المرء متفقاً عليه بين العقلاء وبين الفقهاء ومجمع عليه من الدليل فإنه يكون ليس على أصله لا في التعريف ولا في التأصيل ومعلوم أن هذا رد قوى على الذين يفرقون فإن الشريعة لم تأت بالتفريق بين المتماثلات فكيف بالتفريق ما بين هو أدنى وأعظم رتبة .

فالتوحيد أعظم رتبة كيف يتفق العلماء ؟ كيف تقول أنت أيها المورد لهذه الشبهة . كيف تقول : إن الذي جحد الصلاة وهو يقر بغيرها أو جحد الزكاة وهو يقر بغيرها أو جحد الصوم وهو يقر بغيره . أو أقر بهذه كلها وجحد البعث فكيف يقول : إنه يكفر وحلال الدم والمال ؟ ومن ترك التوحيد وجحده لا يكفر ولا يكون حلال الدم والمال بعد إقامة الحجة عليه . كيف تقول هذا ؟

سبحان الله . ما أعجب هذا الجهل لأنه جهل بالعقليات وجهل أيضاً بالشرعيات وجهل بكلام العلماء .

نقف عند هذا .

قتال بنى حنيفة وقتال المرتدين وهذه تحتاج إلى تفصيل ونأتي إليها إنشاء الله في المرة القادمة .

فتحصل من هذا إلى أن هذا الشبهة هذا جوابها العام وحبذا لو يطالع الأخوة وطلاب العلم الردود التي صنفها إمام الدعوة عل المخالفين وخاصة كتابه (مفيد المستفيد بكفر تارك التوحيد)

وكتب أئمة الدعوة في الرد على المخالفين فإن فيها تفصيلاً لهذه الجملة التي أوردها الإمام رحمه الله تعالى . والحجة التي ذكرها كافية لمن ألقى السمع وهو شهيد .

الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كان عظيم الإطلاع على كتب التفسير وله عناية بالتفسير كلام السلف فيه عناية عظيمة جداً ولهذا من أشكل عليه شيء مما يذكره الإمام رحمه الله تعالى في مسائل الآيات ومعاني الآيات فإنه يرجع إلى التفسير وسيجد ما ذكر وقد اختبرت ذلك مرارا ً فوجدته كما قال رحمه الله تعالى . فيراجع ما أشكل مما ذكره أحد السائلين فستجد في كتب التفسير ما ذكره الشيخ رحمه الله .

يقول : يقال : أن الأشاعرة كما ضلوا في باب الأسماء والصفات فهم ضالون أيضاً في باب توحيد الألوهية فأكثرهم يعتقدون في القبور ويتوجه إلى الأموات بالدعاء والاستغاثة إلى آخره فما مدى صحة هذا القول ؟

الجواب : أن قول الآشاعرة ضالون في باب الأسماء والصفات فقط دون غيره هذا غلط فالاشاعرة ليس خلافهم مع أهل السنة في باب الأسماء والصفات فحسب بل في مسائل كثيرة فهم في معنى الربوبية يخالفون أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح وفي معنى الألوهية يخالفوننا وفي معنى توحيد الأسماء والصفات أيضاً يخالفوننا وفي التطبيق العملي لكل هذه المسائل في ا لربوبية والألوهية والأسماء والصفات وما يجب على المكلف فيها وما يعتقد أيضاً يخالفوننا وفي معنى الإيمان يخالفوننا في ذلك لأن الأشاعرة مرجئة في باب الإيمان .وكذلك في القدر يخالفوننا فهم جبرية في باب القدر وفي مسائل تفصيلية وتفريعيه كثيرة يخالفون أهل السنة لهذا شاع عدم التكفير تكفير عباد القبور لأن الأشاعرة أصلوا أن التوحيد هو اعتقاد وحدانية الله جل وعلا في ربوبيته وأسمائه وصفاته فمن اعتقد أن القادر على الاختراع والخلق هو الله وحده فهو موحد عندهم لأنهم يفسرون الإله بأنه القادر على الاختراع ومن اعتقد بأن الله هو المستغنى عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه . فهو موحد عندهم فمن اعتقد هذه العقيدة في الربوبية وعبد غير الله فلا يكون ناقضاً لتوحيده وهذه شاعت في الناس في بلاء عظيم عندهم وعند الماتريديه في أصناف كثيرة ولهذا نقول الخلاف مع الأشاعرة ليس في مسألة واحدة في ولأصول والفروع يعنى في الأصل وفي فروع ذلك الأصل والله المستعان .

س : ما رأيك فيمن يقول : أن القياس كالميتة لا يرجع إليه إلا عند الضرورة ؟

ج : هذا قول معروف عند طائفة من أهل العلم . والجواب عليه أن الضرورة هذه ما هي ؟

الضرورة لهم تعاريف فيها لا تنطبق على هذا الكلام فالقياس يقال يؤخذ به عند الحاجة إذا احتج إليه أخذ به والحاجة إلى القياس تكون في مسائل .

الأولى : عند تدعيم دليل شرعي يعنى إذا دل الدليل على شيء فإن دعم هذا الفهم من الدليل بالأقيسة يقويه وهذا الذي يسمى عند العلماء ذكر النظائر في المسائل وهذه طريقة أهل السنة وقد إمتثلها كثيراً في الفقه شيخ الإسلام ابن تيمية فتجده يذكر دلالة الكتاب والسنة على مسألة ثم يذكر النظائر الكثيرة ويفرع ويقول : هذا نظيره كذا وهذا نظيره كذا مثل مثلاً في أول كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم تجد أن نحو مائة وخمسين صفحة كلها تنظير هذا الاستدلال بالقياس يعنى أن هذا مثل هذا ،وهذا مثل هذا وهذه لها نظير كذا ونظير كذا والاستطراد في هذا الباب يقوى الاستنتاج والاستدلال من الدليل أنه قد يأتي آت ويقول : فهمك للدليل قاصر وناقص فليس الكلام في الدليل ولكن في وجه الاستدلال . فيأتي الفقيه والعالم فينظر ويأتي بنظائر كثيرة ينظر يعنى يأتي بنظائر وليس معنى ينظر يعنى يقول : فيه نظر ينظر يعنى يأتي بنظائر كثيرة ويقيس ويقول : هذه مثل هذه مثل هذه ليقوى استدلاله وأن استدلاله لم يخرج عن القواعد

ثانياً : من إيراد القياس أن يورد القياس لإلغاء الفارق ومعلوم أن الجمع والفرق من أصول قواعد الفقهاء فإن فقه المسائل مبنى على فهم الجمع والفرق في التعليل ما بين المسائل وعلم الجمع والفرق كعلم المقاصد من أهل علوم المجتهدين فيحتاج المجتهد إلى أن يقيس ويذكر المسائل الواحدة تلوى الأخرى ليبين الجمع بينهما

وليبين إلغاء الفارق بينهما ومعلوم أنه إذا حصل الجمع وألغى الفارق قامت الحجة .

الثالث : أن تكون المسألة لا دليل فيها نقلى يعنى نص من الكتاب أو السنة وإنما هي مسألة اجتهاد فيحتاج إلى القياس ليلحق الفرع بالأصل لعله جامعه بينهما أو يلحق الحكم المسكوت عليه بالحكم المنصوص عليه لعله جامعة بينهما وهذا النوع الثالث هو الذي يجرى فيه قول بعضهم : القياس كالميتة لا يرجع إليه إلا عند الضرورة وهذا ليس بجيد يعنى هذه المقالة ليست بجيدة على إطلاقها ومن قالها فيفهم منه هذا النوع الثالث بأنه إذا إحتيج إلى القياس قيل به وتفاصيل هذه الكلمة معلومة في مباحث الركن الرابع في مباحث القياس في الأصول .

س :

ج : لا . لا يكفرون ، الأشاعرة مبتدعة ضلال على بدعة عظيمة راجت في الأمة بسببهم لا يكفرون ولكن يضللون ويبدعون على اعتقاداتهم الفاسدة في صفات الله جل وعلا في ربوبيته وفي إلاهيته وفي الإيمان وفي القدر وفي بعض مسائل البعث إلى آخره .

س : ماذا تعلمون عن الرسالة التي أرسلت إلى الشيخ من الأحساء ؟

ج : هناك عدة رسائل تأتى للشيخ من بعض علماء الإحساء وأخص منهم الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائى . عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف له عدة رسائل مع الشيخ والشيخ رحمه الله لما رجع من البصرة مر عليه في الأحساء وجلس عنده عدة ليالي وفرح الشيخ رحمه الله بعبد الله بن عبد اللطيف فرحاً عظيماً لأنه وجده يخالف الشاعرة الذين نشأ على طريقتهم في مسائل الإيمان حيث قال له مرة في رسالة له ولما كنت جئتك ورأيتك كتبت على أول

صحيح البخاري في مسائل الإيمان هذا هو الحق الذي يجب القول به فرحت بذلك لأنك خالفت ما عليه أهل بلدتك من كلام الأشاعرة يعنى في مسألة الإيمان وقال الشيخ رحمه الله في رسالته أيضاً لعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الإحسائي هذه وأنا كثير الدعاء لك وأدعو لك في سجودي وكنت أقول أرجو أن تكون فاروقاً لهذه الأمة في آخرها كما كان عمر بن الخطاب فاروقاً للأمة في أولها .

ورسالته مع رسائله لعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي هذه فيها فوائد كثيرة في العلم تبين لك عظيم علم الشيخ لأنه إمام الدعوة . لأن إمام الدعوة إذا كاتب العلماء كاتبهم بلهجة علمية قوية وتفصيل في المسائل وإذا خاطب العوام أو المتوسطين في العلم خاطبهم بما يعرفونه حدثوا الناس بما يعرفون .

س : يقول أليس الشك إذا دافعه الإنسان واستعاذ بالله من الشيطان . ليس خروجاً من الملة ومجرد الشك لا يخرج من الملة ؟

ج : معلوم أن الشك ليس هو العارض الشك حين يعبر به العلماء يريدون الشك في اصطلاحهم والشك عندهم استواء طرفي القضية في العلم استواء طرفي القضية يسمى شكاً وأما العارض والتوهمات التي تأتى إلى القلب والأوهام التي يلقيها الشيطان هذه لا تسمى شكاً عند العلماء . الشك أن يقول : هذه وهذه مستويه عندي فيكون شكاً ليس من جهة اعتقاد طريان الشيء على قلبه ولكن يقول : جواز البعث وعدم جواز البعث إمكان البعث وعدم إمكانه في حد سواء . قد نبعث وقد لا نبعث هذا قد وقد هل ترجح أحد الجانبين على الأخر قال : لا هذه وهذه مستوية فهذا يسمى شكاً وإذا قال نعم أرجح جانب البعث ولكن قد يكون أن لا نبعث وهذا يسمى ظناً فإن قال : لا البعث قائم وأؤمن به ولا

احتمال عندي لعدم البعث فيكون هذا علماً وهذا على حسب كلامهم ففهم مصطلحات العلماء ينبغى أن يكون على لغتهم لا على لغة العوام .

س : يقول ذكرت بأن من شك في شيء مما جاء به محمد ﷺ فهو كافر فما معنى الحديث الصحيح الذي جاء فيه * أن رجلاً قال : إذا مت فاحرقوني وزروني في اليم . والله لئن قدر الله علي ليعذبني إلى آخره ..... الحديث المعروف الذي في الصحيح

ج : هذا الحديث اختلف كلام العلماء في الإجابة عليه والتحقيق فيه الذي يتفق مع أصول الشريعة من جهة الاعتقاد والفقه أن هذا الرجل لم يشك في صفه من صفات الله وإنما شك في تعلق الصفة ببعض الأفراد فهو لم يشك في القدرة أصلاً ولو شك في قدرة الله لكفر و لم ينفعه إيمانه إذا قال : أنا لا أدرى هل الله قدير أم ليس بقدير يعنى شك في أصل القدرة فهذا يكفر أما شك هذا ففي تعلق القدرة بإعادة الأجزاء وهذا فرد يعنى إعادة الأجزاء فرد من الأفراد التي تتعلق بها القدر ومعلوم عندنا أن من أنكر فرداً من الأفراد في أصل ليس كافراً وإنما هو على ذنب عظيم فلهذا نقول هذا الرجل شك في فرد من أفراد القدرة فرد من أفراد تعلق القدرة بذلك الفرد و لم يشك في قدرة الله أصلاً وحاله كحال حواري المسيح الذين قالوا لعيسى عليه السلام : هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء وفي القراءة الأخرى هل تستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين .

هل يستطيع الله أن ينزل علينا مائدة فهم لم ينكروا القدرة وإنما شكوا في تعلق القدرة بهذا النوع هل يستطيع أو لا يستطيع فتعلق القدر بإنزال مائدة من السماء حصل لهم شك فيها . فقال لهم عيسى عليه السلام اتقوا الله أن كنتم مؤمنين

فبينوا وجهتهم قالوا : ﴿نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين﴾ .... إلي آخر السورة .

فالمقصود أن الشك في فرد من أفراد الصفة ليس كالشك في أصل الصفة وهذا الرجل غفر له بسبب خوفه ومعلوم أن الحسنات يذهبن السيئات فأحسن إذا خاف من الله جل وعلا وأساء إذا شك في تعلق قدرة الله بهذا الفرد من مخلوقات الله وهو الأجزاء التي فرقها بإحراقه فلهذا تلحظ في الحديث قال : لئن قدر الله علي ما قال : لئن قدر الله مطلقاً قال : لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين يعنى أنه تعلق قوله ذلك بقدرة عليه بالخاصة لما ذر جسمه رماداً وهذا هو التحقيق في هذا القول في هذا الحديث وهو الذي يستقيم مع الاعتقاد ومع الفقه .

س : ما رأيك فيمن يقول إن مجرد الطواف على القبر ليس عبادة ؟

ج : الطواف عبادة لأن الله جل وعلا أمر به ﴿ وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ معلوم أن الله إذا أمر بشيء وأثاب عليه فإنه عبادة . فإذا كان كذلك فمن تعبد يعنى طاف على مكان يرجوا الثواب ويتقرب إلى الله أو إلى هذا المقبور بالطواف على غير الكعبة وما بين الصفا والمروة فإنه صرف العبادة لغير الله .

س : إذا رأى أحد الناس في منامه أنه يفعل منكر كجماع من لا تحل له أو لواط فهل يدل هذا على فسق في دينه ؟ مع أنه في المنام لا يرى أنه محرم وأنه فاعل لمنكر؟

ج : أن هذا تكلم عليه العلماء وذكروا فيه تفصيلاً قالوا هذا له حالان :

١ ــ الأول أن يكون هذا الذي يرى معروف بالفسق فهذا إذا رأى مثل هذه المرائي فإنها إنذار له وتخويف ويخشى أن يفعلها .

٢ ــ وإذا كان وهو القسم الثاني من الصالحين فإن فعله لذلك يدل يعنى لا يكون في خاطره فعل بالمحارم أو يدور في ذهنه استحسان المرأة التي هي محرم له أو استحسان الرجال أو أشباه ذلك فإنه يكون دليلاً على أنه سيصل هؤلاء لأن الذَكر من الذكر والصلة من الوصل يعنى إذا كان صالحاً فإنه سيصلهم ويزيد في صلتهم ولا شك أن مثل هذه المرائي ينبغي أن يستفيد العبد بالله جل وعلا إذا رآها وأن ينفث عن يساره ثلاثا وأن يغير جنبه الذي نام عليه وأن لا يحدث بها أحداً .

س : هل زوجة المرتد تطلق من حين ردته ولو رجع بعد ردته بساعات ؟

ج : لا تطلق إذا حكم حاكم شرعي قاضى بردته أما بدون ذلك فلا ينفسخ العقد تلقائيا بل لابد من حكم حاكم .

س : ما مدى صحة العبارة لكل نبي حوض إلا صالح عليه السلام فحوضه ضرع ناقته ؟

ج : هذه ذكرها بعض من صنف في السنة كالبربهاري وهو على عهدته فإني لا اعلم لها أصلاً

س : ما معنى قول شيخ الإسلام التدمرية وقوله ﴿ **والسماء بنيناها بأيد** ﴾ أي بقوة وما معنى تفسير الأيد بالقوة ؟

ج : أن الأيد هنا هذه مصدر آد الشيء أو آد فلان يئيد أيداً إذا قوى وليست جمع يد كقوله جل وعلا ﴿ اذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ﴾ فالأيد هذا مصدر بمعنى القوة هذا في اللغة ليست جمع يد .

س : متى يعذر بالجهل وما الضابط في ذلك ؟

هذه لها تفصيل إنشاء الله .

نكتفي بهذا القدر وصلى الله وسلم وبارك على نبين محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال المؤلف رحمه الله تعالى :

ويقال أيضاً : هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بنى حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله لا الله وأن محمداً عبده ورسوله ويصلون ويؤذنون فإن قال : أنهم يقولون : إن مسيلمة نبي قلنا هذا هو المطلوب إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه و لم تنفعه الشهادتين ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابي أو نبي إلى مرتبة جبار السماوات والأرض سبحان الله ما أعظم شأنه كذلك يطبع الله على قلوب الذين

لا يعلمون ويقال أيضاً الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضى الله عنه بالنار كلهم يدعون الإسلام وهم من أصحاب علي رضى الله عنه وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين أتظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب كفر ويقال أيضاً بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بنى العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويدعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيدهم من بلدان المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام علي رسول الله وعلي آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من العلم والعمل وأنت أرحم الراحمين .... أما بعد .

فهذه صلة لما سبق تقريره من كشف شبهة أدلي بها الأكثر ون وهي أن المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويصلى ويزكي ويصوم رمضان ويحج بيت الله الحرام ويأتي بنوافل الطاعات والعبادات كيف يجعل مثل من عبد اللات والعزى والأصنام ويكفر ويخرج من دين الإسلام ويقاتل إلى آخر ذلك .

فأجاب الإمام رحمه الله بما أجاب به في أول الكلام ثم واصل أيضاً الأوجه التي بها يجاب عن هذا الإيراد أو هذه الشبهة فقال رحمه الله تعالى ويقال أيضاً هؤلاء

أصحاب رسول الله ﷺ قاتلو بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويصلون ويؤذنون فإن قال إنهم يقولون إن مسيلمة نبي قلنا هذا هو المطلوب إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه و لم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابياً أو نبياً إلى مرتبة جبار السماوات والأرض سبحان الله ما أعظم شأنه كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون .

خلاصة هذا أن بني حنيفة الذين قاتلهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ومعه أصحاب رسول الله ﷺ لم يكفروا بكل أمور الدين بل كفروا بأن محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين فرفعوا مسيلمة الكذاب إلى مقام النبي ﷺ في تبليغ الرسالة وهذا النوع من كفرهم تبعه معه أنهم أطاعوا مسيلمة فيما أمرهم به وجعلوا رسالة مسيلمة الكذاب لهم فما أمرهم به إئتمروا به وما نهاهم عنه انتهوا عنه وهذا هو الذي جعلهم كفاراً وذلك لأنهم جعلوا مسيلمة الكذاب نبياً بعد محمد عليه الصلاة والسلام و لم يجعلوا رسالة النبي ﷺ خاتمة الرسالات وهو الاستدلال هذا الذي أوردوه كما قال الشيخ رحمه الله هو المطلوب لأن كفر هؤلاء دون ما يكفر به غيرهم من عبدة القبور والأوثان وعبدة الصالحين وعبدة الأولياء وغير الأولياء والأشجار والأحجار لأن من عبد هؤلاء واستغاث بهم وأنزل بهم حاجته وطلب منه دفع الضر ودفع المدلهمات في الواقع قد رفع منزلة هذا المدفون إلى منزلة رب العالمين فقتال الصحابة رضوان الله عليهم لبني حنيفة الذين اتبعوا مسيلمة الكذاب يدل بدلالة الأولى على أن من رفع شخصاً مسلماً كان أو غير مسلم إلى مرتبة جبار السماوات والأرض في استحقاق العبادة أو الطاعة المطلقة الدينية فإنه أعظم كفراً من أولئك الذين لم يشركوا بالله جل وعلا أحداً وإنما

كفروا من جهة أنهم جعلوا مسيلمة نبي لأنهم لم يعودوا إلى عبادة الأصنام وإنما جعلوا مسيلمة الكذاب نبياً لهم وبعد محمداً عليه الصلاة والسلام إلى آخر تفاصيل قصتهم وكذب مسيلمة في نبوته واتباع أولئك له فتحصل من هذا الإيراد الذي أوردوه ليدلوا على أن المسلم الذي يدعوا غير الله جل وعلا يدعوا نبياً أو يدعو صالحاً أنه لا يكفر بدلالة أن أولئك الذين قاتلهم الصحابة ما كفروا إلا بادعاء النبوة لمسيلمة قلنا ما هو أولى يدل على أن غيرهم ممن ألهوا الأشخاص أعظم كفراً من أولئك فمن انخرم في حقه الشق الأول من الشهادة وهو شهادة أن لا إله إلا الله لا شك أنه أعظم كفراً ممن انخرم في حقه الإقرار بأن محمداً رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين لأن تأليه الله جل وعلا وحده دون ما سواه فرض ودليله الشهادة وهذه الشهادة تنفي هذا القسم والشهادة بأن محمداً رسول الله تنفي بأن يكون أحداً نبياً بعدمحمد عليه الصلاة والسلام فدل هذا على أن من جعل بعد محمداً ﷺ نبياً فهو كافر ومن جعل مع الله جل وعلا إلهاً يعبده ويرجوه ويستغيث به ويسأله رفع الضر وجلب النفع أنه كافر من باب أولى لأن حق الله جل وعلا أعظم من حق خلقه وهذا الذي ذكره الإمام رحمه الله تعالى وجيه وعظيم من جهة أن حال أولئك هو دون ما نحن فيه فالذين اتبعوا مسيلمة الكذاب وأقروا بالنبوة هم أخف حالاً ممن أله غير الله وسجد له واستغاث به وتقرب إليه رجاء شفاعته ليكون له شافعاً عند الله جل وعلا وطالباً وداعياً عند الله جل وعلا فكفر هؤلاء أعظم كفراً من الأولين بدلالة القياس الذي ذكرناه ثم أيضاً يقال إن قتال مانعي الزكاة وتكفير الصحابة لمن لم يلتزم بوجوب أداء الزكاة لخليفة رسول الله ﷺ وقتال أولئك المرتدين لا قتال البغاة يدل على ما نحن فيه من باب أولى فإن مانعي الزكاة أكثرهم مرتدين عن الدين ولهذا سماهم الصحابة رضوان الله عليهم

مرتدين وقالوا في قتال بني حنيفة وفي قتال مانعي الزكاة جميعاً قتال المرتدين و لم يفرقوا بين طائفة وطائفة لأن أهل العلم أجمعوا على أن الطائفة الممتنعة عن تحريم ما حرم الله جل وعلا أو عن تحليل ما حل الله أو الطائفة الممتنعة عن امتثال ما أمر الله جل وعلا أنه يجب قتالها ثم إن كان امتناعها من جهة عدم الالتزام والانقياد فإنها تكفر بذلك ولهذا نص العلماء على أنه لو اجتمع أهل قرية على أن يتركوا الآذان فإنه يجب قتالهم مع أن الآذان سنة عند كثير من أهل العلم وفرض كفاية عند آخرين ولو اجتمعوا على ترك سنة من السنن فإنهم يقاتلون حتى يلتزموها يعني حتى يعملوا بها ولا يجتمعون على تركها فإن كانوا غير منقادين ممتنعين امتناع عدم التزام فإنهم مرتدون بذلك ومعنى الممتنعة الطائفة الممتنعة يعني غير الملتزمة ومعنى الالتزام في هذا الموضع أن يقول إن هذا الأمر إما الواجب أو المحرم حق في نفسه فهو واجب أوجبه الله أو هو حرام حرمه الله ولكن أنا غير مخاطب بهذا ن يخاطب به غيري من الناس فأنا غير داخل في هذا الخطاب كما قال مانعوا الزكاة إن هذا طلب الزكاة أن ترسل إلى المدينة هذا لغير أهل نجد لغيرنا يعني فيما قالوا يلتزم اتجاه الخطاب إليه فخرجوا إذن بقولهم عن عموم المخاطبة وهذا رده عن الدين لأنه انتفى معه شرط الانقياد لأن من شروط لا إله إلا الله الانقياد ومعنى الانقياد الالتزام بتحليل ما أحل الله يعني باعتقاد حله وأن هذا المسلم مخاطب بهذا التحريم وتحريم ما حرم الله باعتقاد حرمته وأنه مخاطب بهذا التحريم فمانعوا الزكاة كانوا على صنفين منهم من لم يلتزم يعني امتنع بحيث قال : إنه غير مخاطب بهذا الحكم ولا يلزمه أن يعطي الزكاة للخليفة مع إقراره بان هذا الحكم متوجه على غيره فيقول هذا واجب ولكن أنا لا أدخل في هذا الواجب فلم ينقد لكل الأحكام يعني لم يجعل نفسه داخلاً في خطاب الله جل

وعلا للمكلفين بأحكام الإسلام فهذا يسمى امتناع عن دخوله في بعض أحكام الشريعة وهذا كفر وردة كما ذكرنا ومنهم من مانعى الزكاة طائفة أخرى منعوها للتأويل فقالوا أهل المدينة ليسوا بحاجة ونحن بحاجة إلى الزكاة فنحن أولى بها والصحابة رضوان الله عليهم لم يفرقوا بين هؤلاء وهؤلاء بل جعلوا قتال مانعي الزكاة كقتال المرتدين بل لم يجعلوا المرء من المرتدين الأولين من بني حنيفة أتباع مسيلمة ولا من مانعي الزكاة لم يجعلوه سالماً حتى يشهد على قتالهم أنهم في النار وعلى قتلى المؤمنين أنهم في الجنة وهذا يدل على أن من لم يلتزم توحيد العبادة بمعنى جعل توحيد العبادة حقاً ولكن قال نحن غير مخاطبين بذلك لأن الناس لهم كذا وكذا من التأويلات فهذا داخل في جنس هذه المسألة ولهذا استدلال الشيخ رحمه الله بالاستدلال الأولوى في محله واستدلال وجيه وحكيم لأن هذه المسألة التي نحن فيها أعظم مما قاتل فيه الصحابة رضوان الله عليهم المرتدين ومانعي الزكاة فقتالهم لهم في شأن اقل مما نحن فيه وليس كل طائفة تترك شريعة من شرائع الله أو شعيرة من شعائر فتقاتل تعتبر مرتدة بل تقاتل لتلتزم وقد يكون تركها لعدم الالتزام يعني من جهة الامتناع فتكون كافرة وقد يكون تركها لأجل شبهة أو تأويل لا لأجل عدم الالتزام فلا تكفر بذلك وإنما يكفر من لم ينقد لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وضابط الانقياد هو ما ذكرت لك بأن يكون ملتزماً وبهذا يكون هناك فرق عظيم ما بين الجحد والامتناع وما بين القبول والالتزام فالجحد في الحكم على الطوائف يقابله القبول والامتناع يقابله الالتزام فالامتناع والالتزام لفظان لدخول المخاطب في الأحكام الشرعية والقبول والجحد لفظان لإقرار المخاطب بالحكم له ولغيره فمن أقر بأن هذا الحكم شامل له ولغيره هذا واجب عليّ وعلى غيري فهذا يعتبر قابلاً فإذا قال هذا الحكم ليس

لي ولا لغيري ليس واجباً هذا يعد جاحداً وإذا قال نعم هذا الحكم واجب أداء الصلوات واجب فرضه الله جل وعلا لكن إنما وجب على طائفة من الناس وطائفة أخرى لا يجب عليها كحال الذين سقطت عنهم التكاليف وارتفعت أحوالهم حتى لا تؤثر فيهم الطاعات في زيادة يقين فهذا كحال غلاة الصوفية فهذا يكون ممتنعاً غير ملتزم وهذا قرره العلماء في مواطن عدة وبحثه شيخ الإسلام ابن تيمية في بحث جيد في الفرق بين الالتزام والقبول والامتناع والجحد في كلامه على ترجيح الطاعات أو ترجيح الأمر على النهي أو النهي على الأمر في مجموع الفتاوي وهو مقرر عند كثير من أهل العلم إذا تقرر هذا فمسألة مانعي الزكاة ربما تجد من أهل العلم من يقول أنهم قوتلوا قتال بغاة ومنهم من قال أنهم قوتلوا قتال مرتدين وهذا لأجل انقسامهم في أنفسهم فليس الجميع غير ملتزم ليس الجميع ممتنعاً بل فيهم هذا وفيهم هذا لكن الصحابة أجمعوا على قتالهم قتال مرتدين حتى قال عمر ﵁ ما زلت بأبي بكر لعله أن يترك القتال حتى قال أبو بكر ﵁ والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة قال عمر فما رأيت إلا أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق .

وقاتل مع الصحابة رضوان الله عليهم وأقر بذلك إذا تقرر هذا فالمسألة التي نحن فيها أعظم وأبلغ من هذه المسائل التي قاتل الصحابة الناس عليها والتي كفروا المرتدين بها لهذا نقول من رفع كما قال الشيخ هنا : من رفع شمسان ويوسف أو تاج أو صحابياً أو نبياً إلى مرتبة الله جل وعلا فأعطاه صفات الحق تبارك وتعالى في كونه يغيث الملهوف ويجيب المضطر وكونه يغفر الذنب وكونه يمنع ويعطي ويتصرف في الملكوت فلا شك أن هذا أعظم كفراً من الأولين وأن قتالهم بعد

إقامة الحجة عليهم أوجب من قتال الأوائل إذا كان الصحابة رضوان الله عليهم قاتلوا من لم يلتزم حكم الزكاة وتأدية الزكاة إلى الخليفة وقاتلوا الطائفة الممتنعة عن هذا الحكم فإن قتال الطائفة الممتنعة عن توحيد العبادة أظهر في البرهان وأوجب فهذه الشبهة التي أوردوها هي في الواقع تنعكس عليهم والحجة لنا فيها وليست علينا ولكن كما قال الله جل وعلا : ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ﴾ .

قال الشيخ رحمه الله تعالى ويقال أيضاً الذين حرقهم علي بن أبي طالب ﷺ كلهم يدعون الإسلام وهم من أصحاب علي رضي الله عنه وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم أتظنون أن الصحابة يُكفرون المسلمين أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب يُكفر .

هذا جواب من الأجوبة على الشبهة التي أوردوها أولاً من أن المسلم الذي شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأتى بأركان الإسلام أنه لا يكفر قال الإمام رحمه الله تعالى ويقال أيضاً الذين حرقهم علي بن أبي طالب ﷺ لما حرقهم ؟ وحديث تحريقهم في الصحيح هل حرقهم لأنهم أنكروا أمراً من الإسلام أو أنهم عبدوا الأصنام أو عبدوا الأوثان أم أنهم جعلوا لعلي مترلة الإله فجعلوا علياً ﷺ له ما للرب جل وعلا ولهذا قال علي ﷺ ورحمه لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً يعني مولاه وهذا في الصحيح فخد لهم الأخاديد وأتى بهم واحداً واحداً ورماهم في النار وخالفه أكثر الصحابة رضوان الله عليهم في التحريق و لم يخالفوه في قتلهم واحتج عليه ابن عباس ﷺ بما سمعه من رسول الله

ﷺ أو بقول رسول الله ﷺ إنه لا يعذب بالنار إلا رب النار لكن هم مجمعون على أن من ادعى هذا فهو كافر يجب قتله لأنها ردة والنبي ﷺ قال (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث وذكر منها التارك لدينه المفارق للجماعة) فالذي يترك دينه ويرتد فإنه يجب قتله ويحل دمه فالصحابة أجمعوا على قتلهم وكفرهم وحرقهم علي رضي الله عنه لما ؟ لأنهم جعلوا لعلي بعض خصائص الألوهية وإذا كان كذلك فهذا الإجماع يمكن أن يسلط على هذه المسألة التي يوردون علينا فيها الشبهات وهي مسألة هؤلاء الذين يعبدون الطواغيت أو يعبدون الأولياء أو يعبدون الصالحين ويقولون إن هؤلاء يغيثون وأنهم يعطون المرأة الولد وأنهم يغفرون الذنب وأنهم يقضون الدين بل ربما جعلوا لهم أعظم مما للرب جل وعلا وتعالى وتقدس فهؤلاء لا شك أنهم مثل الذين حرقهم علي رضي الله عنه فأولئك ادعوا الإلهية قولاً وهؤلاء ادعوا الإلهية فعلاً وعملاً حيث جعلوا ما للإله من حقه في عبادته وحده دونما سواه لهؤلاء البشر قال ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما .

اعتقدوا في علي مثل هذا الاعتقاد لا فرق بين هذا وهذا قالوا علي له صفات الألوهية وهؤلاء قالوا هؤلاء الموتى يغيثون العطايا ويعطون ويتصرفون في الأرض ويغفرون الذنب والمرأة الحامل يجعلون لها ولداً إلى آخر ذلك . فإذا تقربوا إليهم أعطوا السائل هذا ومنهم من يعتقد فيهم الاستقلال يعنى أنه يعطى استقلالاً ويمنع استقلالاً ويغفر استقلالاً بتفويض الله جل وعلا له هذه الأمور ومنهم من يقول لا هو يعطى ويمنع بتوسطه عند الله جل وعلا مثل ما قال الأولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى .

قال الشيخ فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين . أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر .

لا شك أن هذا لا يقوله أحد منهم لأن معناه أن مرتبة تاج وشمسان إلى آخره أرفع من مرتبة علي رضى الله عنه إذا قالوا إن من اعتقد في علي يكفر ومن اعتقد في شمسان وتاج لا يكفر من اعتقد في علي يكفر ومن اعتقد في البدوي وفي العيدروس وفي المرغني وفي فلان وعبد القادر لا يكفر لا شك أن هذا معناه رفع هؤلاء عن مرتبة علي رضى اله عنه وهذا تكفيرهم من باب أولى وهذه الحجة واضحة في الدلالة واضحة في البيان .

قال الإمام رحمه الله في إيراده للأدلة والتقعيدات على الجواب على هذه الشبهة ويقال أيضا بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويدعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم أن بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيدهم من بلدان المسلمين .

بنو عبيد القداح هم الذين يسميهم كثير من المؤرخين الفاطميين ويسمون دولتهم العبيدية الدولة الفاطمية ونسبتهم إلى فاطمة الزهراء رضى الله عنها أو إلى علي نسبة مرفوضة إذ أن المحققين من المؤرخين غلطوا هذه النسبة وقالوا إن هؤلاء من المجوس ومن الفرس ولا ينتسبون إلى علي رضى الله عنه في النسب ولهذا يقال لهم العبيديون ولا يقال لهم الفاطميون فهم بنو عبيد القداح وهذا القداح قد نشأ عاى عقيدة الإسماعيلية ثم هرب بعقيدته إلى اليمن وأنشأ فيها دعوة إسماعيلية باقية إلى

الآن وانتقل بعد ذلك لما طلب إلى المغرب الأقصى فابتدأ فيها دعوته وقوى ثم مع الزمن كثر اتباعه وجنده فبدءوا بالحروب فابتدءوا من المغرب إلى أن وصلوا إلى مصر وأحتلوا كل هذه البلاد وغلبوا عليها وأقاموا فيها الدولة المسماة بالدولة العبيدية والقرامطة نوع منهم من الإسماعيليين وكان بينهم وبين بني عبيد القداح صلات قوية وهؤلاء خدم لهؤلاء لكن حصل بينهم خلاف في آخر الأمر أدى إلى استقلال هؤلاء وهؤلاء فالقرامطة هم الذين غزوا البيت الحرام وقتلوا الناس فيه مثل ما قال كبيرهم أنا الله والله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا وهذا لأجل اعتقادهم في نوع من الحلول واعتقاداهم الباطنية كفّرهم العلماء بها لما ولو مصر وكانت شوكتهم فيها لم يتقدموا إلى الشام ولا إلى العراق وإنما كانت شوكتهم فيها ودام حكمهم نحو مائتي من السنين ابتلوا العلماء في عقائد باطنة حتى ذكر الحافظ الذهبي في العبر وفي غيره أنهم يأتون بالعالم السني فيذكرون له أشياء في عقائدهم ، عقائدهم الباطنية فإن لم يقر سلخ جلده أمام الناس يعني أحميت النار والحديد وسلخ جلده كما تسلخ الذبيحة وعظم هذا في الناس جداً وأسسوا للدعوة إلى دين الباطنية الأزهر المعروف الآن ومضى عليه قرون وهو على طريقة الإسماعيلية ثم بعد ذلك لما انتهت الدولة العبيدية رجع إلى يد جملة أهل السنة في مقابلة طوائف الباطنية فكانت عقائدهم في الباطن عقائد الحادية من جنس عقائد الذين حرقهم علي رضي الله عنه وخد لهم الأخاديد ومنهم ظهرت النصيرية ومنهم ظهر الدروز الذين يؤلهون الحاكم بأمر الله العبيدي ويعتقدون و لم يظهروا ذلك أن الإله يحل في الأشخاص وأنه تنقل في سبعة حتى كان آخر هؤلاء السبعة هو الحاكم بأمر الله العبيدي لأنهم يعتقدون في هذا الرقم سبعة وأول ما يدعون من يدعون إلى الحكمة من الرقم سبعة ويذكرون له لهم كتب كثيرة مطبوعة وموجودة يعني بينت

مذاهبهم على الحقيقة يذكرون له الرقم سبعة وما فيه يقولون مثلاً هل تعتقد أن الله جل وعلا الحكيم يخلق سبع سماوات ويخلق سبع أراضي ويجعل أيام الأسبوع سبعة ويجعل الطواف سبعة ويجعل السعي سبعة . سبعة وسبعة وسبعة ويترك الأئمة بلا عدد سبعة فلا بد أن الإمامة تقف عند سبعة لأن الإمامة أعظم من هذه الأشياء فإذا أقرا لهم بهذا المقدمة قالوا الأئمة السبعة آخرهم إسماعيل لأن الرافضة افترقوا فرقتين فرقة تسمى . يعني أبناء جعفر الرافضة بعد جعفر الصادق افترقوا فرقتين : ١ ـــ فرقة تسمى الجعفرية ، وفرقة تسمى الإسماعيلية وكانت القاعدة في بينهم لو فصلنا بعض الشيء كانت القاعدة في الإمامة فيهم أن الإمام هو الولد الأكبر بعد الإمام الذي قبله وكان جعفر الصادق الإمامة منعقدة عند الرافضة والشيعة له وكان ولده الأكبر إسماعيل وولده الأصغر موسى فغاب إسماعيل في حياة والده جعفر الصادق في نحو سنة ثمان وأربعين مائة ذهبت به أمه وغابت به لأن الذين كانوا يحبون أن تكون الولاية في موسى كادوا لأمه في قصة تاريخية المهم أنها هربت وغاب إسماعيل عن الناس فلما غاب إسماعيل مات جعفر الصادق رحمه الله تعالى وهو من العلماء الأخيار والفقهاء لما مات رحمه الله جعفر الصادق اختلفوا من الإمام بعده ؟ فقالت طائفة القاعدة أن الإمام هو الولد الأكبر فإسماعيل هو الإمام وقال آخرون إسماعيل لا ندرى أمره فهل نبقى الناس بلا إمام فمن قال ببقاء الإمامة في الولد الأكبر وأن إسماعيل هو الإمام وأنه هو المستحق فنقف بالإمامة حتى يرجع سمى هؤلاء إسماعيلية ومن قال بإمامة موسى إذ إن الابن الأكبر لجعفر مات أو انقطعت أخباره سموا موسوية ولهذا تجد أن الرافضة الإثني عشرية يركزون على نسبتهم إلى الاثنى عشرية الموسوية الجعفرية فبنسبتهم إلى جعفر يخرجون عن أهل السنة وبنسبتهم إلى موسى يخرجون أو يخرجون

الإسماعيلية وبنسبتهم إلى الأئمة الإثنى عشرة يخرجون كثيراً من طوائف الشيعة التي كانت في الزمن الأول لا تقول ببقاء الإمامة في أثنى عشرة فقط بل إنها تتسلسل وآخر أئمتهم العسكري حصل له مثل ما حصل لإسماعيل في الاختفاء حصل للطائفتين اعتقادات مختلفة في أن هذا الغائب هو المهدي المنتظر فالإسماعيلية اعتقدوا في إسماعيل وأنه هو الإمام المنتظر فدعوا في مواجهة الموسوية إلى نحلتهم سراً فأصبح لهم عقائد باطنية مختلفة وأصبح لهم تفسيرات غير ظاهرة فهم من جهة تفسير النصوص أكثر غلواً من الرافضية لأنهم يجعلون لكل نص ظاهراً وباطناً فالظاهر للعامة يعنى للسنة والباطن لأهل الحكمة وهم الإسماعيلية فبنوا عبيد القداح لما أقاموا دولتهم دعوا في الباطن إلى نحلتهم بتفاصيل الأحكام الشرعية التي هي عند الإسماعيلية ومعلوم أن حكم الإسماعيلية من جهة الفقه خارج عن نصوص الكتاب والسنة فمن جهة فهمهم للأدلة واستنباط الأحكام من الأدلة إنما هو بالاعتقادات الباطنة لأنهم جعلوا لكل نص ظاهراً وباطناً كذلك عندهم نصوص من الأثر الذي يعتمدون عليه خلاف ما عند السنة . فصار أمرهم إذاً نبذ أحكام كثيرة من الشريعة التي جاءت في الكتاب والسنة وقررها أئمة السنة فحاصل أمرهم أنهم في الباطل ملا حدة زنادقة وفي الظاهر دعوا الناس إلى نبذ أحكام كثيرة من الشريعة وإبطال كثيراً من الأحكام التي دلت عليها السنة فرجع أمرهم إلى أنهم لم يلتزموا أحكام الكتاب والسنة وامتنعوا عن أحكام الكتاب والسنة في كثير بل في الأكثر من المسائل الفقهية وكذلك العقدية فصار إذاً حكمهم حكم الممتنعين عن تحكيم الكتاب والسنة في المسائل وصار حكمهم حكم المشرعين الذين أتوا بدين جديد للناس و ألزموا به الناس فينطبق عليهم قاعدة الطائفة الممتنعة الذين لم يلتزموا الأحكام الشرعية بل هم أبلغ من غير

الملتزمين لأنهم جحدوا الأحكام وعذبوا الأئمة والعلماء في مصر على تلك المسائل .

فإذاً قول الشيخ رحمه الله فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه .
يعني بإظهار مخالفة الشريعة يعني أظهروا عدم الالتزام وأظهروا جحد الشريعة في الأحكام الشرعية التي هي دون ما نحن فيه من مسألة التوحيد والعبادة ومن عرف حقيقة أمرهم عرف أن كفرهم وقتال العلماء لهم وتكفير العلماء للدولة العبيدية كان من جهة أنها دولة باطنية في عقيدتها مؤلهة لغير الله جل وعلا هذا في الباطن وفي الظاهر أظهروا جحد الشريعة وعدم الالتزام بأحكامها وعدم الانقياد لها بضابط الانقياد والالتزام الذين ذكرتهما لك آنفا .
فلا شك أن من أله غير الله وتوجه إلى غير الله فحكمه الردة أولى من هؤلاء بحسب الظاهر لهذا قال الشيخ رحمه الله فقد أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه وهم الذين سنوا في الناس الموالد المختلفة فجعلوا لكل ليلة مولداً هذا مولد فلان وهذا مولد فلان وهم الذين سنوا السنة السيئة بالاحتفال بمولد المصطفى ﷺ وبمولد الحسين وبمولد فلان وفلان من الأئمة إلى آخر أمورهم .
المقصود أن كفرهم جاء من جحد هم للشريعة وتكذيبهم لتفسير الأئمة للنصوص وتفسيرهم لآيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ بتفسيرات باطنية مبتدعة فلا شك أن هذا إظهار للكفر .

قال : أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب وقوله أن بلادهم بلاد حرب لأن هؤلاء تغلبوا عليها وحكموها بتلك العقيدة الباطنية والشرعية الإسماعيلية وغلب هذا . والبلاد التي فيها اختلاط ما بين أحكام المسلمين وأحكام الكفار اختلف العلماء هل تسمى بلاد حرب أم لا ؟

فقالت طائفة أنها تسمى بلاد مسلمين باعتبار الأصل دار إسلام باعتبار الأصل ما لم يغلب حكم الكفر وقال آخرون إنها دار إسلام ما دام يسمع فيها الأذان وقال آخرون من أهل العلم إن دار الإسلام ودار الحرب يعني البلد التي فيها هذا وفيها هذا لا يطلق عليها يتوقف في أن يطلق عليها اسم دار الإسلام أو اسم دار الحرب بل يعمل كل فيها بحسبه ولا تعامل معاملة دار الإسلام من كل وجه ولا معاملة دار الحرب من كل وجه في البلاد المختلطة وقال آخرون من أهل العلم إن أحكام الإسلام إذا غلبت فالدار دار إسلام وإذا غلبت أحكام الكفر فالدار دار كفر فالمدار على ما يغلب منهما وهذا الأخير يذهب إليه أكثر أئمة الدعوة رحمهم الله تعالى والذي قبله من أنه لا يعطى هذا ولا هذا هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية لما سئل عن بلد أظنها دارين في سؤال أنها فيها أحكام الإسلام وفيها أحكام التتار . قول الشيخ رحمه الله وأن بلادهم بلاد حرب (لأن أحكام غير الإسلام غلبت فيها . فأحكام الإسلام لا توجد من بلدان المسلمين .)

هذا الذي ذكره الإمام رحمه الله تعالى واضح الدلالة فيما نحن فيه من أن العلماء لم يجعلون من أظهر الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج وبعض العبادات أنه لا يكفر مطلقاً بل نصوا على أنه يكفر في باب حكم المرتد إذا فعل أشياء أو اعتقد أشياء أو قال أشياء كذلك هذه الأمة حصل منها تكفير لطوائف كفروا من قال برسالة مسيلمة وقاتلوا وكفروا ما نعى الزكاة غير الممتنعين عن الالتزام بها وكفروا بنو عبيد القداح لعقائدهم الباطلة وتأليههم لعلي رضى الله عنه وللأئمة وعلي رضى الله عنه كفر من ألهه وحرقهم بالنار فهذا كله يدل بوضوح على أن ما ذكره صاحب الشبهة من أن المسلم الذي يقول : لا إله إلا الله محمد رسول

الله ويصلى ويزكى ويصوم ويحج أنه لا يكفر بحال أن هذا باطل بالأوجه الكثيرة التي أوردها في الدرس السابق وفي هذا الدرس نقف عند هذا .

س : يقول هل لك مؤلف في كرامات الأولياء . وهل مطبوع أم لا ؟ وإذا كان الجواب : لا : فكيف أستطيع الحصول عليه ؟

ج : كرامات الأولياء فيها كتاب الفرقان لشيخ الإسلام ابن تيمية . الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وفيها كتاب كرامات الأولياء للالكائى وهو مطبوع أيضاً وهو بمقدمة المحقق كان في بابه وكتاب النبوات فيه بحث كثير أيضاً في الكرامات والكتب التي بحثت هذا كثيرة .

س : هل المشاركة في المسابقات حلال أم حرام ؟

ج : هذه أسئلة فقهية يعنى يتعلق بالغرر الذي يحصل ولكن هنا هذه تحتاج إلى تفصيل ذكرناه في مجالس متعددة .

س : هل كان من المرتدين من كان قابلاً للزكاة منقاداً لها إلا أنه ممتنع عن دفعها للإمام ؟

ج : أن السؤال ينبغي أن يكون كالتالي : هل كان من المرتدين من كان قابلاً للزكاة منقاداً لها إلا أنه ممانع عن دفعها للإمام ؟ يعنى لفظ ممتنع ليست هي ممانع ممتنع مصطلح الامتناع هنا ممتنع يعنى غير ملتزم ممانع يعنى منع هذا الشيء لم يف به منع مثل ما قال الناس في زمن النبي ﷺ منع خالداً زكاة ماله لكن ما امتنع فالمنع شيء في النصوص وفي كلام أهل العلم والامتناع شيء منع خالد زكاة ماله قال : أما خالد فإنكم تظلمون خالداً إنه احتبس أسيافه وأدرعه في سبيل منع المنع هنا غير الامتناع المنع يعنى : أنا لن أؤد هذه هذا له حكم أمثاله من أهل

الذنوب والمعاصي أما الامتناع يقابل الالتزام و لهذا يقول إلا أنه ممتنع ممانع عن دفعها للإمام الجواب كما ذكرنا أن مانعي الزكاة على فئتين منهم من كان ممتنعاً ومنهم من كان مانعاً لكن المانعين قاتلوا مع الممتنعين قاتلوا قتالاً واحداً فلما صاروا يقاتلون الصحابة تحت هذه الراية راية الامتناع عن أداء الزكاة صار لهم حكمهم من هذه الجهة أما مسألة المنع فهي غير مسألة الامتناع فلا يكفر المانع و المانع غير المستجيب الرافض وإنما يكفر الممتنع غير الملتزم الذي يخرج نفسه من دخوله في الخطاب التكليفي في هذه المسألة بخصوصها .

س : هل هناك فرق بين الطائفة والفرد في هذه الأحكام ؟

ج : الفرق بين الطائفة والفرد في القتال أما في مسألة الامتناع والالتزام واحد . الطائفة الممتنعة والفرد الممتنع الطائفة التي تقول لا التزام بهذا الحكم يخص غيري والفرد الذي يقول هذا الحكم لا يوجه لي وإنما لغيري الحكم من حيث الردة واحد أما في القتال فيفرق ما بين الفرد وما بين الجماعة فالجماعة التي لها منعة تقاتل والفرد يستتاب فإن تاب وإلا قتل .

س : كيف خفي على جلهم كفر من لم يلتزم بالزكاة ؟

ج : ما خفي عليهم كفر من لم يلتزم . خفي عليهم أن هل هؤلاء يكفرون هل هؤلاء منعوا الزكاة أم لا هل هؤلاء امتنعوا أو منعوا الزكاة أم لا يعنى ما يدرون ايش حقيقة أمرهم : أنه عمر كان يرى أن يرسل إليهم أحد وينظر حالهم .

يسأل عن بعض طوائف الإسماعيلية ؟

ج : بحسب ما ذكرنا .

س : على قول أئمة الدعوة إذا غلبت أحكام الكفر على أحكام الإسلام فهي دار كفر ؟

ج : أنا ما قلت : قول أئمة الدعوة أنا قلت ايش ؟ أكثر أئمة الدعوة في علمي يعني بحسب ما اطلعت على كتبهم لكنه قولهم يعني هذا قولهم جميعاً لا أنه إذا غلبت أحكام الكفر على أحكام الإسلام فهي دار كفر .

هنا نقول : يعني يشخص على بعض بلاد المسلمين الآن نقول هنا هل غلبت أحكام الكفر أم لم تغلب ؟ هذه يختلف فيها العلماء فلنظر يكون للعالم في تشخيص البلد هل هذا البلد غلبت فيه أحكام الكفر أم لم تغلب والذين سألوا شيخ الإسلام ابن تيميه عن دارين أظن قالوا له : أن فيها كذاوكذا فما حكمها ولهذا ينبغي أن يشخص لأهل العلم والفتوى والعلم بأحكام المرتد هذه المسائل والفتوى تكون تبعاً لذلك لا ماله علاقة دار الكفر ودار الإسلام لا علاقة لها بالحاكم يعني قد يكون الحاكم مسلماً والدار دار كفر مثل النجاشي في الحبشة هو مسلم وداره دار كفر وقد يكون الحاكم كافراً والدار دار إسلام إذا كان حصل منه موجب للردة بشخصه فلا ارتباط بين حكم الدار والحاكم . الحاكم إذا كفر يجب خلعه مع الاستطاعة مع القدرة يعني إذا لم يكن له شبهة أو تأويل مثل المأمون ومن بعده المهم أن حكم الدار لأصلة له بالحاكم قد يكون الحاكم مسلماً والدار دار كفر وقد يكون الحاكم كافراً والدار دار إسلام دار إسلام وقد نكون المسألة مشتبهة فهذه الأحكام دقيقة ودائماً نوصى الشباب بأن لا يخوضوا فيها لأن الشاب أو طالب العلم المبتدئ ربما خاض فيها من جهة الغيرة فأثرت غيرته على الحكم وهذا غير مطلوب بل ينبغي تركه .

س : يقول إذا جلست على يدي أو رجلي فترة من الزمن فإنها تنام أي لا أقدر أن أحركها وأحس فيها مثل الدبابيس وهناك طريقة يقع هذا ؟

ج :يعني وضع كذا على الجفن كطريقه جاصة به أنا لا أعرف أن هذه من الطرق الممنوعة .

نكتفي بهذا القدر وفقكم الله وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ويقال أيضاً : إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وإنكار البعث فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب باب حكم المرتد وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ثم ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل الدم الرجل وماله حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه وكلمه يذكرها على وجه المزح واللعب وكذلك ويقال أيضاً الذين قال الله فيهم : ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم** ﴾ أما سمعت الله كفرهم مع أنهم في زمن الرسول ﷺ ويجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون كذلك الذين قال الله فيهم : ﴿ **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول

الله ﷺ في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم : تكفرون من المسلمين أُناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق ومن الدليل على ذلك أيضاً ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى أجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وكذلك قول أُناس من الصحابة أجعل لنا ذات أنواط فحلف النبي ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل اجعل لنا إلهاً ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة وهي أنهم يقولون إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا .

فالجواب أن نقول إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل التوحيد فهمناه أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ..

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من العلم والعمل يا أرحم الراحمين اللهم اجعلنا من المتقين لك المنيبين إليك المتوكلين عليك المؤمنين بك الصادقين في دينهم يا أكرم الأكرمين نسألك اللهم أن تعيذنا من مُضلات الفتن وأن تجنبنا ما

ظهر منها وما بطن وأن تحملنا على الحق وأن تعيننا عليه وأنت على كل شيء قدير ..أما بعد

فهذه تتمة للأجوبة التي ساقها إمام هذه الدعوة على الشبهة التي أوردها المشركون الذين عبدوا غير الله جل وعلا و لم يعترفوا بأنهم يعبدون غير الله جل وعلا وهذه الشبهة هي قولهم كيف تُكفرون وتحكمون بالشرك على من يقول : لا إله إلا الله محمداً رسول الله ويصلي ويصوم ويزكي ويحج البيت الحرام ويؤمن بما أنزل الله جل وعلا على رسوله ﷺ فأجاب عن هذه الشيهة بأجوبة متعددة إلى أن قال في جواب هذه الشبهة ولعله يكون الجواب السابع أو الثامن من الأجوبة قال : ويقال أيضاً إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب التي ذكر العلماء في كل مذهب باب حكم المرتد وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ثم ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب

وتحصيل هذا أن العلماء من جميع المذاهب المتبوعة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية كل هؤلاء من المذاهب المتبوعة الباقية ومن المذاهب المنقرضة أيضاً كمذهب ابن جرير ومذهب سفيان ومذهب الاوزاعي ومذهب الليث إلى غير ذلك هؤلاء عندهم أن المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قد يكفر بعد إسلامه وجماع أنواع الكفر عندهم يعني عند جمهور هؤلاء ترجع إلى أربعة الأول : الاعتقاد الثاني : القول

الثالث : الفعل الرابع : الشك

فيرجعون جميع أنواع المكفرات إلى أحد هذه الأنواع إما باعتقاد يضاد به لا إله إلا الله محمد رسول الله ولوازم الشهادتين وإما بقول يضاد الإسلام أو بفعل يضاد الإسلام أو بشك فيما أنزل الله جل وعلا على رسوله ﷺ .
فمن اعتقد عقيدة تضاد الإسلام من أصله خرج من الدين ومن قال قولاً يُضاد الإسلام من أصله خرج من الدين وكفر بعد إسلامه ولهذا قالوا : باب حكم المرتد وهو المسلم الذي كفر بعد إسلامه قالوا : ويكفر المسلم وبعضهم يقول : يرتد المسلم باعتقادٍ ككذا وكذا أو قولٍ ككذا وكذا أو فعل أو شك فهذه الأربعة جعلوها أنواعاً لأصول المكفرات وإذا كان كذلك فإن العلماء بهذا مجمعون على أن من كان مسلماً فإنه قد يكفر ببعض ما يعرض له مما يضاد الإيمان من أصله أو يضاد الشهادتين من أصلهما أو يضاد الإسلام من أصله والجميع بمعنى واحد فإذا كان كذلك لم يكن لهذه الشبهة معنى عند الأئمة وعند أتباع الأئمة لأنهم نصوا على كفر المسلم إذا أتى بشيء من المكفرات فإذن قوله لا يكفر من عبد غير الله لا يكفر من استغاث بالأموات لا يكفر من ذبح لغير الله لا يكفر من استعاذ بغير الله بشرطه لا يكفر من استغاث بالأموات لا يكفر من استعاذ بالأموات لا يكفر من توكل على ميت لا يكفر كذا وكذا لأنه مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فنقول :هذا باطل ثم إن شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من أهل العلم تتابعوا على نقل الإجماع على أن من اتخذ مع الله جل وعلا وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً وهذا إجماع أقره علية علماء الحنابلة وطائفة من علماء الشافعية وغير هؤلاء من علماء المذاهب الأُخر وهذا من الإجماع المعلوم من الدين بالضرورة المعروف لأن معنى التوحيد معنى الشهادتين أن يوحد الله جل وعلا في العبادة فمن اتخذ مع الله جل

وعلا وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم فمعنى ذلك أنه توجه بالعبادة لغير الحق جل وعلا ومن توجه بالعبادة لغير الله فإنه مشرك كافر فإذن هذه الشبهة التي أوردوها يقال لهم فيها : ما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب باب حكم المرتد ؟ ولهذا من العلم الجيد أن يُفرد من كل مذهب أنواع المكفرات التي يقولها أئمة ذلك المذهب في كتبهم سواء منهم المتأخرون أو المتقدمون فإنك ستجد أن الجميع قد أقر بأن المسلم الذي ثبت إسلامه قد ينتقل عنه بنوع من أنواع المكفرات .

قال الشيخ رحمه الله هنا : ثم ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله .

وإحلال الدم والمال في المكفرات فيه تفصيل :

منها ما يحتاج معه إلى إقامة حجة ومنها ما لا يحتاج معه على إقامة حجة ومنها ما يستتاب فيه ومنها ما لا يحتاج معه إلى استتابة فمثل المعلوم من الدين بالضرورة يعني الذي لا يحتاج فيه إلى الاستدلال يُعلم ضرورة لا يحتاج لإثباته استدلال إذ كل مسلم ثبت إسلامه فإنه يعلم هذه المسائل بالاضطرار يعني علمها لأن أصل دخوله في الدين متوقف عليها إلا في حالات نادرة من نشأ في بادية بعيدة أو ما أشبه ذلك لكن المسائل المعلومة من الدين بالضرورة يعني التي لا يحتاج لإثباتها استدلال بل هي شائعة في المسلمين مثل وجوب الصلوات الخمس ووجوب الزكاة بالجملة وتحريم الزنا وتحريم الخمر وأشباه ذلك فإن هذا لا يحتاج معه إلى دليل لأن كل مسلم نشأ على الإسلام أو دخل في الدين وفهمه فإنه يُقر بوجوب هذه ويحرم تلك المحرمات فليست مما تقع فيه الشبهة .

فإذن التكفير قد يكون في مسائل يحتاج إلى إقامة حجة وفي مسائل لا يحتاج معه إلى إقامة حجة والذي يكفر ويحل الدم والمال هو الحاكم الشرعي يعني القاضي أو العالم أو المفتي فإنه هو الذي يفتي بكفره وحل دمه وماله وهذا ليس إلى آحاد الناس لأن التكفير حكم شرعي يحتاج في إثباته إلى وجود شرائط وإنتفاء موانع وإزالة شبهة فيما يحتاج معه إلى إزالة شبهة إلى غير ذلك فيحتاج في ذلك إلى حكم حاكم ثم كما ذكرت لك منها ما يحتاج فيه إلى استتابة ومنها يعني في القتل ما لا يحتاج فيه إلى استتابة ، فلو تاب تكون توبته بينه وبين ربه جل وعلا وأما في الظاهر ففي مسائل لا تقبل التوبة ظاهراً وإن كان يجوز أن تقبل باطناً يعني إذا صدق في توبته .

قال : حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه وهذا متفق عليه فيما بين علماء المذاهب الأربعة والأئمة الأربعة في أن الكفر قد يكون بالكلمة دون اعتقاد القلب فليس من شرط الخروج من الدين أن يعتقد بقلبه بل قد يقول كلمة يذكرها بلسانه دون اعتقاد القلب لما دلت عليه فيكون كافراً بذلك أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب ولا يواطئ قلبه عليها لأن حماية الشريعة واجبة ولأن من فعل ذلك فقد ترك التعظيم الواجب واصل الديانة والتوحيد هو توحيد الله جل وعلا فإذا وقع في كلمة مكفرة فإن بعض الكلمات لا يحتاج معها إلى اعتقاد في القلب مثل سب الله جل وعلا أو سب الرسول ﷺ معيناً أو سب دين الإسلام هكذا بالإطلاق أو ما أشبه ذلك فإن هذا لا يحتاج معه على أن يعتقد بل إذا سب الله جل وعلا كفر ولو لم يعتقد وكذلك إذا سب الرسول ﷺ كفر ولو لم يعتقد كما حقق ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب هذا

من جنس المستهزئين الذين قال الله جل وعلا فيهم :﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ قال الشيخ رحمه الله بعد ذلك :
ويقال أيضاً وهذا جواب آخر لأصل الشبهة الذين قال الله فيهم : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ﴾ أما سمعت أن الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ يجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون .

وهذا الذي نسبه الإمام رحمه الله إليهم قد يكون باعتبار الظاهر والباطن جميعاً وقد يكون باعتبار الظاهر فإن العلماء اختلفوا هل هؤلاء كانوا من المنافقين أصلاً أو لم يكونوا من المنافقين يعني الذين نزل فيهم قوله : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ﴾ وعلى كل فإن قوله :﴿ وكفروا بعد إسلامهم ﴾ حيث جعل الكفر بعد الإسلام والإسلام هو الظاهر دل على أن الكفر حصل منهم بمنافاة ما قالوا للإسلام الظاهر وهذا يشمل أن يكونوا منافقين أو أن يكونوا غير منافقين لأن المنافق أسلم ظاهراً و لم يؤمن باطناً ، وهو إذا أظهر شيئاً مما يخالف أصل الدين يكفر بعد إسلامه وكذلك إذا كان من غير المنافقين فإن كلمته تلك جعلته يكفر بعد إسلامه قال : ﴿ ولقد قالوا كلمة الكفر ﴾ وهذا يدل على أن الكفر يكون بالكلمة و لم يشترط هنا ولا في آية الاستهزاء الاعتقاد ولهذا بنى العلماء قولهم : إن المسلم يكفر باعتقاد أو قول أو فعل أو شك على أدلة منها هذه الآية .

قال الإمام رحمه الله : وكذلك الذين قال فيهم : ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ﴾ أيضاً يضاف إلى ما سبق في تقرير الجواب الأول أنه قال جل وعلا : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر ﴾ قوله جل وعلا : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ﴾ دل على أن الكفر معتبر فيه القول ولو كان يحميهم منه عدم الاعتقاد لنفوا عن أنفسم الاعتقاد وأقروا بالقول لأنهم يقصدون البعد عن الكفر فلما لم يحتجوا باعتقادهم الباطن ولا بإيمانهم الباطن دل على حصول الكفر منهم بالظاهر بالكلمة الظاهرة فقوله جل وعلا : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ﴾ احتاجوا إلى الحلف بالله أنهم لم يقولوا لأن الكفر يعلمون أنه يحصل بقولهم ولو علموا أنهم لو حلفوا بأنهم لم يعتقدوا أو لم يقروا بهذا أو يلتزموه في قلوبهم يعني لو علموا أنهم لو أحالوا على ما في قلوبهم لنجوا لأحالوا على ما في قلوبهم ولكن الله جل وعلا بيّن أنهم حلفوا على انتفاء قولهم أصلاً وذلك لأجل أن يسلموا من الكفر وقد قال جل وعلا بعدها : ﴿ ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ﴾ كذلك الذين قال الله فيهم :

﴿ قل أ بالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا اليوم قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾

ففي هذه الآية صرح الله جل وعلا أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح وهؤلاء كانوا من المنافقين كما قال الله جل وعلا : ﴿ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في

قلوبهم * قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون * ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب * قل أ بالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعفو عن طائفة منكم نعذب طائفة ﴾ فدلت هذه الآيات على أن هؤلاء كانوا منافقين وأن تكفيرهم لأجل ما حصل منهم من الاستهزاء بالله وبالآيات والرسول ﷺ فتعليق حكم التكفير في الآية بالاستهزاء بهذه الثلاثة دل على أن المسلم الذي يحكم بإسلامه ظاهراً إذا استهزأ بالله فإنه يكفر بعد إيمانه أو استهزأ بآي الله المتلوة يعني بالقرآن فإنه يكفر بعد إيمانه أو استهزأ بالرسول ﷺ فإنه يكفر بعد إيمانه : ﴿ قل أ بالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ﴾ فدل هذا على تعليق الاستهزاء بهذه الثلاث وهي :

١ ــ الاستهزاء بالله ويدخل في ذلك السب واللعن وأشباه ذلك

٢ ــ الاستهزاء بالقرآن بنفس الآيات بالآيات نفسها أو بالآي نفسها أو بسورة من القرآن .

٣ ــ الاستهزاء بالرسول ﷺ أو سب القرآن أو سب الرسول ﷺ فإنه لا يقبل منه اعتذار بأنه لم يعتقد أو أنه قالها على وجه المزح واللعب لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم فدل هذا على أن من حصلت منه كلمة الكفر فإنه يكفر بعد إسلامه ويكفر بعد إيمانه وهذا هو المراد من تقرير هذا الجواب ، قال رحمه الله بعد ذلك فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم : تُكفرون من المسلمين أُناس يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق .

وهذه الأجوبة أظنها تبلغ تسعة أو عشرة التي ذكرها الشيخ رحمه الله في جواب هذه الشبهة وهي لا شك مثل ما وصفها الإمام رحمه الله أنها من أنفع ما في هذه

الأوراق لأن الأكثرين ممن أقروا بالتوحيد واعتقدوا صحته صعب عليهم أن يخرجوا أحداً ممن أظهر الإسلام عن إسلامه بدعوة غير الله ودعاء الأموات والذبح لهم وأشباه ذلك مما فيه صرف العبادة لغير الله لأجل أن هؤلاء مسلمون يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون إلى آخره حتى إن بعضهم في جبهته أثر العبادة وحتى إن بعضهم يصوم يوماً ويفطر يوماً فيقول : كيف تحكمون عليه بالخروج من الدين وهذه حاله وهذا ديدنه في العبادة وفي الطاعة وفي قيام الليل والصيام وكثرة التلاوة وكثرة الصلاة لأجل أنه دعا غير الله أو استغاث بغير الله أو اعتقد في الولي الفلاني أنه يملك له نفعاً أو ضراً أو أنه يتصرف في شيء من العالم كيف تكفرونه وهو من أهل الصلاح .

والجواب : أن العلماء كما ذكروا أجوبة كثيرة على هذا وكل مسلم مهما كانت مترلته فإنه يكفر بعد إسلامه بالشرك باعتقاد باطل أو بقول باطل يضاد الإسلام من أصله أو بعمل يضاد الإسلام من أصله كالسجود لصنم أو رمي المصحف في قاذورات متعمداً عالماً وأشباه ذلك فإنه يكفر بعد إسلامه لأنه فعل هذه الأشياء والله جل وعلا قال لنبيه عليه الصلاة والسلام وهو أكرم الخلق : ﴿ **ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين** ﴾ قال : (لئن أشركت) يا محمد ليحبطن عملك وفسر الشرك بعد ذلك بقوله : ﴿ **بل الله فاعبد** ﴾ يعني أن من عبد غير الله فهو المشرك الذي حبط عمله فقال : ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ يعني الذين خسروا عبادهم وخسروا دنياهم وخسروا آخرهم ﴿

بل الله فاعبد ﴾ يعني اعبد الله وحده دون ما سواه : ﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ ثم ذكر تطبيقاً لهذا الأصل وهو أن المسلم قد يكفر بعد لإسلامه بأشياء بمثلين أو حادثتين :

الأولى :لأصحاب موسى عليه السلام .

والثانية : لبعض أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام .

قال ومن الدليل على ذلك يعني على الجواب الأخير ما حكى الله تعالى عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم قوله : حكى الله تعالى يعني قص فالحكاية هنا بمعنى القصة حكى الله تعالى عن بني إسرائيل يعني قص الله تعالى عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم هربوا من فرعون وآمنوا بموسى وهاجروا معه وصاروا في التيه حتى حصل منهم ما حصل قال الله جل وعلا عنهم أنهم قالوا لموسى

﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾ قال سبحانه : ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة * قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ﴾ وجه الاستدلال أن المسلم المتبع للنبي المؤمن به قد يتخذ إلهاً مع الله جل وعلا حيث قالوا لموسى عليه السلام اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وهؤلاء فهموا وهم أهل الفهم والإدراك أن طلب العكوف على التماثيل أو على الأصنام أو على الأوثان أو على القبور أو ما أشبه ذلك أن العكوف عند هذه الأشياء تقرباً لأصحابها عبادة وأنه اتخاذ إله مع الله جل وعلا فقال اجعل لنا إلهاً يعني نتوجه إليه في الأرض كما نتوجه لله جل

وعلا في السماء اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة واحد نتوجه إليه في الأرض تمثال أو وثن أو صنم فقال لهم موسى عليه السلام : ﴿ إنكم قومٌ تجهلون * إن هؤلاء مُتبرُ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ﴾ فطلبوا فلما أنكر عليهم موسى علمهم الصواب عليه السلام تركوا طلبهم ورجعوا إلى توحيدهم قال الشيخ رحمه الله وهو المثال الثاني :وقول ناس من الصحابة اجعل لنا ذات أنواط فحلف رسول الله ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل : اجعل لنا إلهاً وهذا حديث ذات الأنواط أنه لما خرج الرسول ﷺ وأصحابه إلى حنين وجدوا للمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يعني يعكفون ويعلقون الأسلحة رجاء البركة وهذان الفعلان وهو العكوف ونوط الأسلحة ونوط الأشياء بالشجر لتنتقل البركة من الشجر إلى الأسلحة فينتفعون بذلك في الدنيا والآخرة جميعاً هذان نوعان من العبادة فالعكوف والاعتكاف عبادة مستقلة وطلب البركة والانتفاع في الدنيا والآخرة أيضاً عبادة أخرى فهؤلاء طلبوا إلهاً مع الله جل وعلا حيث قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط وذات الأنواط هذه فعل عندها المشركون فعلين :

الأول : العكوف   والثاني : تعليق الأسلحة للتبرك بها

يعني لينتفعوا بالتبرك في الدنيا بمضاء أسلحتهم وفي الآخرة بثوابهم على ذلك أو طلب القربى عند الله ، قال : الله اكبر الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده ما قال أصحاب موسى لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فدل على أن العكوف عند شيء غير ما أذن الله جل وعلا به وهو البيت الحرام وفي المساجد عكوف لله جل وعلا يتقرب به إلى الله وحده أن هذا صرف للعبادة لغير الله فمن عكف عند

شيء يتقرب باعتكافه وعكوفه عنده لهذا الشيء فإن هذا شرك أكبر وكذلك طلب البركة في الدنيا والآخرة جميعاً من أحد بفعل من الأفعال فإن هذا شرك أكبر .

هل كفر أولئك الذين قالوا تلك الكلمة ؟ قال أهل العلم طلبوا شيئاً و لم يفعلوه فتكفير المشركين حصل بشيئين بالعكوف وبطلب البركة ونوط الأسلحة بالشجرة وهذان الفعلان التكفير بهما والحكم بالشرك بهما راجع إلى العمل ولذلك من قال هذه الكلمة فإنه لا يكفر لأنه لم يفعل وكفر أولئك بالعمل وهؤلاء لم يكفروا لأنهم لم يعملوا وطلبهم أنكر عليهم فرجعوا إلى توحيدهم فلم يحصل منهم ذلك ولهذا من طلب هذا الطلب ، من طلب شيئاً أو قال شيئاً كفره بالعمل يعني كفره بفعل ما و لم يحصل منه هذا الفعل وإنما حصل منه القول فقط فأنكر عليه أو عُلِم إذا كان جاهلاً قال إنكم قوم تجهلون فرجع فإنه لا يكفر ولا يخرج عن دينه بمقالته مثل مثلاً يقول أحد : لماذا لا نذهب إلى الولي الفلاني ندعو عنده ندعوه ونسأله أن يحصل لنا كذا وكذا فبمجرد القول ، إذا أنكر عليه فالتزم وفهم الصواب ووحد فأنه لا يكفر لأنه بالقول طلب شيئاً ومن طلب شيئاً كفره بالفعل فإنه لا يكفر بالقول لأن القول كبيرة وليس بكفر في هذه الصورة قال : ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة وهي أنهم يقولون إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك ، كذلك الذين قالوا اجعل لنا ذات انواط لم يكفروا وهذا صحيح هذا الإيراد كما ذكرت لكم صحيح لكن ليس على ما أرادوا من لزوم هذا الإيراد على شبهتهم فأجاب عنها الإمام بقوله : فالجواب أن نقول إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك .

فإذن أنهم لم يكفروا لا لأجل أنه لم يكفر المسلم ولكن لأجل أنهم لم يفعلوا بل هم قالوا : اجعل لنا إلهاً واتخاذ إله مع الله جل وعلا ينافي لا إله إلا الله قال : وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ولا خلاف يعني بين أهل العلم في أن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك ولو فعلوا ذلك لكفروا وكذلك لا خلاف يعني بين العلماء في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب

وهذا تقرير عظيم وجيه صحيح متفق كما ذكر الشيخ مع كلام أهل العلم في تقريرهم على الآية وعلى الحديث فإن أهل العلم مجمعون كما ذكرت لك على أن ما كان كفره بالفعل فإن طلبه بالقول دون ممارسة للفعل لا يكفر صاحبه بذلك يعني إذا طلبه .

قال : وهذا استطراد من الإمام رحمه الله هذا استطراد مهم وعظيم قال : ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعليم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل التوحيد فهمناه أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان .

التوحيد فهمناه يعني فهمنا التوحيد وهذا الاستطراد مناسب جداً لأن قصة بني إسرائيل وقصة من كان مع النبي ﷺ إذ خرج إلى حنين وكانوا حدثاء عهد بكفر طائفة منهم هم الذين طلبوا ذلك من مسلمة الفتح ممن تأخر إسلامهم و لم يعلموا حقيقة الدين بعد هذا يفيد شيئاً عظيماً وهو أن الموحد الذي دخل في الإسلام وهو يعلم معنى كلمة التوحيد قد تقع له بعض الأفراد في التوحيد يجهلها ولا يفهمها فيقع في قول كفري وهو لا يعلم قال تفيد أن المسلم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها وهذا ظاهر فإنهم لو لم يكن معهم النبي ﷺ قد يكونوا

يفعلون ما طلبوا من النبي ﷺ أن يأذن لهم به وهذا راج في الواقع على كثير من أهل العلم ومن المنتسبين للديانة فإنهم على ديانتهم وعلى علمهم قد استحسنوا بعض الأفعال الشركية سواء بالنبي ﷺ أو بغيره من الصالحين أو الأنبياء كإبراهيم الخليل ونحو ذلك فدل على أن الصحابة الذين هم أفضل هذه الأمة بالإجماع أفضل من علماء هذه الأمة بالإجماع أنهم وقعوا في ذلك لا يؤمن أن يقع فيه من هو دونهم في الرتبة والمنزلة وإذا وقع فيه عالم لا يقال : هذا عالم كيف تقول إنه وقع في ذلك بل نقول قد يقع فيه أصحاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما حصل من أصحاب موسى وحصل من بعض أصحاب محمد ﷺ وهم على فضلهم وصحبتهم لكن جهلوا بعض أفراد التوحيد وإذا جهل فإن التعليم والإنكار على الجاهل والإنكار على المعاند وتعليم الجاهل واجب ولا يجوز أن يقال أن العالم لا يخطئ في هذه المسائل البتة بل قد يقع الغلط في هذه المسائل ممن هو في المرتبة العليا في زمنه أو في بلده وإنما المقصود أن الأمة لا يمكن أن تجمع على ضلالة فإذا وجد من قام بالحق فبين له أن قوله ذلك يقود إلى باطل أو إلى شرك كفعل بعض المتأخرين حيث ذكروا في كتبهم الفقهية بعض الصور الشركية التي استحسنوا أن تفعل عند قبر النبي ﷺ كما يذكرون قد ذكره طائفة من الكبار والعلماء في كتب الحج سواء الفقهية المطولة أو المناسك المخصوصة بالحج ذكروا أنه إذا أتى المسلم قبر النبي ﷺ يستحب له أن يدنوا منه وأن يناديه بقوله :

يا خير من دُفنت في القاع أعظمه **** فطاب من طيبهن القاع والأكمُ

إلى آخر الأبيات التي فيها استغاثة بالنبي ﷺ والطلب منه فذكروا أنه يفعل أشياء هي من الشرك بالله جل وعلا لا يقال هؤلاء علماء كيف نقول ؟ إنهم استحسنوا هذا الأمر نقول : من هو أفضل منهم قد يخفى عليه ولا ينقص هذا من منزلتهم

لأن الصحابة الذين قالوا ذلك وطلبوا هذا الطلب الكفري لما أنكر عليهم وعُلِموا تركوا هذا القول وأنابوا هم على مترلتهم وفضلهم وعظم مكانتهم في هذه الأمة فهم خير الناس لأنهم صحب رسول الله ﷺ فإذا وقع العالم في شيء من ذلك فإن العالم إذا لم يكن داعياً إلى الشرك وإنما وقع منه هذا في كتبه من جهة الغلط فإنه قد يغلط الكبير قد يغلط العظيم غلطه وأشباه ذلك وهذا لا يُترل من مرتبته لأن هذا لو قيل به لكان معنى القول بعدم غلط العالم أنه معصوم مطلقاً والصحابة رضي الله عنهم لم يعصموا وكذلك من بعدهم أولى بأن لا تكون لهم العصمة لكن الإجماع لا تجمع هذه الأمة على ضلالة بل لا يزال في الأرض قائم لله بالحجة يدلي بالحجة الشرعية الصحيحة ويبينها للناس فإذا قوله هنا رحمه الله هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم لأن أفراد التوحيد كثيرة وربما سمعتم ورأيتم وقرأتم في هذا الزمن من بعض من ينتسبون إلى الدعوة في بعض البلاد وبعض الأمصار من فعلوا أشياء كثيرة وعملوا أشياء كثيرة يريدون بها نصرة دين الله جل وعلا ولكن عندهم بعض شركيات تجد عندهم بعض الأفعال أو الأقوال التي فيها شرك كمن استحسن الاستغاثة ببعض الأموات إما النبي ﷺ أو بأبي بكر أو بعمر وكمن طلب أن يحضر إلى النبي ﷺ وتتلى عنده أبيات معينة فيها الاستغاثة به وأشباه ذلك فالداعية وصاحب المقام إذا كان هو يريد نصرة دين الله فلا يعني أنه يقع في ذلك بل عليه أن يخاف اشد الخوف أن يقع في الشرك وهو لا يعلم كما قال الشيخ رحمه الله هنا .

الجهل داء قاتل ودواءه أمران ... في التركيب متفقان

نص من القرآن أو من سنة ** وطبيب ذاك العالم الرباني

فالعلم هو شفاء الجهل فالتعلم لا بد منه ومن قال التوحيد أمر فطري لا نحتاج إلى أن نتعلمه ولا إلى أن نبذل فيه الوقت ولا الجهد فهذا جاهل بنفسه وجاهل بحق ربه جل وعلا بل التوحيد يحتاج العبد إلى أن يتعلمه دائماً حتى لا يقع في شيء من نواقض ذلك التوحيد فأعجب ما يكون من ذلك قول إبراهيم عليه السلام لربه في دعائه المخبت المنيب : ﴿ **واجنبني وبني أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيراً من الناس** ﴾ فدعا ربه أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام يعني عبادة غير الله جل وعلا وإبراهيم هو خليل الله ، قال إبراهيم التيمي من سادات التابعين رحمه الله تعالى لما تلا هذه الآية قال : ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم فالعبد يجب عليه أن يتعلم وأن يخاف ويتحرز فمن خاف علامات سعادة المؤمن وطالب العلم والداعي إلى الله جل وعلا أن يكون دائم التعلم للتوحيد والقراءة في مسائله لأنه اعظم حق لله جل وعلا .

والثاني : أن يكون دائماً خائفاً من الشرك ووسائله فيكون متحرزاً خائفاً كما قال الشيخ رحمه الله هنا في وصيته العظيمة فتفيد التعلم وهذا واحد والتحرز وتفيد أيضاً معرفة أن قول الجاهل التوحيد فهمناه ، أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان .

فإنه لا يقال التوحيد فهمناه نريد شيئاً غير التوحيد يُنسى وتتشابه مسائله وصور الشرك تتجدد مع الأزمنة .

فلابد أن يُتعلم وتبين مسائله والشيطان يُنسي الناس أصل التوحيد ومسائله حتى يقعوا في الشرك ولهذا تعلمون في حديث ابن عباس الذي في الصحيح صحيح البخاري لما عُبد الصالحون من قوم نوح قال ابن عباس في إشارة عظيمة قال لما

اتخذوا صور أولئك الصالحين جاءهم الشيطان إلى آخره ، حديث عطاء عبد الله بن عباس قال : فلما تنسخ العلم عبدت لما تنسخ العلم عبدت ففي قوله تنسخ فائدتين :

الأولى : أن العلم بعد وجوده قد يذهب وإنما يذهب بإهماله

والفائدة الثانية : أن قوله فلما تنسخ العلم يعني ذهب شيئاً فشيئاً يدل على أن العلم بالتوحيد لا يذهب جملة من الناس وإنما يذهب شيئاً فشيئاً لأنه يتنسخ ما ينسخ فجأة لا يرفع فجأة لكن يتنسخ شيئاً فشيئاً يزول بإهمال الناس وعدم رعايتهم لهذا الأصل العظيم قال : تفيد معرفته أن قول الجاهل التوحيد فهمناه أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان وهذه الكلمة قاله التوحيد فهمناه قالها بعض تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إمام الدعوة قالوها له في درسه فإنه لما أتم إقراء كتاب التوحيد وبيان مسائله فأراد أن يعيد الكرة ثالثة أو رابعة قالوا له يا شيخ نريد كتاباً آخر نريد الفقه أو الحديث قال : لما قالوا : التوحيد فهمناه نريد علماً آخر فقال لهم : انظروني حتى أنظر في هذه المسألة فلما أتى بعد بضعة أيام سألهم جلس في مجلس درسه وبدا على وجهه التكدر جداً فقالوا له يعني عسى ماشر ويش في الشيخ قال أبلغت بشيء كدرني فقالوا له وما هو ؟ قال بلغني أن بيتاً في الدرعية ذبح أصحابه عند الباب ديكاً لأجل نزولهم البيت أرادوا النزول في البيت وقبل أن يترلوا ذبحوا عند الباب ديك يسال الدم عند عتبة الباب وأنا أرسلت من يتثبت في الأمر ونقوم في ذلك بما يجب فلما أتى من غدا قالوا له ماذا حصل يا شيخ وش صار في هذا الذي كذا قال : وجدت الأمر غير ذلك قال ماذا وجدت قال لهم : وجدت أن أهل البيت ما حصل منهم ذلك ولكن فلان

وقع على أمه فقالوا أعوذ بالله وقع على أمه قال المسألة ما كان ... فقالوا اللي أمس هانت لكن هذا وقع على أمه أعوذ بالله .

فالشيخ قال هذه الكلمة قال منه تعلم أن قول الجاهل التوحيد فهمناه من أكبر الجهل ومكائد الشيطان لأنهم استعظموا كبيرة من الكبائر وأما الشرك الأكبر المخرج من الملة ما أنكرته قلوبهم لماذا ما أنكرت قلوبهم هذه الصورة ؟ وهو إسالة الدم عند عتبة الباب عند النزول ، نزول الدار لأنهم لا يعلمون أن هذه الصورة لأجل التقرب إلى الجن لدفع شرهم أو بدفع شر أصحاب العين الذي هو تقرب بالذبح على غير الله الذي هو شرك أكبر بالحق جل وعلا فاستعظموا كبيرة من الكبائر و لم يستعظموا الشرك الأكبر بالله جل وعلا كما يحصل وترون ذلك من بعض الجهلة من أنهم إذا رأوا بعض الكبائر تغيظوا وقاموا وقعدوا وأما إذا سمعوا بالشرك الأكبر بالله جل وعلا فلا يتحرك لهم ساكن فتجد أنهم إذا رأوا أو سمعوا ببعض المنكرات في الأخلاق أو الزنا أو وسائل الزنا في بعض البلاد أو تبرج النساء أو بعض الفجور أو بعض الظلم أو نحو ذلك قاموا وقعدوا وأصبحوا يتكلمون لكن الشرك الأكبر بالله كونه يرى قبة تحتها معبود من دون الله جل وعلا أو يرى الناس يذبحون لغير الله أو يقرأ هذا في مجلة أو يقرأ هذا في كتاب لا يحرك قلبه لحق الله الأعظم وهذا دليل جهله ودليل أنه لم يعرف مصلحة نفسه لأن هذا الجاهل إذا لم يتعلم التوحيد ويتغير قلبه لسلب حق الله جل وعلا بعبادته وحده دون ما سواه فإنه على شر فمن وجد في نفسه أنه إذا رأى منكراً من الكبائر تغيظ وأما إذا رأى الشرك الأكبر بالله جل وعلا لا يتحرك قلبه فليعلم أنه ما فهم التوحيد ولا عظم الله جل وعلا حق تعظيم وهؤلاء الذين قالوا التوحيد فهمناه هؤلاء جهلة ودخل إليهم الشيطان من أكبر مكائده كما قال الشيخ رحمه

الله وأجزل له المثوبة ، ومع تفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل التوحيد فهمناه أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان .

نقف عند هذا ولا شك أن هذه المسألة عظيمة تحتاج منكم إلى درس ونظر وترديد لأن المسألة في هذا الأمر عظيمة جداً أسأل الله جل وعلا أن يعيذنا وإياكم من الجهل بحقه والجهل بتوحيده وأن يجعلنا ممن يكثرون من قراءة التوحيد وتعلمه وتعلم مسائله وإدمان المطالعة في كتب أئمة الدعوة الذين مكثوا أكثر من قرنين من الزمان يتتابعون في تجلية مسائل هذا واختصوا به وتفرغوا له حتى غدت مسائله بإيضاحهم وبيانهم واضحة جلية لا لبس فيها فالله الله في هذا الأمر الجلل والمداومة على فهم التوحيد وعلى مطالعة كتبه وحفظ ذلك ومدارسته فإنه نعم العلم ونعمة العاقبة لأصحابه والعاقبة للمتقين .

****

س : هل يكفر قوم بأن عندهم عادة سب الدين والرسول ؟ ومنهم جاهل بأن ذلك كفر وأنه منكر وهل يكفر بالجهل ؟

ج : من سب الإسلام الذي أنزله الله جل وعلا على محمد ﷺ فهو كافر ولا يعذر بالجهل ولا بأن يقول أنا قلته على وجه المزاح واللعب أو غضبت ما علمت إلى آخر ذلك كذلك سب الله كذلك سب الرسول ﷺ فإن تعظيم الله جل وعلا وتعظيم رسوله ﷺ وتعظيم القرآن وتعظيم دين الإسلام هذا واجب من الواجبات ويعلم بالضرورة من دين الإسلام فإذا سب فمعناه أنه نافي ذلك التعظيم وهذا كفر بمجرده

أما سب دين فلان فهذا لا يكفر به إذا سب دين معين من الناس مثلاً تخاصما اثنان فقال أحدهما للآخر كذا دينك فسب دينه فهذا لا يكفر لأن هذا يحتمل أن

يريد تدينه والديانة التي هو عليها فلا يكفر إلا إذا سب الإسلام مطلقاً أما إذا سب الدين المضاف إلى بعض الناس فإنه لا يكفر به لأن هذا فيه شبهة لكن يعذر ويؤدب .

س : هناك بعض الأخوة في المنطقة الشرقية في مدارس يكون مديرها من الرافضة أو مدرسوها ؟

ج : أما إذا كان المدير من الرافضة فهذا يجب عليك أن تبلغنا به نسعى إن شاء الله في أمره أما المدرس الذي يدرس فهذا أحكام معاملة المبتدع معروفة في كتب أهل العلم وفي فتاويهم يمكن أن ترجع إليها أما المدير فلا يجوز أن يسكت عليه لأن المدير موجه وآمر ناهي فتبلغنا بذلك إن شاء الله .

س : فعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيما فيه اختبار لتلاميذه هل يعتبر من الكذب ؟ من أجل العلم والتعلم وهل هو جائز ؟

ج : نستفيد من فعل الشيخ أنه جائز هذا للتعلم الكذب للمصلحة الشرعية جائز كما هو معلوم ، النبي ﷺ قال (ليس الكذاب الذي يقول خيراً أو ينمي خيراً) وهذا الذي فعله الشيخ من أعظم الخير لهم وليس هذا من الكذب وهذا بالمناسبة نذكر أن بعض الأخوة يكثر من الاعتراض وهذا لا ينبغي فإن أفعال أئمتنا والراسخين في العلم نستفيد منها فالأصل فيها الاستفادة والسلامة إلا إذا عارضت نصاً أو دليلاً من الكتاب والسنة أو الإجماع أو فعل الصحابة أو نحو ذلك فإنهم لا عصمة لهم لكن الأصل فيها السلامة وإننا نستفيد من أقوالهم ومن أفعالهم .

س : ما رأيكم في من يزور أماكن الشرك للوقوف على حقيقة الشرك دون أن ينكر عليهم بحجة أنه سيعرض للخطر إذا هو أنكر ؟

ج : لا يجوز له أن يحضر مكان يعبد فيه غير الله ، يستغاث فيه بغير الله يصلى فيه للميت يتجه إليه بالقبلة يطاف على قبره ويسكت ولا ينكر لأن هذا أعظم المنكر وهو الشرك لكن كيف ينكر هذا يحتاج إلى بيان فالشيخ رحمه الله محمد إمام الدعوة لما كان يحضر عند الذين يعبدون زيد بن الخطاب كان يقول لهم في أول الدعوة الله خير من زيد فينبههم أن دعوة الله جل وعلا وحده أنها أفضل وهذا من التدرج في الدعوة فإذا كان يرى أن الإنكار عليهم لن ينفعهم وأنه إذا قال مثل هذه الكلمة أنها أنفع لهم فهذا بما يرى أن المصلحة الشرعية فيه أما أن يحضر مثل هذه الأماكن ولا ينكر البتة فهذا حرام عليه ولا يجوز ونسأل الله لنا ولإخواننا العفو والعافية والمغفرة .

س :

ج : لا أعوذ بالله هذا شرك يتغيظ الواحد من رؤية قبة من دون أن يعرف ماذا تحتها فكيف يذهب وينظر ويجلس معهم ويسكت هذا ..

طبعاً مفهوم الشرك بالصور المختلفة هذا يختلف فيه الناس لكن ينبغي بل يجب ألا يأخذ الشباب هذه المسألة من غير الراسخين في العلم لأن كون صورة ما صورة شركية هذا إنما يعلمها أهل العلم في المسائل الحادثة الجديدة .

فهذا يسأل عن بعض ما يذكر من الأنظمة الرأسمالية والشيوعية والوطنية وتهجير الماضي أو تمجيد الماضي إلى آخره من الصور فهذه تعرض المسألة على أهل العلم فإن قالوا أن هذا حكمه كذا فيصار إليه لأن المسائل تختلف والأوضاع تختلف وليس كل ما ظنه المرء شركاً يكون شركاً بل قد رأيت في بعض الكتب كتاب أظن أسمه الأوثان أو شيء أن مؤلفه جعل التلفاز وثناً وأن حال الجالسين أمامه لينظرون أنهم عاكفون عند هذا الوثن وكل من فعل هذا بأن عكف عند هذا

الجهاز الساعات الطويلة فإن هذا عبادة لغير الله جل وعلا وهذا لا شك أنه افتئات على الدين وقول بلا علم وخروج عن ما يجوز فإن القول على الله بلا علم أكبر من الكبائر العملية

س : ما رأيك يا شيخ في من ينكر أهمية هذا المتن ويقول إن كان له أهمية تذكر فهي للدعاة في الخارج ونحن تكفينا قراءته ؟

ج : هذا كلام الشيخ فيه ومنه تعلم أن قول الجاهل : التوحيد فهمناه من أعظم الجهل وأكبر مكائد الشيطان فليحذر على نفسه .

س : ذكرت أن من سجد لصنم فإنه كافر . هل هذا يكون بعد الاستفصال ؟ بمعنى.

ج : لا شك أن من سجد لصنم فإنه كافر ظاهراً السجود لصنم من الكفر العملي الذي يضاد الإيمان فإن الكفر قسمان كفر اعتقاد يكون بالاعتقاد وكفر عملي والكفر العملي قسمان كما ذكره ابن القيم في أول كتابه الصلاة ، قسم يضاد الإيمان من أصله كسب الدين يعني الإسلام وسب الله وسب رسوله أو السجود لصنم أو إلقاء المصحف في القاذورات متعمداً عالماً وأشباه ذلك فهذا كفر عملي يعني كفر بعمله وهو مخرج من الملة لأنه مضاد للإيمان وقسم آخر من الكفر العملي ما لا يضاد الإيمان مثل المسائل التي ذكروها ترك الصلاة عند طائفة كثيرة من أهل العلم ومثل الحكم بغير ما أنزل الله ومثل سباب المسلم وقتاله ،سباب المسلم فسوق وقتاله كفر قتال المسلم يعنى يقاتل المسلمين وأشباه ذلك مما جاء في الشريعة أنه كفر فإذن من فهم أن تقسيم الكفر إلى اعتقادي وعملي أن العملي لا يكفر فهذا غلط عظيم حتى غلط على ابن القيم رحمه الله فإن ابن القيم في كتاب الصلاة الذين نقلوا عنه هذا تقسيم قال وكفر عملي مثل السجود

للصنم كذا وهذا يضاد الإيمان ومثل كذا وكفر عملي ومنه ما يضاد الإيمان كالسجود للصنم ومثل إلى آخره ومنه ما لا يضاد الإيمان كترك الصلاة والحكم بغير ما أنزل الله إلى آخر كلامه فالعلماء حين يقسمون الكفر إلى اعتقادي وعملي هذا تقسيم لمورد الكفر فإن الكفر مورده قد يكون جهته الاعتقاد وقد يكون جهته العمل ،والاعتقاد منه الشك أيضاً والكفر العملي منه القول والفعل ومنه ما لا يكفر فإذن قول العلماء أن الردة تكون باعتقاد أو قول أو فعل أو شك راجع إلى هذين القسمين اعتقاد أو عمل ولكن الكفر العملي منه ما يضاد الإيمان من أصله كما ذكرنا ومنه ما لا يضاد الإيمان من أصله فليس معنى كفر اعتقادي وكفر عملي أنها مساوية للكفر الأكبر والأصغر كما يظنه طائفة هذا غلط عظيم على أهل العلم فإن الكفر قسمان كفر أكبر وأصغر باعتبار .

كفر أكبر : يعني مخرج من الملة .

وكفر أصغر : يعني غير مخرج من الملة فباعتبار حكم هذا الكفر فأنه يكون أكبر ويكون أصغر وباعتبار مورد الكفر قد يكون اعتقادياً وقد يكون عملياً والاعتقاد أكبر وقد يكون بعض أقسامه أصغر والعملي قطعاً منه أكبر ومنه أصغر فقول بعض أهل العلم الكفر العملي هو الكفر الأصغر هذا غلط بل الكفر العملي منه أكبر ومنه أصغر فتقسيمات العلماء متداخلة مثل ما نقول في الشرك أكبر وأصغر والشرك يكون بالاعتقاد ويكون بالعمل فإن من ذبح لغير الله فهو مشرك بالعمل ومن نذر لغير الله فهو مشرك بالعمل ومن استغاث بغير الله فهو مشرك بالعمل وهذا الفعل منه قد يئول إلى اعتقاد وقد لا يئول إلى اعتقاد فالمكفرات العملية الكفر الأكبر أو الأصغر من الكفر العملي قد ترجعها إلى اعتقاد وقد ترجعها إلى

عمل مجرد فإذن ليس كل ما قيل فيه أنه كفر عملي يساوي الكفر الأصغر بل قد يكون هذا وقد يكون هذا .

س : نرى بعض الأشخاص يستشهد بما يحصل له من مواقف في حياته اليومية ببعض الآيات والأحاديث فيضحك من حوله وهو في تلك الحالة ليس بمستهزئ وإنما قالها لمناسبة الموقف ما حكم هذا الفعل وبماذا ينصح هؤلاء ؟

ج : أما من جهته فإذا كان أوردها إيراداً عادياً وهم الذين ضحكوا فليس عليه حرج إذا لم يتعمد إضحاكهم بما أورده وهم على قسمين : إن ضحكوا لفعله فهذا مما هو سائغ مما هو مباح وإن ضحكوا على استشهاده بالآية أو ضحكوا على الآيات فهذا يدخل في الاستهزاء فهنا يستفصل ضحكوا لأي شيء هل ضحكوا لفعله لما حصل له أو ضحكوا على الآيات إن ضحك على الآية فهذا داخل في الاستهزاء بالآيات هذا فعل ليس على الآية إذا ضحكوا على استدلاله فهذا ضحك على فعله فلا قد يكون ذلك من خلاف الأدب فقط

يقول لما لا يكفر بعينه من فعل كذا وكذا ..

نقول هذا التكفير حكم شرعي فقهي راجع إلى أهل العلم ليس لمن سمع فمن سمع كفراً يجب عليه إنكاره لكنه لا يكفر إلا بعد حكم عالم التكفير ليس لآحاد الناس حكم فتوى .

س : من يمثل في مسرح أو تمثيلية يمثل دور أحد الكفار فيسب الممثل النبي ﷺ هل يكفر بذلك ؟

ج : هذا من المنكر الأعظم يمثل سب النبي ﷺ هذا لا شك أنه منكر وصاحبه إن لم يكن له شبهة في ذلك فإنه يجب أن يعذر وأن يقام عليه ، لأنه لا يجوز أن يمثل بسب النبي ﷺ وهذا من الاستهزاء .

س : كيف تفرق ما بين كفر الذين نزل فيهم قول الله : ﴿ قل أ بالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ﴾ وبين الصحابة الذين ورد ذكرهم في حديث ذات أنواط حيث أن أولئك كفروا بمجرد القول وهؤلاء قالوا واعتقدوا و لم يكفروا ؟

ج : الفرق بينهما ما ذكرت لك أن التكفير قد يكون باعتقاد أو بقول أو بعمل أو بشك فالذي قال تلك المقالة هو طلب كفراً وطالب الكفر الجاهل ليس بكافر أما من عمل العمل المكفر فهذا انتقل إلى عمل المكفر فقول المستهزئين هذا داخل في قسم القول المكفر وأما من سألوا ذات أنواط فقولهم لا يدخل في القول المكفر ولكن يدخل في العمل المكفر فالتقسيم يجعل فرقاً بين هذا وهذا لأن مردّ هؤلاء إلى الفعل وأولئك مردهم إلى القول

وفي هذا القدر كفاية صلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آلــه وصحبه أجمعين ....

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : وتفيد أيضاً أن المســلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبهه على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بني إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل الرسول ﷺ ، وللمشركين شبهة أخري يقولون : أن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل رجل قال : لا إله إلا الله وقال لــه : أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله وكذلك قوله : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها ، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل فيقال لهؤلاء الجهال : معلوم أن النبي ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله إلا الله وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويــدعون الإسلام كذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار ، وهؤلاء الجهلة مقــرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله ، وأن من جحد شيئاً مــن أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها فكيف لا تنفعه

من الفروع إذا جحد فرعاً من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصــل دين الرسل ورأسه ولكن أعداء الله ما فهموا الأحاديث وأما حديث أسامة فإنــه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما أدعى الإسلام إلا خوفاً على دمــه وماله والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك وأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ يا أيها الذين أمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾

أي فتثبتوا والآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت حتى فإذا تبين منـــه مـــا يخالف ذلك فتل لقوله : ﴿ فتبينوا ﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى ، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه أن من أظهـــر التوحيـــد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك ، والدليل على هـــذا أن رسول الله ﷺ قال : (أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله) وقال : (أمـــرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) هو الذي قال في الخوارج أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد مع كونهم من أكثر النـــاس عبـــادة وتهليلاً وتسبيحاً وحتى أن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا اله ولا كثرة العبادة ولا إدعاء الإسلام لمـــا ظهـــر منهم مخالفة الشريعة وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصـــحابة بـــني حنيف وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزوا بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعـــوا الزكاة حتى أنزل الله : ﴿ يا أيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ وكـــان الرجل كاذباً عليه وكل هذا يدل على مراد النبي ﷺ من الأحاديث الذي احـــتج بها ما ذكرنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهـــداه ....أما بعد

فهذه صلة للجواب عن الشبهة التي أدلى بها المشركون في أن من قال لا إله إلا الله فإنه لا يكفر أبداً ولو فعل ما فعل لأن لا إله إلا الله تدخله في الإسلام وفي أثنـــاء ذلك ساق الشيخ رحمه الله قصة ذات أنواط والحديث في ذلك وأخذ منها ثلاث فوائد فذكرنا الفائدة الأولى في تلك القصة أن المسلم بل العالم قد يقع في أنـــواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل : التوحيد فهمناه أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان وقد تقدم لنا الكلام علي هـــذه الجملة قال رحمه الله تعالي وأجزل له المثوبة ورفع درجته في الجنة في الفائدة الثانية وتفيد أيضاً يعني تلك القصة . قصة ذات أنواط تفيد أيضاً أن المسلم إذا تكلـــم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه علي ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر لأن هـــذا الكلام الذي طلبوه قال في معناه عليه الصـــلاة والســـلام ﴿ قلتم والذي نفسي بنفسي بيده كما قال أصحب موسى لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾ ومن طلـــب إلهاً مع الله جل وعلا فإنه يطلب عبادة ذلك الإله فكفره يكون بعبادته غـــير الله جل وعلا ومعلوم أن الطلب متصل بالمطلوب اتصال اللازم بالملزوم ولهذا نستفيد منه أن الكفر إذا كان مورده القول فإن صاحبه إذا نبه عليه وهو جاهل به فتاب من ساعته فإنه لا يؤاخذ بذلك يعنى لا يكفر بقول كفري لأنه جاهل بهذا القول

وذلك إذا نبه فتنبه إذا قيل له هذا كفر والدليل على ذلك كذا أو اجمع العلمـــاء على كذا أو قال الأئمة كذا فخذ به فإنه لا يكفر بذلك لأن مـــورد الغلـــط في اللسان والجهل يعذر به صاحبه في هذا كما عذر النبي ﷺ الصحابة في قولهم بل أنكر عليهم عليه الصلاة والسلام وغلظ الكلام عليهم شديداً فأفاد كمـــا قـــال الشيخ رحمه الله تعالي أن المسلم إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري وقوله : وهو لا يدري راجعة إلي أنه لا يدري أنه مؤاخذ بقوله ذلك لا يدري أن كلامه كفر وأن كلامه لا يجوز له أن يقوله والجهل راجع إلي جهتين جهة الحكم ، الحكـــم بأن قوله لا يحل أو أن قوله كفر والجهة الثانية راجع إلى الحكم عليه بمـــا قالـــه . والأحكام الشرعية متعلقة بالنوع الأول لا بالنوع الثاني يعنى أنه إذا كان جهلـــه وعدم درايته راجعة إلى أنه لا يعلم أن هذا الكلام لا يحل له لا يعلـــم أن هـــذا الكلام لا يجوز له ، لا يعلم أن هذا الكلام كفر فإنه إذا نبه فتنبه فإنه يعزر بذلك وأما إذا علم أنه لا يجوز له ذلك فيقول أعلم أن هذا كفر أن هذا لا يجوز ولكن لا أدري أن هذا يوصل القائل إلى درجة الكفر لا أدرى أني أصير كافراً بـــذلك فهو يدرى أنه محرم ولكن لا يدرى أنه يصير كافراً بذلك فهذا لا يعذر به مثـــل من يقول أدرى أن القذف محرم لكن لا أدرى أني أجلد فهذا لا يعذر بجهالة .

فإذاً هنا عدم الدراية بالأحكام الشرعية إذا كان مردها إلى عدم الدرايـــة بحرمـــة القول عدم الدراية بأن القول حرام كبيرة كفر فهذا يعذر به في مسائل كثيرة وأما إذا علم الحكم ولكن جهل أنه يجب عليه إلى بهذا أو أنه يكفر بهذا فإنه يؤاخـــذ فيكفى درايته أنه لا يحل له هذا القول فهذا له تطبيقات كثيرة في القواعد الفقهية في تقسيم عدم الدراية أو الجهل إلى جهل بالحكم وإلى جهل بعاقبة الحكم معلوم أنه إذا كفر فإنه يصبح مرتداً ويستتاب فإن تاب وإلا قتل وفي بعض صـــور

الكفر يقتل زندقة ولا تقبل منه توبته فلو قال : أنا أعلم أن الحكم حـــرام لكـــني أجهل أنني إذا قلت ذلك أصبحت مرتداً أو أنى أصبحت زنديقاً اقتل بهذا الكلام فإنه لا يعذر ، فإنه يعذر إذا كان يجهل الحكم فإذا قال مثلا في الزنا أنا أعلم أنـــا الزنا حرام لكني لا أدري أن الزاني المحصن يُرجم فهنا لا يُعذر بجهالته ولكن يعذر إذا قال أنا لا أعلم أنه حرام وهذا تفريق مهم في مسائل كـــثيرة عنـــد العلمـــاء والفقهاء في عدم دراية بعض المسائل فإن عدم دراية الحكم أصلاً شـــيء وعـــدم دراية الحكم على صاحبه أو العقوبة المقدرة على صاحبه وأشباه ذلك هذا شـــيء آخر .

فلهذا قال الشيخ رحمه الله هنا تفيد أيضاً أن المسلم إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنوا إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ فإن بني إسرائيل نُبهوا فتنبهوا وأن الصحابة الذين كانوا حـــدثاء عهد بكفر نُبهوا فتنبهوا .

الفائدة الثالثة : قال وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكـــلام تغليظـــاً شديداً كما فعل رسول الله ﷺ .

يُغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً وجه التغليظ الشديد أن ذاك تعذير ومعلـــوم أن باب التعذير يكون يعني التعذير في الشريعة يكون بالقول ويكون بالفعل ويكـــون التعذير بالمال فالقول بأن يقال له كلام يؤنبه كلام شديد قـــوي وبالفعـــل إمـــا يضرب أو يهجر أو أشباه ذلك وبالمال بأخذ بعض ماله تعزيراً له وهذا من جهة القاضي فإذا كان كذلك فالتعذير في الشريعة مطلوب لمن وقع منه المنكر بحسب الحال فهؤلاء كان قولهم قبيحاً وكان طلبهم قبيحاً إذ طلبوا إلهاً مع الله جل وعلا فلهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام (الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسه بيده

كما أصحاب موسى لموسى أجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) وهذا الكلام قد يقال إن ظاهره ليس بشديد وإن ظاهره ليس فيه تعذير ولكن هذا ليس بصحيح بل السلم الموحد إذا قيل له الذي أحب التوحيد ودخل في دين الله بلا إله إلا الله وقد فقــه هذه الكلمة إذا قيل له أنت طلبت إلهاً مع الله جل وعلا فإن هذه الكلمة تتفطر لها القلوب فهي أعظم مما لو قيل له اسكت أو قيل له أنت كذا وكذا بل قيل له أنت طلبت إلهاً مع الله جل وعلا ومعلوم أنه ما دخل في الدين إلا التوحيد إلا لإسلام الوجه لله جل وعلا وحده دون الآلهة المتعددة فلهذا الوضوح في حال الواقــع في المنكر نوع من التعذير فمن وقع في باطل فقيل له أنت وقعت في كذا وكذا وكذا تأنيباً له فإن هذا نوع من التعذير الشديد وتغليظ الكلام بما يناسب الحـــال إذن أفادت إنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل رســـول الله ﷺ هذا انتهاء لأحد الأجوبة على تلك الشبهة ويتصل بتلك الشبهة التي مـــرت معنا قبل درسين وهي قولهم أنتم تكفرون بالشرك من قـــال لا إلـــه إلا الله وأن محمداً رسول الله وصام وزكى وحج ويكون له أعمال صالحة فلهم شبهة متصلة بتلك الشبهة وهي قوله وللمشركين شبهة أخرى يقولون : أن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله وقال له أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله وكـــذلك قوله ... إلى آخره .

وهذا الكلام مع جوابه أفاد أن شبهة من احتج بقول النبي ﷺ أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله الجواب على هذه الشبهة مترتب في أمور :

الأول أن يقال لا إله إلا الله تدخل في الإسلام ومن دخل في الإسلام بلا إلـــه إلا الله فإنه ينتظر له حتى يرى أيكون آتياً بحقوق لا إله إلا الله أما لا ، ولا إله إلا الله لها حقوق وأعظم حقوقها التوحيد بل هي في التوحيد مطابقة وإذا كان كـــذلك

فإن قول القائل لا إله إلا الله محمد رسول الله ينتظر به إذا كان قاله في معركة أو استسلام أو نحو ذلك ولا يعاقب على ما كان منه من الكفر وإنما ينتظر به ولهذا قال عليه الصلاة والسلام (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلــه إلا الله وأن محمداً رسول الله وجاء في الحديث لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني وقاتل الــنفس والتــارك لدينه المفارق للجماعة) وقوله إلا بحقها التارك لدينه المفارق للجماعــة وهنــا (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله كلها متفقة غير مختلفة ولهذا نقول في جواب هذه الشبهة ما ذكره الشيخ رحمه الله أن من قال لا إلــه إلا الله فيمــا ظاهره أنه خوف وينتظر به فإن أتى بحقوق لا إله إلا الله قبلت وإن خالف حقها من التوحيد فإنه دل على نفاقه وعلى أنه إنما قالها تعوذاً وأسامة بن زيد رضي الله عنهما قتل قبل التثبت قتل قبل أن يستفصل وأن يرى هل هذا قالها تعوذاً أو قالها على الإسلام حقيقة والجواب الثاني عن هذه الشبهة أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم سواء يهود قريظة أو بني النضير أو يهود خيبر قاتلهم عليــه الصلاة والسلام وهم يشهدون أن لا إله إلا الله أو يقولون لا إله إلا الله بحســب تفسيرهم للا إله إلا الله فعليه الصلاة والسلام قاتلهم على الشرك قاتلهم على أنهم اتخذوا إلهاً مع الله كما قال تعالى ﴿ وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصــارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ﴾ فدل على أن قول لا إله إلا الله مع عدم تطبيقها مع عدم عمل ما دلت عليه لا ينفــع صاحبه لأنه خالف مقتضاه كذلك بنو حنيفة الذين قاتلهم الصحابة قاتلهم أبــو بكر ﷺ فيما قدمنا وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون لا إلــه إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام لكن لما لم يلتزموا بحكم أداء الزكــاة

إلى خليفة المسلمين قوتلوا وكان قتالهم قتال ردة لا قتال بغاة لأنهم ادعوا أنهم غير مخاطبين بحكم الله جل وعلا بأداء الزكاة لخليفة المسلمين كذلك الذين حـــرقهم علي بن أبي طالب رضى الله عنه بما تقدم هم كانوا يقولون ظاهرا لا إلـــه إلا الله محمداً رسول الله وهؤلاء الجهلة يقولون : أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها يعـــنى : أن هؤلاء الذين احتجوا بفعل أسامة قالوا ما قاله الفقهاء والعلماء بأن من جحـــد البعث كفر وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر فكيف إذاً تقولون هنـــا يكفر مع قول للا إله إلا الله وأن محمداً رسول اله وإتيان الصلاة والزكاة والصيام والحج إلى غير ذلك .

وفي هذه المسألة العظيمة مسألة التوحيد تقولون لا يكفر لاشك أن هذا خلف من القول وتناقض والقاعدة عند أهل العلم واحدة وهي من أتى بمكفر قولي أو عملي أو اعتقادي أو شك فيما أنزل الله جل وعلا على رسول الله ﷺ مما كانت دلالته قطعية فإنه يكفر ولو كان أصلح الصلحاء بل قد قال الله جل وعلا لنبيـــه عليـــه الصلاة والسلام ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فأعبد وكن من الشاكرين ﴾ قال المصنف رحمـــه الله في بيان تناقض أهل هذه الشبهة فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع يعـــني لا تنفعه لا إله إلا الله محمد رسول الله إذا جحد فرعاً من الفروع مسألة من المسائل جحد الصلاة جحد الزكاة جحد الحج جحد تحريم الربا جحد حل البيع إلى آخر ذلك وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس الملة وأساس دين الرسل ورأسه لا شك أن هذا تناقض بل الباب باب واحد الأصول والفروع في هذا سواء فمـــن

جحد التوحيد كفر ومن جحد الصلاة كفر ومن جحد الزكاة كفــر إلى آخــر الأمور فالباب باب واحد ولا ينفعه قوله : لا إله إلا الله .

قال : ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث ولن يفهموا .

أما كونهم ما فهموا فهذا واضح لما قدمنا أما كونهم لن يفهموا لأن الشــبهة إذا قامت بالقلب والبدعة إذا قامت بالروح وبالقلب فإن صاحبها يصــعب عليــه الخلاص منها ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبوا داود وغيره أن أهل الأهــواء تتجارى الأهواء بهم كما يتجارى الكلبُ بصاحبه لا يبقى منه مفصل ولا عــرق إلا دخله ذلك فأهل البدع استغرقت البدع في قلوبهم حتى حجبتهم عن نور فهم الكتاب والسنة وهذه من أنواع العقوبات التي يعاقب بها من ترك الكتاب والسنة إلى غيره فهذا ملاحظ تجد أن طائفة منهم من الأذكياء ومن العلماء وممن عنــده علوم مختلفة في التفسير وفي الفقه وفي العقائد إلى غير ذلك ومع ذلك يقعــون في هذه المسألة وإذا فهمتهم لن يفهموا وهنا بحث في أنهم إذا لم يفهمــوا فــإنهم لا يعذرون بذلك لأن فهم الحجة ليس بشرط بل الشرط هو إقامة الحجة بــالتكفير يعني لا يكفر إلا من قامت عليه الحجة الرسالية التي يكفر من أنكرهــا أو تــرك مقتضاها وأما فهم الحجة فإنه لا يشترط . لهذا قال الشيخ هنا رحمــه الله : مــا فهموا ولن يفهموا وإذا كانوا لن يفهموا فإنه لا يعني أنه يسلب عنــهم الحكــم بالشرك الأكبر لأن فهم الحجة ليس بشرط وهذا مبحث بحثه علمــاء الــدعوة والعلماء قبلهم هل فهم الحجة شرط أم ليس بشرط .الله جل وعلا قال في كتابه ﴿ **وجعلنا على قلوبهم أكنه أن يفقهوه** ﴾ يعني جعلنا على قلــوبهم أكنــه أغطيــة وحجب أن يفهموا هذا البلاغ وهذا الإنذار ﴿ **وجعلنا على قلوبهم أكنه أن يفقهوه**

﴾ فدل على أن المشرك لم يفقه الكتاب و لم يفقه السنة يعني لم يفهـــم وتحقيـــق المقام هنا لأن بعض الناس هنا قال : كيف لا تشرطون فهم الحجة وكيف تقـــام الحجة بلا فهم وتفصيل المقام هنا : أن فهم الحجة نوعان :

النوع الأول : فهم لسان والنوع الثاني : فهم احتجاج

أما فهم السان فهذا ليس الكلام فيه فإنه شرط في بلوغ الحجة لأن الله جل وعلا قال ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ والله جل وعلا جعل هذا القرآن عربياً لتقوم الحجة به على من يفقه اللسان العربي وإذا كان كذلك فـــإن فهم اللسان ، فهم اللسان هذا لابد منه يعني إذا أتاك رجل يتكلم بغـــير العربيـــة فأتيت بالحجة الرسالية باللغة العربية وذاك لا يفهم منها كلمة فهـــذا لا تكـــون الحجة قد قامت عليه بلسان لا يفهمه حتى يبلغه بما يفهمه لسانه . والنوع الثـــاني من فهم الحجة هو فهم احتجاج يعني يفهم أن تكون هذه الحجة التي في الكتاب والسنة حجة في التوحيد أو في غيره أرجح وأقوى وأظهر وأبين أو هي الحجـــة الداحضة لحجج الآخرين وهذا النوع لا يشترط لأنه جل وعلا بين لنا وأخبر أن المشركين لم يفقهوا الحجة وقال جل وعلا ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنه أن يفقهوه ﴾ وقال سبحانه ﴿ وما كانوا يستطيعون سمعاً ﴾ ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ﴾ فهم لا يسمعون سمع فائدة وإن سمعوا سمع أذن ولا يســـتطيعون أن يسمعوا سمع الفائدة وإن كانوا يسمعون سمع أذن وقد قال جل وعلا ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾ وقال سبحانه ﴿ ما يأتيهم

من ذكر من الرحمن محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ إلا استمعوه وهم يلعبون حتى وصفهم بأنهم يستمعون وليس فقط يسمعون بل يستمعون يعنى ينصتون ومع ذلك نفى عنهم السمع بقوله ﴿ ما كانوا يستطيعون سمعاً ﴾ وبقوله ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام ﴾ وقولوه جل وعلا في سورة تبارك ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ فإذا هم سمعوا سمع لسان لكن لم يسمعوا الحجة سمع قلب وسمع فهم للحجة يعنى أنها راجحة فلم يفهموا الحجة ولكنهم فهموها فهم لسان فهموها لأنها أقيمت عليهم بلسانهم الذي يعلمون معه معاني الكلام ولكن لم يفهموها بمعنى أن الحجة هذه راجحة على غيرها ولهذا قال تعالى ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنه أن يفقهوه ﴾ الوجه الثاني : أن الكفر والكفار أنواع منهم من كفره كفر عناد ومنهم من كفره كفر تقليد ﴿ إن وجدنا آبائنا على أمة وإن على أثارهم مهتدون ﴾ ﴿ وإن على أثرهم مقتدون ﴾ ومن الكفار من كفره كفر إعراض معرض عن الحق ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ﴾ وإذا اشترط فهم الاحتجاج للحجة فمعنى ذلك المصير إلى مخالفة الإجماع بالقول لأنه لا يكفر إلا المعاند إذا قيل أنه يشترط فهم الاحتجاج يعنى أن يفهم من أقيمت عليه الحجة أن هذه الحجة أقوى وتدحض حجة الخصوم فمعنى ذلك أن يصير القول إلى أنه لا يكفر إلا من كان معانداً فقط ومعلوم أن الكفار ليسوا كلهم معاندين بل منهم المعاند ومنهم غير المعاند فمنهم من جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ومنهم المقلد ومنهم المعرض إلى غير ذلك فإذا فهم الحجة ليس

شرطاً في إقامتها ونعنى بفهم الحجة فهم الحجة من حيث كونها داحضة من حجج الخصوم ومن حيث كونها أوضح من حجج الخصوم فلو قال بعد إقامة الحجة عليه وبيان الأدلة من الكتاب والسنة وبيان معنى العبادة ويقيم الحجة عالم يعلم كيف يقيم الحجة ويزيل الشبهة ولهذا يقول العلماء : الحجة الرسالية مثل ما يقول شيخ الإسلام في مواضع كثيرة ويكفر من قامت عليه الحجة الرسالية الحجة الرسالية يعنى التي يقيمها الرسل أو ورثة الرسل ممن يحسن إقامة الحجة سمع بالحجة وأنصت لها ثم لم يقتنع قال : أنا لم أقتنع فعدم الاقتناع هو عدم الفهم ليس بشرط في تمام إقامة الحجة ولهذا الشيخ رحمه الله نبه على ذلك .بقوله : ولن يفهموا وكونهم لن يفهموا لما أشربت قلوبهم من حب الشرك وحب البدع ومخالفة السنة ثم بين رحمه الله فقال : فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك وانزل الله تعالى في ذلك ﴿ يا أيها الذين أمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القي إليكم السلام لست مؤمنا . . . .الآية إلى أن قال تعالى في آخرها ﴿ كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم فتبينوا ﴾ يعنى أن الله جل وعلا يمن فمن قال هذه الكلمة فينتظر في شأنه حتى يرى ما يأتي به من حقوق لا إله إلا الله .

قال : فلآية تدل علي أنه يجب الكف عنه والتثبت فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالي ﴿ فتبينوا ﴾ ولو كان لا يقتل إذاً قالها لم يكن للتثبت معني وكذلك الحديث الآخر وأمثاله فمعني ما ذكرناه أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلا إن تبين منه ما يناقض ذلك وهذا الذي

قاله الشيخ رحمه الله محل إجماع بين أهل العلم في تفسير حديث أسامة بن زيد في قتله للرجل وغير هذا الحديث من أشباه .... وأما الأحاديث التي علق فيها قتال الناس بقول لا إله إلا الله (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا بأن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها فإن في الحديث الاستثناء بقوله (إلا بحقها وأعظم حقوقها الواجبة التي تدل عليها الكلم مطابقة التوحيد قال : والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ الذي قال : اقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وهذا واضح أيضاً وهو الذي قال في الخوارج (إينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن ادركتهم لأقتلنهم قتل عاد) مع كوهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحاً ..... إلى آخر الكلام .

وهنا تنبيه على أنه ليس ثم تلازم ما بين القتال والحكم بالكفر فقد يحكم بالكفر ولا يقاتل وقد يقاتل وليس بكافر يعنى ليس كل من قوتل فإنه كافر بل تقاتل الطائفة التي تمتنع عن إظهار شعيرة من شعائر الإسلام التي تمنع شعيرة من شعائر الإسلام تقول لا أظهر الآذان لا أظهر الصلوات جماعة لا ندعوا كل يصلى مثلاً في بيته لا نقيم المساجد ونحو ذلك من شعائر الإسلام فإنهم وإن كانوا مقرين بذلك لكن إن منعوا هذا فإنهم يقاتلون وإن كان تركهم لبعض السنن لأن الطائفة المانعة لشعيرة من شعائر الله تقاتل حتى تظهر شعائر الله وأظهر منه الطائفة الممتنعة التي لم تلتزم حكماً من أحكام الله فإنها تقاتل قتال كفر وردة إذن فمن حكم عليه بأنه يقتل أو يقاتل لا يلزم منه أنه يكفر وكل من كفر فقد يقتل وقد لا يقتل أيضاً فإذن قد يكون الحال أن الكافر يقتل وقد يؤخر فلا يقتل وكذلك حال القتال فقد يقاتل من كان كافراً وقد يقاتل من ليس بكافر ومن النوع

الأخير هذا الخوارج فإن الخوارج لا يحكم بكفرهم لأن علي ﷺ سئل عنهم أكفار هم ؟ فقال من الكفر فروا وفي كفرهم روايتان عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله والمنصور من الروايتين أنه لا يطلق القول بتكفير الخوارج لأن يعنى الخوارج الذين قاتلوا علي ﷺ وحصل منهم ما حصل مما هو معروف .

قال : وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله .

الصحابة رضوان الله عليهم علموا العلم في المدينة وفي مكة وفي مصر وفي الشام وفي اليمن والخوارج اجتمعوا من هذه الأقطار أتى طائفة منهم من اليمن وطائفة من المدينة وطائفة من مصر وطائفة من الشام وتجمعوا على هذا فلا يزكون أنهم من تلاميذ الصحابة فإن التلمذة شيء والثبات على الحق شيئاً أخر بل إن عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي رضى الله عن علي كان في المدينة من أكثر الناس إحسانا للقرآن فكتب عمر ﷺ إلى عامله على مصر عمرو بن العاص إني مرسل إليك برجل آثرتك به على نفسي وهو عبد الرحمن بن ملجم اجعل له دارا يعلم الناس فيها القرآن فلما وصل المكتوب إلى عمرو استأجر له دارا أو اكترى له داراً فجعله يعلم الناس وكان من أكثر الناس عبادة عبد الرحمن بن ملجم ومن أكثر الناس صلاحاً في أول أمره حتى دخلته الفتنة بالقيام على عثمان ﷺ ثم سار مع علي إلى أن حصل أخر أمره بقتل علي ﷺ حتى أنه لما قتله وأرادوا القصاص منه قال لا تقتلوني دفعة واحدة بل قطعوني أجزاء حتى أرى جسدي يقطع وأنا صابر في سبيل الله ولساني يلهج بذكر الله وهذا من أعظم الفتن التي حصلت لطائفة بعده حتى قال بعض أصحابه بعده ممن غرهم هذا المظهر قال في مدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي :

يا ضربة من تقي يعنى عبد الرحمن بن ملجم يصفه بأنه تقي صالح .

يا ضربة من تقي ما أراد بها ***** إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره حينا فأحسبه ***** أوفى البرية عند الله ميزانا

هذا من قول عمران بن حطان وقد تاب فيما يقال في آخر عمره من قول الخوارج

المقصود من هذا : أن قول الشيخ رحمه الله حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم وهم تعلمون العلم من الصحابة .

يدل على أن تعلم العلم ممن هو على الحق لا يعنى أن يوصف صاحبه بأنه على الحق دائماً فإن المعلم لا يكون حكما على من تعلم منه دائما فكم خرج ممن علمهم أهل السنة والأئمة وأهل العلم ممن ليسوا على طريقة أهل السنة بل راحوا إلى البدع وإلى الضلالات بل وإلى بعض الكفريات نسأل الله جل وعلا العافية حتى بعض من درس التوحيد في هذه المدارس والجامعات إلى أخره وعرف السنة وعرف العقيدة الصحيحة زاغ عنها بعد ذلك فليست التزكية بأن شيخه فلان وإنما التزكية أنه ثبت على قول الأشياخ من أهل السنة وهذا ظاهر والحمد لله وفي قصة الخوارج عبرة لمن اعتبر .

قال : وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله يعني في الكف عنهم بأن لا يقاتلوا ولا كثرة العبادة ولا إدعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة فإذا ظهرت مخالفة الشريعة فإنهم يقاتلون سواء أقلنا بكفرهم أم لم نقل بكفرهم لأن النبي ﷺ قال (إينما وجدتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم لمن قتلهم أجراً عند الله جل وعلا) وقال (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)

قال : وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة من هذا الباب وكذلك أراد ﷺ أن يغزوا بنوا المصطلق لما أخبره رجل منهم أنهم منعوا الزكاة

حتى أنزل الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ وكان الرجل كاذباً عليهم وكل هذا يدل أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه وهذا تطويل من الشيخ رحمه الله للإيضاح واستطراد للبيان في أن قول لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لا ينفع صاحبه إلا إذا أتى بحقوقه إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل فإذا لم يأتي بحقها فإنه لا يقبل منه ذلك بل إما أن يقاتل قتال كفر إذا كان الذي ترك من حقها التوحيد وأما أن تقاتل الطائفة قتال بغاة إذا كان الذي تركوا من حقها دون التوحيد فمنعوه و لم يمتنعوا منه .

نكتفي بهذا القدر

يعني هذه موجودة عندنا لم يفهموا ولن يفهموا مثل ما ذكرت لك لأن صاحب البدعة ما يرجع عن بدعته إذا دخلت قلبه إذا استحكمت منه لا يرجع مثل ما جاء في بعض الأحاديث (أبى الله أن يقبل من صاحب بدعة توبة) وفي لفظ آخر (إن الله حجز التوبة عن كل صاحب بدعة) وزاد في بعض ألفاظه (حتى يدع بدعته)

والملاحظ أن الذين دخلت فيهم البدعة واستحكمت فيهم أنهم لا يرجعون لأن أولئك يرونها تديناً يرون أن هذا هو الحق وان غيره باطل فلهذا لا يدعه إلى غيره فالعبرة بالحق المطلق لا بالحق الإضافي .

ذكرت أن للإمام احمد روايتين في تكفير الخوارج .

في تكفير الذين خرجوا على علي الحرورية وأما الخوارج الذين ظهروا بعد ذلك ولهم اعتقادات مختلفة فإن هؤلاء يعامل كل بحسب حاله .

س : هل هناك فرق بين الجهل والجهالة ؟

ج : نعم الجهالة تعدٍّ والجهل عدم العلم

س : أليس ظاهر كلام الشيخ أنه يرى كفر الخوارج كما ذهب إليه بعض العلماء من السلف ؟

ج : نعم هو ظاهر كلامه وهو كلامه عن القتال وعدم الانتفاع بلا إله إلا الله في ترك مقاتلتهم .

س : لفظ يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، هل يدل على كفرهم ؟

ج : استدل به من رأى كفر الخوارج لكن الصواب أنه لا يدل على ذلـــك لأن المروق من الدين كما يمرق السهم من الرمية قد يكون مروقاً مع بقاء الأصل وقد يكون مروقاً كاملاً فهو محتمل .

س : من عَمِلَ عَمل كفر سواء كان قولياً أو فعلياً لكنه يجهل الحكم أن هذا كفر جرت عادة بلده بهذا ؟

ج : السؤال غير منضبط فكيف يكون عمل كفر وهو قولي أو فعلي لا بد يحدد الصورة التي يسأل عنها .

س : لما قام ابن مُلجم بأمر أصحابه بتقطيعه حتى الموت ؟

ج : هو ما أمر أصحابه أن يقطعوه هو قال طلب من ورثه علي مـــن الحســـن والمسلمين ألا يقتلوه دفعة واحدة وهم قتلوه بالسيف ضربة واحدة .

نكتفي بهذا القدر وصلى الله وسلم على نبينا محمد

****

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : ولهم شبهة أخرى وهو ما ذكر النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا على رسول الله ﷺ قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً والجواب أن نقول سبحان من طبع على قلوب أعدائه فإن الاستغاثة بالمخلوق بما يقدر عليه لا ننكرها كما قال الله تعالى في قصة موسى : ﴿ فاستغاثه الذي هو من شيعته على الذي من عدوه ﴾ وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق ونحن

أنكرنا استغاثة العباد التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء الـــتي لا يقدر عليها إلا الله إذا ثبت ذلك فإن استغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريـــدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقـــف وهذا جائز في الدنيا والآخرة وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك فتقول له أدعو الله لي كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته أما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوا ذلك عند قبره بل أنكـــر الســـلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره بل فكيف بدعائه نفسه ولهم شبهة أخرى وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء وقال له ألك حاجة ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، اللهم نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً وقلباً خاشعاً اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بمـــا علمتنـــا واجعلنـــا مـــن عبـــادك المـــتقين ....أما بعد

فهذه شبهة أخرى جديدة ذكرها الإمام المجدد رحمه الله تعالى لأن أهل الشرك في زمانه من العلماء وأشباههم كانوا يوردونها على الشيخ رحمه الله مستدلين بهـــذه الشبهة على إبطال توحيد الله جل وعلا بعبادة الاستغاثة والمشركون حين احتجوا بهذه الشبهة وجادلوا بها يريدون إبطال الأصل الذي يعتمد عليه الموحدون وهـــو أن صرف العبادة لغير الله جل وعلا شرك أكبر فهم اســـتدلوا بـــبعض مـــا ورد لإبطال توحيد العبادة ويريدون بعد هذا أن يقصروا الشرك في عبادة الأصنام وفي عبادة الأوثان التي كان عليها أهل الجاهلية في الزمن الأول على ما فهمـــوه مـــن

عبادة الأصنام والأوثان وهذا الإيراد الذي ذكره الشيخ رحمه الله من العجب أنه تتابع عليه الذين ردوا على الشيخ قبله يعني في زمانه وبعده رحمه الله تعالى فالذين كتبوا في تجويز الاستغاثة بالقبور وبالمقبورين وبالأولياء الصالحين وغير الصـــالحين هؤلاء احتجوا بهذا الدليل وهو أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم وهذا النـــوع من الاستغاثة هي استغاثة بعد الممات يقولون : الممات حلٌّ والاستغاثة هذه بعـــد الممات وحياتهم في قبورهم كحياتهم في الموقف ولا فرق إذ هذا وهذا حياة لهـــم فيستدلون بالإستغاثة بآدم وبنوح وبإبراهيم بموســـى ثم بعيســـى ثم بـــالنبي ﷺ يستدلون بذلك على أن الاستغاثة بغير الله جل وعلا ممن ليس في الحيـــاة الـــدنيا جائزة وهذا هو الذي ذكره الشيخ رحمه الله هنا حيث ساق ما ساق قال في آخر كلامه قالوا : فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شـــركاً والجـــواب أن نقول وقبل سياق جواب الإمام رحمه الله تعالى نذكر أصلاً في جـــواب شـــبهة المشبهين من المشركين وذلك أن توحيد العبادة أدلته كثيرة محكمة والمجيب علـــى الشبه إذا اشتبه عليه جواب فإنه يعود إلى الأصل وهو تقرير الأدلة التي جاءت في توحيد العبادة ثم يدخل الصورة هذه التي أوردها المشبه في تلك الأدلة حتى يبطل الاستدلال من وجه إجمالي وهذه طريقة نافعة ثم بعد ذلك يأتي إلى الجواب الذي يكون فيه تخصيص لتلك المسألة التي احتجوا عليها ببعض الأدلة ومسألة الاستغاثة راجعة إلى الدعاء فإن الاستغاثة طلب ودعاء لأن الأصل في فعل استفعل أي طلب الشيء وقد يكون لغير الطلب في مواضع متعددة فإذا أُتي باستفعل فإنها تحمل على الطلب لأنها تدل عليه في مواضعه فاستسقى طلب السقيا استغاث طلب الغـــوث واستعان طلب العون إلى آخر أمثال ذلك فإذا كانت طلباً فإنها سؤال وإنها دعاء ولهذا الأدلة العامة في الكتاب والسنة تمنع السؤال بغير الله جل وعلا تمنع دعاء غير

الله تمنع الطلب من غير الله جل وعلا كما في قوله سبحانه : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ وكما في قوله جل وعلا : ﴿ ومن يدعوا مع الله إلها آخر لا برهان له به * فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾ وفي خصوص الاستغاثة قال جل وعلا : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾ وكما في قوله : ﴿ إليه أدعو وإليه متاب ﴾ ونحو ذلك من الآيات التي فيها إفراد الله جل وعلا بالطلب وإذا كان كذلك في القرآن فهذا عام يشمل ما يقدر عليه المطلوب منه وما لا يقدر عليه وكذلك ما جاء في السنة من قوله عليه الصلاة والسلام (إذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله) فالسؤال والطلب من مخلوق لا يجوز بل يجب إفراد الله بالطلب هذه أدلة الكتاب والسنة في هذا بخصوصه لكن هذا العموم أو هذا الإطلاق ورد ما يقيده في النصوص فالنصوص العامة كما ذكرنا لك أو المطلقة تمنع السؤال مطلقاً إذا سألت فسأل الله بلا تفصيل هل يقدر أو لا يقدر هل هو حي أم ليس بحي هل هو حاضر أم ليس بحاضر إذا سالت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وكذلك : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ لكن جاء في القرآن وفي السنة تقييدات جعلتنا نقيد هذا الإطلاق أو نخص هذا العموم ببعض الصور ولهذا القيود في الأدلة ظاهرة فجعلوا تلك المطلقات مشروطة ولهذا قال العلماء تلك المطلقات ينظر في النصوص هل قيدت أم لا كشأن العام فإنه يبقى على عمومه حتى يرد مخصص وكشأن المطلق فإنه يبقى على إطلاقه حتى يرد ما يقيده . فنظرنا في القرآن فوجدنا أن الرب جل وعلا ذكر عن نبيه موسى عليه السلام في أول سورة القصص ذكر قوله جل وعلا ﴿

﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ فعلمنا بذلك أن موسى عليه السلام وهو نبي الله وكليم الله وإن كان هذا قبل أن يوحي إليه فهو ليس إذا قال ذلك بمشرك الشرك الأكبر لأن الأنبياء منزهون عن الشرك الأكبر قبل النبوة وبعدها من باب أولى كما هو واضح ظاهر فإذا قوله : ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ هنا الله جل وعلا ذكر الاستغاثه فدل على أن هذا النوع من الطلب خارج عن الإطلاق فهذا ننظر في هذا الحال بساط الحال في لهذه الآية . فنقول : هذا طلب الغوث من موسى وهو حي أمامه وهو قادر لأنه وكزه فقضى عليه أو أنه في محل القدرة يعنى في حكم القادر وكذلك أنه يسمع خطابه فظهر لنا من هذا الدليل قيودات وكذلك نعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم استغاثوا بالنبي ﷺ في حياته في مواقع وإذا كان كذلك فإنهم استغاثوا بمن يسمع وهو حي ويقدر على أن يغيثه وكذلك إجازة طلب الغوث ، طلب الغوث فيما يستغيث المرء بمن هو يقدر على إزالة ما به من كرب يعنى بشروطه فدلنا ذلك على أن تلك العموميات إذا سألت فأسأل الله ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ مقيدة فلهذا قيد العلماء بهذه النصوص المقيدة العموم فقالوا إذا كان المستغاث به المسئول المطلوب إذا كان حياً يخرج الميت إذا كان قادراً على الإنفاذ أو في حكم القادر إذا كان حاضراً يسمع فإن الأدلة دلت على جواز الطلب منه وعلى جواز الاستغاثة به وعلى جواز الاستغاثة فإن كان غائباً فإنه يبقى العموم على بابه يبقى المطلقات على بابها فإن كان غير حي فيبقى فإذاً هنا

العمومات بالإجماع يعمل بها والمطلقات بالإجماع يعمل بها العموم مثل قوله ﴿ ومن يدعو مع الله إله آخر ﴾ ومثل قوله :

﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ وأشباه ذلك فيعمل بالعموم حتى يرد المخصص وهنا المخصصات المنفصلة كما هو مقرر في الأصول دلتنا على اعتبار الشروط فإذا من منع هذا منع الاستغاثة بغير الله جل وعلا فيما لا يقدر عليه ذلك المستغاث به مستمسك بالأصل مستمسك بالعمومات مستمسك بالأدلة المحكمة في هذا الباب فمن أجاز صورة من الصور فهو الذي عليه الدليل ولهذا نقول هذا الدليل الذي أوردتموه لا يخرج عن القيود التي ذكرناها . هذه الشبهة بالاستدلال بهذا الدليل لا يخرج عما ذكرناه بل هو مؤيد ودليل من السنة على ما ذكرناه من القيود واستدلالكم به على أن الحياة التي بعد الموت لا تسمى حياة وإنما هي حياة الدنيا ثم بعده موت ويوم القيامة والبعث له حكم ما قبل الموت لأن هؤلاء أحياء في قبورهم ثم بعد ذلك هم أحياء فلا فرق نقول هذا لا يستقيم مع الدلالة الكثيرة في القرآن في أن الناس أحيوا حياتين وأميتوا ميتتين قال جل وعلا ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا ﴾ يعني في بطون الأمهات ﴿ كنتم أمواتا فأحياكم ﴾ بنفخ الروح : ﴿ ثم يميتكم ﴾ بذهاب الروح ﴿ ثم يحيكم ﴾ بعود الروح وكذلك قوله جل وعلا في سورة غافر ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾ فدل على أن النصوص فيها حياتان وفيها ميتتان فمن جعل الموت والحياة حالة واحدة كحال هؤلاء

المشبهة الذين أوردوا هذه الشبهة فإن النصوص تبطل هذا الإيراد فهذا الإيراد هذه الشبهة مبطلة كما ذكرنا من هاتين الجهتين .

أولاً : من حيث أن هذا الدليل هو لنا وليس علينا لأن فيه القيــود لأن هــؤلاء أحياء يتكلمون قادرون آدم قادر على الدعاء . نوح قادر على الدعاء . وموسى قادر على الدعاء ومحمد عليه السلام وعيسى عليه السلام قادر علــى الــدعاء ثم نقول إن هؤلاء كانوا في حياة ثم صاروا إلى موت وهم مع موقم في حياة برزخية أكمل من حياة ا لشهداء لكن فرق بين أحكام الموت وأحكام الحياة ثم يصيرون إلى حياة فدل على تنوع الأحوال فلكل حال دليلها الذي يخصها فإذاً .

أولاً : جواب الشبهة هذه العمومات باقية إدعاء أن هذا الدليل يصــلح لجــواز الاستغاثة بغير الله جل وعلا باطل لأنهم استدلوا بدليل في الحياة والكلام معهم في الممات إذا قالوا الممات وما بعده من يوم القيامة كل هذا يعتبر نوع واحد مــن الحياة نقول : النصوص دلت على أن ثمت حياتين وثمت موتين فإذا يحتاجون إلى دليل آخر ولا دليل عندهم هذا تقرير لهذه المسألة ولك أن تنظر مثلــها في كــل أنواع الطلب . كل أنواع التي استدلوا بها في أنواع الطلب تستدل بمثل هذا لأنهم يوردون بعض الأدلة والأوثان والإسرائيليات في مثل هذا فلك أن تطرد هــذا في أمثاله .

قال الإمام رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة والجواب أن تقول : سبحان من طبع على قلوب أعدائه وهذا تتريه لله جل وعلا في مسألة عظيمة وهى مسألة القــدر لأنهم طبع على قلوبهم فلا يفقهون إلا قليلاً فإن الاستغاثة بالمخلوق فيمــا يقــدر عليه لا ننكرها تستدلون بشيء ليس هو المسألة التي في البحث ، المسألة التي فيها البحث . الاستغاثة بالأموات والاستغاثة بمن لا يقدر وأنتم تستدلون بدليل لــيس

في محل الدعوة ولا شك أن هذا باطل عند جميع العقلاء . استدلال بدليل ليس في محل الدعوة استدلال باطل فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليـــه لا ننكرهـــا وتلحظ هنا قوله : فيما يقدر عليه وفي آخرها قال : في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله وبين العبارتين فرق هنا فيما يقدر عليه وهناك فيما لا يقدر عليـــه إلا الله والجواب عن هذا الإيراد أن ضابط الاستغاثة كمـــا ذكـــره في أول الكـــلام أن الاستغاثة بالمخلوق جائزة فيما يقدر عليه والاستغاثة الشركية هـــو أن يســـتغيث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه المخلوق أو فيما لا يقـــدر عليـــه إلا الله لأن بـــين العبارتين فرقاً هو لا يقدر ولكن الآخر يقدر قد لا يقدر هو ولكن الآخر يقـــدر وهذه من حيث الاستغاثة بغير الله جل وعلا فيما لا يقدر عليه ذلك الغير . تحتاج إلى تفصيل وقد ذكرنا شيئاً من تفصيلها في شرح كتاب التوحيد كما هو موجود في شروح كتاب التوحيد وخلاصة الأمر أن الضابط الأيسر أن تقـــول فيمـــا لا يقدر عليه إلا الله ، وأما فيما يقدر عليه المخلوق في أنه جائز وفيما لا يقدر عليه المخلوق بأنه شرك هذه تحتاج إلى ضوابط فمثال ذلك لو استغاث بمهندس للعمارة فيما يتعلق بأمر طبي هو لا يقدر على ذلك صحيح . إنما يقدر عليه الطبيب لكن هنا الاستغاثة لا نقول إنها شرك أكبر لأن هذا جنسه يقدر وليست القدرة على ما يقدر عليه الطبيب بخصوصه بل القدر متنوعة يأخذه يذهب به إلى الطبيب يكون معه إلى آخر الأنواع ولهذا بعض أهل العلم يعبر بقوله إن الاستغاثة بالميت فيما لا يقدر عليه أو الاستغاثة بالغائب فيما لا يقدر عليه أنها شرك أكبر وهذه لا تنضبط عند أكثر الناس هي صحيحة لكن تحتاج إلى عالم يضبطها لأن المسائل متشـــابهة فالذي يضبط المسألة هو قول الشيخ في آخر الكلام أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليه إلا الله يعنى إذا طلب من المخلوق الميت أو الغائب شيء لا يقـــدر

عليه إلا الله فإنه يكون شركاً أكبر أما في ما يقدر عليه المخلوق لكن هذا المخلوق المعين لا يقدر عليه قد تكون وقعت شبهة عند المستغيث وحال الاستغاثة يكـــون هناك ضعف وقد يكون هناك ظن أن هذا يقدر أن يغيث إلى آخر ما يتصل بهـــذا مما ذكرنا شرحه المقصود من هذا أن الضابط الأخير اللي ذكره الشيخ في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله هذا ضابط صحيح كما ذكره الشيخ في الحكم بالشرك . والأول في الحكم بالجواز لهذا الشيخ نوع العبارة فقال : الاستغاثة بـــالمخلوق فيما يقدر عليه جائز . والاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر وهذا ضابط صحيح وهو أحسن من أن نقول في المقامين فيما يقدر عليه المخلوق أو فيما لا يقدر عليه لما يحصل معها من الاشتباه .

قال رحمه الله : وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غـــيره في أشـــياء يقدر عليها المخلوق ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم .

استغاثة العبادة يعنى طلب الغوث من الغائبين مع اعتقاد أن لهم يأثيراً في غيبتـــهم هذه استغاثة العبادة ويكون معها رجاء وخوف أو رجاء ومحبة أوخوف ومحبة أو الثلاثة معاً فإذاً الاستغاثة منها ما هو عبادة ومنها ما ليس بالعبادة وما أنكرناه هو استغاثة العبادة وهو أن يستغيث بغائب إما ميت أو حي غائب فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا يستغيث به في شفاء مرضه يستغيث به في أن يخلص من المدلهات التي أصابته في كشف الكربات في إزالة المصائب التي أصابته في مغفرة الذنب في إتيانه بولد في تأمينه مما يخاف إلى آخر ذلك .

قال إذا أثبت ذلك يعنى الجواب الأول اللي ذكره الشيخ وجه الاستدلال لصالحه قال : هذا الدليل لنا وليس علينا ثم قال : إذا أثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم

القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف وهذا جائز في الدنيا والآخرة .

جوازه في الدنيا لأنه يجوز أن تطلب من أحد في الدنيا أن يدعوا لك لأنه يقدر على هذا الشيء كذلك في الآخرة يجوز أن تطلب منه أن يدعوا لك لأنه يقدر على هذا الشيء وهاتان حياتان . والكلام في الموت ، الكلام في الموت أو حين الغيبة هو محل النزاع قال : وذلك أن تأتى عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك وتقول له أدع الله لي كما كان أصحاب الرسول ﷺ يسألونه ذلك في حياته وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوا ذلك عند قبره .

يعنى أن الصحابة لم يرد عنهم شيء البتة وحاشاهم وكلا أنهم أتوا قبر النبي ﷺ فاستغاثوا به أو أتوا قبره فاستشفعوا به طلبوا منه الدعاء فهذا لم يكن يفعله الصحابة رضوان الله عليهم بعد موته البتة قال : بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه عليه الصلاة والسلام نفسه يعنى السلف الصالح كما في قضية علي بن الحسين وعدة حوادث في هذا عن السلف أنهم أنكروا من يأتي إلى القبر للدعاء وإنما من دخل المسجد فسلم كفى أو أتى من سفر كما كان يفعل ابن عمر رضى الله عنهما وغيره يأتي فيسلم على النبي عليه الصلاة والسلام سلاماً أما أن يتخذ القبر محلاً للدعاء يعنى ما حول القبر أو أنه يدعى النبي عليه الصلاة والسلام نفسه فهذا لم يكن عند السلف بل بعضهم غلط ودعا الله جل وعلا وحده عند القبر فأنكر عليه بعض السلف كما ذكرت لك إذا أنكروا على من قصد القبر لدعاء الله جل وعلا فكيف لا ينكرون من قصد القبر لدعاء المقبور نفسه لاشك أن هذا أولى بالإنكار المقصود من هذا أن الشبهة هذه ليست بمستقيمة بل هي داحضة كما هي شبه أهل الشرك ولله الحمد . أهل السنة وأهل

التوحيد ليس لهم غرض في هذا الأمر لم يأتوه عن هوى لم يأتوه عن شهوة وإنما أتوه تطبيقاً لما جاء في الكتاب والسنة ورعاية لما ورد وتعظيماً لحق الله جل وعلا فلو أجاز الله جل وعلا ذلك لاتبعناه كما قال سبحانه ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ لو أجاز الرب جل وعلا ذلك لاتبعناه ولكن لا دليل البتة يجيز هذا لأن هذا هو الشرك الأكبر بعينه وهذا عند أهل التوحيد بوضوح وظهور ولهذا قال : كما في القصة المعروفة أن رجلاً حاج بعض أهل الشرك فيما هم عليه من الشرك فقالوا له أنتم تقولون هذا لأجل أن محمد بن عبد الوهاب قاله تعصباً له فقال هذا الموحد كلمة التوحيد الصحيحة الخالصة التي هي عن بينه لا عن تقليد قال : لو قام محمد بن عبد الوهاب من قبره فقال : ما قلت لكم غلط لما اتبعناه لم ؟ لأنهم أخذوه بالحجة ليس بالحجة من قول محمد بن عبد الهاب إنما بالحجة من قول الله جل وعلا وقول رسول الله ﷺ وإجماع سلف الأمة والإمام محمد بن عبد الوهاب إمام مصلح مجدد دل الناس على معاني النصوص وهذه وظيفة أهل العلم ، أهل العلم الراسخون منهم يؤخذ قولهم لأنهم دلوا الناس على معاني النصوص وفي فقههم للنصوص وفهمهم لها قالوا هذا معنى الآية وهذا ما دل عليه القرآن . هذا ما دلت عليه السنة أو تارة يجتهدون ويذكرون من القواعد ما يكون في نفوسهم من دلالات النصوص فيفهمون من الشريعة بمجموع أدلتها وبروح الشريعة ، أن الشريعة أتت بكذا فيقولون هذا أو يقبل كلامهم لأنهم هم الفقهاء بالكتاب والسنة والإمام المصلح رحمه الله إنما قال للأمة معنى الآيات كذا ومعنى الأحاديث كذا ودلت على هذا . فإذا هو ناقل للكتاب والسنة وموضح لمعناهما لما أتاه الله جل وعلا من متابعة السلف الصالح ومن الرسوخ في العلم

وفهم الأدلة فإذاً ليست المسألة عن تقليد وإنما هي عن وضوح حجة ووضـــوح برهان ولله الحمد والمنة .

قال : ولهم شبهة أخرى وهي قصة إبراهيم لما ألقى في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال له ألك حاجة فقال إبراهيم أما إليك فلا . قالوا : فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركاً لم يعرضها على إبراهيم . فالجواب : أن هذا من جـــنس الشـــبهة الأولى فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه في أمر يقدر عليه فإنه كما قال الله فيه ﴿ شديد القوى ﴾ فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم ومـــا حولهـــا مـــن الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ولو أمره أن يضع إبراهيم في مكـــان بعيد عنهم لفعل ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل وهذا كرجل غني لـــه مـــال كثير يرى رجلاً محتاجا فيعرض عليه أن يقرضه أو أن يهبه شيئا يقضى به حاجته فيأبى ذلك الرجل أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد فأين هذا من استغاثة الشرك والعبادة لو كانوا يفقهون .

وهذه الشبهة هي أضعف من الشبهة الأولى ولكن المشرك والعياذ بالله يتشـــبث بخيط العنكبوت لإبقائه كما هو عليه .

قصة إبراهيم هذه ذكرها بعض المفسرين وأن جبريل عليه السلام اعترض لـــه في الهواء لما ألقى في النار فقال له يا إبراهيم ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم عليه الســـلام وهو إمام الحنفاء قال أما إليك فلا قال لو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرض عليها إبراهيم وكما ترى أن الاستدلال ليس في محل الدعوة والـــدليل لـــيس في محـــل الدعوى فالكلام في الاستغاثة بالأموات وأما الاستغاثة في أصلها كما قلنا دلـــت الأدلة على جوازها بشروطها وأما الاستغاثة التي نتكلم فيها الاستغاثة بالغـــائبين الاستغاثة بالأموات ولهذا لو قال قائل لهم . لهؤلاء : إذا كنتم تقولون ذلك فهـــل

يجيز أحد منكم أن يستغيث بإنسان اليوم مجمع على حياته بين المسلمين . وهـو عيسى عليه السلام رسول من أولي العزم من الرسل فهـل تجيـزون الاسـتغاثة والطلب من عيسى عليه السلام وهو حي في السماء رفعه الله جل وعلا إليه ولا قائل بين المسلمين البتة أنه تجوز الاستغاثة والطلب من عيسى عليه السلام وإنمـا كلامهم في الأولياء المقبورين ولهذا نقول : هذه الشبهة في أنه عرض جبريل على إبراهيم في أن يغيثه هذه لنا وليست علينا لأن جبريل عليه السلام قوى بل شديد القوى أتى النبي عليه الصلاة والسلام وقال له يا محمد لو شئت لأطبقت على أهل مكة الأخشبين فقال عليه الصلاة والسلام وهو الرؤوف الرحيم لا لعـل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله فجبريل عليه السلام يخلص إبراهيم من النار هـذا أمر سهل ميسور عليه بإقرار الله له ذلك وجبريل كان حاضراً عرض الإغاثة على إبراهيم فهذه بل شك في خارج محل الدعوة لكن كما ذكـرت لـك المشـرك يتشبث بخيط العنكبوت .

قال : فالجواب : أن هذا من جنس الشبهة الأولى فإن جبريل عليه السلام عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه فإنه كما قال الله تعالى فيـه ﴿ شديد القوى ﴾ وقال ﴿ علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى ﴾ فلو أذن له أن يأخذ نار إبـراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو في المغرب لفعل ولو أمره أن يضع إبراهيم في مكان بعيد عنهم لفعل ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل ولكن إبراهيم عليه السلام في هذا أرادها من الله جل وعلا .

وهذا يدل على الأصل الذي أصلناه ودلت عليه النصوص وهو أنه من استغنى عن الخلق فهو أحمد فهو المحمود لأن الأصل أن يستغني عن الخلـق لكـن النـاس لا

تستقيم أمورهم إلا بحاجة بعضهم إلى بعض ولهذا ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ أوصى عدداُ من أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئاً قال فكان أحدهم يسقط سوطه وهو على دابته فلا يسأل أحداً أن يرفعه إليه بل يترل ويأخذه وذلك من الكمال والنبي عليه الصلاة والسلام كان قلما يحتاج إلى غيره إذا كان الشيء يمكن أن يعمله بنفسه عمله بنفسه عليه الصلاة والسلام يعنى في الأصل وأما غير ذلك فهو جائز لكن ليس هو الأصل يعنى أن هذا الدليل الذي أوردوه وإن لم يستقم دليلاً لكن هذا لنا وليس علينا قال من حيث التمثيل وهذا كرجل غنى له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه أو أن يهبه شيئاً يقضى به حاجته . فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون .

وهذا الجواب واضح الدلالة واضح القوة ولكن المشركون طبع الله على قلوبهم .

نكتفي بهذا القدر بقى معنا درسان أو ثلاثة .

س : لم نفهم حكم الاستغاثة بالمهندس بأمر طبي ؟

ج : لا ليس شركاً لأنه يغيثه بغير العملية .

س : هل المرأة التي قالت وامعتصماه ارتكبت شركاً أكبر ؟

ج : لا ليس ذلك الشرك الأكبر هو وقد يكون إذا كان أرادت النداء وهي تعلم أنه لن يصل إليه وليست متفجعة قد يحصل ذلك لكن الأصل فيها أنه ليس شركاً أكبر .

س : كلهم يسألون هل القصة هذه ثابتة ؟

ج : تحتاج إلى مراجعة .

س ماذا تعنى بقولك : أن عيسى مجمع علي حياته في السماء ؟

ج : فيها أشكال ؟ عيسى عليه السلام مامات وما قتل وما صلب ولكن الله جل وعلا توفاه يعني استوفى له مدته الأولى في الأرض قال ﴿ إني متوفيك ورافعك إلي ﴾ وهو رفع إلى السماء حياً والقي الشبه مكانه فقتل اليهود الشبه وصلبوا الشبه وأما عيسى عليه السلام فهو حي في السماء ونزوله من إشراط الساعة الكـــبرى ينزل عليه السلام فيعيش في الأرض مدة بعضهم قال سبع سنين وبعضهم أكثر أو أقل ثم يموت يصلى عليه المسلمون ويدفنونه فهو الأن عليه السلام حي في السماء بإجماع الأمة بلا خلاف ولا قائل أنه يجوز الاستغاثة به وهو الآن في السماء حي ما أحد يقول هذا يعني إلزام لهم لو قالوه لصرحت عليهم جميـــع المراجـــع الـــتي يرجعون إليها .بأن هذا شرك وأن هذا مضاهى لفعل النصارى .

س : هل طلب الدعاء من الشخص سنة ؟

ج : طلب الدعاء من الحي يعني ترى من ترجوا أن يجاب إما لكونه صالحاً أو لأنه يتحرى أوقات الإجابة أو لأنه في سفر أو ما أشبه ذلك مـــن أســـباب الإجابـــة فتطلب منه أن يدعو لك الأولى أن لا تطلب منه وإذا طلبت فإن السنة أن تنـــوى نفعه ونفعك جميعا لا تنوى يعني حين تطلب أنك محتاج إلى أن يدعو لك هـــذا خلاف السنة ، السنة أن تنوى النفع يعني حين تطلب منه الدعاء تريد أن تنفعـــه بأن يؤمن الملك ويقول ولك بمثل وتنفع نفسك أيضاً بإجابة الدعاء هـــذا هـــو التحقيق وعليه يحمل ما ورد في السنة من سؤال النبي ﷺ لعمر أن يـــدعو لـــه لا تنسنا يا أخي من دعائك مع أنه حديث ضعيف وكذلك طلب الدعاء من أويس .

س : لماذا يا شيخ قول المرأة وامعتصماه شرك ؟

ج : قصده ليس بشرك مع أنها استغاثت بغائب ليس بموجود ؟

لأن وامعتصماه وا هذه ليست متمحضة للنداء ولا الاستغاثة في اللغة تحتمل أنها للتفجع . تحتمل أنها للندبة وفي اللغة اللفظ محتمل وادرءوا الحدود بالشبهات

بارك الله فيكم وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

****

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينامحمد وعلى آله وصحبه أجمعين : قال الإمام المجد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها فنقول لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شيء من هذا لم يكن

الرجل مسلما فإن عرف التوحيد و لم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق ولكنا لا نقدر أن نفعله ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم أو غـــير ذلك من الأعذار و لم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق و لم يتركوه إلا لشيء من الأعذار كما قال تعالى ﴿ اشتروا بآيات الله ثمنا قليلاً ﴾ وغير ذلك من الآيات كقوله ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ فإن عمل بالتوحيـــد عمـــلاً ظاهرا وهو، لا يفهمه أولا يعتقده بقلبه فهو منافق وهو شر من الكافر الخالص إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهذه المسألة ، مسألة كبيرة طويلة تتبين لـــك إذا تأملتها في السنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به بخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحد فترى من يعمل به ظاهرا لا باطنا فإذا سألته عما يعتقـــد قلبه فإذا هو لا يعرفه ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله أولا هما قوله تعالى

****

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، هو الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمد عبد الله ورسول وصفية وخليله صـــلي الله عليـــه وعلي آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلي يوم الدين ....

اللهم إنا نسألك البر والتقوى ومن العمل ما ترضي ، اللهم علمنا ما ينفعنا مإنفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً يا لأرحم الراحمين ، أما بعد ....

فهذه صله لما سبق أن بينا من مقاصد هذه الرسالة العظيمة كشف الشبهات ،ولما أورد الإمام المجدد رحمه الله تعالي جملاً من أصول الشبهات التي يوردهـــا أعـــداء الدين وأعداء دعوة التوحيد ، ختم الكلام بإيراد شبهة ، وهذه الشبهة راجعة إلي العمل ، والشبهة السابقة راجعة إلي العلم ، يعني بالتوحيد وببيان أنه الحق ، ورد ما يجادل به المشركون في صحة التوحيد وصحة اعتقاد ما دلـــت عليـــه كلمـــة التوحيد .

قال الإمام رحمه الله : ولنختم الكلام إن شاء الله تعالي بمسألة عظيمة مهمة جـــداً وفي قوله هنا :ولنختم الكلام إن شاء الله تعالي فيه ، يعني في إيراده للاستثناء هذا إن شاء الله ، تنبيه لطالب العلم ، بل ولكن مؤمن أن يستعل هذه الكلمة فيمـــا يريد أن يفعله من الأمور العلمية ومن الأمور العملية واستعمال هـــذه الكلمـــة ينقسم إلي واجب ومستحب متأكد، فأما الواجب فهو إذا قرنها بتأكيـــد وعـــزم وتصميم أو كان معها قسم في فعل شيء ما وهذا مأخوذ من قول الله جل وعلا ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت ﴾ فقوله هنا جل وعلا ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ﴾ فيها النهي

كما هو ظاهر ، والنهي متعلق بقوله ﴿إني فاعل ذلك غداً﴾ وهــذه الجملــة مؤكدة بان كما هو معلوم ، وأعظم من ذلك إذا أقسم علي الشيء ، كأن يقول القائل : والله لأفعلن كذا ، فهذا يجب عليه أن يقول في ذلك : إنشاء الله .

والحال الثاني : أن تكون متأكدة الاستحباب وذلك في غير ما ذكرنا مما يجري في عادة الكلام فيما تستقبل من أمور ، سأفعل كذا وسأقوم بكذا وســأقول كــذا وسأذهب ونحو ذلك . هنا ستحب بتأكد أن يقول المرء إن شــاء الله . لأنــه لا يدري هل يفي أولاً يفي وتعليقه بالمشيئة إخراج له من الحول والقوة والتبرؤ مــن الحول والقوة إلي حول الله جل وعلا وقوته . فإذاً فيما يستعمل أهل العلم . فيما يأتون به يأتون بهذه الكلمة إن شاء الله تعالي والإمام رحمه الله استحضر فيها عدة أشياء حين قال : ولنختم الكلام استحضر عدة أشياء فخشي أن ينسى فأتي بــإن شاء الله تعالي لأنه بالاستقراء وجدنا كثيراً من المصنفين وعدو في كتبهم بــأنهم سيبسطون القول في المسألة في موضع آخر و لم يقولوا إن شاء لله ففاتهم في الموضع التذكر وهذا موجود في كتب كثيرة فيكثر في فتح الباري في مواضع عدة قــال : ستأتي في كتاب كذا وسيأتي بيانها في كتاب كذا و لم يقل إن شاء الله ففاتته مــع طول مدة التأليف .

حيث أمضي في تأليفه أكثر من ثلاثين سنة كما هو معلوم وكــذلك صــاحب الروض المربع في فقه الحنابلة في مواضع بل في موضع أو موضوعين قال: وستأتي في كذا ثم لم يأتي بها المقصود أن طالب العلم حتي ولو كان بحثه قريباً فيما يحدث أو فيمنا سيتحدث به فيقول : إن شــــاء الله سنتكلم عليهم إن شاء الله حــتي يوفق لأن كل شيء بمشـــيئة الله ﷻ .

قال هنا رحمه الله : ولنختم الكلام إن شاء الله تعالي بمسألة عظيمة مهمة جـــداً . تفهم مما تقدم) يعني أنها لم تتقدم بنصها ولكن بمفهومها فما تقدم يفهم منه هذا التقرير والمفهوم لا يتفطن له كل أحد . بل الناس يختلفون في التنبه لباطن الكلام ولإمائه وإشارته ودلالاته اللازمة لهذا أورد هنا ما يهم لكن بالتصريح والإيضاح لشدة أهمية ذلك قال : ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها .

لعظم شأنها لأنها بها يفرق بين المؤمن والمنافق كما سيأتي إن شاء الله ولكثرة الغلط فيها لأن الذين زعموا أنهم من أهل التوحيد وأنهم أقروا به في زمن الشيخ رحمـــه الله غلطوا في ذلك وظنوا أن الإقرار بالتوحيد يكفي عن أن يتركوا الشرك فقالوا : نعم هذا الذي قاله محمد بن عبد الوهاب حق وهذه دلالات النصوص صحيحه ولكنهم لم يتركوا الشرك عملاً و لم يتبرءوا منه عملاً مدارة لقومهم أو خوفاً علي مال أو جاه أو ما أشبه ذلك . لهذا قال : ولكثرة الغلط فيها يعني في زمانـــه وفي كل زمان يشبه زمانه.

فنقول : لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً .

قوله : لا خلاف يعني عند أهل السنة والجماعة لأن أهل السنة والجماعة عنـــدهم الإيمان ثلاثة أشياء مسماة يقع علي ثلاثة أشياء الاعتقاد الباطل ، والقول باللسان ، والعمل بالأركان . فالإيمان عندنا هو اعتقاد بالجنان وهذه هـــي النـــون الأولي والقول باللسان هذه هي النون الثانية والعمل بالأركان والإيمان أركانـــه ســـتة وأعظمها وأولها الإيمان بالله والإيمان بالله منقسم إلي ثلاثة أقسام

إيمان بتوحيد الله في ربوبيته وإيمان بتوحيد الله في الإلهية وإيمـــان بتوحيـــد الله في أسمائه وصفاته . فإن أقر بقلبه بتوحيد الربوبية والألوهية ونطق بلســـانه بتوحيـــد

الربوبية والألوهية والأسماء والصفات لكنه لم يعمل بتوحيد الألوهية فلا خــلاف أنه فقد ركنا من أركان الإيمان إذ لم يعمل بالإيمان بالله لأن الإيمان بالله فيه توحيد الله في العبادة فإذا أشرك مع الله جل وعلا إله آخر فإنه لا خلاف كمــا ذكــر الإمام رحمه الله أنه لم يصر مسلماً بإيمانه بكل الأركان إذا فقد العمــل بتوحيــد الألوهية ولهذا قال فإن اختل شيء من هذا يعنى هذه الثلاثة مجتمعــة أن يكــون بالقلب والمقصود به قول القلب وهو اعتقاده وقولنا قول القلب هذا سماها بعض السلف سمى الإخلاص والاعتقاد قول القلب وهذه تسمية اصطلاحية وإلا فــإن القول لا ينسب للقلب لفظاً وإنما قيل قول القلب للتقسيم ما بين العمل والقــول فالقول قسيم العمل ولما كان للقلب عمل بالاتفاق سمّوا ما ليس من عمل القلب قول القلب لاكتمال التقسيم ولهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقــول في مواضع عن الإخلاص والاعتقاد يقول : هو الذي يسميه بعضهم قول القلــب وهذا ظاهر ، المقصود أن قول الشيخ رحمه الله لا بد أن يكون بالقلــب يعــني الإيمان يكون بالقلب الذي هو الإقرار بتوحيد الله جل وعــلا والعلــم بــذلك وإخلاص الدين لله جل وعلا .

إخلاص الإقرار يعنى أن لا يكون مقراً كحال المنافقين بل أن يكون في اعتقــاده مخلصاً أو كحال المستكبرين أو ما أشبه ذلك واللسان يعني أن يشهد بمــا عليــه الإيمان والشهادة عند السلف فيما فسروا به موارد الشهادة في القرآن كقوله : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط** ﴾ وكقوله : ﴿ **إلا من شهد بالحق وهم يعلمون** ﴾ وأشباه ذلك فسروا الشهادة بأنها اعتقاد ونطق وإعلام وإخبار فالشهادة ليست هي القول وحده وليست هي الاعتقاد وحده بل لابد أن

يعتقد وأن يقول وأن يُعَلِم غيره بذلك إلا إذا كان ثم ما يرخص بـــه في كتمـــان الإيمان في مواضعه .

فالشهادة تضم هذا ولهذا صار قول اللسان هذا جزء من الإيمان هنـــاك اعتقـــاد بالجنان وقول باللسان والعمل بالأركان يعني بما دل عليه إذا تقرر هذا فمن المتقرر أيضاً عند أهل السنة والجماعة بلا خلاف بينهم أن الإيمان لا يصح من أحـــد إلا بقدر يُصحح هذا الإيمان من الإسلام وكذلك من المتقـــرر عنـــدهم باتفـــاق أن الإسلام لا يصح من أحد يعني العمل بالأركان الأربعة العملية وغير ذلك إلا بقدر من الإيمان هو القدر المجزئ وهذا القدر المجزئ من الإيمان الذي به يصح الإسلام هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله على القدر المجزئ وإيضاح ذلك له موضعه وأوضحناه مراراً يعني القدر المجزئ في الإيمان بالله القدر المجزئ بالإيمان بالرســـل القدر المجزئ في الإيمان بالكتب إلى آخر ذلك .

فلا يصح إسلام أحد حتى يأتي بقدر مجزئ من الإيمان به يسمى مسلماً فلا يتصور أن يكون ثم مسلم ليس معه إيمان البتة أو ثم مؤمن ليس معه إسلام البتة بل لابـــد في الإسلام من إيمان يصحح ذلك الإسلام ولابد في الإيمان من إســـلام يصـــحح ذلك الإيمان يعني قدراً مجزئاً .

إذا تقرر هذا بلا خلاف تنبهت لدقة المصنف رحمه الله إذا قال : فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً و لم يقل مؤمناً .

أولاً : لم يقل مؤمناً بسببين :

الأول : أنه لو نفى الإيمان قد يتوهم أنه يثبت الدرجة التي هي أقل منـــه وهـــي الإسلام وهذا غير مراد فنفى الأقل حتى لا يتوهم المعنى الباطل ..

الثاني : أن في الإسلام لأنه أتى بعبادات ولكن لم يأت بالإيمان المصحح لها فنفى عنه الإسلام لأنه وإن كان أتى بظاهر الإسلام لكن لم يأت بالتوحيد الذي دلت عليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله التي هي الـــركن الأول مـــن الإسلام وكذلك لم يحقق الإيمان الذي هو بالقلب واللسان والعمل .

إذا تبين لك ذلك ففصل بعد ذلك الإمام عليه رحمة الله تعالى بقوله : فإن عـــرف التوحيد و لم يعمل به ، عرف التوحيد و لم يعمل به فهو كافر معانـــد كفرعـــون وإبليس وأمثالهما .

وتقرير هذا أن الكفر عندنا يعني عند أهل السنة والجماعة ، الكفر يكون إخراجا مما هو ضده الذي هو الإيمان ، فالإيمان إذا كان فيه اعتقاد وقول وعمل فضـــده الكفر يكون باعتقاد يضاد الاعتقاد وبقول يضاد القول وبعمل يضاد العمل ولهذا مورد الكفر يكون بالاعتقاد ويكون بالقول ويكون بالعمل لأن الكفر ضد الإيمان ويتصور أن يكون المرء يعتقد اعتقاداً حقاً لكن لا يعمل فليس إذاً داخلاً في الإيمان فهؤلاء هم المستكبرون والاستكبار أحد نوعي الكفر لأن الذين كفـــروا علـــى قسمين منهم من كفر بعد علم وهؤلاء هـــم المســـتكبرون : ﴿ إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ وقال جل وعـــلا في فرعـــون : ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا ﴾ وقال جل وعلا أيضاً عن فرعون في آخر سورة الإسراء في قيل موسى عليـــه الســـلام : ﴿ قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر * وإني لأظنك يا فرعون مثبورا ﴾ قال : ﴿ لقد علمت ﴾ فعلمه حاصل بذلك فإذاً حين كفر لم يكفر عن جهل وإنما عن إباء واستكبار

وكذلك أبو جهل وكذلك صناديد قريش سمعوا القرآن وعلموا حجته لكن صدهم عن ذلك الإباء والاستكبار : ﴿ **وقالوا لولا نُزِلَ هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾

والقسم الثاني : مما يكون به الكفر : الإعراض والإعراض قد يكون إعراض بعد علم وقد يكون إعراضاً عن العلم قال جل وعلا : ﴿ **بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون** ﴾ هذا في الإعراض الذي هو إعراض عن العلم كذلك إعراض بعد علم كما في آيات أخر فإذاً العلم بالاتفاق لا يكفي في صحة الدين حتى يعمل بما دل عليه العلم علم التوحيد فلم يعمل به هذا مستكبر ، علم الحق الذي هو الإيمان بأركانه فلم يعمل بما دل على ذلك فهو مستكبر لم يعلم أصلاً مع تمكنه من العلم ولكن أعرض فهذا معرض فإذا أعرض عن التوحيد مع التمكن فهذا معرض وهو غير عامل بالتوحيد وغير معتقد له ولا يكون مؤمناً لابد من اجتماع الإيمان بحدوده يعني الإيمان الذي هو في القلب وهو الاعتقاد وقول اللسان وعمل الأركان قال : فإن عرف التوحيد و لم يعمل به فهو كافر معاند وتعبيره هنا رحمه الله بقوله : فإن عرف التوحيد و لم يعمل به فيه إشارة إلى أن معرفة التوحيد لمن لم يعمل به أنسب من أن يقال : عَلِمَ التوحيد لأن المعرفة في القرآن أكثر ما جاءت على سبيل الذم كما في قوله جل وعلا : ﴿ **يعرفون نعمة الله ثم يُنكرونها** ﴾ : ﴿ **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾ ونحو ذلك من الآيات ، فمن رد الحق نقول : عرفه ورده ، وإن قلنا علمه ورده فلا بأس كما قال جل وعلا : ﴿ **لقد علمت ما**

أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر﴾ قال رحمه الله : وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون : إن هذا حق ونحن نفهم ونشهد أنه الحق ، ولكن لا نقدر أن نفعله ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم .

يعني أن هذا الأمر وهو عليه كثير من الناس يقولون هذا حق ونحن نفهم هذا الشيء الذي هو دلالة التوحيد وأن الله جل وعلا هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه وأن صرف العبادة لغير الله بأنواعها من الدعاء ، و أنواع الدعاء والاستغاثة والاستعانة وأنواع الطلب والذبح والنذر والرجاء رجاء العبادة وخوف السر ومحبة العبادة وأشباه ذلك أنها حق لله جل وعلا لكن لو لم نفعل ما يوافق أهل البلد لما تمكنا من الحياة .

فلابد أن نوافقهم في الشرك ففعلوا الشرك مع علمهم بالتوحيد وهذا لا يُنَّجيهم لأنهم علموا فلم يعملوا بالتوحيد فمن علم التوحيد علم حق الله جل وعلا في توحيده و لم يعمل به هذا كافر مثل ما ذكر الإمام قال : فإن عرف التوحيد و لم يعلم به فهو كافر معاند يعني مستكبراً ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم يعنى ما يمشى عند أهل البلد الذين نسكن فيهم ونسكن معهم ما يمشى فيهم إلا الذي يوافقهم لو عاندناهم وخالفناهم لصارت علينا مصائب أو غير ذلك من الأعذار و لم يدر المسكين حقا هو مسكين بل هو أكثر المساكين في عقله وفي عدم معرفته بمصلحته وبما يؤول إليه أمره قال : لم يدر المسكين غالب أئمة الكفر يعرفون الحق الأكثر في الناس في أئمة الكفر المعرفة والعلم بالحق لكن تركوه إباء واستكباراً لم يتركوه عن شبهة قائمة لم يتركوه عن عدم علم به أو إعراض عنه إنما تركوه بعد العلم به بعد المعرفة به قال : لم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولاحظ استعمال كلمة يعرفون مرة أخرى قال و لم يتركوه إلا

لشيء من الأعذار لهم عذرهم الأعذار تختلف فهذه عذره أن يوافق أهـــل البلـــد وهذه عذره أن يعيش وهذا عذره أن يأكل هو وأولاده وهذا عذره كذا ، وهذا عذره كذا وإذا كان الله جل وعلا لم يعذر طائفة من أهل الإسلام في مســـاكنه المشركين وعدم الهجر . مع أنهم لم يعلمون الشرك و لم يوافقوا أهل الشــــرك في الشرك فأنزل الله جل وعلا فيهم قوله العظيم ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ مع أن هؤلاء ليسوا مشركين ولكنهم تركوا الهجرة مع القدرة على الهجرة وعدم القدرة على إظهـــار الـــدين يقدرون على الهجرة لأن الله استثنى المستضعفين ﷻ ، و لم يقدروا أن يظهـــروا الدين وإنما تعبدوا بالتوحيد وسكتوا و لم يهاجروا في أرض لم يستطيعوا أن يظهروا فيها التوحيد فتوعدهم الله جل وعلا بقوله ﴿ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ فيكف بمن مكث في بلد لا يستطيع فيها أن يظهر الدين وأعظم من ذلك أنه يعمل بالشرك والكفر موافقة لأهل البلد من غير إكراه والله جل وعـــلا قـــال في سورة النحل ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب. . . . . الآية ﴾

فاستثنى المكره وأما هؤلاء الذين وصفهم الشيخ رحمه الله فكل واحد يعتذر بعذر وكذلك أئمة الكفر كل واحد له عذر هذا عذره جاهه وهذا عذره ماله وهـــذا عذره أنه يشترى بآيات الله ثمنا قليلا يعنى يبيع فيها ويشترى وهذا عذره ، وهذا عذره والكل يجتمعون في أنهم علموا وعرفوا الحق ولكنهم فعلوا وعملوا الشــــرك

و لم يعملوا التوحيد قال كما قال تعالى ﴿ اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ﴾ وغير ذلك من الآيات كقوله ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبنائهم ﴾ ثم قال (فإن عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق)

لأن الإيمان كما ذكرنا بتوحيد الألوهية ثلاث أقسام لابد منها مجتمعة .

١ ـــ اعتقاد بالقلب ٢ ـــ قول بالسان ٣ ـــ وعمل بالأركان

فإن هو عمل بالتوحيد عملاً ظاهرا موافق للناس لكنه لا يعتقد ذلك بقلبه لا يعتقد أن هذا حق وإنما عليه أهل الشرك هو الباطل لا يعرف الطاغوت و لم يكفر به يعني لم يتبرأ من عبادة غير الله جل وعلا فهذا حاله كحال النافقين لأنه أحسن الظاهر وفي الباطن لم يقم شرط الباطن وهو العلم المنافق في الباطن مخالف ففاته شرط الاعتقاد لأنه اعتقد اعتقاداً مخالفاً . وهذا الذي عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً . ولا يفهمه في الباطن ولا يعتقده هذا فاته أن يكون في الباطن معتقدا للحق أصلاً لم يعتقد خلافه لكن لم يعتقد الحق وإنما يفعله كما يفعله أهل بلدة هذا منافق أيضاً قال وهو شر من الكافر الخالص ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ لأن حاله حال أهل النفاق .عمل شيء بلا قصد عمل شيئاً بحركة آلة دون اعتقاد وهذا في هذه الأزمنة نادر لأن الذي يعمل بالتوحيد مع وجود الشرك وأهله فهو قاصد للعمل بالتوحيد .

فال : وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة تتبين لك إذا تأملتما في ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا .

يخاف أن تنقص دنياه لا أن يصير فقيرا بل حتى نقص الدنيا .يوافق أهل الشرك على شركهم ويتعبد معهم بالشرك لأجل ألا تنقص دنياه مثل ما حصل لأمير

العينية في وقت الشيخ لما قال له والى الاحساء أو أمير الإحساء أنك إذا وافقـــت الشيخ على ما هو عليه وأقمته عندك . سوف أقطع عنك الخراج قال للشيخ أنــا ما أقدر أن يقطع عنى الخراج كيف يعيش أهل البلد وأوصاه بقتله فأخرجه مـــن البلد وبعث خلفه بأحد العبيد ليقتله هذا لخوف نقص دنيا خاف أن تنقص دنياه أو جاه يخاف أن لا يكون معظماً من كل الناس ينقسم عليه الناس .ناس يرضون وناس لا يرضون هذا نقص في الجاه فيعمل بالشرك والكفر لكي يرضى طائفة من الناس وهو يعلم الحق ولكن يريد بفعله الكفر والشرك يرضى طائفته فهذا أيضاً لم يعمل بالتوحيد وإنما علم وترك أو مدارات لأحد مجاملات جامل شيخه جامل أمير بلده جامل رئيس البلد إلى آخره كما يحصل عند طوائف من الصوفية بعض مريديهم يدركون الحق لكن يجاملون مشايخهم فيما هم عليه مـــن الضـــلالات الكفرية قال رحمه الله بعد ذلك : وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً هذا قسم ثاني من الناس ترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً فإذا سألته عما يعتقده قلبه فإذا هو لا يعرفه . يعنى وقع منه هذا الشيء اتفاقاً يعمل بالتوحيد لا ما أحب هذه الأشـــياء ولا أحب هذه الخرافات ولا يعنى ما أحب هذه الأشياء طيب تعتقـــد التوحيـــد تعتقد بطلان الشرك فيقول لا ما أدرى كيف يعنى يقول يعنى يقول : هذه أشياء ... الناس كل واحد . هؤلاء عقولهم ناقصة أو يسميها باللي يسميها . فهو يعمل بالتوحيد لكن لا يعتقد أن التوحيد هو الحق وأن غيره باطل لا يتبرأ من الكفر لا يكفر بالطاغوت فهذا فإنه شرط لصحة التوحيد هو الكفر بالطاغوت وهو اعتقاد أن عبادة غير الله جل وعلا باطلة وأنها شرك . لابد أن يعتقد أن عبادة غـــير الله شرك فإذا عمل بالتوحيد ظاهراً وهو لا يعتقد أن عبادة غيره شرك فإن هذا كما ذكر الشيخ منافق أوله أحكام المنافقين لأنه لم يعتقد بقلبه أن عمله هذا الذي هو

التوحيد عمل واجب . ثم قال رحمه الله ولكن عليك بفهم آيتين من كتـــاب الله تعالى وهذا نتركه للمرة القادمة .
ونذكر أننا إن شاء الله تعالى نختم هذا الكتاب العظيم كشف الشبهات في الدرس القادم بإذن الله تعالى وتوفيقه ومنه ثم بعد نبتدئ في شرح متن الطحاويـــة كمـــا رغب ذلك عدد من الأخوة وسيكون الشرح للمتن بطريقة ربما مخالفة لما عليـــه الشرح المعروف شرح ابن أبي العز الحنفي لأن الطحاوية فيها مسائل ليســـت في كتب العقيدة الأخرى التي شرحناها فنحتاج فيها إلى بسط الكـــلام وتأصـــيله وترتيب المسائل بما ينفع المبتدئ والمتوسط والذي سار معنا من زمن أسال الله لي ولكم التوفيق والهدي والسداد وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ...
س : ما قول فضيلتكم في رجل يداهن قومه الذين هم على مذهب مخالف لمذهب أهل السنة قد يحتج بحجة تأليف قلوبهم للدعوة ارجوا النصيحة ووضوح الحلول ؟
ج : أولاً كلمة رجل يداهن قومه ينبغي أن تفهم معنى المداهنة لأن هناك مـــداراة هذة مشروعة وهناك ومداهنة والمداهنة لا تجوز لأن الله جل وعلا قال لنا :
﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ ومداهنة أهل الكفر والبدع والمعاصي محرمـــة .
والمداهنة معناها أن توافقهم على ما هم عليه من الباطل تقر بالموافقة أو أن تدخل معهم في عملهم فإذا كانت على هذا لوصف فهي مداهنة محرمـــة لأن الموافقـــة باطلة والعمل أيضاً باطل ولا يكون هذا وهذا من مؤمن .
يعني العمل بالكفر ولا أن يقوم الكفر حتى يوافقهم على الكفر . كما جاء للـــنبي عليه الصلاة والسلام وقالوا له تعبد إلهنا سنة ونعبد إلهك سنة نوحد فترة ونشرك معك وهذا المداهنة أقر بالبدع أحضر معنا الموالد أحضر معنا الذبح عند القبـــور ونحن ندخل معك في برامجك الإصلاحية وفي برامجك السياســـية . الإصـــلاحية

السلفية أو غيرها أو إلى آخره . فهذه المداهنة المحرمة قد تكون كفراً وشـــركاً إذا فعل شركاً أو أقر بكفر وشرك وافق عليه وقد يكون معصية محرمة بحسب ذلك .

المسألة الثانية : أو اللفظ الثاني المداراة ، المداراة مأخوذة من لفظها دار يـــدارى مداراة يعنى لم ينكر لأجل مصلحة تتحقق له لكن لم يوافق و لم يعمل فعنـــدنا إذا ثلاثة أشياء عدم الإنكار فقط يعنى لم ينكر فقط ولكن في قلبه بطلان ما هم عليه والبراءة مما هم عليه وهم وهذا لا بأس به إذا كان لمصلحة شرعية والنبي ﷺ أمره ربه جل وعلا بأن لا يسب هو والمؤمنين الآلهة التي تعبد من دين الله فقال جـــل وعلا ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ﴾ وقال جل وعلا في آية آل عمران ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ وهنا تبحث المداراة والنبي عليـــه الصلاة والسلام دخل عليه رجل . فبش في وجهه عليه الصلاة والسلام وأكرمـــه ثم لما دخل إلى عائشة رضى الله وعن أبيها قال (بئس أخو العشيرة ، فقالت يـــا رسول الله رأيتك معه كيت وكيت قال يا عائشة إن شر الرجال أو شر الناس من اتقاه الناس مخافة شره أو اتقاء سخطه أو نحو ذلك أو اتقاء لسانه فإذاً هذه مداراة المداراة أن تسكت عن شيء لأجل ما هو أصلح لك منه فهذا يـــدخل ضـــمن القواعد الشرعية أن القاعدة الشرعية المعروفة أنه تفوت أدنى المصلحتين لتحقيـــق المصلحة العليا وتعمل أدنى المفسدتين لدرء المفسدة الكبرى وهذا شـــيء معلـــوم باتفاق أهل الشريعة فإذن إذا داراهم بمعنى لم ينكر عليهم في البداية مثل ما فعـــل الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب يأتي إلى عُباد زيد بن الخطاب في الجبيلة هنا

وما يقول لهم هذا شرك بل يقول الله خير من زيد هذه مدارة حتى يصل معهم إلى ما هو الحق وهذا لاشك أنه من الحكمة ومن النظر الصائب .

س : ما حكم ذبح الذبائح عند نزول المترل الجديد وتسمى عند الناس انزاله ؟

ج : هذا معروف هذه انزاله إذا كانت لإكرام الناس وجمعهم بمناسبة سكنى البيت فلا بأس وهذه معروفة عندنا هنا في نجد وفي غيرها وهي للإكرام ولجمع النـــاس بمناسبة الدخول بمناسبة سكن المترل وشكراً لله جل وعلا على ما جدد من نعمه وهذا أمر حسن ومرغب فيه والشرك يكون إذا نزل المترل ذبح الــذبائح عنــد أعتاب الأبواب يعني يأتي بكبش يأتي بخروف ويذبحه فيسيل دمه عند عتبة الباب هذا اعتقاد شركي لأنه ذبح لاتقاء العين ذبح لاتقاء الجن ذبح لاتقاء ضر فيكون ذبحاً تسلسلت وانتقلت إلى أماكن أخر بفعل المخرفين .

س : أحد الأخوة مصاب بمرض وذهب إلى طبيب أندونيسي وعمل لــه عمليــة بدون آلات الطب بيده بل أنه بأحد أصابعه يفتح اللحم والجلــد ويخــرج منــه وأوضحت له أن هذا قد يكون ساحراً إذا كان هذا عمله كما وصفت أرجــو منكم الكلام عن هذا الموضوع ؟ .

ج : هذا ينبني على تصور كيف عمل هذا الشيء يعني صورة هذه المسألة وكيف اللي حصل بالضبط لكن إذا كان يفتح الجلد بدون سبب الفتح المعتاد المعــروف عند الناس فهذا لا شك أن يكون ساحر أو كاهن لأن الفتح فتح الجلــد وشــق الجلد لإخراج ما هو داخل البدن هذا لا يكون إلا بالأسباب المعروفــة بالحديــد بالمشرط بالسكين إلى آخره وأن يكون يفتح بلا سبب ظاهر هذا الأصل فيــه أن يكون عنده إما سحر أو كهانة لكن لا نحكم قولاً واحداً حتى يتصور المسألة وما

هو عليه لكن النهي عن مثل هذا هو الأولى والحمد لله في الأسباب الشرعية ما يغني عن ذلك .

س :

هذا يبغا له تصور ما فهمت على كل حال الشيء إذا كان بلا سبب معروف الأصل أنه يكون كما ذكرت سحراً وكهانة .

س : يقول : ذكرت في أول الدرس أن هذه شبهة راجعة إلى العمل والشبهة السابقة راجعة إلى العلم .

لأن الشبهة التي ذكرت من أول الكتاب إلى آخره هي في التوحيد .

يقول : هل هذا هو التوسل هل هذه هي العبادة هذا ليس داخلاً في العبادة هؤلاء ما عبدوا إلا الله هم ما طلبوا ، النبي صلى الله عليه وسلم له جاه عند الله ومترلة كلها راجعة في العلم بالتوحيد الذي أتى في هذا المقام أنه يعلم ولكن لم يعمل علم ولم يعمل ، لم يعمل استكباراً لم يعمل مدارة لقومه يقول أنا خائف من كذا وكذا أو لم يعمل مع عدم الاعتقاد هذه اللي ذكرها الشيخ الآن ولذلك ذكرت أن الأول راجع إلى العلم يعني في الاعتقاد نفسه شبهة أصلاً الشبهة راجعة إلى العلم بالتوحيد وهذا الذين ذكرناهم الآن هؤلاء من جهة العمل إذا استثنينا الذي لم يعتقد أصلاً شيء لأن هذا ما عنده شبهة فلا يقال عنده شبهة راجعة إلى العلم هو لم يعتقد شيئاً حتى يكون عنده شبهة في العلم .

س : يقول : هناك طبعة فيها عناوين مضافة عنونوا للفصل الأخير بقولهم وجوب التوحيد بالقلب واللسان والجوارح إلا لعذر شرعي

عذر شرعي ما ذكره الشيخ رحمه الله يذكرها بعد ذلك في الإكراه العذر الشرعي للإكراه بس .

س : هل يكفر المسلم بالأعمال أم لابد من أن يكون مع العمل اعتقاد مثـــل أن يعمل عملاً كفرياً ولكن من غير أن يعتقد ذلك ؟ .

ج : هذه مسألة أوضحناها مراراً وذكرت لكم أن الإيمان قول وعمل واعتقـــاد لهذا العلماء يقولون في باب حكم المرتد يقولون المرتد هو المسلم الذي كفر بعـــد إيمانه بقول أو فعل أو اعتقاد أو شك لهذه الأربعة عند أهل العلم يكون الكفـــر القول والعمل والاعتقاد لأنها كما ذكرت مقابلة لأمور الإيمان ، الإيمـــان قـــول وعمل واعتقاد فإذا كان يدخل في الإيمان بقول معناه أنه يخرج منه بقول يـــدخل في الإيمان باعتقاد معناه يخرج منه باعتقاد يدخل في الإيمان بعمل يعني مع القـــول والاعتقاد فكذلك يخرج منه بعمل مع بقاء القول والاعتقاد هذا اعتقاد أهل السنة والجماعة ، الذين يقولون الإيمان اعتقاد وقول فقط وهم مرجئة الفقهاء هـــؤلاء يقولون لا يخرج إلا بالاعتقاد لأن العمل أصلاً عندهم ليس داخـــلاً في مســـمى الإيمان فلا يخرجونه من ذلك هذا من حيث التنظير تنظير المذهب لكن من حيث الواقع فإن أشد المذاهب في التكفير بالعمليات الحنفية الذين هم مرجئة الفقهـــاء فهم أشد الناس في التكفير حتى أنهم نصوا في كتبهم لو قال هذا مصيحف ارتـــد ولو قال هذا مُسيجد ارتد يعني حتى في تصغير ما أوجب الله جل وعلا تعظيمـــه فالمسألة نقول في أن الكفر يكون بالقول والعمل والاعتقاد هذا بالاتفاق بين اتباع الأئمة الأربعة حتى المرجئة عندهم يخرج بذلك وهذا ما حدا طائفة من أهل العلم أن يقولوا الخلاف مع المرجئة خلاف لفظي أو يؤول إلى أن يكون خلافاً لفظيـــاً لأنهم يجعلون العمل شرط صحة ويجعلونه يكفر إذا لم يعمل أو عمل عملاً مخالفاً وهذه المسألة تكلمنا عنها مراراً لأنه ثم بعض الكتب التي شككت في هذه المسألة

س : هل هناك فرق بين قول القلب والتكلم الذي عليه المعتزلة ؟ نرجو البيان ؟

ج : لا الكلام هذاك الكلام اللي عليه قصده الأشاعرة الكلام النفسي اللي هو في الداخل يتحدث لا .

قول القلب ذكرنا أنه الإخلاص والاعتقاد فقط هذا تسمية سماها بعض السلف يعني في القرن الثاني والثالث سموا قول القلب تقسيماً كما ذكرت لأن عمل القلب معروف فقالوا للأشياء التي لا تدخل في عمل القلب أنها قول القلب لكن الكلام الذي هو الكلام نفسي هو كل ما يجري في النفس من حديث و لم ينطق به هذا يسمونه كلام نفسي ليس هو الإخلاص والاعتقاد كل ما يجري في النفس إذا زورت في نفسك كلاماً يقولون هذا يسمى كلاماً نفسياً قبل خروجه فهو كلام قبل أن يخرج س : هل يجوز الجمع بين أكثر من نية في العمل الواحد كأن يصوم الخميس الموافق للرابع عشر من الشهر بنية صيام الأيام البيض وصيام يوم الخميس ؟

ج : أما من حيث التأصيل من حيث القواعد الفقهية المعروفة الجمع بين عدة أعمال في نية واحدة يجوز في مواضع كما هو معلوم في القواعد ، هذه الصورة التي ذكر وهي أن يصوم الست وينوي معها مثلاً القضاء فإن هذا لا يجزئ لأن القضاء فرض مستقل والست نفل مستقل والست تكملة هو إذا صام ثلاثين يوماً في الشهر فهذه عشرة أشهر لأن الحسنة بعشر أمثالها والست شهران فإذا صام القضاء وفي داخله الست ما حصل ذلك ولهذا القضاء مقدم : (ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلى ما افترضته عليه) فأولاً ينتهي يقضي لأن القضاء أحق أما أنه يصوم الست ويوافق ثلاثة أيام البيض فهذا أمر طيب لأنه صيام الثلاثة البيض لا تقصد لذاتها المقصود منها صيام ثلاثة أيام في الشهر فإذا صام ثلاثة أيام الست

ووافقت البيض لكن لا يجمع النيتين وافقت البيض فيكون قد صام أيام البـــيض وإن أحب أن يزداد بستة أيام وثلاث من كل شهر فهذا أفضل .

س : من مضى في يوم عرفة وقال أريد أجر صيام عرفة ؟ يكون له أجر القضاء ما فرغت ذمته النبي ﷺ قال (من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال) صـــام رمضان اللي صام رمضان إلا ستة أيام ما يسمى صام رمضان هو صـــام بعـــض رمضان فلا يسمى صائماً لرمضان حتى يكمله ثلاثين يوم الأداء والقضاء) مـــن صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فإذا صام رمضان في الشهر ثم قضى ما قـــد أفطر فيه لعذر فهذا يكون قد صام رمضان يتبعه ستاً من شوال وكذلك في صيام القضاء في يوم عرفة فإنه يقع قضاءاً .

س : هل يدخل في تكفير السنة الماضية في هذا الوطن ؟ .

ج : الظاهر لا لكن إذا صامه في العشر يعني في الثمان الأول من عشر ذي الحجة فلا بأس وهذا يدخل في الفضل فضل عشر ذي الحجة لأنها فضلها خاص لـــيس متقيداً بعمل .

س : كيف يستفاد من كتاب ابن الجوزي زاد المسير ولما لا يؤخذ بتفاسير ابـــن عباس رضي الله عنه على سيما أن النبي ﷺ قد دعا له بالعلم والتأويل ودعـــاؤه مجاب

ج : دعاء النبي عليه الصلاة والسلام له بالعلم والتأويل حصل في مواضع (اللهم فقه في الدين) في موضع (اللهم علمه الحكمة) وفي موضع (اللهم علمه التأويل) وفي موضع (اللهم فقه في الدين وعلمه الكتاب ونحو ذلك) فهذا دعاء لابـــن عباس رضي الله عنهما وابن عباس تفاسيره متعددة وإذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به كما قال سفيان الثوري لأنه أخذ التفسير عن ابن عباس لكـــن قـــد

يكون تفسير ابن عباس مخالفاً لتفسير غيره من الصحابة فتكــون الحجــة هنــا والترجيح بحسب الدليل .

س : ألم يقتل الخوارج علي بن أبي طالب ، ألم يستحل الخوارج دماء الصحابة ، ألا يكفرون بذلك ؟

ج : إن كفر الخوارج فيه قولان لأهل العلم من أهل العلم من قال يكفرون لقوله عليه الصلاة والسلام (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميــة) الســهم مشبه بالخوارج خلاص طلع وانتهى بفعلهم ذلك خرجوا من الدين

والقول الثاني : أنهم لا يكفرون كما قال علي ﷺ هو الذي قاتلهم وهو الــذي حصل بينه وبينهم الحجاج والمجادلة لما سأل عنهم أكفار هم ؟ قال من الكفر فروا يعني أنهم تأولوا في ذلك وهم كلاب أهل النار وشر قتلى تحت أديم السماء لكن التكفير لا نطلقه عليهم طبعاً المقصود الخوارج الذين قاتلوا علياً أما الخوارج الذين فشوا بعد ذلك هؤلاء عندهم اعتقادات قد يكفرون ببعضها .

س : ما الحكم إذا قال رجل أنا مؤمن إن شاء الله فعلق إيمانه بالمشيئة ؟

ج : لا بأس في أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله باعتبار أنه لا يدري ما يختم له .

س : الشخص الذي يجاهد القبوريين ويبين لهم التوحيد ولكنهم يستهزئون به ولا يسمعون كلامه هل يتركهم في شركهم أم يستمر معهم دون أن يهجرهم أم ماذا يفعل ج : يفعل كما فعل نوح عليه السلام في قوله : ﴿ فلبس فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾ قال جل وعلا عن نوح في سورة نوح وهي سوره عظيمــة في بيان هذا الأمر قال : ﴿ ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم أسررت لهم إسرارا فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا . . إلى آخره ﴾ فدعاهم لــيلاً ونهــارا وســراً

وجهارا ولم ييئس حتى يأتي أمر الله حتى يأتي أمر الله لا ييئس يأمرهم وينـــهاهم حتى يأتي أمر الله .

س : ما حكم من علق القسم بالمشيئة هل عليه كفارة يمين ؟

ج : إذا حنث في القسم لا ، اليمين إذا تبعها بأن شاء الله فليس عليه كفـــارة إذا حنث كذلك النذر إذا قال والله لأفعلن كذا إن شاء الله فليس عليه كفارة وهنـــا مسألة مهمة ننبه عليها وقلَّ من ينبه عليها أو ينتبه لها وهي أن الاستثناء في اليمين هذا يقبل ولو كان بعد مدة الاستثناء في اليمين يقبل ولو كان بعد مدة إذا كـــان لم يفعل ثبت عن ابن عباس وعن غيره أنه قال له ثنياه ولو بعد سنة وذلك عنـــد قوله تعالى : ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ﴾ فإذا اســـتثنى فله ثنياه يعني له استثناءه ولو امتد به القسم فيسلم من الإثم في ذلك .

نكتفي بهذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وفقكم الله وبارك فيكم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

قال المؤلف رحمه الله تعالى : ولكن عليك بفهم آيتين أولاهما قوله تعالى : ﴿ لا تعتذوروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزو الروم مع الرسول ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب أو المزح تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفاً من نقص مال أو جاه أو مدارة لأحد أعظم من أن يتكلم بكلمة يمزح بها والآية الثانية قوله تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعله خوفاً أو مداراة أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله أو فعل على وجه المزح أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره والآية تدل على هذا من جهتين الأولى قوله : ﴿ إلا من أكره ﴾ فلم يستثن الله تعالى إلا المكره ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على العمل أو الكلام أو الفعل وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها والثاني قوله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر وإنما سببه أن له في ذلك حظ من حظوظ الدنيا فآثره على الدين والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد .....

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ....

اللهم نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً وقلباً خاشعاً ودعاءاً مسموعاً اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً يا أرحم الراحمين ....أما بعد .

هذا ختام هذه الرسالة العظيمة رسالة كشف الشبهات التي كشف فيها الشيخ رحمه الله تعالي ما شبه به أعداء التوحيد وأعداء الإسلام وصدوا به عن دعوة الحق التي هي دعوة إخلاص الدين لله جل وعلا وقد ذكر في آخر ما عرضنا له في الدرس الماضي أنه يختم كشف الشبهات بذكر مسألة مهمة خطيرة وهذا المقطع تعليل لما تقدم من ذكر تلك المسألة التي بيناها وأوضحنا ما يتصل بها من المقامات والضوابط قال رحمه الله ورفع درجته : ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله أولاً هما : قوله تعالي : ﴿ لا تعذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ قال : فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها علي وجه المزح واللعب تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفاً من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها وهذه الآية من سورة التوبة ، قوله جل وعلا ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبا لله ولآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة ونعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴾ هذه الآية فيها أن كفرهم كان بسبب الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله وقول الإمام رحمه الله هنا إذا تحققت أن الصحابة

الذين غزوا الروم ... الخ فإن أولئك الذين تكلموا بتلك الكلمة ظاهرهم محكـــوم بإسلامهم وحالهم أنهم يعدون مع الصحابة وإلا فإنهم منافقون ظهر نفاقهم بذلك الاستهزاء وهذه مسألة حصل فيها خلاف بين أهل العلم فمن قائل إنهم ليســـوا منافقين وقال الجمهور من المفسرين وأهل العلم إنهم منافقون والصـــواب مـــن القولين في ذلك أن أولئك الذين كفروا بعد إيمانهم بالاستهزاء أنهم منافقون وهم في الأصل منافقون ودل هذا على نفاقهم والاستهزاء كفر لأنه يدل علـــى عـــدم تعظيم الله جل وعلا وعدم توقيره والاستهانة بالله وآياته وبرسوله لأن المعظـــم المبجل لا يستهزئ بمن عظمه وبجله بل يكون له في قلبه المقام الأعظم بحيـــث لا يستهزئ به ولا يستنقصه ولا يسبه إلى آخر ذلك ودل على أن المراد بهم المنافقون أوجه :

الأول : أن الآية يُفهم معناها بدلالة السياق والسباق وهذه الآية أولهـــا ﴿ ولئن سألتهم ﴾ والضمير لابد أن يرجع إلى مذكور معلوم والآية قبل هذه الآية هـــي قول الله جل وعلا ك ﴿ قل استهزئوا ﴾ يعني أيها المنافقون : ﴿ إن الله مخرج ما تحذرون * ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ﴾ فدل إرجاع الضمير علـــى الآية التي قبلها أن المراد بذلك المنافقون ودل عليه أيضاً الآية التي بعدها وهي التي تسمى السياق أو اللحاق فقبلها سباقها وبعدها سياقها أو لحاقها وهي قـــول الله جل وعلا :

﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ إذ قال الله جل وعلا : ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين * المنافقون

والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾

فهذه الآية أيضا تدل على أن هذا الذي استهزأ أو تلك الطائفة التي استهزأت هم المنافقون لأن السياق والسباق يدل على ذلك وأيضاً يدل عليه أن السورة وهو الوجه الثالث : أن السورة سورة براءة تسمى الفاضحة وهي التي فضحت المنافقين وبعد ذكر المنافقين في أثناء السورة استمر ذكرهم واستمر فضحهم وبيان ما هم عليه إلى آخر السورة .

الوجه الرابع : أن الله جل وعلا قال بعد آيات : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ﴾ قال سبحانه : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا ﴾ وقوله جل وعلا في هذه الآية : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ﴾ المقصود بهم هؤلاء الذين استهزءوا فإنهم حلفوا أنهم ما قالوا قال جل وعلا : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر ﴾ فدل على أن المستهزئ بالكلام قال كلمة الكفر قال سبحانه : ﴿ وكفروا بعد إسلامهم ﴾ ودلت هذه الآية على أن المراد بالإيمان في قوله تعالى : ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ هو الإسلام لأنه قال : ﴿ وكفروا بعد إسلامهم ﴾ والمنافقون محكوم بإسلامهم ظاهراً وهذا يجاب به عن قول من قال بأنهم ليسوا بمنافقين لأن هؤلاء احتجوا بأن المنافقين لم يحكم بإيمانهم وإنما حكم بإسلامهم والمنافق يقال له مسلم باعتبار الظاهر ولا يقال أنه مؤمن لأن

الإيمان باطن وقوله تعالى هنا : ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ قـــالوا دل على أنهم ليسوا بمنافقين وهذا الاحتجاج منهم والإيراد له وجهه لكن ليس قويـــاً بقوة ما ذكرنا من الأوجه وجوابه أن الإيمان كما هو معلوم اعتقاد وقول وعمل والاعتقاد هو الإيمان الباطن والقول والعمل هو الإيمان الظاهر وهو الإسلام فـــإذا قيل في المنافق إنه كفر بعد إيمانه يعني بعد إيمانه الظاهر الذي هـــو الإســـلام لأن الإسلام لا يصح إلا بإيمان يصححه والإيمان لا يصح إلا بإسلام يصححه والإيمان منقسم إلى إيمان باطن وهو الاعتقاد وإيمان ظاهر وهو القول والعمـــل فأولئـــك معهم قول وعمل فقيل لهم هنـــا بعـــد : ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ باعتبار الظاهر وهذا الظاهر هو الإسلام كما قال جل وعلا في الآية الأخـــرى : ﴿ ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ﴾ فالإيمان في هذه الآية هو الإسلام في الآية الأخرى ويقوي هذا ما تعلمه من قواعد أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى : أن الإيمان إذا أفرد عن الإسلام والإسلام إذا أفرد عن الإيمان فإنـــه يـــدل أحدهما على الآخر فقوله : ﴿ قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ يعني ما يناسب المخاطب بذلك وهو الإسلام لأن الإيمان إذا أفرد دل على الإسلام وهذا بحســـب حـــال المخاطبين .

إذا تقرر لك ذلك فهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم كفروا بكلمة قالوها على وجه المزاح واللعب على وجه المزاح أو المُزاح واللعب وهذا الكفر منهم هو الاستهزاء كلمة الكفر هي الاستهزاء .

والاستهزاء مكفر إذا كان استهزاء بالله أو بآيات القرآن أو بالرسول محمـــد ﷺ فإذا استهزأ أحد بالله جل وعلا كفر وإذا استهزأ أحد بالقرآن كفر وإذا اســـتهزأ

أحد برسول الله ﷺ يعني بشخصه بذاته كفر وإذا استهزأ بالدين الذي نزل على محمد ﷺ بيقين المستهزئ أنه نزل على محمد ﷺ فإنه يكفر أيضاً فـإذن رجـع الاستهزاء المكفر إلى أحد الثلاثة وهي التي جاءت في الآية ﴿ ولئن سألتهم ليقولن الله إنما كونا نخوض ونلعب قل أ بالله ﴾ هذا واحد (وآياته) اثنين ٠ورسوله ثلاثـة ﴿ كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ قال هنا الإمام رحمه الله : فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزو الروم مع الرسول ﷺ كفروا بسبب كلمـة قالوها على وجه المزح واللعب تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفاً من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة تخرج بها .

وذلك لأن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به قصد ذلك ولكنه خاف ولكن القصد موجود قصد الكفر وقصد العمل بالكفر موجود عنده ولهذا لم يعذر بالخوف أو المداراة نقص المال أو الجاه أو المداراة لأنه قصد الكفر وقصد : العمل الكفـرى دون إكراه والمستهزئ قد يقال إنه ما قصد الكفر ولو قيل له أقتلت هذا كفراً ؟ لقال لا إنما استهزاء إنما قلت هذا مزح علي سبيل المزاح وعلي سبيل اللعب وعلي سبيل الخوض كنا نخوض ونلعب ما قالوا قصدنا ذلك ولهذا كلام الإمام رحمه الله هنا متين إذ قال يتبين لك أن الذي يتكلم بالكفر يعنى قاصداً الكفر ويعمل بـه عالماً بأنه شرك عالماً قاصدا له .

لا شك أنه أعظم كفراً ممن يتكلم بكلمة [١] ن ذلك فاته التعظـيم فـدخل في الكفر من جهة الاستهانة وهذا قصده أصلاً ومعلوم [٢] يقصد الشيء من كل

(١) انقطاع في الأصل .

جهاته ثم قال رحمه الله : والآية الثانية قوله تعالي ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدلاً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا علي الآخرة ﴾ هذه الآية في حال الذي يكفر بدون عذر والعذر الذي لا يؤاخذ به من صدر منه الكفر قولاًهاًو عملاً شيء واحد وهو الإكراه والإكراه معناه ما لا يتحمله من العذاب أكره علي هذا القول بما لا يتحمله من العذاب أو ما هو أعلي من ذلك وهو القتل فإذا كان لا يتحمل أن يعذب لا يتحمل أن يضرب ضرباً شديداً لا يتحمل أن يسجن سجناً طويلاً لا يتحمل في ذلك ويخشى علي دينه ويخشى أن يوافق ويخشى أن يحصل له فتنة ويخشي أن يتلف بدنه فإنه معذور مع أن الكمال أن يصبر لكنه معذور بشرط اطمئنان القلب بالإيمان فتكون الموافقة ظاهراً للضرورة ولكن القلب مطمئن بالإيمان وذلك لأن الإيمان كما هو معلوم ثلاثة أركان .

اعتقاد وقول وعمل والاعتقاد هو الأصل الذي ينشأ عنه القول الإيماني وينشأ عنه العمل الإيماني فلم يعذر بالأصل في الموافقة أحد البتة حتى لو أكره فإن الإكراه ولو وصل إلى القتل لا يصل إلى تغير عقيدة القلب والله جل وعلا قال : سبحانه ﴿ ألم احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون ولو فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ فالصدق هو استقرار العقيدة في القلب وأن يصبر المرء على ما جاءه من ابتلاء فإذا عرض له الإكراه بما لا يتحمله ويؤدي ببدنه إلى التلف أو يخشى على دينه فإن له أن يوافق أولئك ظاهراً لا باطناً لأن

---

(٢) انقطاع في الأصل .

الظاهر في الشريعة فيه يسر في الأحكام بخلاف الباطن ، والباطن هو أشد شـــيء فإذا هذه الآية دلت كما قال الشيخ رحمه الله هنا في قوله : فلم يعـــذر الله مـــن هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئن بالإيمان ٠

فإذا له إذا أكره بشرطة أن يقول كلمة يوافقهم بها أو أن يعمل عملاً يوافقهم به ولكن يكون ذلك مع اطمئنان القلب بالإيمان والقلب قول كلمة الكفر موافقـــة لأجل الإكراه هذا محل اتفاق أهل العلم أما العمل فاختلفوا فيه فمنهم من قال لا يعذر بالعمل أن يعمل عملاً كفرياً لكن الإكراه له فيه القول مثل ما حصـــل في قصة آل ياسر المعروفة ولها نزلت هذه الآية وقول النبي عليه الصلاة والسلام له أن عادوا فعد وهذا قول لطائفة من أهل العلم أن هذا مختص بالقول وأن العمل ليس فيه إكراه بل إذا وصل الإكراه للعمل فإنه لا يجوز أن يوافق أولئك علـــي عمـــل الكفر ويستدلون أيضاً بحديث الذباب المعروف حديث طارق بن شهاب الـــذي تعلمونه في كتاب التوحيد فأحدهم أحد الرجلين كان هناك صنم لا يجوزه أحـــد حتى يقرب فمره رجلان بأهله فقال : قربا فقال : فقرب أحدهما فـــدخل النـــار والآخر فقال : أما أنا فما كنت لأقرب شيئاً لغير الله جل وعلا فقتلـــوه فـــدخل الجنة قالوا : هذا يدل علي أن الإكراه مع أنهم قالوا يعلمون مـــن الحـــال أنهـــم سيقتلون أن الإكراه لم يعذر به في الفعل والقول الثاني أن الإكراه يقع في القـــول والعمل وهذا هو الصحيح لأن العمل والقول شيء واحد من جهة الـــتكفير والله جل وعلا قال في الأقوال ﴿ **ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم** ﴾ وإذا ان ذلك في القول وعذر به بالاتفاق فالعذر بالعمل ظاهر وبالنسبة لحديث لـــذباب وغيره هناك أجوبة عليه مذكورة في موضعها من شرح كتاب التوحيد .

قال رحمه الله ورفع درجته وأما غير هذا يعنى غير المكره فقد كفر بعد إيمانه .

هذه يعنى مطلقا غير المكره إذا وافق الكفار على الكلام الكفرى فقالــه ووافــق الكفار على العمل الكفرى ففعله هذا كافر ولا يعذر في ذلك إلا إذا كان مكرهاً قال : وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه يعنى غير المكره كفر لقوله وعمله ســواء فعله خوفاً أو مداراة أو مشحة بوطنه أو بأهله أو عشيرته أو ماله أو فعله علــى وجه المزح أو لغير ذلك من الأغراض .

يعنى أن ما ذكره الإمام رحمه الله فيما تقدم فيما ذكرناه في الدرس الماضي من أن أناساً عرفوا التوحيد ولكنهم يعملون بالشرك مداراة أو خوفــاً علــى مــالهم أو خوفاً على أهلهم أو خوفاً على نقصهم خوف متوهم و لم يتركوا الشرك بالله جل وعلا هذا لا يعذرون فيه إلا في حال الإكراه أو إذا كان مستضعفاً فإنــه لــه أن يبقى بين ظهراني المشركين لكن لا يقول كلمة الكفر ولا يعمل عمــلاً كفريــاً فيرخص له بعدم الهجرة لأجل أنه من المستضعفين كما قال جل وعلا بعد آيــة الهجرة ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمين أنفسهم ﴾ قال بعدها ﴿ إلا المستضعفين من الرجال والنساء ﴾ ..الآيــة ﴿ لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ﴾ .

المقصود من هذا أن كلام الشيخ ظاهر : وهذه مسألة عظيمة جــداً وهــي أن التكلم بالكفر خشية نقص المال أو خشية ذهاب المال لا يعذر به عمــل الكفــر خشية شيء هذا لا يعذر به صاحبه بل لابد أن يجدد دينه وإسلامه إذا كان فعله عن قصد ثم أناب فالواجب على كل موحد أن يتبرأ من الشرك وأهله أن يبغض الشرك وأن يعادى الشرك وأن يبغض أهل الشرك وأن يعدى أهل الشرك وهــذه حقيقة الإيمان وهذا معنى كلمة التوحيد كما قال جل وعــلا ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ﴾ .

﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾وفي آية سورة الممتحنة قال جل وعــــلا مخبراً عن قول إبراهيم ﴿ إنَّا برءاؤ منكم ومما تعبدون من دون الله ﴾ ولهـــذا قـــال أئمتنا البراءة من الشرك وأهله وهذه سنة إبراهيم (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه) يعنى المرسلين ﴿إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤ منكم ومما تعبدون من دون اله ﴾ فهذه الكلمة أجمع عليها الأنبياء والمرسلون ﴿إنا برءاؤ مـــنكم وممـــا تعبدون ﴾، نتبرأ من العبادة من عبادة غير الله ومن الشرك ومن أهـــل الشـــرك ببغضهم ومعاداتهم يعنى المعاداة القلبية وأما الظاهر فله أحكامه المعروفة المختلفة .

قال الإمام رحمه الله بعد ذلك فالآية تدل على هذا يعنى هذا الذي ذكـــره مـــن جهتين : الأولى : قوله ﴿ إلا من أكره ﴾ فلم يستثنى الله تعالى إلا المكره وهـــذا ظاهره لأن مقام الاستثناء مقام حصر وإذ لم يذكر في هذا المقام غير المكـــره دل على إنه لا يعذر إلا المكره وأيضاً الاستثناء معيار العموم فقوله ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه ﴾ هذا عام واستثنى منه يعنى خرج من العموم المكره الذي حصل منه الكفر ظاهراً لكن لا يحكم بكفره لأنه مكروه قال : الأولى قولـــه ﴿ إلا من أكره ﴾ فلم يستثنى الله إلا المكره ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام يعـــنى القول أو الفعل أما عقيدة القلب فلا يكره عليها أحد وهذا حق القلب لا يمكـــن أن يكره أحد أحداً على تغير القلب حتى يختار هو لأن القلب لا أحد يطلع عليه إلا الله جل وعلا فعقيدة القلب الموافقة فيها كفر بالاتفاق حتى ولو قال أكرهت فهو كاذب لأن العقيدة الباطنة لا يمكن لأحد أن يصل إليها يكذب في الظـــاهر

يقول إذا قيل له أنت في الباطل في قلبك مقتنع بالشرك ؟ تقول هذه مع اعتقاد الباطن فيكذب ظاهراً يقول : نعم هذا نوع من الإجابة في الإكراه لكن لا يقول ذلك عن صدق بأن يغير قلبه لأنه ان تغير أووافق أو تردد أوشك فإنه كافر كما ذكر ذلك الإمام في مسائل كتاب التوحيد .

ثم قال : والثانية قوله تعالى : ﴿ **ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة** ﴾ فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد يعنى أن العذاب العظيم الذي جاءهم وهو قوله جل وعلا ﴿ **فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** ﴾ .

ما سبب الغضب الذي جاءهم وحل عليهم ما سبب العذاب العظيم لم يكن بسب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر لأن هذه الأشياء لم يعلل بها في الآية إنما قال الله جل وعلا ﴿ **ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة** ﴾ وقوله (ذلك) للمفسرين فيه وجهان في الرجوع ، رجوع اسم إشارة ذلك إشارة لأي شيء ؟ قالت طائفة الإشارة هنا للكفر كفروا بعد إيماهم و لم يكونوا مكرهين ما سبب ذلك ؟ قال الله ﴿ **ذلك بأنهم** ﴾ والباء هنا للسببية ذلك بسبب كوهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة يعنى أهم آثروا الدنيا على الآخرة فوافقوا الكفار من دون إكراه فقالوا قول الكفر أو عملوا عمل الشرك والكفر من دون اكراه فتكون ذلك الرجوع إلى قوله ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه** ﴾ والثانية أو الوجه الثاني : أنه راجع للعذاب العظيم قال : ﴿ **فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** ﴾ ذلك العذاب بسبب أهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة

وهذان قولان معروفان عند المفسرين والأوجه منها والأرجح هو الأول لأن ذلك ضمير إشارة وهذا اسم إشارة فيه اللام التي هي للبعد والعذاب العظـيم قريـب والأصل أن الإشارة إلى القريب لفظية أعني بذلك أن من قال : ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ أن اسم الإشارة ذلك يقرون بأن اللام للبعد ولكن يقولون هو بعـد معنوي لأن مجيء اللام مع اسم الإشارة قد يكون للبعد اللفظي وقد يكون للبعد المعنوي . البعد اللفظي معلوم مثل ما قال ابن مالك في الألفية .

ولدى البعد انطقا بالكاف حرفا   دون لام أو مع .

فإذاً في البعد يشار باللام ألاء هذا قريب ، هذا قريب ذلك قريب ذاك بعيد وقـد يكون المراد بمجيء اللام البعد المعنوي وهذا كثير في القرآن كما في قوله تعالى : ﴿ الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ وقد يكون بعداً معنوياً في التعظيم كقولـه : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ يعني جعله بعيداً لعلو مرتبته ومترلته وقد يكـون عداً معنويا في السفول. مثل ما يوصف عذاب الكافرين في مواضع قالوا هنا مـن قال أن الضمير يرجع إلى العذاب العظيم ذلك هذا رجوع معنوي المقصود البحث في الترجيح ليس هذا محله لكن إشارة في معنى قول لفظية لأن الأصل أن تكـون الإشارة للبعيد لفظاً لا معني هذا هو الأصل لهذا قال الشيخ رحمه الله هنا والإمام محمد بن عبد الوهاب عليه رحمه الله كان من أدق أهل زمنه في التفسير وأعلـم أهل زمنه بأقوال المفسرين قال رحمه الله (فصرح أن هذا الكفر والعذاب فجمع القولين)هذا الكفر والعذاب فكأنه قال : لا يمنع أن يقال يرجع اسم الإشارة إلى العذاب أو يرجع إلى الكفر لأن العذاب حاصل والكفر حاصل فإرجـاع ذلـك للجميع هذا متجه قال : فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقـاد

أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر وهذا ظاهر بين وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدين وهذا الذي ذكره حاصل وواقــع في أن الذين استحبوا الكفر على الإيمان وكفروا بعد إيمانهم سبب ذلك محبة الدنيا محبــة المال محبة الجاه لابد فيه حظ من حظوظ الدنيا وإلا لو قام الإيمان بالآخرة قوياً في النفس لما آثر المرء عليه شيئاً من الدنيا ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن الــنبي عليه الصلاة والسلام قال يعنى ما معنى في أوله غاب عنى أوله يعنى أنه (في آخر الزمان يمسي الرجل مؤمنا أو أنه تعوذوا بالله من الفتن أو أنه تكون فتن كقطــع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا) . يبع دينه بعرض من الدنيا وهذا حاصل في أن من كفر بل من فتن عن الدين إنمــا هو بسبب الدنيا بشهواتها اما شهوة المال أو شهوة الجاه أو شــهوة المنصــب أو شهوة النساء أو شهوة الأمر والنهى أو إلى آخر ذلك من الشهوات الفانية فمــا ذكره هنا الإمام رحمه الله هذا ينبغي أن يتنبه له كل موحد فيحذره أشد الحذر من الكفر ومن وسائله قال وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الــدنيا فــأثره على الدين .

وهذا الاستدلال موافق للمراد ومقيم للبرهان على أولئك الذين يقولون نحن نعلم التوحيد وإنما علمنا الشرك لأجل الحفاظ على أموالنا أو على جاهنا أو على دنيانا أسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى وبصفاته العلا أن يرفع درجة الإمام المصلح المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وسائر أئمة الدعوة الذين تركوا الناس بعدهم على أمر واضح بين لا لبس فيه في أمر الدين التوحيد الإخلاص ونرجوا أن يكون ممن وعد النبي ﷺ بظهورهم في تجديد أمر الدين ونسأله سبحانه وتعــالى أن يعلــى مقامهم وأن يغفر ذنوبهم وأن يجعلنا ممن ورث علمهم فعمل وعلم وأقام الحق في

نفسه و فيمن حوله ونسأله سبحانه أن يثبت في قلوبنا التوحيد وأن يكشف عنـــا كل شبهة وأن يثبت هذا العلم في نفوسنا وأن يحببه إلينا وأن يبغض إلينا الكفـــر والفسوق والعصيان .

اللهم نسألك أن تغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وأن تجعل التوحيد حجة لنـــا لا حجة علينا اللهم نسألك أن تهدينا نحن الحاضرين جميعاً إلى أقوم طريق ونســـألك أن تجعلنا ممن يفرح بإخلاص الدين لك ويفرح بهذا العلم الذي هو علم التوحيـــد ويفرح بعلم العقيدة ويؤثره على غيره لأن ذلك هو الأساس اللهم علمنـــا علمـــاً نافعاً واختم لنا بالصالحات واغفر لنا جميعاً الحاضر والسامع وأحبابنا إنك جـــواد كريم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

****

الأسئلة

س : ما حد الاستضعاف المرخص به في البقاء بين ظهراني المشركين ؟

ج : لا يستطيع الهجرة مستضعف لا يستطيع أن يهـــاجر ﴿ إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ﴾ .

س : هل المقصود من الإكراه أن من أكره على عمل من الأعمال التي نهى الله عنها سواء كانت في الشرك أو معصية فيها تفصيل ؟

ج : فيها تفصيل إذا كان يعذر في الشرك بالإكراه فعذره فيما هو أدني من الشرك من المعاصي لا شك أنه من باب أولى لكن هناك ذنوب كبائر لا يصـــح فيهـــا الإكراه وهذه معلومة في تأصيل القاعدة عند الفقهاء .

س : وهل من أكره على معصية من المعاصي مثل الزنا فهل يعذر على الإكراه أم ماذا ؟

ج : الزنا اختلف فيه العلماء هل يقع فيه إكراه يعنى إكراه من مرأة لرجل بالزنا أم لا يقع وسبب الخلاف في أن الرجل لا تنتشر آلته إلا بشهوة ورغبة أما إذا كان القلب كارهاً فإنه لا يحصل معه انتشار حتى مع أهل الرجل ومن أبيح له أن يعاشرهم إذا كره كرها شديداً لا يكون في قلبه رغبة للجماع حتى دواعي الجماع لهذا قال طائفة من المحققين من أهل العلم يستثنى من القاعدة الزنا لأن الزنا لا يكون انتشار الرجل إلا عن وجود رغبة في قلبه ولو قليل والتفات إلى هذه المرأة وإلى ما تعمل إلى آخره .

والقول الثاني : أنه يقع الإكراه حتى في الزنا لأن بعض الرجال ربما ينتشر دون رغبة القلب وعلى العموم هذا راجع إلى الحال وكل أعلم بحاله والله حسيب على الخلق .

س : ما أفضل شرح للعقيدة الطحاوية يمكن اقتناءه ومتابعة الدرس من خلاله .

أنا سأشرح المتن إن شاء الله تعالى بطريقة تجمع ما بين السهولة للمبتدئ وكثرة المادة للمتوسط ولهذا لا أعرف شرحاً سيكون على ما أريد إن شاء الله لكن شرح ابن أبي العز هذا شرح معروف وكذلك شرح ابن مانع رحمه الله أو تعليقات الشيخ عبد العزيز حفظه الله أو تعليقات الشيخ ناصر الألباني حفظه الله هذه كلها فيها فائدة إن شاء الله .

س : متى يكون الخلاف خلافاً سائغاً يعذر فيه المخالف وهل يكتفي في تسويغ الخلاف أن يقول به إمام من الأئمة ؟

ج : هذه مسألة أصولية مشهورة والجواب عليها أن الخلاف في المسائل ينقسم إلى قسمين :

الأول : خلاف فيما لم يرد به النص في مسألة نازلة اختلف العلماء فيها فهذا الخلاف فيها سائغ إلا إذا كان هناك اتفاق من أكثر أهل العلم في ذلك فالذي يرى غير ما عليه الأكثر في المسألة النازلة له أن يعمل بما يرى أو يعتقد بذلك في نفسه لكن لأجل قول الأكثر في المسألة الاجتهادية فإنه لا يخالف الأكثر في المسائل الخلافية التي لا نص فيها إنما هي تتريل على الواقع .

فإذن النوع الأول من الخلاف في المسائل الاجتهادية التي لا نص فيها وهذه يعذر بعضهم بعضا لأنها اجتهاد في تتريل المسألة على النصوص .

والثاني : النوع الثاني الخلاف في المسائل التي فيها دليل لكن اختلف فيها العلماء نزع كل إلى جهة من الدليل وبعضهم مثلاً لم يقل بالدليل قال بغيره قال بقياس قال برأي فهذا الخلاف في المسائل التي فيها دليل ينقسم إلى قسمين :

الأول : خلاف ضعيف والثاني خلاف قوى والخلاف الضعيف هو الذي يكون في مقابلة الدليل يعنى قال قياساً مع ظهور الدليل لاحظ كلمة ظهور الدليل يعنى دل الدليل على المسألة بظهور أو بما هو أعظم من الظهور هو النص وقال طائفة من أهل العلم بخلاف ما دل عليه الدليل ظاهر أو نصاً هذا لا شك أن هذا الخلاف يكون ضعيفاً

الثاني : أن يكون الخلاف قوياً بحيث يكون الأدلة متعارضة قد يرجح هذا وقد يرجح هذا فإنه حينئذ يكون الخلاف قوياً وإذا كان الخلاف قوياً فإنه لا إنكار في مسائل الخلاف القوى وأما إذا كان الخلاف ضعيفاً فإنه ينكر في مسائل الخلاف الضعيف .

أطلق بعض أهل العلم قاعدة وهي قولهم لا لإنكار في مسائل الخــلاف وهــذا الإطلاق غلط لأن المسائل الخلافية الصحابة بعضهم أنكر على بعض والتــابعون أنكر بعضهم على بعض فيها والمسائل الخلافية على التفصيل الذي ذكرته لك إذا كان الخلاف في مسألة لم يرد فيها الدليل يعني تسمى المسائل الاجتهاديــة هــذا الخلاف سائغ والقسم الثاني أن يكون الخلاف في مسائل فيهــا الــدليل وهــي منقسمة إلى خلاف قوي وخلاف ضعيف مثلاً من مسائل الخلاف القوي مسألة زكاة الحلي الأدلة فيها مختلفة وفهم الدليل أيضاً مختلف بين أهل العلم فهذه نقول الخلاف فيها قوي فمن زكى فقد تبع بعض أهل العلم ومن لم يزكي فقــد تبــع بعض أهل العلم فلا حرج في ذلك ولا إنكار في هذه المسألة .

كذلك مسألة قراءة الفاتحة في الصلاة للمأموم هل يقرأ المأموم أو لا يقرأ الخلاف فيها قوي والأدلة متنازعة فيها وكلام الأئمة فيها فيه من يقول كذا وفيه من يقول كذا والجمهور جمهور الصحابة والتابعين وقول المحققين كالإمام احمد بن حنبــل وشيخ الإسلام ابن القيم .

هذا يجعل المسألة فيها خلاف قوي ولا إنكار فيها في ذلك فمثلاً بعض المســائل التي يختلف فيها أهل العلم في هذا الزمن مثل مثلاً مسألة التصوير بالفيديو بعضهم يجعله داخلاً في التصوير فيمنعه وبعضهم لا يجعله داخلاً في التصوير فلا يمنعه فهذه المسألة يكون الخلاف فيها قوي بعضهم يجيز وبعضهم لا يجيز وكذلك يلحــق أو من هذه المسألة التي فيها الخلاف قوي بين أهل العلم مسألة التصوير الضوئي لأن بعضهم أباحه وبعض أهل العلم منعه وهذا له حجة وهذا له حجة واختلف فيــه علمائنا المعاصرون مع أن الصحيح كما هو معلوم أنه لا يجوز ذلك لعموم الأدلة كما هو مبسوط في موضعه .

المسائل التي فيها خلاف ضعيف كثيرة وهذا نقول به لأجل أن ينتبه طالب العلم إلى ما ينكر فيه وما لا ينكر فيه مسائل ترى أهل العلم لا ينكرون فيها لأجل الخلاف القوي فيها فترى أحياناً ينكرون لأجل الخلاف أن يكون خلافاً ضعيفاً مثل مسألة كشف المرأة لوجهها عندنا الخلاف فيها ضعيف وبعض أهل العلم يرى أن الخلاف فيها قوي لكن الصحيح أنه ضعيف لأن الحجة التي أدلى بها من أجاز ذلك ليست بوجيهة إلى آخر المسائل ... خلاف الضعيف مثل المعازف خلاف ابن حزم فيه شاذ وضعيف كذلك إباحة النبيذ وما شبهه مما لا يسكر قليله فهذا معلوم الخلاف فيها لكن الخلاف فيها ضعيف كذلك أكل لحم ذي الناب من السباع خلاف خالف فيه أهل المدينة غيرهم من الأئمة ونقول الخلاف فيها ضعيف لوجود النص الواضح عن النبي ﷺ خلاف ذلك إلى آخر ذلك من المسائل المعروفة .

س : نقل القرطبي وغيره إجماع العلماء على من أكره على الكفر فالأفضل والأحسن أن يصبر على القتل فهو أولى من أن يجيبهم ثم رأيت لبعض الشافعية تفصيلاً ذكر بعضهم أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان يرجى به النكاية على الكفر فالأولى أن يدرأ عن نفسه القتل بالإجابة وإن كان ممن ليس كذلك فالأفضل له الصبر فهل يُعد هذا التفصيل ناقضاً أو خال من الإجماع . ؟

ج : الجواب لا ليس كذلك هو قولهم الأفضل والأحسن أن يصبر هذه هي القاعدة ومعلوم أن كل قاعدة لها شواذ والقاعدة أمر كلي ومجيء بعض الأفراد على خلاف الأمر الكلي لا يخرج الأمر الكلي عن كونه كلياً مقطوعاً به كما قرره الأصوليون والعلماء في القواعد .

س : ما توجيه أهل العلم رحمهم الله تعالى لحديث التائب الذي قال فيه اللـــهم أنت عبدي وأنا ربك وقد تلفظ بالكفر ؟

ج : هذا قال به النبي عليه الصلاة والسلام أخطأ من شدة الفرح .

س : هل صحيح أن حديث الذبابة فيه شيء من الضعف ؟

ج : هذا أحلناكم على ما قلنا .

س : متى يبدأ وقت أذكار الصباح والمساء ومتى ينتهي ؟

ج : في أول النهار وفي إقبال الليل يعني في المساء من بعد العصر إلى المغـــرب أو بعد المغرب كل هذا وقت المساء ، المساء إلى غياب الشفق يطلق عليـــه مســـاء بإتفاق أهل اللغة هل يطلق المساء على ما بعد ذلك فيه خلاف من بعد الزوال إلى غياب الشفق يعني إلى دخول وقت العشاء هذا يطلق عليه مساء في اللغة فأذكار المساء من بعد العصر قبل المغرب يعني قبل الآذان بعد الصلاة كل هذه فيها سعة .

س : إذا كان الرجل جاهلاً بأحكام الغسل وكان في هذا الوقت يصـــلي وهـــو جنب وبعد أن علم أحكام الغسل هل يعيد الصلاة أم لا ؟

ج ك يعني هذا شاق إذا كان سنين كثيرة ما يعيد لكـــن إذا كانـــت صـــلاة أو صلاتين معلومة فيعيد لأنه ما أتى بالشرط لكن كيف يعني أحكام الغسل ، الغسل يعني تعميم البدن بالماء يخشى أن يكون مدخل للوسوسة يعني الغسل يعرفه كـــل أحد يعني تعميم البدن بالماء إذا وصل الماء إلى جميع أجزاء الجسم حصل الغســـل الشرعي من الجنابة .

س : هل نصرح بكفر من رأيناه يسب الرسول ﷺ ؟

ج : لابد تعرض كلامه على أهل العلم وهم يفتون مسائل الكفر ليست لآحـــاد الناس أو لآحاد طلاب العلم .

س : هل ثبت عن النبي ﷺ التورك في التشهد الأول ، هل هناك فرق بين البراءة من الشرك والخلوص من الشرك ؟

ج : التورك النبي عليه الصلاة والسلام كان يفترش قدمه اليسرى ويجلس عليها هذه هي السنة ، التشهد الأول لا أعلم فيه ما يكون فيه التورك سنة ، إنما ربما السائل رآني اليوم أنا معاي عذر في رجلي يمنعني من ذلك .

س : ما الفرق بين البراءة من الشرك والخلوص من الشرك ؟

ج : الخلوص من الشرك هذه كلمة تتركونها يعني ليس لها أصل في كلام أهل العلم المتقدمين إنما هي جاءت متأخرة ما أدري كيف جاءت في كتاب ثلاثة الأصول ونبهنا عليها في الشرح على ثلاثة الأصول بأن تعريف الإسلام اللي ذكره الشيخ في أول ثلاثة الأصول ، الإسلام وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله هذا تعريف الإسلام المعروف عند أئمة التوحيد أما تعديل ذلك إلى الخلوص من الشرك وأهله أو الخلوص من الشرك هذا ليس صحيحاً لأن البراءة غير الخلوص . البراءة فيها بغض ومعاداة والخلوص فيها انتقال يعنى الخلاص من الشيء فالبراءة لفظ شرعي جاء في النصوص بالقرآن وفي السنة فلابد من اعتماده وتعريف الإسلام مأخوذ من القرآن لأن قصة إبراهيم فيها تعريف الإسلام .

نكتفي بهذا القدر وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد

تمت

بسم الله الرحمن الرحيم

أسئلة على كتاب كشف الشبهات للشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله ٢٢ / ١٠ /١٤١٨

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

أما بعد .....

فنظراً لتخلف أكثر الأخوة بمناسبة الاختبارات فنجعل هذه الجلسة للإجابة على الأسئلة إما على الكتاب أو على غيره سبق كان عندنا أسئلة موجودة وإلا ز

س : يقول تكلمتم عن ضوابط في فهم السيرة فهلا تكلم عن أخرى في فهم التفسير ؟

ج : أما ضوابط في فهم السيرة فإنها لم تكمل في حاجة إلى زيادة في ملاحظة كثير من الكتابات في سيرة المصطفى ﷺ وما ذكر إنما هو فتح باب لهذا الموضوع المهم ، وأما التفسير فالتفسير أجل العلوم لاحتوائه على العلم بالله جل وعلا وأسمائه وصفاته وكل علوم الشريعة في التفسير ومعرفة الضوابط في فهم التفسير أو في إدراك كلام العلماء على التفسير مبني على فهم مناهجهم في تفاسيرهم وهذا يرتبط بفهم مواقع الإجماع في التفسير ومواقع الخلاف وقواعد الترجيح بين الأقوال المختلفة في التفسير وهذا الأخير وهو قواعد الترجيح يشترك فيها جملة من العلوم منها علم اللغة ومنها علم الإسناد ومنها علم الأصول فكُتبت كتابات في قواعد الترجيح بين أقوال المفسرين سواء كانت تفاسير السلف أو تفاسير الخلف وهذا كما ذكرت يبني على معرفة اللغة فكثير من الأقوال في التفسير يرجح قول على قول باعتبار اللغة لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين ومنها ما يرجح باعتبار قواعد الترجيح عند علماء الأصول فإن الأصوليين في الترجيح بحثوا ذلك بحثاً

طويلاً وأيضاَ في إثناء كلامهم على دلالات الألفاظ أو على الدلالة بشكل عـــام يمكن أن يرجح بها كثير من المسائل وابن جرير رحمه الله رجَّح بالأصول في كثير من المواضع المشكلة . شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً رجح بالأصول في كثير مـــن المواضع المشكلة في التفسير والثالث الإسناد : والإسناد المراد به معرفـــة أســـانيد المفسرين وأسانيد المفسرين كما ذكرته في غير هذا المجلس ليست مبنيـــة علـــى أسانيد المحدثين بشكل مطابق لها يعني أن أسانيد المفسرين إذا نُظر إليها في بعضها من جهة الرجال الذين تناقلوا هذا الإسناد وروى في الكلام عليهم مـــن جهـــة الجرح والتعديل ربما ظن الظان أو وصل الناظر إلى أن هذا الإسناد غير مقبول أو ضعيف بينما هو حجة عند المفسرين من السلف بالإجماع وهذا له أمثلة كـــثيرة وله قواعد معلومة وخاصة في النسخ التي روى بها التفسير فمثلاُ تجد أن الكـــلام على صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قد قدح فيها بعض أهل الحـــديث بأنها وجادة ومنقطعة لأن علياً لم يدرك ابن عباس وهى عند علماء التفسير الغاية في الحجة عن ابن عباس وحررها بعض علماء الحديث كالحافظ بن حجر وقـــال أن الواسطة عُلمت وهى أن علياً أخذ هذه الصحيفة من مجاهد ومجاهد أعلم الناس بتفسير ابن عباس مثلاً تفسير أسباط بن نصر عن السُدَّي والسُدّي وأسباط بـــن نصر فيهما كلام لكن أسباط بن نصر روى كتاب السدي فهي روايـــة كتـــاب محفوظ تناقلها العلماء إلى آخر ذلك يعني هذه لها أسئلة كثيرة فلا ينظر في أسانيد المفسرين إلى قواعد أهل الحديث بإطلاق بل معها ينظر إلى صنيع المفسرين لهذا لو نظرت في تفسير ابن حاتم وهو من أصح التفاسير السلفية المنقولة بالأســـانيد لوجدته أنه شرط في أوله أن يكون ما رواه بالأسانيد من أصح مـــا وجـــد وإذا نظرنا في كثير منها من جهة رواية الحديث لأنتُقد ذلك ولَعُدَّ ضعيفاً أو ضـــعيفاً

جداً بحسب الرواية منها ما هو ضعيف نعم لكن منها ما هو متعاهد أو مقبـــول باضطراد عند علماء التفسير وهذه تحتاج إلى تفصيلات وأمثلة المقصود أن فهـــم ضوابط التفسير لا شك أنه من العلم المهم وخاصة كما ذكـــرت لـــك مواقـــع الإجماع والترجيح يعني ما أجمعوا عليه وما رجَّعه طائفة أو الخلاف وكيف ترجحَّ فمثلاً في القضية المشهورة أو في المسألة المشهورة عند قوله تعـــالى ﴿ **فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون** ﴾ التفسير المشهور فيها أن المراد باللذين آتاهما صالحاً وجعلا له شركاء إنما هما آدم وحواء هذا هو التفســـير المشهور بل هو تفسير السلف يعني الصحابة وهناك من ردَّ هذا التفســـير وقـــال كيف يكون من آدم وحواء شركاً و لم يفقه حقيقة المسألة لكن المقصـــود مـــن التمثيل أن لسلف أعني الصحابة ليس بينهم خلاف في ذلك وإنما بدأ الخلاف من الحسن البصري في هذه المسألة ولهذا لما ساق ابن جرير رحمه الله كلام الحسن بأن المراد بالمثنى هنا اليهود والنصارى أو المشركين الوثنيين والمشـــركين مـــن أهـــل الكتاب قال ابن جرير في أخر ذلك ((والقول في ذلك عندنا أن المراد : ﴿ **فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء** ﴾ آدم وحواء لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك)) وهذا الإجماع منعقد قبل الخلاف وهذا من المسائل المهمة فـــإن بعـــض المفسرين قد يأخذ قولاً مع أن الصحابة لا يُعرف فيهم هذا القول قالوا بخلاف . ومعلوم أنه لا يجوز أن يُعتقد أو يظن أن الصحابة ينقرضون ولا يكون فيهم مـــن يقول القول الصواب في الآية لأن العلم لابد أن يكون محفوظاً فيهم ومن بعـــدهم لا يدركون صواباً خفي على الصحابة ولهذا نقول إذا أجمع الصحابة على قـــول فهو الحجة بل إذا اختلف الصحابة في الآية على قولين لم يجز إحداث قولاً ثالثـــاً

إلا إذا ظُنَّ أن بعض الصحابة المشهورين بالتفسير لم يُنقل له كلام في هذه الآيـــة وكان هناك دليل يساعده أما إذا كانت المسألة اجتهادية يعنى راجعة إلى العلـــم الاجتهادي في التفسير وليس فيها أثر ولا عموم إلى آخر ذلك فلا يجوز إحداث قول خفي أو لم يقل به صحابة رسول الله ﷺ وهذه قواعد فهم التفسير متنوعـــة كُتب فبها كتابات أصول التفسير أو قواعد التفسير في فهم التفسير لكن بحاجـــة إلى تحقيق وتدقيق وكتابات مركزة ولا شك أن طالب العلم يحتاج إلى هذا كبير الحاجة .

س : يقول قول بعضهم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب خـــرج علـــى الدولـــة العثمانية هل هذا صحيح ؟

ج : الجواب أن هذا ليس بصحيح لأن نجداً من سنة ست وخمسين ومائتين قـــد خرجت عن حكم الدولة العباسية تولتها دولة يقال لها الأخيضرية وربما كان من الشيعة أو من الزيود فخرجت عن السلطة و لم تطمع فيها الدولة العباسية أصـــلاً و لم ترسل لها أحداً لما حصل لهم من التفرق والاختلاف والضعف لأن نجداً ليس فيها مطمع في ذلك الحين ثم توالت الإمارات والدول على عدم الطلب من أهـــل نجد أن يدخلوا في السلطان وكانت لهم إمارات ودول مستقلة من سنة ٢٥٦ هـــ إلى أن انقضت الدولة الأخضرية في نحو سنة ٥٠٠ تقريباً ثم بعد ذلـــك توالـــت الدول أو الدويلات الصغيرة أو الإمارات الصغيرة وكل من أنشأ بستاناً أو مزرعة وجمع الناس حولها صار أمير البلد والقرى إلى آخر ذلك فأتي إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على هذا الواقع وهى أن الدول أو الإمارات في نجد ليس لها ارتباط بالدولة العثمانية ، فليست الدولة العثمانية تعطيها تنفق عليها وأيضـــاً لا تطلب من أمرائها خراجاً ولا تطلب منهم بيعة إلى غير ذلك بل هي متروكة لعدم

رغبتهم فيها فليس فيها مال وليس فيها أهلها مطمع بل هي بلدان صغيرة متفرقة فجاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب على هذا الواقع للعيينة أمير ولحـريملاء أمـير وللجبيلة أمير وللدرعية أمير وللرياض أمير وللمنفوحة أمير وللخرج أمير إلى آخره كل واحد منها لها إمارة مستقلة وطاعة مستقلة فدعا في هذا الأمر مقامة الدولـة السعودية الأولى على التوحيد وانتشرت بعد ذلك بعد بيعة شرعية صحيحة هـذا حقيقة الأمر أما قول من قال إنه خرج على الدولة العثمانية فهذا غير معـروف عند علماء الدعوة أصلاً لعدم دخول نجد تحت الولاية العثمانية في ذلك الزمان ،

س : ما حكم تخصيص ليلة النصف من شعبان بالقيام ؟

ج : ليلة النصف من شعبان جاء فيها أحاديث كثيرة في بيـان فضـلها وهـذه الأحاديث منها ما هو ثابت ومنه ما هو ضعيف وبعض السلف خصها بقيام من بين الليالي لما فيها من الفضل لكن المعتمد وما عليه عامـة السـلف وجمهـور الصحابة بل لا يعرف من الصحابة من قام ليلة النصف من شعبان وأنها إن كـان فيها فضل لما ورد في الأحاديث الثابتة فهذا لم يشرع له تخصيص عبادة لا قيـام ليلتها ولا صيام نهار النصف من شعبان ومما ذكر في فضيلتها أنهـا ليلـة نـزول الأقدار وليلة اختتام الأقدار فليلة القدر بها يبدأ القدر للسنة المقبلة وليلة النصـف من شعبان قالوا بها يُختتم القدر يعنى من حيث العمل ويترل قدر السـنة المقبلـة ويكون التقدير في ليلة القدر من رمضان وهذا يقول كثير من أهل العلم ولكـن من حيث التحقيق لا يحسن اعتماده لأن ظاهر الآيات على خلاف هذا .

س : هل التمائم من القرآن محرمة ؟ أو من الشرك الأصغر ؟ وإذا كانـت مـن الشرك الأصغر فكيف نفهم كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهـاب كتـاب

التوحيد في باب ما جاء في الرقى والتمائم أن بعض السلف رخص فيها ؟ كيف يرخصون بشيء فيه الشرك الأصغر ؟

ج : والجواب أن هذه المسألة معروفة وأن التمائم من القرآن ينظـــر إليهـــا مـــن جهتين الجهة الأولى جهة التعلق والجهة الثانية جهة المعلَّق فمن حيث النظـــر إلى التعليق فإن الاعتقاد في التميمة في أن التعليق من حيث هو تعليق نافع ويرد البلاء أو يرفع البلاء هذا شرك أصغر لأنه ((من تعلق شيئاً وكل إليه)) فالتعليق في ذاته ليس سبباً مشروعاً وليس سبباً أيضاً كونياً للتداوي لا لرفع ولا لدفع البلاء وقوعه والجهة الثانية جهة المعلق الذي هو القرآن فالسلف كان منهم مـــن يـــرخص في استعمال القرآن للدفع لأنه رقية والقرآن يرقى به بالنص وجائز الرقية بـــه فمـــن جهة النظر إلى القرآن لا يقال إن اتخاذ القرآن تميمة بدون تعليق إنه شرك أصـــغر وهذا هو الذي تكلم فيه السلف أما إذا عُلّق وأُعتقد في التعليق مع المعلَّق فهـــذا شرك أصغر وهذا لم يكن عند السلف ولهذا رخصوا في القـــرآن لا مـــن جهـــة الاعتقاد في التعليق فحاشاهم من ذلك لأن هذا شرك أصغر وإنما مـــن جهـــة أن القرآن إذا حمل فإنه أبلغ في الرقية بحسب اجتهادهم وهذا غير صحيح كما هـــو مقرر في موضعه فإذن المسألة ندور على هذين الحالين إذا كان المعلق للتميمة من القرآن يعتقد في القرآن دون التعليق فنقول لا يجوز له ذلك على الصـــحيح وإذا كان يعتقد في التعليق والمُعلَّق جميعاً نقول اعتقاده في التعليق شـــرك أصـــغر لأن التعليق ليس سبباً مشروعاً وليس سبباً نافعاً لا في الشريعة ولا سبباً كونياً نافعـــاً وهذا تحقيق المقام فالسلف لا يبيحون شيئاً من الشرك الأصفر ولا يختلفون فيه .

س : هل دعاء الله عند القبر بدعة أم شرك ؟

ج : دعاء الله عند القبر بمعنى أنه يأتي إلى قبر صالح أو من يعتقد فيه ويـدعو الله عنده لظنه أن الدعاء في هذا المكان له فضيلة أو مجاب أو نحو ذلك من الأسـباب فنقول : تخصيص بعض القبور بالدعاء عندها لفضيلة أصـحابها أو لعبـادتهم أو لولايتهم أو ما أشبه ذلك هذا بدعة لأن الصحابة رضوان الله عليهم لم يقصـدوا قبور شهداء أُحُد ولا قبور السابقين الأولين الذين ماتوا في عهد النبي ﷺ ودعـوا عندها هؤلاء أحياء أعني الشهداء وهم أفضل هذه الأمة لسابقتهم ولموتهم في سبيل الله فامتناع الصحابة عن ذلك دليل على أن تخصيص بعض القبور بالدعاء عندها لظن المُخصص أن الدعاء عندها مستجاب هذا بدعة ولكن ليس شركاً لأنه مـا دعا إلا الله وحده فإذا دعا الله وحده عند قبر نقول هذا بدعة ولا يجوز ووسـيلة إلى الشرك اعتقاد في أصحاب القبور .

س : ما نصيحتكم لطلبة العلم الذين زهدوا في تعلم علم النحو ؟

ج : لا علم شرعياً إلا بنحو لأن العلم الشرعي عربي نفقه النصـوص الكتـاب والسنة تعبر عن فهم السلف لها وفهم العلماء لها وهذا لا يكون إلا بفهم اللغـة وأول درجات فهم اللغة فهم النحو تُفهم معاني الكلام إذا تركب فمن لم بفهـم النحو لا فهم له في الشريعة .

س : ما رأيكم في الدولة العثمانية هل إذا كانت الدولة فيها شرك هل لها الـولاء مثل دولة المسلمين التوحيد ؟

ج : العموم الكلام في الدولة العثمانية فيه رسائل لبعض أئمة الدعوة فيها وعلماء الدعوة تكلموا عن العساكر التركية العثمانية التي هاجمت أهل التوحيد ودرست معالم التوحيد في ديار أهله وقتلت أهل التوحيد وساقت من ساقت إلى مصـر أو إلى تركيا وقُتل هناك من قتل فهذه العساكر التركية التي أعلت رايتها لقتال أهـل

التوحيد في عقر دارهم هذه يكفرها أئمة الدعوة الذين قاتلوهم أهل الرايات فيشهدون على من قتل بالنار لأنهم قاتلوا تحت راية شركية لدحر التوحيد وقتل أهله ، وأما الدولة العثمانية فليس يعني في عمومها ، فليس أئمة الدعوة من المكفرين لها بإطلاق لكن من المعلوم أن حال الدولة العثمانية في الثلاثة قرون الأولى لها لها شأن ومنذ عهد سليمان القانوني وما بعده بدأ دخول القوانين الإفرنجية فيها ودخول أيضاً الصوفية وأشياء كثيرة مما حصل لهم فكلام أئمة الدعوة من جهة الكفر في العساكر التركية ولهذا تجد في كتبهم ينصون على العساكر التركية يعني حتى لا يعلم الحكم .

س : بعض طلاب العلم جعل من نفسه حكماً على العلماء الراسخين في العلم يخطئ بعضهم ويصوب بعضهم أو يصوب غيرهم ممن هو أدنى فما نصيحة فضيلتكم لمن هذا حاله وفقكم الله ؟

ج : أسأل الله جل وعلا التوفيق للجميع وهذه المسألة لا شك أنها من آثار ضعف العلم لأن طالب العلم إذا تعلم دان بالفضل لأهله واحتقر نفسه عند الراسخين في العلم لأنه يجل العلم أما إذا كان العلم عنده لا شيء ليس له تلك القيمة في نفسه فإنه يستجرأ كثيراً فكلما كان المرء أكثر علماً كان أكثر عملاً وكان أكثر توقيراً لأهل العلم مثلاً انظر بعضهم تكلم في بعض الأئمة كأبي حنيفة رحمه الله وكغيره من بعض السلف أو من تبعهم السلف نعني به يعني المتقدمين بينما إذا نظرت إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية العالم الإمام شيخ الإسلام فلا تجد في كتبه قدحاً في أبي حنيفة كان يخفى عليه ما قيل فيه ؟ لا بل هو معروف بل صنف كتابه المعروف ((رفع الملام عن الأئمة الأعلام)) من هم ؟ أحمد والشافعي ومالك وأبو حنيفة ، فأهل العلم يرفعون راية العلماء ولا يزهدون الناس فيهم ينشرون

محاسنهم ويطوون ما يظن أنه نقص في حقهم لأنه من المعلوم أنه ليس من شـــرط العالم أن يكون مصيباً في كل مسألة أو أن يكون تقياً في كل مسألة ليس هذا من شرط العالم إنما هذه كمالات النبوة أما العلماء فإذا كان صوابهم أكثـــر وكـــان نفعهم أكثر فهم العلماء وهكذا أهل العلم في كل زمان يعنى أهل العلم المتـــابعين لطريقة السلف دائماً يكون خطأهم قليلاً بجانب صوابهم وإذا كان كذلك فـــإن طالب العلم ينشر محاسن العلماء وإذا وقع في نفسه شيء مما لم يصيبوا فيه أو يظن أنهم لم يصيبوا فيه إما أن يراجعهم في ذلك أو يستفسر أو أن يترك قوله لقولهم إذا أجمعوا على شيء أو اتفقوا عليه أو يذهب إلى قول بعضهم بدليله هذا الذي ينبغي أما نشر أخطاءهم فهذا جناية على الشريعة بعامة لأنك إذا زهـــدت النـــاس في العلماء فمن يتبعوه يوشك أن يأتي الزمان الذي وصفه عليه الصلاة والسلام بقوله ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء ولكن يقـــبض العلـــم بموت العلماء حتى إذا لم يبقى عالم وفي رواية حتى إذا لم يبقى عالم اتخذ النـــاس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)) هم اتخذوا رؤوســـاً لم ؟ لأن هذه الرؤوس ظنوا فيها العلم لكن في الحقيقة هم جُهال فسئلوا لأنه ظن أنهم من أهل العلم فأفتوا فضلوا وأضلوا ولهذا ربط الناس بالعلماء بذكر مزاياهم بذكر فضائلهم بذكر بذلهم بذكر جهادهم بذكر ما يعملونه للمســـلمين هـــذا ينشـــر الشريعة ويزيد من تعلق الناس بأهل العلم والإقتداء بهم وسؤال أهل العلم عمـــا أشكل والتزهيد في العلماء أو انتقاص العلماء أو ذكر أخطاءهم والعـــالم كمـــا ذكرت ليس من شرطه أن لا يكون مخطئاً بل قد يخطئ لكن نشر هذا يزهد الناس فيهم فيبقى في الناس نشر الأخطاء ، والناس مولعون دائماً بنسيان الفضائل وذكر المثالب من القديم فإذا رأوا سبة طاروا بها فرحاً وإن يجدوا إصالحاً فله كتموا مثل

ما قال الأول إذن فالواجب على طلاب العلم أن يحسنوا الظن بأهل العلـــم وأن يأخذوا منهم فهم الشريعة لأنه بذلك يحصل الخير في الأمة .

س : استدل بعض القبورين على جواز البناء على القبور لأن النبي ﷺ دفـــن في حجرة عائشة فكيف الجواب على هذه الشبهة ؟

ج : دفن عليه الصلاة والسلام في حجرة عائشة نعم لكن حجرة عائشة كانـــت قبل القبر وحجرة عائشة مفتوحة وهـــي إلى الآن إلى الآن مفتوحـــة إلى أعلـــى والسقف العلوي هذا سقف المسجد لما أدخل فحين دفن عليه الصلاة والسلام في عهد لخلفاء الراشدين كان السقف سقف بيت عائشة مفتوحاً كما كانت عائشة تقول رضى الله عنها كان النبي ﷺ يصلى العصر والشمس في حجـــرتي لأنها مفتوحة من أعلاها وإنما سقف بعضها وترك بعض في عهده عليه الصلاة والسلام بشيء من الجريد الذي يزال والواقع الآن أن الحجرة مفتوحة من أعلها نعم هناك جدران مثلثة لكنها مفتوحة من أعلى ليس عليها سقف وكذلك الجدار الثاني ممتد حوالي ستة أمتار ثم مفتوح أيضاً من أعلى وإنما كذلك الحديد هذا الـــذي تـــرى يعنى ثلاثة جدران ثم الحديد كل هذه مفتوحة يأتي سقف المسجد الذي أحـــاط بالحجرة وحجرة عائشة مفتوحة هذا للمسجد لا للحجرة فإذاً البناء لم يقع على قبره عليه الصلاة والسلام وإنما البناء كان موجوداً قبل القبر فدفن عليه الصـــلاة والسلام في بيته و لم يبن عليه ، عليه الصلاة والسلام لم يبن على قـــبره ولا قـــبر أصحابه وجعلت له حمايات عديدة حتى يبعد الناس عن القبر فأخذ من مســـجده عليه الصلاة والسلام من روضته عليه الصلاة والسلام عدة اسطوانات لعدة أمتار أخذت من الروضة الشريفة التي قال فيها عليه الصلاة والسلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة أخذت حماية لقبره عليه الصلاة والسلام حتى ما يصل إليه

الناس فإذاً الآن لا يمكن أن يقال أن البناء مسقوف من كل جهاته ولا يمكـــن أن يقال إن الزائر له يزور القبر لأن بينه ولبن القبر أمتار وبناء جدار ثم جدار يعـــني الجدار الحديدي ثم الجدار الذي يليه ثم جدار ثالث ثم الجدار الرابع فهناك أربعـــة جدار تذكرون كلام ابن القيم يرحمه الله في النونية حيث قال :

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة جداران

يعنى دعاء النبي ﷺ في قوله ((اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبـــد)) فأجابـــه رب العالمين دعاءه أثاطه بثلاثة جدران ،الجدران ، الجدار الأول عائشة ثم الثاني وراءه ثم الثالث الذي ترونه الآن ثم بعد ذلك بعد زمن ابن القيم في عهد الدولة أو بعد في أول عهد الدولة العثمانية تقريباً جعل الحاجز الحديدي هذا فهي أربعة وأخـــذ من الروضة بضعة أمتار مع أنها مسجد وجعلت حماية للقبر بإجماع المسلمين لأن في هذا الأخذ من المسجد الذي هو وقف مسجد أسسه النبي ﷺ على التقوى من أول يوم أخذ منه حماية للقبر حتى لا يوصل إليه وحتى لا يتخذ وثناً ولهذا فيـــه دليل واضح على إبطال ما ادعوه في قبره عليه الصلاة والسلام .

س : وردت أحاديث تنص على أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وحرمـــت عليه النار ووردت أحاديث تنص على أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقـــال ذرة من بر ووردت أحاديث فيها أن النار يدخلها من قال لا إله إلا الله فما توجيه ذلك وكيف تجمع بين هذه النصوص فهي فيما يبدو عند بعض الناس متعارضة ؟

ج : هذا مبني على فهم دلالة النصوص في الكتاب والسنة في معنى لفظ الدخول ونفي الدخول (لا يدخل) وكذلك التحريم حرم أو (محرم) حرمت عليه الجنة أو حرمت عليه النار إذا تقرر هذا فالدخول في الكتاب والسنة نوعان دخول أولي ودخول بعد أمد ونفي الدخول أيضاً نوعان لا يدخل يعني أولاً ولا يدخل بمعنى

أبداً فمثلاً في قوله جل وعلا : (لا يدخل الجنة قاطع رحم) هذا يعني الـــدخول الأولي لا يدخلها أولاً بل يتأخر فيعذب في النار إن لم يغفـــر الله لـــه ثم يـــدخل متأخراً وفي قوله ﴿لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في ثم الخياط﴾ ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في ثم الخياط﴾ هذا نفي للدخول مطلقاُ يعني لا يدخلون أبداً وهـــؤلاء هـــم الكفـــار كذلك لفظ التحريم هنا تحريم أمدي وهناك تحريم أبدي فمن النصوص ما فيه لفظ التحريم والمراد به التحريم الأمدي يعني تحرم عليه الجنة أمداً من الزمان أو تحـــريم أبدي تحرم عليه الجنة ، تحريم أبدي هؤلاء هم الكفار أو تحرم عليه النـــار تحـــريم أبدي وهم الذين غفر الله جل وعلا لهم فإذاً دلالة الـــدخول ونفـــي الـــدخول والتحريم في النصوص منقسمة فإذا فهمت هذا صار كل نص جاء فيه ما ذكر من نفي الدخول أو إثبات الدخول أو تحريم للجنة أو للنار كان مبنياً على التفصـــيل الذي ذكرته لك في رمضان الأفضل أن يشتغل المرء بالقرآن وبتفسيره ولا غـــيره وهكذا كانت سنة المصطفى ﷺ كان عليه الصلاة والســـلام يأتيـــه جبريـــل في رمضان يدارسه القرآن كل يوم فيختم معه عليه الصلاة والسلام ثم لما كـــان في العام الذي توفي فيه عليه الصلاة والسلام أتاه جبريل فعارضه بالقرآن مرتين وكان مالك رحمه الله تعالى يترك حلق الحديث وتدريس الحديث في رمضان ويتفـــرع للعبادة ولتلاوة القرآن ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ فهو خاص بالقرآن .

س : ما حكم كتابة الآيات على ورقة ومن ثم وضعها في إناء فيه ماء وشـــرب ذلك الماء هل ذلك العمل جائز ؟

ج : هذا جائز يكتب الآيات على ورقة إما الآيات واضحة أو يكتب بماء قــرئ فيه على ورق وثم يحل ثم يشرب ولبيان ذلك فإن التداوي بالقرآن على مراتــب وهو جائز بالكتاب والسنة وبالإجماع بل يستحب وأعلى هذه المراتب أن يرقــي المرء نفسه كما كان النبي ﷺ يرقي نفسه لأنه لا واسطة هنا في ذلك القرآن يتردد في جوفه وهو ينفث على نفسه بما تردد في جوفه .

المرتبة الثانية : أن يرقاه ، أن يرقيه غيره هذا أقل لوجود واسطة وإلا فقد وصــل إليه النفث ووصل إليه الريق وتلاوة القرآن .

الثالث : أن تزيد الواسطة واحدة فيجعل الماء واسطة فالنبي عليه الصلاة والسلام صح عنه كما رواه أبو داود في السنن بسند قوي أنه أمر بأن يكتب القرآن لرجل مريض في طبق ثم يغسل ويسقاه المريض فالذي وصل إليه القرآن يــترل درجــة فيجعل في ورقة الكتابة مباشرة يعني بمعنى يجعل في ورقة كتابة بــالزعفران فيهــا الآيات نفسها وهذه الثالثة لم تكن معروفة عند السلف ورخص فيها الإمام أحمد وجماعة من أهل العلم لأنها من جنس سابقتها فتكتب الآيات بوضوح ثم تحل هذه الآيات ويسقى ويليها أن يقرأ في إناء فيه ماء وزعفران ثم يخطط في ورق تخطيط عام بدون ذكر آيات كذا يخطط لأن هذا الماء والزعفران قد قرئ فيه فيحل هذا الذي قرء فيه ثم يشرب وهذا أقل الذي ذكر درجة لكثرة الوسائط فيه فالمقصود أنه كلما كما ذكر بعض أئمة الدعوة ، وبعض المحققين كلما قلت الواســطة في الرقية كلما كان أنفع وأقرب إلى السنة وأبعد عن الاحتيال وكلما نزلت واسطة هنا شخص يرقي بواسطة ماء واسطيته ورق وماء وحل ثلاث وســائط كلمــا نزلت كثرت الوسائط كلما ضعف من جهة الانتفاع وأيضاً ضعف مــن جهــة موافقة فعل السلف فالذي دلت عليه السنة أن يرقي المرء نفسه هذه أفضــلها ثم

يجوز أن يرقيه غيره وأفضل إن كان بدون طلب منه فإن طلـــب جـــاز أيضـــاً ، والثالث أن يكتب له في طبق ويحل هذه الثلاث جاءت بها السنة وما عدا ذلـــك فهو جائز بناءً على هذا .

س : ما معنى قوله تعالى ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾ ؟

ج : أصح الأقوال في تفسير الآية ما رواه أو ما فسرها به ابن عباس رضي الله عنهما من أن قوله في آخر سورة الرعد ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾ يعني بما في أيـــدي الملائكة من الصحف ﴿ **وعنده أم الكتاب** ﴾ يعني اللوح المحفوظ فمـــا في أيـــدي الملائكة من الصحف يقبل التغيير ويكون تغيره من القدر الذي في اللوح المحفوظ وأما ما في اللوح المحفوظ فإنه لا يتغير فمثلا من جهة الأعمار في اللوح المحفـــوظ الأجل وما في أيدي الملائكة عمر فإن وافق ما في أيدي الملائكة يعني في التقـــدير السنوي ما في اللوح المحفوظ صار العمر أجلاً وإن لم يوافق صار قـــابلاً للتغـــيير بالقدر في بالدعاء أو البر أو بصلة الرحم صار يتغير هنا ما في صـــحف الملائكـــة بالأسباب كما في قوله جل وعلا ﴿ **وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب** ﴾ وكذلك كما في قوله عليه الصلاة والسلام (من سره أن يبسط له في رزقـــه ـــ والرزق مقدر وينسأ له في أثره يعني يمد له في عمره فليصل رحمـــه) فصـــلة الرحم سبب فيكون ما في صحف الملائكة من العمر إذا لم يصل فإن وصل زيـــد فيه فيكون الأول وهو أصل العمر والزيادة موجودة في الصحف والنتيجة النهائية هي الموافقة لما في اللوح المحفوظ وهذا هو أولى الأقوال في تفسير الآية بـــل بـــه يستقيم القول في القدر على وفق منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة .

س : لكل طالب علم رحلة في طلب العلم فهل ذكرت رحلتك في طلب العلم ؟

ج : لا يلزم أن يرحل طالب العلم للمعلم إذا كان العلم حوله فالرحلة للعلـــم ، فإذا كان العلم موجود عندك فلماذا ترحل وقول صحيح يعنى طالب العلـــم إذا رحل فإنه لابد أن يتعلم هذا لابد منه ، فإذا رحل إلى أي بلد يحرص على الالتقاء بعلمائها واالأخذ عنهم وسؤال العلماء عما يشكل وأشباه ذلك .

س : إذا وقع المذي على الجسم والملابس هل يغسل الجسم ؟

ج : المذي نجس فإذا وقع على الجسم غسله .. ما أصاب الجسم منه وكـــذلك الملابس يغسل ما أصاب الملابس منه فإن تردد أو شك يلقي أو يأخذ بكفه ماء ثم يرش عليه كما أرشد إلى ذلك النبي ﷺ .

س : ما حكم قول الشخص لأخيه عند لقائه هذه أبرك ساعة التي رأيتك فيها هل هذا العمل مشروع لأني سمعت من يقول أنه لا يجوز وأنه شرك ؟

ج : هذا مبني على فهم معنى التبرك كل مسلم فيه بركة وذلك لقول النبي عليـــه الصلاة والسلام في ما رواه البخاري في الصحيح (إن من الشجر شجرة بركتها كبركة المسلم) في بعض ألفاظ حديث ابن عمر المعروف إن من الشجر شـــجرة بركتها كبركة المسلم ، قال العلماء فكل مسلم فيه بركة كذلك قـــول أســـيد لعائشة رضي الله عنها ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر لكن البركة نوعان :

١ ـــ بركة ذات　　　　٢ ـــ وبركة عمل

فبركة الذات بمعنى أن أجزاء الذات مباركة يطلب منها النفع والبركة بالملاصقة به أو بالتمسح بها فهذا خاص بالأنبياء والمرسلين دون غيرهم بركة الذوات .

وأما بركة العمل فهذه كل مسلم فيه بركة من إيمانه ، بركة إيمان فـــإذا التقـــى بالمسلم حل بينهما مغفرة الذنب عند التصافح أو من نشر الخير أو مـــن الصـــلة والتزاور في الله أو وما أشبه ذلك فنعم هناك بركة ، أو إذا جاء قد حلت علينـــا

البركة يعني عند اللقاء لهذا المعنى بركة العمل فلا بأس به أو يقال هذا من بركات الشيخ فلان نعني به بركة علمه يعنى من جهة الاستفادة منه أو يقال : أعاد علينا من بركته يعنى بركة فلان أي بركة علمه إذا كان حياً أو ميتاً أو بركة عمله إذا كان حياً أما قول القائل : كما في السؤال هذه أبرك ساعة فإن أراد بفعل أبـــرك التفضيل المطلق فهذا غلط لأن أبرك ساعة يعني أكثر الساعات بركة ليست هـــي ساعة اللقاء بين المسلم وأخيه بل هي ساعة الوفاة على الإيمان وأما إذا عني بأبرك ساعة أن أبرك هنا أفعل التفضيل ليس على بابه لأنها ساعة مباركة فهـــذا جـــائز وهذا الثاني هو الذي يتوجه إليه كلام الناس يعني أنها ساعة مباركة وإنما عبر فيها بأفعل التفضيل للمبالغة ولا لقصد التفضيل المطلق وهذا كقولـــه عليـــه الصـــلاة والسلام أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه كما في حديث أبي هريرة في الصحيحين فقوله أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله الذي لا يقول لا إله إلا الله خالصاً ليس له نصيب في الشفاعة وإنمـــا المعـــنى سعيد الناس بشفاعتي كما في قوله جل وعلا ﴿ **أصحاب الجنة يومئذٍ خيرٌ مستقراً وأحسن مقيلا**﴾ أحسن هنا مقيلا يعني من أهل النار أنه ليس في مقيلـــهم حســـن وإنما قيل أحسن مقيلاً على وجهه المبالغة كما ذكرت يعني حسن مقيلهم علـــى وجهه المبالغة وليس من جهة التفضيل المعروف .

س : تحديد العزاء بثلاثة أيام هل هو بدعة وكيف يتم مناصحة من يضع عقـــود الكهرباء على بيت الميت لإعلان موته لاستقبال الزوار ؟

ج : أما تحديد العزى فليس فيه دليل خاص فليعزي من كانت عنده مصيبة سواء أكان في ثلاثة أيام أو في سبعة والفقهاء اختلفوا هل يعزي بعد الثلاثة أم لا علـــى

أقوال في المذهب ، مذهب أحمد وغيره فمنهم من يقول ثلاثة أيام ومنـــهم مـــن يقول إلى سبعة والصواب من ذلك أن يقال هذه معلقة بالمصيبة فإن كانت المصيبة باقية فيعزي إلى ثلاثة أيام أو سبعة أو شهر وإذا كان المعزي لم يعزي من قبـــل وإذا كان المعزي مصاباً وذلك لقول المصطفى ﷺ في الحديث الصـــحيح (مـــن عزى مصاباً فله مثل أجره) وهذا عام في الأوقات من عزى مصـــاباً مـــادام أن المصيبة باقية أما إشهار الموت أو مكان العزاء بوضع عقود الكهرباء علـــى بيـــت الميت ونحو ذلك فهذه بدعة ونوع من النياحة بدعة إذا كانت يظن أنها من تمـــام العزاء بالتعبد بها ومن النياحة لأن فيها إشهار الاجتماع إلى أهل الميت لا بأس به لكن بشرط ألا يكون معه صنع طعام فإن كان معه صنع طعام فهو من النياحـــة بحديث أبي أيوب ﷺ قال : كنا نعد اجتماع أهل الميت وصنعهم الطعـــام مـــن النياحة فإذا اجتمع اجتماع وصنع طعام فهذه نياحة على الميت أمـــا إذا حصـــل اجتماع دون صنع الطعام للعزاء فهذا لا بأس به كما كان النساء يجتمعن عنـــد عائشة في بيتها للعزاء كما رواه البخاري في صحيحه .

نكتفي بهذا القدر ونسأل الله

س : يقول ذكر ابن كثير في تفسير سورة الأنفال هذه العبارة فما مدى صحتها (ولقد فتح المسلمون الأقطار شرقاً وغرباً بسبب امتثالهم لأمر الله وببركة رســـول الله) ﷺ ومعلوم أن الفتوحات لم تتم إلا بعد موته ﷺ ؟

ج : ببركة رسول الله ﷺ إن أريد بها بركة دعاءه عليه الصلاة والسلام فهذا حق وإن أريد بها بركة رسالته عليه الصلاة والسلام فهذا حق ، وإن أريد بها بركـــة اتباعه عليه الصلاة والسلام فهذا حق ، وإن أريد بها بركة رسول الله صـــلى الله عليه وسلم بعد موته بأثرة في قبره على المسلمين فهذا باطـــل ولـــيس بصـــحيح

ومعلوم أن ابن كثير رحمه الله تعالى من أئمة المتقين وهو يعني أحد الاحتمـــالات الأولى إن صح نقل الأخ عنه وفيها احتمالات فبركة الاتباع مثل ما ذكرت أحد الاحتمالات ، فبركة الاتباع نعم أو بركة دعاءه عليه الصلاة والسلام للأمة فتح المشارق والمغارب أو بركة كما ذكرنا رسالته عليه الصلاة والسلام لأن رســـالته عامة للناس جميعاً فيستلزم من ذلك أن تفتح المشارق والمغارب ببركة أخباره عليه الصلاة والسلام لا يبقى بيت مدر ولا حجر إلا أدخله الله في الإسلام إلا أدخل الله الإسلام إليه بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز به الله الإسلام وذلاً يـــذل بـــه الشرك أو الكفر فهي محتملة وعلى كل فهي عبارة صحيحة إن شاء الله تعالى

وفقكم الله لما يحب ويرضى ونعود إن شاء الله إلى الدروس بعد رمضان يعني في أول أسبوع كالعادة .

س : أنت قلت يكتب في طبق ثم يحل ، ما معنى يحل ؟

ج : يعني يغسل مثل شف لك شايب من شيبان الرياض ولا نجد سؤال فيه على ما جاء في الحديث أطباق بيض صحون ييجي يكتب فيها ثم يغسلها يصب عليها مويه على الكتابة خشن الطبق ييجي يكتب عليه ثم يحل بالماء يعنى يوضع عليــــه مويه فإذا اجتمع شرب المويه راجعوا سنن أبي داود في كتـــاب الطـــب ذكـــر الحديث وذكر فيه الشُرَّاح صفة ذلك .

وفقكم الله الشيخ صالح آل الشيخ

الخاتمة

انتهى شيخنا الهمام العلامة فضيلة الشيخ /

صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ

حفظه الله ونفع بعلمه البلاد والعباد

من هذا الشرح المبارك في يوم السبت الموافق /١٤١٨/١٠/٢٢ هـ

فجزاه الله خيراً عن الموحدين وأسأل الله أن يجعله إمام هدى ورشاد وأن يوفقه لكل خير وأن يجعل لي من الخير نصيباً ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

عادل مرسي